#2

قائمة نيويورك تايمز لأكثر الكتّاب مبيعًا

مكتبة

الملوك

كاس مورجان ودانييل بايج

ترجمة: أميرة شريف

عصير الكتب

قائمة نيويورك تايمز لأكثر الكتّاب مبيعًا

الملوك

كاس مورجان ودانييل بايج

ترجمة: أميرة شريف



لتجـارة الكتب

إدارة التوزيع

00201150636428

لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي: The Monarchs
- العنوان العربي: الملوك
- طُبِع بواسطة: Houghton Mifflin Harcourt Publishing Company

- ترجمة: أميرة شريف
- تحرير: محمد المتيم
- تدقيق لغوي: أسماء أبو المجد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- الطبعة الأولى: يناير / 2023م
- رقم الإيداع: 2021/25918م
- الترقيم الدولي: 978-977-6902-82-4



انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa



الملوك



إلى رابطة المحررات: لاني، ولورا، وإيلين، وإميليا، كلماتكن كالسحر.

- كاس مورجان.

إلى أندريا، عندما كنا صغيرتين، اعتدتُ تتبُّعكِ كظللك، وسأظل أتبعكِ دومًا. أحبكِ أختي.

وإلى ساحرتيَّ الصغيرتين: فاي وسيينا، أيضًا.

- دانييل بايج.



مقدمة

في القبو أعينٌ تختلس النظر ولا تشعر إلا بزوال الظلام، يتسرب الضوء إليها من ثقوب لا تُرى. بعد سنين الفراغ، يملأ الغبار الصدر فيذوب محبةً في الألم.

شهيقٌ ثم زفير، وتنفجر صرخة مدوية من حلقٍ عطِش، تعيقها جدران القبر. تنشب أيادٍ يائسة مخالبها في الجدران، حتى تصطدم العظام والدماء بسطحٍ صلب. عندها تترسخ الذكرى وينشأ الذعر، ذكرى ما حدث، ومَن بنوا جدران هذا السجن الملعون... الساحرات فعلنها، بالتأكيد!

الساحرات!

أين هن؟

لن يستغرق الأمر كثيرًا. هذا هو عطر السحر الجذاب.

عطر الساحرات!

يقع اللوم عليهن. أشعر بوجودهن. ما زلن هنا.

ساحرة، اثنتان، ثلاث ساحرات.

قد جلبن الريح، تنبح فوق الرؤوس نباحًا بشريًّا يصم الآذان، تمزق الأوراق، تجلِد الفروع والأغصان، تقذفها على الأرض مفتتةً كقطع الحلوى. ولا تكُفُّ عن الدوران والعصف، فتدمر كل ما يقابلها. قد جلبن المطر، يغرق الأرض بغضب صاخب، وقودُه برقٌ ورعد.

ها هن أولاء الساحرات الثلاث: ساحرة الكؤوس، وساحرة النجمة الخماسية، وثالثتهن، وأكثرهن شرًا: ساحرة السيوف، التي تتحدى قوانين الطبيعة بضراوة.

بين شجرة هاوية، وزجاج مُحطَّم، تتساقط الساحرات تباعًا على الأرض. أقواهن لا تستطيع النهوض. قد زلزلن الأرض، فإذا بها تقعقع ثم يتوقف كل شيء. سكنت الريح، تلاشى المطر سريعًا كما نزل، والغيوم أفصحت عن ليلة مظلمة بلا قمر. سيطر الحزن والأسى على الساحرات، وأغفلن ما دون ذلك.

لم تشعر إحداهن بالصدع الذي أصاب العالم، ذلك الشق المسنن العميق في جوف الأرض.

لم ترَ إحداهن تلك اليد المتسخة الشاحبة تخرج من الأعماق وتتحسس طريقًا للسطح.

يهمس صوتٌ في الظلام: «أنا حر. أنا قادمٌ من أجلهن!».

لن يسمع أحدٌ، لن يعرف أحدٌ، لكن الانتقام قادم.

ساحرة، اثنتان، ثلاث ساحرات، ولا أحد.



الفصل الأول

سكارليت

- اقتراحكِ هذا يوحي بأنكِ تريدين تغيير معنى أن تكوني سِاحرة كابا.

وجهت أوجيني الاتهام لسكارليت، وهي تمرر إليها طبق البطاطس المهروسة الذي صنعته أمهما.

لا بد أن هذه العطلة الشتوية لن تنتهي سريعًا.

هكذا خطر ببال سكارليت وينتر، وهي تجلس بالمنزل محاصَرةً بين اثنتين من خريجات الكابا: أمها وأختها، في أثناء تناولها العشاء الأخير معهما، قبل العودة لجامعة ويسترلي.

أخذت نفسًا عميقًا لتهدئة نفسها، تتأمل أوجيني وتتمنى أن تعود مجددًا بصحبة أخواتها، جماعة الغربان. لقد مرت بالفعل ثلاثة أسابيع منذ توديع فتيات الكابا بعضهن بعضًا، بعد مرور أصعب فصل دراسيٍّ في حياتها. حتى عندما يتراسلن بانتظام، لا يبدو الأمر كالسابق. على الرغم من أن أمها مارجوري، وأختها أوجيني، أقلهن رهبةً مؤخرًا، لكن كان ذلك قبل اقتراحها هذه الليلة على العشاء.

سألتها مارجوري بلطف: «أعتقد أن أختكِ لم تعنِ هذا، أليس كذلك يا عزيزتي؟».

أجابت سكارليت بحذر: «حسنًا، لا.. ونعم».

وفي تلك اللحظة، اهتز هاتفها، الذي أخفته تحت فخذها، لتتجنب شكوى أمها من وجود الهواتف على مائدة العشاء. ولكنها لم تستطع ألا تحضره الليلة، بسبب جاكسون. نعم، هو نفسه جاكسون الذي عليها ألا تستحثه، أو تراسله، فمن المفترض أنها ألقت عليه تعويذة الذاكرة لتجعله ينساها.

قالت أوجيني، ووجهها مكسوٌّ بنظرة مشمئزة: «أترين؟ أخبرتكِ. تريد أن تمزق الكابا من الداخل».

انتهزت سكارليت الفرصة لتلقي نظرة خاطفة على هاتفها: «*وأخيرًا! عندما لم أتلقَ منكِ رسالةً ليوم كامل، بدأتُ أقلق...*».

زمَّت شفتيها بجهدٍ تُخفي ابتسامة قد تفضحها.

أجبرتها مارجوري على الانتباه: «سكارليت؟».

دفعت سكارليت حياتها العاطفية المعقدة جانبًا، وعقدت يديها فوق المائدة. تحتاج موافقة أمها، التي لا تراها الليلة إلا رئيسة سابقة لمجلس الكابا، جماعة الملوك. حيث عُدَّت مارجوري العنصر الحاسم الذي تذعن له بقية الساحرات، ففي بعض الأحيان، يصبح إقناع ساحرة واحدة هو المفتاح لإقناعهن جميعًا.

- أريد أن أغير بعض الأمور يا أمي، كي لا يتكرر ما حدث في الفصل الدراسيِّ الماضي مرة أخرى.
- وهل تعتقدين أنه إذا أفشت كل كابا منا أسرارها ستنتهي المسألة؟ ألن يعرضنا ذلك لأكثر ما نخشاه، أن يُكتشف أمرنا.

قالت سكارليت: «فكرتُ في ذلك الاحتمال. فكرتُ في كل شيء. إنني فرد من آل وينتر، ألستُ كذلك؟».

ثم صمتت مطولًا. في واقع الأمر، لقد فكرتْ في كل شيء، فلم تفعل شيئًا في الأسابيع الثلاثة الفائتة سوى التفكير.

تنهدت مارجوري: «ما حدث في الفصل الدراسيِّ الماضي حالة خاصة. وما حدث قد حدث، لندعه وراء ظهورنا».

هذا بالضبط ما تخشاه سكارليت. مَن لم يحضر ذلك الحدث حينها لن يشعر كم كان الخطر حقيقيًّا، لن يفهم كيف اختارت أقرب صديقة لها الجانب المظلم وقتلت ثلاث ساحرات، لتجني لنفسها فقط قوة أكبر.

- هذه هي المعضلة. الماضي لم يبقَ بالماضي، بل عاد ليطاردنا، ولم ندرِ كُنهه، لم نكن على استعداد لمواجهته، لأننا لا ندري شيئًا عن تاريخنا.

لو أنهن علمن عن طلسم هينوسيس، لعلهن استطعن إيقاف تيفاني، لعلهن استطعن إنقاذ رئيستهن السابقة، داليا.

صمتت أمها لحظة وهي تفكر في كلامها، ثم قالت: «أخبريني بالمزيد عن ذلك *الاستطلاع* الذي تريدين إجراءه».

زمَّت مارجوري وينتر شفتيها. رغم أن تشديدها على تلك الكلمة يكاد يلحظه أي أحد، فإنها تعرف أمها بما يكفي لتلاحظ نبرة الشك حين تسمعها.

قالت أوجيني في عجرفة شديدة: «هاتي أيتها الأخت، اشرحي كيف أن اقتحام خصوصية الخريجات سيَفي بالغرض».

- خبايا ماضينا عادت لتطاردنا الفترة الماضية، ولا أريد أن أترك شيئًا كهذا يحدث مجددًا.

- كلنا نريد ألا يحدث ذلك مجددًا.

غمغمت مارجوري، مما رفع قليلًا من الروح المعنوية لسكارليت. ثم شمَّرت عن ساعديها، واستطردت: «سأطلب من كل عضوة سابقة أن تقدم تقريرًا شخصيًّا عن الوقت الذي قضته في الكابا. ولا داعي أن يتضمن تفاصيل خاصة، فلست مهتمة بأي علاقات أو نزاعات في تاريخ إحداهن. أريد مجرد معلومات عن ممارسة السحر في إطار الأخوية، وعلى الأخص فرق العمل، أريد معلومات قديمة عن الكابا هاوس أو حتى عن ويسترلي نفسها».

ثم رفعت يدها لتقاطع ابنتها: «آسفة، يا عزيزتي، ولكن الكابا رو نو لطالما احتلت درجة عالية من الخصوصية».

تكلفت أوجيني الابتسام، وعلَّقت: «أتتوقعين حقًّا أن تقدم أقوى النساء في البلد طواعيةً ما يفيد بأنهن ساحرات؟».

توقعت سكارليت ذلك الاعتراض بالفعل، فأجابتها بازدراء: «لا، بالطبع لا».

مدت يدها لحقيبة هيرميس قديمة الطراز، التي أهدتها إياها أمها في أحد الأعياد. لطالما أعجبت سكارليت بتلك الحقيبة التي جلبتها مارجوري من باريس منذ أعوام، من الرائع حمْلها، وكأنك تحمل ريشة على كتفك. ويفوق الحقيبة روعة، التعبير الذي ارتسم على وجه أوجيني، عندما فتحتها سكارليت أمامها لأول مرة.

تعتبر الحقيبة بمنزلة رسالة تذكرة. أصبحت مارجوري، في هذه اللحظة، تحترمها، وتثق بها، بعد ما حدث في الفصل الدراسيِّ الماضي، بعد رؤية ما صارت عليه تيفاني، حتمًا ستدرك أمها بعض الحكمة في خطة ابنتها.

سحبت كتابًا بغلاف أنيق من الجلد، عليه نقشٌ بارز لبطاقتَي تارو: القمر والساحر. بينما تفتحه، قالت بصوت خافت: «أدعو القمر والساحر. اكشِفا عما وراء طموح أخواتي».

تزحزحت أوجيني للوراء، وعقدت ذراعيها في غير اكتراث، في الوقت الذي دنت فيه مارجوري من سكارليت. خُطت الصفحات الفارغة بأحرف سوداء في سطور واضحة ومضبوطة، بدت مكتوبة على آلة كاتبة.

- مثير للاهتمام! إذن، فالتعويذة ستحفظ ذاكرة الأخوات؟

أومأت سكارليت برأسها: «وإذا رصد الكتاب إشارة لأي ساحرة خارج الكابا تحاول العبث، فسيمحو كل الصفحات من تلقاء نفسه».

ثم استعرضت الصفحات سريعًا، وجفلت بشدة حينما وقعت عيناها على لحظة التحاق مِي منذ شهور قليلة: «لقد جمعتُ كل ذكريات أخوات الكابا التي لدينا، وهي جاهزة لفحصها. تقوم خطتي على الطلب من جماعة الملوك، في أثناء حفل لمِّ شمل الخريجات، أن ينضممن إلينا في طقس جماعيٍّ، ويُضِفْنَ أي معلومات أخرى يرونها مناسبة».

قالت مارجوري بصدق، وسكارليت تغلق الكتاب: «همم، هذه التعويذة مثيرة للإعجاب».

وأضافت بعد برهة طويلة: «جيد جدًّا! أرى أننا نحتاج لمناقشة هذا الأمر في اجتماع المجلس المقبل».

تنفست أوجيني الصُّعداء، وعلَّقت: «أفترض أننا يجب أن نطرح الخطة للتصويت».

تفاجأت سكارليت، إذ لم تتوقع دعم أختها للخطة: «حسنًا، رائع، أشكرك».

فضحكت أوجيني في سخرية: «أنا بالفعل أستمتع بمشاهدة العروض الجديدة وهي تفشل. إن تبادُل مثل تلك النقاشات المسلية يشبه تمامًا السمر في ليلة متأخرة».

مؤكدٌ لن تدعمها أختها أبدًا، مهما كان مقدار ما حققته، والخطى التي قطعتها. فقد حضرت أختها للمنزل من أجل تناول العشاء هذه الليلة، تحديدًا دون غيرها، رغم طلب سكارليت من أمها أن تتناولا العشاء معًا على انفراد، لتتحدث معها في موضوع يخص الكابا. اعتذرت أوجيني بأنها تريد قضاء بعض الوقت مع أختها الصغرى، لكن سكارليت تعرف الحقيقة، إن أوجيني تشعر بالغيرة منها، وتخشى أن تستولي على مكانتها كونها أكثر رئيسة كابا مشهود لها بالكفاءة في العائلة.

هذا ما فكرت فيه، بينما ارتسمت ابتسامة واثقة على محياها. صحّ تخمين أوجيني، هذا بالضبط ما تنوي فعله. استطردت أوجيني، ويدها على الجرس تستدعي مدبرة المنزل: «بالإضافة لهذا، لا تحتجن للتنقيب في تاريخ قديم عن نزاعٍ ما، فأنتن بالفعل في مواجهة واحدة في الوقت الراهن».

- ماذا تعنين؟

سألتها سكارليت، وهي تجاهد للحفاظ على نبرتها هادئة، بينما تبتسم لها أختها في ازدراء: «هناك إشاعة تقول إن الكابا لن تكون النادي النسائيَّ الوحيد، الذي سيتقدم لمجلس بانهلينيك الموقر من أجل استضافة حفل الربيع هذا العام؛ لن تستسلم الثيتا دون مُنازلتك».

ضحكت سكارليت، فلقد توقعت أمرًا أسوأ من ذلك: «هل هذا كل شيء؟».

إن الثيتا أوميجا إكسي هي ثاني أكبر أخوية في ويسترلي، ومنافستها للكابا من أجل إقامة حفل الربيع لا يمكن عدُّه خبرًا جديدًا. يعود التنافس بينهما إلى زمن تأسيس ويسترلي تقريبًا.

تابعت: «تتوسل ماريا إدارة ويسترلي كل عام للسماح لها باستضافة الحفل. لذا لا أعد رئيسة أخوية غيورة تهديدًا، لا سيما بعد ما حدث العام الماضي».

فضلًا عن الأخويات والرابطات الأخرى، لطالما افتخرت الثيتا بتاريخها وقواعدها الصارمة، حتى في اختيار الملبس وأدبيات السلوك. سرَّب أحدهم أقسامًا من الكتيب الخاص بهن على الإنترنت في الصيف الماضي، وانتشرت في كل مكان على الفور: يَعرض أحد الأقسام المختصة بأنماط الملابس وأنواع الجسم، مخططًا هزليًا، يصف كيف يُميَّز بين درجات الأبيض المختلفة. لقد كانت فضيحة لصورتهم العامة. تكهن الجميع أن عضوة ساخطة من داخل الثيتا، هي من سربت الكتيب، ولكن لم يُؤَكَّد الأمر حينها.

ردت عليها أوجيني: «الاستهانة بعدوكِ هي الخطوة الأولى نحو الفشل».

ثم دخلت الخادمة الغرفة، فقالت: «آه، عزيزتي بيث، نحن جاهزات لتناول الحلوى».

ابتسمت سكارليت بتبلد في وجه أختها، فيما عادت مدبرة المنزل الجديدة بعربة تحمل البسكويت والقشطة المتخثرة، ثم أعدت طبقًا لكل واحدة منهن، ووضعته بجوارهن. ما إن أخذت سكارليت قضمة من البسكويت، حتى عاد بها المذاق لطفولتها، مذاق يشبه الأمان والحب والبراءة. مذاق يشبه مِيني. لكن مِيني مربيتها العزيزة، توفيت منذ ما يقرب من عام.

استدارت نحو مارجوري، في انزعاج: «أمي، كيف فعلتِ...؟».

قالت مارجوري بابتسامةٍ ودودة: «بِيث هي من حضَّرته. إنها طيبة ولطيفة للغاية. اعتقدنا أن تقديم هذه الحلوى سيُعَدُّ بادرة حسنة».

عرفت ما تحاول أمها فعله. اعتادت مارجوري وينتر استخدام أحد أمرين لحل أي مشكلة: المال أو السحر. منذ ما حدث الفصل الدراسيَّ الماضي، وأمها تبذل أقصى ما في وسعها لتدارك العواقب. دفعت سكارليت طبقها

بعيدًا. تحاول أمها أن تتعاطف معها، لكنها لا تفهمها مثلما فهمتها مِيني. لم تفهم ألا بديل لطهي مِيني، ولا حتى لمِيني نفسها.

شعرت فجأةً برغبة مُلحة للانفراد بنفسها: «في الواقع، لدي بعض الفروض الدراسية لأنتهي منها».

انتظرت فترة كافية حتى أومأت لها مارجوري برأسها، فانصرفت. بمجرد أن أغلقت باب غرفة نومها، تركت دموعها تتدفق. بعد لحظات، بدأت قطرات المطر بالنقر على نافذتها، وهَدَر الرعد، باستدعاءٍ من سحر الكؤوس خاصتها، وقوة دموعها. لطالما أخافتها العواصف، قبل أن تدرك مدى علاقتها المميزة بالماء. حيث اعتادت التسلل إلى غرفة مِيني لتتكور بجانبها مرتجفة.

لو كانت مِيني معها الآن لدندنت لها، ولفَّت ذراعها حول كتفيها قائلة: «لا تخافي، يا صغيرتي. الماء هو جزء منك. إنه سحركِ الخاص. إنه أمر مضحك. كيف أن شيئًا مدمرًا للغاية، يمكن أن يُرَى جميلًا للغاية في نفس الوقت».

مع مِيني، كان كل شيء يعبر عن درس مهم، عن حماية، عن حب. تمتنُّ لأبعد الحدود، لكل كلمة أبقتها على قيد الحياة، لكل كلمة أبقتها آمنة.

تذكرت تيفاني، صديقتها المقربة، التي رضخت لرغبتها في القوة، وقتلت أخواتها من أجل الحصول عليها. كم كانت جميلة، لكن مُدمِرة أيضًا.

دومًا ما طمأنتها مِيني، عندما تستشعر الخوف بداخلها: «لا تخافي. لكن حافظي على حذرك. أنتِ تقدرين. أنتِ العاصفة. لكن هناك عواصف أخرى بالخارج أيضًا».

مرت الأعوام، وتحققت كلمات مِيني. نمت قوتُها، واستدعت عاصفة في الليلة التي هددت فيها تيفاني حياتها وحياة فيفي. كانت مِيني على حق: هي العاصفة، لكن تيفاني عاصفة أخرى أيضًا.

خلفَت تلك الفكرة شعورًا بالذنب لديها. وحدهن فتيات الكابا من يمكنهن فهمها. لقد عرفن القصة كاملة، وشعرن بالخسارة مثلها. بمجرد عودتهن جميعًا معًا، تحت سقف واحد، ستشعر ببعض التحسن، ستكون أكثر ثباتًا وتوازنًا. طال بقاؤها بالمنزل، وهذا سبب آخر وراء اشتياقها للعودة إلى ويسترلي.

نقَّبت حقيبتها حتى وجدت مجموعة التارو الخاصة بها. تفضلها على مجموعة التارو الجديدة اللامعة التي أهدتها لها أمها في بداية العام. أما المجموعة القديمة المهترئة التي أعطتها لها مِيني، حوافها متآكلة، وبعضها مَثنيٌّ أو مُلطخ. لكن هذه البطاقات تعرف سكارليت، وتفهم قلبها. تعطيها دائمًا إجابات صادقة. حتى لو كانت إجابات يصعُب سماعها.

صدر دويٌّ اهتز معه زجاج النافذة. حملت مجموعة التارو بين يديها، ووجهت تركيزها على الفصل الدراسيِّ القادم، على منصبها الجديد بصفتها رئيسة للكابا، على فرصة لها وأخواتها لإعادة البناء، فرصة جديدة بعد أهوال السقوط التي عاشتها الساحرات. إنهن بحاجة ماسة إلى موسم ربيع يُنبئ بميلاد جديد، بفرصة للتجديد.

همست لِميني، كما لو تسمعها من مكان ما: «أريني ما يخبئه هذا الفصل الدراسيُّ للكابا».

طيَّرت البطاقات على سريرها، فاستقرت كلها على وجهها. مررت أصابعها عليها. شعرت بوخز بأناملها عندما لمست إحداها. سحبتها بعيدًا، ومررت يدها مجددًا على البطاقات الأخرى. قفزت البطاقة الثانية إلى يدها قبل أن تلمسها، وتبعتها بطاقة ثالثة. فتحت البطاقات الثلاثة في يدها، ووضعتها على وجوهها، ثم أخذت نفسًا عميقًا.

تمثل البطاقة الأولى ماضي الكابا القريب. وقلبتها، فإذا بها *البرج:* أي الخطر والدمار والاضطراب المفاجئ الرهيب. *وهو ما حدث بالضبط،* في حين تمثل البطاقة الثانية مستقبلها وأخواتها. كتمت أنفاسها وهي تقلبها، فوجدتها ثلاثة *سيوف.* تُظهِر البطاقة مشهد قلب ينزف، مثقوبًا بالسيوف الثلاثة: الحزن، والحسرة، والخسارة. على الرغم من أن السيوف كانت قوة تيفاني، لم تستطع أن تغفل أن كل سيف من السيوف الثلاثة يذكِّرها بمن فُقِدتْ من الساحرات: تيفاني، وداليا، وجوين.

ابتلعت ريقها بصعوبة عندما وصلت إلى البطاقة الأخيرة، التي تمثل مستقبل الكابا في الفصل الدراسيِّ المقبل: *أرجو أن تقدمي لنا بعض الأخبار الجيدة، إننا بأمس الحاجة لها.*

لكن ما إن رأتها حتى سقط قلبها، إنها بطاقة السيوف العشرة، التي تُظهِر صورة رجل مُنكب على وجهه، وتبرز عشرة سيوف من ظهره. *خيانة، أعداء، لعنات واعتداءات.*

أضاء غرفة النوم وميضٌ أبيض يعمي البصر، أشعل بها الغضب. أزاحت البطاقات بعنف، فتناثرت على الأرض. سارعت إلى النافذة، تحدق إلى العاصفة. عاصفةٌ حادة، تشبه التي واجهتها هي وتيفاني، ليلة وفاة الأخيرة، صديقتها المقربة، منذ شهر. يبدو كأعوام مضت.

همست لانعكاسها في زجاج النافذة: «لا أهتم لما تقوله البطاقات. سأجعل هذا الفصل الدراسيَّ الأفضل، مهما كلفني الأمر».

كان الرد الوحيد على كلماتها، هو قعقعة الرعد بالأعلى.



الفصل الثاني

فيفي

- انظري، هناك مكان شاغر في المقدمة. هذه علامة جيدة، أليس كذلك؟ يا للحظ الرائع!

وجهت فيفي نظرة ارتياب لأمها من مقعد السائق. فقد رأت دافني ديفيرو علامات في كل شيء: سوء الطالع في بطاقات التارو، ونذير الهلاك في أوراق الشاي، وإشارات الخطر في ثرثرة الغربان، ولم ترَ أي علامات طيبة. ولذلك، عادةً ما تتحدث بنبرة هادئة، ومبهجة للغاية، كما يفعل الناس عند هدهدة الأطفال، أو عند نزع السلاح من القتلة.

تدرك أن أمها تحاول التخفيف من مخاوفها حول العودة إلى جامعة ويسترلي، وبخاصة الكابا هاوس، بقصر سافانا الأنيق، على بُعد قليل من قلب الغابة، حيث كادت تُقتَل ابنتها في الفصل الدراسيِّ الماضي.

رغم تعرُّض فيفي لخطر الموت، فإن ما حدث جعلها تقبل أن ممارسة السحر لا تخلو من الخطر. تعلمت أن بإمكانها أن تواجه أي تهديد وأخواتها بجانبها. فبالنهاية، تعد الكابا واحدة من أقوى الرابطات في البلاد.

سألت: «هل أنتِ متأكدة من أن هذا المكان مناسب؟».

تنهدت دافني وأجابتها: «لا يمكننا تجنُّب الركن الموازي للأبد. علينا أن نتدرب أكثر خلال العطلات».

علَّقت بسخط: «لا أتجنب ذلك! لا بأس، أستطيع فعلها».

أخذت نفسًا عميقًا، وبدأت في ركن السيارة. أبصرت ثلاثة أولاد من أخوية البيكا بالجوار. على الرغم من أنها الحادية عشرة صباحًا، حمل الثلاثة أكواب شراب حمراء. حدقت إليهم.

يا لهم من أولاد!

صاح أحدهم، وهو يرفع كأسه في الهواء: «ها نحن أولاء، بدأ تحدي ركن السيارات!».

قال آخر في صوت عريض متقمصًا دور المعلق: «بدأ التنافس على البطولة، لكن هل سينسحب الأميركيون في تلك الساعة؟».

قالت دافني، وهي تكتم ضحكتها: «تجاهليهم يا عزيزتي».

لا تثق أمها عامةً بالرجال، لكن لديها نقطة ضعف تجاه الأولاد محبي التباهي، مما تعتبره فيفي غريبًا.

أمسكت بعجلة القيادة، ووجهها يحترق من الغيظ، هامسة: «أدعو الكاهنة الكبرى وقوة السيوف. أمِدَّاني بالمهارات اللازمة».

قبل أن تنتهي، لفَّ جسدها دفءٌ مريحٌ، كما لو لفها أحدهم ببطانية ثقيلة. تخلصت من كل التوتر والانزعاج تقريبًا، مما أتاح لها فرصة ركن السيارة بسلاسة، مسترشدةً بذاكرة عضلية لم تملكها من قبل. وجهت للأولاد نظرة انتصار، فرفع أحدهم إبهامه في علامة ممتاز. في حين لم يهتم الآخران، وأكملا طريقهما دونما اكتراث.

هزت دافني رأسها: «سوف تفسد أخلاقكِ هكذا، كلما استخدمتِ السحر في كل مهمة صغيرة».

- اعتقدتُ أنكِ قلتِ إنني بحاجة للتدرب!

قالت دافني، وهي تراقب أولاد البيكا يبتعدون: «كنتُ أقصد الدفاع عن النفس، يا عزيزتي، وليس الركن الموازي. وبالتأكيد، لم أقصد أيضًا أنه عليك التدرب أمام أولاد غرباء».

- هؤلاء الأولاد لن يعرفوا إذا كان هذا سحرًا، إلا إذا دبَّت الحياة في آلة الشراب، وغنت لهم أغنية ريفية. وحتى حينها، لربما يلقون اللوم على الهلوسة جراء الكحول.

- لا تطلقي ذلك الحكم على كل أولاد الأخوية، فقد تعرفتُ على قليل من الأولاد الرائعين في أيامي.

علا وجه دافني بعض الحزن. إنه تعبير نادر لا يمكن أن يعني إلا شيئًا واحدًا، أنها تفكر في الشخص الوحيد الذي لم يُتح لهما الحديث عنه قط.

- هل كان أبي أحد أعضاء هذه الأخوية؟

سألت بحذر حتى لا تختلف نبرة صوتها، خشية أن تغلق دافني الموضوع أو تغيره، كما تفعل عادةً إذا ما شعرت أنها تضغط عليها لتعرف أكثر.

- بالطبع. كان فينس لاعب الوسط في فريق كرة قدم الأخوية.

جمدت فيفي مكانها. *فينس*. لطالما رفضت أمها أن تخبرها باسم أبيها، خشية أن تبحث عنه في «جوجل» أو تتعقب أثره. هذه هي أكثر معلومة تكشف عنها دافني على الإطلاق، في أي محادثة بينهما، التي تجعلها أكثر جرأة بما يكفي، لتسأل: «حسنًا، كان يدرس في ويسترلي معك؟».

تظاهرت دافني بالانشغال بحمل حقيبتها وفك حزام مقعدها: «كل شيء جاهز؟ هيا لنأخذ الحقائب للداخل».

على الرغم من أنه الشهر الأول من هذا العام، فإن جميع المنازل المجاورة لا تزال مضاءة بزينة عيد الميلاد، ما عدا الكابا هاوس، الذي فقد زينته هذا العام في أعقاب وفاة رئيسته. في الأماكن العديدة الأخرى التي عاشت بها، وجدت أن زينة عيد الميلاد تبدو إلى حدٍ ما محبطة، وكأنها تشير إلى حالة من الاكتئاب تتماشى مع التعبيرات المُرهَقة لساكنيها. لكن لقصر سافانا قصة مختلفة تمامًا. فعندما تتزين القصور الأنيقة العتيقة بأضواء عيد الميلاد، تخطف الألباب، وتشبه فتاة حفل غريبة الأطوار، سقطت نائمة في رداءٍ من اللآلئ.

سألت دافني، وهي تقف على مقربة من السيارة: «هل تريدين مني المساعدة في حمل تلك الأشياء إلى غرفتك؟».

- سأتدبر أمري.

همست فيفي بتعويذة أخرى تدربت عليها. تحوِّل وزن حقيبة ثقيلة ملأى عن آخرها، إلى وزن الريشة، فتستطيع رفعها عن الأرض بسهولة. نظرت

للوراء، دون أن تشعر، نحو الغابة، خلف الكابا هاوس. ارتجفت قليلًا، وتذكرت وميض الهوس في عينَي تيفاني، ونصل خنجرها يلمع في ضوء القمر، مشيرةً به إلى صدرها. عادت بذاكرتها لتلك اللحظة، لا تزال تتذكر صوت الرعد، تحطم الأغصان مع اندلاع العاصفة، واختلاط رائحة الطين المبلل بالمطر مع رائحة دمها...

اهتزت الأرض من تحتها، فجأةً، فارتدت للوراء بشدةٍ.

- ما الذي...؟

أخذت تبحث حولها عن سبب ذلك. ربما كانت شاحنة ضخمة تمر بالجوار أو عمال بناء يحفرون، لكن لم يكن هناك من أثر. فقط السكون والهدوء يعمان المكان. حتى دافني لم تشعر بأي شيء غريب، وجذبت فيفي إليها وضمتها بشدة: «اعتني بنفسكِ يا حبيبتي».

- أعدكِ أن أفعل.

- أحبكِ، يا عزيزتي.

ثم أطلقت سراحها.

- وأنا أحبكِ أيضًا.

ابتسمت، ولوَّحت لأمها مودِّعةً، تفكر في الأمور العديدة التي تغيرت في شهور قليلة. ها هي ذي قد عادت إلى ويسترلي، تتمنى بدء حياة جديدة بعيدًا عن دافني وتنبؤاتها المستمرة بالموت. لكنها شعرت في تلك اللحظة بوخز في صدرها، وهي تراقب أمها تبتعد بالسيارة.

لم يستمر شعورها بالحنين طويلًا، فبمجرد أن التفتت ورأت إيتا واقفة عند المدخل، ظهرت ابتسامة عريضة على وجهها. قالت إيتا، وهي تعانقها: «لقد عدتِ!».

تنبعث منها رائحة خفيفة مألوفة من اللافندر والنعناع، ترجع لقضائها وقتًا في العناية بالحديقة ونباتاتها الأكثر غرابة في الدفيئة. أشارت إلى حقائبها: «هيا، هل تحتاجين مساعدة في حملها؟».

- لا داعي.

طقطقت فيفي بأصابعها، فبدأت الحقائب تطفو تجاهها.

قالت إيتا مدهوشة: «رائع! يبدو أن إحداهن واظبت على التدريب».

تبعتها فيفي إلى الردهة، مبتسمة لمرأى وردة الشاي المطبوعة على ورق الحائط، والطاولة المقوسة المصنوعة من خشب الماهوجني بجانب رف المعاطف النحاسيِّ. يروق لها من المنزل الطابق الأول المسحور، الذي يتشكل مع المواسم، أو توقيتات اليوم، أو المزاج العام للفتيات.

قالت إيتا: «كان الطابق الأول كله من طراز منتصف العصر الحديث، منذ عشر دقائق مضت. يبدو أن المنزل استشعر قدومك».

قالت مِي وهي تنزل درجات السلم الواسع، بشعرها المبلل الطويل الذي يصل لخصرها، في لونٍ ورديٍّ فاتح: «ها أنتِ ذي. هل انتهيتِ من تجربة كل التعاويذ التي أرسلتها لك؟».

أخذت مِي، الساحرة الخماسية الأخرى بالمنزل، على عاتقها إرسال العديد من الرسائل، التي تحتوي التعاويذ الخاصة بسحر الأرض.

- نعم، شكرًا لك! كانت التعويذة الأخيرة مذهلة.

إنها تلك التعويذة التي تسمح لمستخدمها باستحضار أحجار من الأرض لبناء درع. جعلها التدرب عليها مرارًا وتكرارًا في حديقة أمها، تشعر أنها أكثر هدوءًا وأمنًا منذ مغادرتها الغابة. ستهلك حتمًا إذا ما أُخرجت من حصنها الآمن مرة أخرى.

سمعت صرخة مكتومة من مكان ما داخل المنزل، وبعد لحظة، اصطدم بها جسد صخم. لفت أريانا كلتا ذراعيها حول خصرها وضغطت بشدة: «اعتقدتُ أنكِ لن تأتي إلى هنا أبدًا! هل تجولتِ على طول شاطئ جزيرة جيكل؟ أم ذهبتِ لرؤية مايسون؟».

مازحتها فيفي: «نعم، لقد قبضتِ عليَّ متلبسة. قررتُ أن أصطحب أمي لمقابلة صديقي».

لأول مرة تقول كلمة «صديقي» بصوت عالٍ لوصف مايسون. لعلها فعليًّا المرة الأولى في حياتها كلها التي تصف فيها أي أحد بصديقها.

قالت ريجان حينما ظهرت في الردهة مع سونالي، التي اندفعت تجاه فيفي لتلفها في عناق ساحق، كما فعلت أريانا: «كنتُ متأكدة أنني سمعتُ صوت فتاتنا المفضلة».

سألت سونالي: «هل تشعرين بتحسن؟».

واتخذت خطوة للوراء لتفحصها بدقة. لقد أمضت العطلة تعمل بمشفى في بلدة جبلية صغيرة في بيرو، تتدنى فيها خدمة الهاتف، مما دفع بسونالي للجنون لعدم قدرتها على الاطمئنان وتتبع شفاء فيفي.

قالت ريجان، ويدها تربت على شعر فيفي المنفوش: «استرخي يا دكتور ماني، إنها بخير. تبدو أفضل من أي وقت مضى. إنني من يجب عليه القلق بشأنها. أصبحت أمي مهووسة بمواعدتي لابن أحد أعضاء مجلس الشيوخ، وجرتني معها إلى أكثر من ثماني حفلات راقصة للكريسماس. لو استمعتُ إلى تشاد أو لوك آخر، يخبرني أنه يلعب لاكروس في دارتموث أو يجدف في برينستون، سأقطع أذنيَّ».

أردفت أريانا: «سيحل ذلك المشكلة بالتأكيد. لن يواعِد لاعب لاكروس يحترم نفسه فتاة بلا أذنين».

ثم تعلقت بذراع فيفي: «هيا، هناك شاي مثلج بانتظارك بالحديقة. أريد أن أعرف كل ما حدث مع مايسون».

- لا أعتقد أن لدي الكثير لقوله، لكن اسمحي لي أن آخذ أشيائي للأعلى، وسألقاكِ هناك.

ابتسمت لها فيفي، وتوجهت نحو الدرج، وحقائبها المسحورة تطفو خلفها. لم تتمكن هي ومايسون من الالتقاء خلال العطلة، لكنهما تحدثا كل يوم. إنه لغريب ومبهج في نفس الوقت، أن يصبح الشخص الذي افتتنت به -صديق سكارليت السابق- أول من تفكر بالتواصل معه، حين تشعر بالاضطراب بشأن التسجيل بدورة تدريبية، أو لمشاركة مقطع فيديو سخيف لكلب ما، ببساطة، رغم الحدود التي تعيق علاقتهما أن تتعمق أكثر. كذلك الجزء من حياتها الذي يجب أن يبقى مخفيًا للأبد. فتحت أي ظرف من الظروف، لا يمكن أن تكشف أن السحر حقيقيٌّ، وأن الكابا رو نو رابطة ساحرات.

تجاوزت الطابق الثاني وتوقفت لتتأمل في إعجاب اللون الأزرق الداكن للجدران، وقد عُلِّقت عليها مرايا عتيقة، وشمعدانات، ولوحات زيتية لأشهر السحرة، وأكثر المناطق السحرية قوة حول العالم. أحبَّت البريق الدراميَّ لهذا الطابق، ولكن لا يحتوي هذا المنزل على شيء يبهجها أكثر من الطابق الثالث المشرق، بسقفه العالي المُجملَن، وجدرانه المطلية بالأبيض، حيث حصلت هي وأريانا وبايلي على غرف نوم مفردة مجهزة للأخوات في عامهن الأول. وقبل أن تنسل لغرفتها، لفت صوتٌ ما انتباهها.

قالت بايلي بقلق: «لم يكن كذلك منذ قليل. هل تعتقدين أن طائرًا قد اصطدم به أو شيئًا من هذا القبيل؟».

رأت بايلي وسكارليت واقفتين أمام إحدى النوافذ المطلة على الحديقة، حيث اعتادت فيفي الجلوس على مقعد بجوارها، تقضي عليه ساعات متكورة على نفسها تقرأ، مع فنجان من الشاي المسحور، الذي يظل ساخنًا حتى آخر رشفة.

سألت فيفي: «هل كل شيء على ما يرام؟».

ردت بايلي: «فيفي! لقد عدتِ!».

عانقت فيفي سريعًا، ثم عادت توجه انتباهها للنافذة، وتعبث بطرف ردائها، كما تفعل دائمًا عندما تتوتر.

كررت فيفي: «نعم، عدتُ. مرحبًا سكارليت».

لدهشتها، لم يتعدَ رد سكارليت ابتسامة خاطفة قبل أن تميل لتفحص النافذة، حيث غطى صدع ضخم عنكبوتي الشكل أحد جوانب الزجاج. قالت سكارليت، وهي تمرر إحدى أصابعها المُقلَّمة على طول الصدع: «إنني متأكدة أنه لا شيء».

تتألق سكارليت كعادتها، مرتديةً ثوبًا أنيقًا من التويد، وتتزين بقرطين، كما يليق بأحدث رئيسة كابا رو نو.

تابعت: «في بيت قديم كهذا، قد لا يتماسك البناء أحيانًا».

صحيحٌ أن المنزل غالبًا ما يصدر عنه صرير أو طقطقة، خاصةً عند هبوب العواصف، لكن فيفي لم تتخيل أن يتأثر البناء لدرجة كسر نافذة.

- أعتقد أنني شعرتُ بشيء ما بالفناء الخارجيِّ منذ بضع دقائق، هزة غريبة نوعًا ما.

تستطيع أن تقسم إنها رأت وميض إنذار على وجهها، قبل أن تبتسم، وتقول في حيوية مصطنعة: «ماذا اعتقدتِ؟ ربما صدرت عن إحدى الشاحنات التي تمر بالقرب من المنزل. هل يمكنكِ إصلاحه بنفسكِ، أم تريدين المساعدة؟».

قالت بايلي بثقة: «أستطيع ذلك».

- عظيم. أراكن يا فتيات في الطابق السفليِّ في الخامسة. سأدعو الجميع لاجتماعٍ منزليٍّ.

ردت فيفي: «بالطبع».

ولم يتسنَ لها أن تسأل سكارليت كيف كانت عطلتها. فقد أسرعت الأخت الكبرى تنزل الدرج.



امتلأت غرفة المعيشة، بمجرد أن وارت فيفي حقائبها بغرفة نومها، ثم ركضت إلى الطابق السفليِّ لحضور الاجتماع. ابتسمت ولوَّحت لفتيات الكابا اللاتي لم ترهن حين حضرت، بينما تمر عبر الغرفة المزدحمة تجاه أريانا، التي تحركت جانبًا لتفسح لها مجالًا على المسند الأزرق المخمليِّ، المتناسب مع المقعد الوثير، الذي ضم جيس وجولييت معًا.

ظلت سكارليت وحدها واقفةً. تقدمت للأمام بضع خطوات، وعمَّ هدوء مهيب أرجاء الغرفة. ثم قالت بصوت حميميٍّ وقياديٍّ في مزيج مثاليٍّ: «مرحبًا بعودتكن سيداتي. آمُل أنكن قد حصلتن على إجازة من الاسترخاء والتعافي كما تستحققنها. في الفصل الدراسيِّ الماضي، واجهنا أكبر تهديد في تاريخ رابطتنا، وتصدينا له بقوة. فعندما تقف فتيات الكابا معًا، لا يوجد شيء لا يمكننا فعله»، توقفت وركزت بصرها على المقعد الوحيد الشاغر بالغرفة، مقعد داليا الأحمر المعتاد ذات النسيج المطرز بجانب المدفأة، الذي طالما جلست عليه خلال الاجتماعات. ثم تابعت: «لكننا تكبدنا خسارة مأسوية كذلك».

جف حلق فيفي بشدة. ففي عالم عادل، لكانت داليا بينهن الآن، ترحب بالفتيات العائدات إلى الحرم الجامعيِّ، بطريقة حديثها المنمقة. لكن تظل أحاديث الكوميديا السوداء تلك، لا تضاهي الرقود الهادئ الصامت في قبر حُفِر حديثًا في مقبرة بونافنتور.

تابعت: «داليا ليست هنا بجسدها، لكننا نعلم جميعًا أنها هنا بروحها. سنستمر بالشعور بوجودها بيننا. سنشعر بقوة سحرها دومًا. دعونا نتحلى بلحظة صمت لأختنا... *لأخواتنا*».

لا بد أنها تشير إلى تيفاني.

أدركت فيفي وقليل من الأخوات ذلك، وتبادلن نظرات مضطربة. كانت تيفاني أقرب الصديقات لسكارليت، قبل أن تصبح مهووسة بطلسم هينوسيس، ذلك الطلسم الأسطوري، الذي تمنت استخدامه لعلاج أمها من مرضها المزمن. ورغم نواياها النبيلة، فإن سحر الطلسم المظلم فاق قوة تيفاني، ودفعها لمصير بائس ملتوٍ، انتهى بقتلها داليا لتسلب سحرها.

في النهاية، أُجبرت سكارليت على محاربة صديقتها المقربة لتنقذ فيفي، الساحرة المبتدئة، التي لم تكن قوية بعد لتدافع عن نفسها. يختنق صدر فيفي بشعورها بالذنب. ذكَّرت نفسها: *لم يكن خطأك.*

لكن تظل هذه الفكرة تُشعرها بالخواء. ضغطت عينيها لتغلقهما. في حين استمر عقلها في صراع. رأت الغابة، والأنقاض المظلمة. أسرع قلبها في نبضاته، نبضات وحشية محمومة، كما كانت تلك الليلة. يمكنها شم رائحة العاصفة قادمة، تسمع فرقعة بالأعلى، فيما وراء ضحكات تيفاني العالية.

لو أنها ساحرة قوية، لو أن لديها معرفة أكبر عن هذا العالم، مثلها مثل الأخريات بالكابا، لربما لم تكن لتقع في فخ تيفاني. لا عجب أن سكارليت غضبت منها. يجب عليها ذلك، فقد اضطرت إلى قتل تيفاني، لأن فيفي لم تكن قوية بما يكفي لتقاتل. هل هي عبء عليهن جميعًا؟

أضافت سكارليت: «والآن، لدينا بعض أمور التدبير المنزليِّ البسيطة لننجزها، قبل الحديث عن حفلات العودة للدراسة».

استعادت ريجان نشاطها، ونهضت من المكان الذي جلست فيه بركن الغرفة مستندة على الحائط، صائحة: «رائع. هل يمكننا أن نُفعِّل مبادئ الثورة الفرنسية؟ لقد ورثتُ مجموعة من المجوهرات العتيقة من عمتي سيلفي، بما فيها سوار ارتدته ماري أنطوانيت في الليلة التي سبقت وفاتها».

حركت أريانا عينيها لأعلى وهمست في ضجر: «إنه شيء جيد أننا لم نعد نعدم أغنى الأغنياء ليتساوى الناس فيما بينهم».

- لنترك هذا الأمر للمسؤولة الاجتماعية الجديدة.

قالت سكارليت ذلك بصوت متزن، لكن شعرت فيفي بالجهد الذي تبذله لتحافظ على رباطة جأشها. لقد كانت هذه مسؤولية تيفاني من قبل.

تابعت: «أودُّ أن أرشح عضوة لذلك الدور. عضوة أثار بالفعل عملها الجاد وتفانيها إعجاب الكثيرات منا. فيفي؟».

للحظة، جالت فيفي بنظرها حول الغرفة في ارتباك. هل تطلب منها سكارليت أن توصي بإحداهن؟

عندما رفعت مِي يدها وقالت: «أنا موافقة».

أدركت فيفي ما الذي عنته: *إنها تُرشحني.*

دارت سكارليت عينيها بالغرفة: «هل لدينا أي اعتراض؟».

لم يرُد أحد، فاتسعت ابتسامتها.

- فيفي، هل تقبلين؟

فهمت فيفي لتوها لماذا تصرفت سكارليت بغرابة، لم تكن تريد أن تُظهِر شيئًا قبل الاجتماع. تدفق بداخلها فيض من الفخر، لمجرد إشارة الثقة بها من قِبل أختها الكبرى، سكارليت.

إنها تؤمن بي.

نقلت بصرها بين وجوه أخواتها، التي اكتست تعبيراتهن بالمفاجأة والإثارة. وفي أريانا بالأخص، رأت نشوة الفرح. تبادلت إيتا وجولييت الابتسامات السعيدة، كما لو توقعتا الأمر، وكذلك مِي. بينما بدت ريجان منزعجة على نحوٍ غامض. لكن عندما التقت عيناها بعينَي فيفي، أجبرت نفسها على الابتسام.

تنحنحت فيفي، وأجابت: «نعم. بالطبع. أشكركِ».

- عظيم. نتحدث إذن عن الحفل.

ألقت نظرة أخرى على ريجان، التي مالت للأمام، في تلهف حقيقيٍّ، بينما استطردت سكارليت: «سنستضيف لهذا العام حفل البيكا والكابا المختلط للترحيب بالعودة للدراسة، هنا في المنزل، يوم الجمعة المقبل، (انطلقت صيحات الإثارة بين الطالبات الجدد، بينما راقبت الأخريات المشهد باندهاش) بعد كل الظلال التي تعلقت بمنزلنا في الفترة الأخيرة، نحتاج إلى تقديم أفضل ما لدينا. ولهذا فأنا سعيدة بقبول فيفي منصبها الجديد».

بدأ بعض الحماس الذي أحسَّته بالتلاشي، فمسؤولية هذا الحدث تقع عليها. مما يعني أنها على أعتاب أول اختبار لها كونها عضوة ذات شأن بالكابا. تحتاج أن تجعل هذا الحفل الذي تستضيفه الكابا الأفضل والأروع على الإطلاق، مع أن لديها أقل من أسبوع للاستعداد له.

بلا ضغوط، أليس كذلك؟



الفصل الثالث

سكارليت

اعتقدت سكارليت أن هناك خطبًا ما في قبر داليا، وهي تحدق إلى شاهد مقبرة آل إيفرلي، وبجانبها أختها الصغرى في الكابا، لكن لم تستطع أن تضع يدها على الخطأ. جاء صوت فيفي هادئًا في سكون المقبرة: «لا أصدق أنها رحلت».

كأنه مر زمن طويل منذ آخر مرة كانت هنا، عندما مازحت فيفي والطالبات الجدد، في أول طقس اختباريٍّ لهن في الكابا.

تكدَّست على الأرض حول قاعدة الشاهد، أكوامٌ من باقات الأزهار الباهظة الثمن، مرتبة بعناية، وتظهر من بينها بعض الأزهار البرية، التي لا بد أنها اقتُطفت باليد من قِبل طلاب ويسترلي. هنا، اكتشفت الخطأ. فما بين الزنابق والقرنفل وباقات أخرى، تتوسط ورود زهرية.

قالت في انفعال حاد مفاجئ: «لقد كرهت داليا الورود الزهرية».

- لا أحد يكره الورود.

علَّقت فيفي تلقائيًّا، فحاولت استعادة كلماتها: «آسفة، لم أقصد...».

لكن لم يكن لديها وقت لاعتذارات فيفي. ركعت على ركبتيها، وبدأت تنزع الورود المزعجة. نزلت فيفي إلى جوارها، ووضعت يدها على مرفقها لتوقِفها: «حسنًا، سكارليت.. لا بأس».

رفعت رأسها تتطلع إلى وجه فيفي في تعجب، كيف تفقد هدوءها أمامها فجأةً، وإلى أي مدى أصبحت فيفي -نذير الخطر الذي تجاهلته منذ اللقاء الأول بينهما- أقرب صديقة لها، والوحيدة المتبقية. تزايد وخز قلبها وحُرقته، وشدَّت على أسنانها. لو واجهت نفسها بصدق، ستجد أن تلك الورود لم يكن وجودها هنا خطأً، بل إنها داليا نفسها. جمعت الورود بإحكام في قبضتها، وتأرجحت للوراء بظهرها في ذهول، ثم جلست على العشب الرطب.

قالت فيفي بلطف، وهي تحمل الورود من يدها: «يمكننا وضعها على أحد القبور المهجورة».

في حين سرحت سكارليت ببصرها في جبل من رسائل «شكرًا لكِ»، «نفتقدكِ»، «نحبكِ»، من الطلاب الآخرين، والغربان، وحتى نوادل مطعم الجامعة. عرف الجميع في ويسترلي داليا، أو هكذا يعتقد البعض.

لفت نظرها رسالة واحدة بالأخص، بجانب مجموعة من الورود الزهرية المتبقية بالقرب من الشاهد، فالتقطتها. سُطرت كلمات على ورقة خضراء بخط أنيق. قرأتها، ثم ارتجفت أوصالها: *«نعلم أنه أنتِ من فعلها»*.

وضعت داليا الكابا نصب عينيها دائمًا. لقد كانت قائدة عظيمة. استخدمت سحرها في جميع أرجاء الحرم الجامعيِّ لتخلق مكانة طيبة للكابا أو نفوذًا وسيطرة. لربما عرف أحدهم، بعد كل شيء، لأي درجة وصلت براعة حيلها.

- كوَّنت داليا صداقات مع الجميع، ليس فقط لأنها أحبتهم، بل لأنها اعتقدت أن ذلك يحمينا. *أن تكوني ساحرة جيدة، خير لكل السحرة.*

ردت فيفي، في محاولة لاستيعاب الموقف: «حسنًا. كانت على استعداد لفعل أي شيء لتحافظ على سلامتنا. وبالنهاية، فعلت ذلك، (ثم أراحت كفها على كتف سكارليت) لعلها فخورة بكِ في هذه اللحظة».

ضحكت سكارليت، بلا حس للفكاهة: «هل تعتقدين؟ لستُ متأكدة مما إذا كانت لترضى عن الاتجاه الذي أقود الأخوية إليه».

شبح أختها الكبرى داليا، من ناحية، وضغط أمها وأختها المستمر، من ناحية أخرى، يجعلان عملها المثاليَّ مستحيلًا. فمنذ نعومة أظافرها، وهي

تطارد حد الكمال. وكلما اقتربت منه ينفلت منها على الدوام، كلما تكاد تلمسه، تجد أنها لم تصل إليه بما يكفي.

ردت فيفي معترضة: «لقد احترمَتكِ، واختارتكِ. لو أنها هنا لعرفت أفضل من غيرها، أن الأمور التي حدثت أبعد ما تكون عن الكمال».

مع آخر كلماتها، هبَّت ريح قوية، اقتطعت بتلات الأزهار من الباقات، ونثرتها عند أقدامهما، واندفعت تتخلل شواهد القبور. طارت بعض خصلات شعر سكارليت، المربوط لأعلى خلف رأسها، على عينيها، فعادت تمشطه بيديها. فإذا بفيفي تشهق: «انظري!».

في منتصف اللافتة المطبوع عليها اسم داليا، بجوار الشارة تمامًا، تقف فراشة جميلة، بأجنحة عريضة، تلمع تحت ضوء الشمس، في لونٍ أرجوانيٍّ داكن، يكاد يبدو أسود. ذكَّرت سكارليت برمز جماعة الغربان. أحسَّت بحرقة في حلقها وابتلعت ريقها بصعوبة، عندما رأت أجنحة الفراشة تومض، وتعكس ضوء الشمس.

داليا!

بعد لحظة، عادت الفراشة تحلق عاليًا فوق رأسيهما، وكأنها تتلاشى في جوف السماء الزرقاء الصافية.

ابتسمت فيفي أخيرًا، ابتسامتها الحقيقية الأولى، التي تراها سكارليت على وجهها منذ عودتهن إلى منزل الكابا أمس. وقالت: «أترين؟ إن داليا موافقة. ستكونين رئيسة رائعة».



لا تتذكر آخر مرة شعرت فيها بالتوتر قبل أي موعد. تساءلت، وهي تتقدم عبر الحرم الجامعيِّ نحو الحديقة الرئيسية.

هل هذا حقًّا موعد؟

لم يكن جاكسون محددًا، عندما أرسل لها رسالة نصية في أول يومين من العطلة الشتوية، ليسألها رقم من هذا، ولماذا هو مسجل على هاتفه. ظنت أن القدر يعرض عليها فرصة ثانية. لقد كذبت، وأخبرته أنه لربما الرقم على

هاتفه منذ المراسلات الجماعية من أجل صف الفلسفة، ومن ثم صدَّق الكذبة. وجب عليها أن تتوقف عند هذا الحد. لكنه عاد يراسلها مرة بعد مرة.

كلما زادت المراسلات بينهما، والمزاح حول ناديها النسائيِّ «المتسلط» أو «التبعات الأخلاقية المحتملة»، طال حديثهما وكثرت الرموز التعبيرية في نهاية الجمل، وازداد شعورها بالذنب أيضًا.

«دعينا نتناول القهوة معًا، بما أننا عدنا للحرم الجامعيِّ».

قد تحمل هذه الكلمات أكثر من معنى: مجرد موعد لتناول القهوة، أو دعوة ودية مقصودة، لبدء صداقة خاصة بينهما.

لقد مرَّا معًا بالكثير خلال الفصل الدراسيِّ الأخير: تعقُّب الساحرة الخبيثة جوين، واكتشاف حقيقة ما حدث لأخته غير الشقيقة هاربر، والعثور على الساحرة الخبيثة المذكورة مقتولة، ومساعدة سكارليت في تعقُّب قاتلها، ثم قُبلتهما.

عندما تغلق عينيها كل ليلة، تتصور المشهد كله مرة بعد مرة: المقعد المطل على نهر سافانا، دفء ونعومة شفتيه، ابتسامته الواثقة بها التي تطل من عينيه، وهو يرتشف رشفة طويلة من الشاي الذي أحضرته، ذلك الشاي المضاف إليه جرعة سحرية لجعله ينسى. عاودها الإحساس بالذنب مجددًا، يضج مضجعها بقسوة.

في طريقها، مرت بمبنى العلوم، وتوقفت هناك للحظة، تتحقق من هندامها في نافذة المبنى. تبدو بسيطة وكلاسيكية هذه الليلة، في تنورة قصيرة ذات طيَّات، وسترة، تظهر تحتها بلوزة من الحرير -بقصَّة منخفضة قليلًا لكنها غير كاشفة- بالإضافة إلى شعرها المرفوع خلف رأسها، ودفاتر الملاحظات التي تحملها تحت ذراعها، اكتملت الهيئة المثالية للعودة للدراسة. قد تكون في موعد غراميٍّ وقد لا تكون. من يعرف؟ من يهتم! إنها سكارليت وينتر التي لم يستطع فتى أن يثير أعصابها من قبل.

ابتسمت لانعكاسها، وتابعت طريقها. حتى لمحته على الفور عند الزاوية، يقف بين مجموعة من الفتيان هو الأطول بينهم، يميل برأسه للخلف ضاحكًا. توقفت للحظة أخرى لتتأمله هذه المرة. رأته بطريقة ما غير مبالٍ ولا يقاوم في نفس الوقت، يرتدي قميصًا عاديًّا وسروالًا من الجينز الممزق. بدت بشرته

البُنية دافئة في ضوء الشمس. وقد نما شعره المجعد قليلًا، لم يتغير شيء به منذ رأته آخر مرة.

كما لو استشعر جاكسون نظراتها، أنهى حديثه، واستدار يهرول ناحيتها عبر المروج. تسارعت دقات قلبها. رغم أنهما تراسلا طوال العطلة، لم تره منذ أسابيع. لا يعرف كم كانا مقربَين في الفصل الدراسيِّ الماضي. هل سيعانقها الآن؟ هل سيقبِّلها؟ عضَّت على شفتيها. ما زالت تتذكر قُبلتهما، حتى لو لم يتذكرها.

عندما وصل إلى جانبها، اختفت كل مخاوفها. انحنى بشكل غير رسميٍّ، كما لو أنه فعل ذلك مرات عدة، وقبَّلها على خدها: «من الجيد أن أراكِ».

بانت عيناه البُنيتان جميلتين في ضوء شمس الظهيرة.

- وأنتَ أيضًا.

ثم ألقت نظرة خاطفة من وراء ظهره: «أصدقاء؟».

لفت نظرها أن المجموعة التي تركها، في الطرف الآخر من المروج، تتأملها خلسة. لربما يتساءلون لمَ يتحدث جاكسون إلى سكارليت وينتر دون غيرها. عقصت أصابعها، فطفق ثلاثة من الفتيان، على الأقل، ينظرون بعيدًا.

أجابها: «هؤلاء هم فتيان نادي الفلاسفة الذي أخبرتكِ عنه».

رفعت سكارليت أحد حاجبيها مبتسمة: «كيف يمكنني أن أنسى؟ تعلم أنني رئيسة الكابا هذا الفصل الدراسيَّ، ولذلك نخطط لاجتماعنا الأول».

خطا خطوة إلى جانبها، وأخذ يقود وجهتهما نحو جريند، المقهى المفضل لدى الجميع في الحرم الجامعيِّ.

- يجب أن تأتي. إذا أعجبكِ صف فوليت في الفصل الدراسيِّ الماضي، فستعجبكِ مناظراتنا، هذا الخميس في ردهة تايلور العامة.

- في الواقع، تبدو أنشطة النادي ماتعة.

فاجأه ردها.

- فعلًا؟ هل تنضم سكارليت وينتر إلى جماعة مفكرين؟ هذه سابقة...

قاطعته ممازحة: «لأن فتيات نادٍ نسائيٍّ لا يُعقل أن يكُنَّ مفكرات...».

- لم أقل ذلك. فقط لستُ متأكدًا أنه سيتوفر وقت لديكِ، مع انشغالاتكِ بخطط الاجتماعات.

نظرت إليه بجانب عينيها: «هل تحكم على كل فتاة من نادٍ نسائيٍّ من خلال أفكارك السابقة؟».

- فقط إن كانت أكثرهن جاذبية.

أجابها بغمزة من عينيه، فتوقف قلبها، ثم أضاف شيئًا جعل حلقها يجف: «ولكن ولكن هناك شيء غامض وراء تألقها المثاليِّ الذي تبدو عليه دائمًا».

وصلا لمنتصف الحرم الجامعيِّ، حيثِ اصطفت طاولات بمحاذاة الحديقة. تُعرَض عليها فاعليات وأنشطة مختلفة من أجل الفصل الدراسيِّ الجديد. وقع نظرها على طاولة يستند عليها قارب كامل بطاقمه، وطاولة أخرى توزع كعكًا مجانيًّا للإعلان عن أنشطة نادي الطبخ.

حاولت سكارليت أن تضفي على صوتها نبرة مرحة: «لا أعرف شيئًا عن تلك المثالية. مررتُ بوقت عانيتُ فيه طويلًا من الشعر السيئ».

انفجر ضاحكًا: «هذا خطئي. لنقُل إنه يقترب من المثاليِّ، تسعة وتسعين بالمئة مثلًا».

ابتسمت قائلة: «بالطبع، فإذا كنا نتحدث عن النسب المئوية للصفوف...».

قال وهو يلكز كتفها بشكل هزليٍّ: «إذا كان الأمر يتعلق بتسجيلك نسبة أعلى مني في الفصل الأخير *ثانيةً*، أقسم إنني...».

- ليس خطئي أنك لم تتذكر شيئًا عن كانط.

- حسنًا، ما «كانط» لأنتظر نادي الفلاسفة لأثبت لك.

ضحك على مزحته، ثم قال في جدية ناظرًا في عينيها: «أودُّ أن أجد الوقت المناسب لإبهاركِ، ربما على العشاء؟».

تسارع نبض قلبها: *حسنًا، يبدو هذا بلا شك موعدًا غراميًّا.*

رفع يده يوقِفها، قبل أن تتمكن من الرد: «قبل أن تقولي أي شيء، هناك أمر يجب أن تعرفيه. عندما بدأتُ مراسلتكِ المرة الأولى، لم تكن دوافعي خالصة تمامًا. فبعدما وجدتُ رقمكِ على هاتفي، اعتقدتُ أنه نوع من القدر، فقد رغبتُ في معرفة المزيد عن الكابا».

زفرت نفسًا عميقًا، لم تدرِ أنها كانت تحبسه، وقالت في محاولة لتخفيف وطأة اللحظة: «نحن لا نسمح للفتيان بالانضمام. ليس بعد، على أي حال».

ابتسم لها بهدوء: «أردتُ أن أعرف عن الكابا حيث... أعتقد أنني فقدت أختي لأن...».

- جاكسون، يمكنني أن أشرح...

هز رأسه: «حدث لي شيء ما، وشعرتُ ببعض السلام. لم يكن خطأ الكابا، كانت مجرد حادثة. أخطأتُ حين غضبتُ من الكابا أو شككتُ به. ثم أدركتُ أنكِ لا تمثلين الكابا، أنتِ هي أنتِ. أنتِ سكارليت، وكل ما أريده...».

رددت صدى كلماته، وهو يتقدم للأمام، وصار أقرب إليها: «كل ما تريده...».

- أريد إعداد العشاء لكِ، ومشاهدة فيلمٍ عاديٍّ. أريد ذلك أيضًا، باستثناء العشاء. أستطيع المساعدة فقط، أعلم أين تُوضع الأشياء بالمطبخ.

- من أجل ذكرى مِيني؟

- نعم.

تهلَّل وجهها، ما زال يتذكره من مراسلاتهما.

- لكن أخبرني الحقيقة. أتريد ألا تُرَى في أماكن عامة، حتى لا تدع زملاءك المفكرين يرونك معي؟

- لا، ليس لهذا السبب. كل ما في الأمر أنني أدخر كل دولار إضافيٍّ لدي هذه الأيام.

تباعدا خطوة، وراقبته بجانب عينها: «هل تفعل؟ لأي غرض؟».

- من أجل رحلة على الطريق في عطلة الصيف المقبل. خططت أختي هاربر لهذه الرحلة قبل... حسنًا، أعتقد أنكِ قابلتِها، أليس كذلك؟ في عامك الأول هنا؟

ثم حكَّ ظهر رقبته. بينما، جفلت سكارليت، وحملت نفسها على الرد: «قابلتُها».

توفيت هاربر في عامها الأول، في حادث مروع في الكابا هاوس. سببته هي وتيفاني عن غير قصد، وقد جعلتها تيفاني تقسم أن تحمل هذا السر إلى قبرها. علم جاكسون الحقيقة وراء موت هاربر في الفصل الدراسيٍّ الماضي، واقتربا من بعضهما بعضًا. لكن الآن، هناك العديد من الأسرار. كيف يمكن أن تنجح علاقتهما، ولديها الكثير لتخفيه عنه؟

هز رأسه ثانيةً: «على أي حال، ما زلت أريد الذهاب، من أجلها، كما تعلمين؟».

- أتفهم ذلك.

وجهت نظرها بعيدًا، نحو مجموعة من الطاولات التي اقتربا منها. تجول باقي الطلاب في الأنحاء، لا يبدو عليهم التأثر تمامًا، بكل ما حدث الفصل الدراسيَّ الماضي: كل حالات الوفاة، وكل الألم. لكنها تغيرت دون رجعة، وكذلك تصورت جاكسون أيضًا، بعد وفاة هاربر.

عادت تنظر إليه، وقد تشكلت في بالها فكرة: «مهلًا. ألا تساعد في إقامة المناسبات؟».

هكذا سألته ذات مرة، في أول حديث بينهما خارج الصف. عندما شارك في حدث أقامته داليا في الكابا. كأن عمرًا قد مضى.

رفع حاجبه في تساؤل: «لماذا؟ هل تحتاجين مساعدة؟».

- في الواقع، نعم. لدينا حفل مختلط الجمعة القادمة، نتجهز له، وربما نحتاج لنقل بعض الأشياء، أو أمرًا كهذا.

أشرق وجهه، وكادت تضيع في عينيه المبتهجتين: «حسنًا، أستطيع مساعدتكِ في هذا».

أعادها هتافُ شخصٍ ما للواقع: *«حفل الترحيب المبكر!»*.

استأجرت ثيتا أوميجا إكسي مقصورتين قابلتين للطي، نُصِبتا في منتصف الحديقة، وكُسِيَتا بالأخضر والأرجواني، اللونين المميزين لهذا النادي النسائيِّ. تزين كل شيء بشكل مبالغ فيه، حتى ظنته سكارليت متجرًا لبيع أزياء ليلي بوليستر المبهرجة. كما وُضعت آلة ثلج جاف في مُبَرِّد ورديٍّ اللون، حيث تميل فتيات من الثيتا بصورة درامية مصطنعة، تشبه إلقاء خدع

سحرية. يسحبن زجاجات مياه قابلة لإعادة الاستخدام، محفور عليها أول حرفين من جامعة ويسترلي، ومن ثم يوزعنها على المارة من الطلاب. تُراهن أن تلك الزجاجات ليست مملوءة بالماء.

همست في ذهول لجاكسون، عندما لمحت إحدى فتيات الثيتا ترتدي تنورة منقوشة ضيقة: «هل هذا جِديٌّ؟».

أعلنت الكابا إقامة الحفل المختلط في نفس الليلة التي ينوهن عنها.

تذكرت الفتاة. لقد حاولت التقدم للالتحاق بالكابا في نفس العام الذي قُبلت فيه. لقد اشتعلت تلك الفتاة غضبًا عندما فشلت في الاختبار التمهيديِّ الثاني. لم تملك ما يكفي من السحر لتصبح ساحرة متمكنة. تذكر كل فتاة تقدمت، وبخاصة اللاتي يملكن قليلًا من السحر. لكنها لا تتذكر اسم تلك الفتاة. كاتي؟ كاثرين؟ شيء كهذا...

- سكارليت.

صاحت الفتاة بدلال، وهي تدفع بكتفيها، تحاول المرور من بين الطلاب الجدد المتحلقين حول ماريا، رئيسة الثيتا، يحاولون إقناعها أن تسمح لهم بجولة إضافية من الزجاجات التي لا تحمل الماء. ثم تابعت: «إنني سعيدة جدًا لرؤيتك. أردنا دعوتكِ أنتِ وفتيات الكابا، على وجه الخصوص».

ثم ناولتها الفتاة منشورًا مطبوعًا بألوان الباستيل، التي غطَّت الطاولة. *الحفل المبكر للترحيب بالعودة للدراسة.*

أضافت الفتاة، أو *كايت، هذا هو اسمها*: «لم نقصد التعدي على الكابا، أو شيئًا من هذا القبيل. إن الثيتا، كما تعلمين، لم تستضِف حدثًا كبيرًا منذ فترة، واعتقدنا أنه ما دام حفلك سيبدأ في وقتٍ متأخرٍ، لمَ لا نعطي الكل فرصة للاحتفال قبل الموعد».

ردت سكارليت بنبرة باردة ثابتة، كنظراتها: «هل فعلتن؟».

أم لعلها محاولة منكن لتحسين سمعتكن السيئة في أثناء العبث بسمعتنا؟

تفرست كايت في وجهها وجاكسون. ثم ركزت بصرها من كتب على جاكسون، وأخذت ترمقه برمشها: «أنت مرحب بك أيضًا. هل أنت جديد هنا؟ لم أرك في الجوار من قبل».

حاربت سكارليت إحساس النفور البالغ الذي ألمَّ بها، رغم ذراع جاكسون التي لفَّها حول خصرها، وذهبت بحواجزها الدفاعية أدراج الرياح.

- لا، أنا هنا منذ السنة الأولى. تعلمين، لا يبدو الحرم الجامعيُّ كبيرًا، إلا بمجرد الخروج منه.

بذلت سكارليت أقصى جهدها للحفاظ على وجهها خاليًا من أي تعبيرات، وهي تعيد المنشور لكايت: «أخشى أن فتيات الكابا مشغولات بالتحضير لحفلنا الخاص. أخبري ماريا أننا نأسف أن الحفل سيفوتنا».

- أخبريني بنفسك.

أطلَّت ماريا من وراء ظهر كايت. ارتدت رئيسة الثيتا التنورة المنقوشة ذاتها التي ارتدتها الفتيات، هل حصلن على زيٍّ رسميٍّ لهذا العام؟ موضة التسعينيات. لو ارتدت، بدلًا من ذلك، سترة رمادية تتماشى مع شعرها الداكن وبشرتها شديدة الشحوب، لكان أفضل. ولكنها واحدة من الفتيات الجميلات التي تُقدِّر جمالها، وتحسن الاستفادة منه.

- ماريا (حيَّتها ببرود، رغم توترها الداخليِّ بسبب ذراع جاكسون التي لا تزال ملفوفة حول خصرها، وتابعت) كنت أخبر كايت أننا لن نقدر على حضور حفلك. أعتقد أنكِ تتذكرين أن لدينا حفلًا خاصًّا نستعد له.

ابتسمت ماريا ابتسامة واسعة أظهرت كامل أسنانها: «يا لها من خسارة. كنا نأمل أن يحضر الحرم الجامعيُّ كله. ستحصلن في الكابا على حدث عظيم، لكنني سمعت البعض، العام الماضي، يقولون إنهم غير متأكدين إذا كان بإمكانهم الحضور. وقال البعض الآخر إنه يفضل الحفلات المبكرة، ليستمر الحفل لفترة أطول. لذلك جال بخاطري، لماذا لا نجمع الفكرتين معًا؟».

كزَّت سكارليت على أسنانها: «حسنًا، أمرٌ جيد. متأكدة أن حفلك سيكون أكثر مرحًا».

نأمل ألا يثمل الحرم الجامعيُّ عن آخره قبل أن تُتاح الفرصة لبدء حفلنا.

- بالطبع سيكون. لكن ألم تسمعي الخبر؟ لم يعد الحفل حصريًّا لدى أحد. مما يعني أن الاحتفال سينتشر بكل ركن في ويسترلي، فيما عدا الكابا -*الأخوية الأكثر سرية على الإطلاق*- فهي لن تحضر.

هذه مجرد كلمات لاذعة، ولم تقترب قيد أنملة من الحقيقة. إن الكابا أكثر الأخويات التي تسمح بالتنوع في الحرم الجامعيِّ، باستثناء شيء واحد، أن الكابا لا تقبل إلا الساحرات.

قفزت سكارليت إلى الوراء فجأةً: «أمَا زلتِ تتمنين الانضمام إلى الكابا، كما أرى؟».

ضحكت ماريا: «أفضِّل الورود على الريش حاليًّا. لا أعرف أين كان عقلي. إن الريش موضة عام مضى».

وقع نظرها على الوردة الزهرية المثبتة في ياقة سترة ماريا. إنها تماثل تلك الورود الموجودة عند قبر داليا تمامًا، بجوار رسالة: «*نعلم أنه أنتِ من فعلها*».

سألتها بجرأة، جمدت معها ابتسامة ماريا: «من التي سربت الكتيب الخاص بكِ الصيف الماضي يا ماريا؟».

- إن الكارما ساحرة، يا سكارليت وينتر! سوف ترين.

ساحرة!

تسارعت نبضات قلبها. من المؤكد أنها مجرد محاولة فاشلة للعب بالكلمات. وقبل أن تتمكن من الرد، تحركت ماريا مبتعدة، تلوِّح بالمنشور عاليًا، وكأنها ترفع علم النصر بعد المعركة.

أصابت أوجيني القول. لن تستسلم الثيتا بسهولة دون الانتقام من الكابا. وسواء كانت داليا المسؤولة بالفعل، أم لا، عن سقوط الثيتا للهاوية، هناك شيء واحد تعلمه يقينًا: ستدفع الكابا الثمن غاليًا.



الفصل الرابع

فيفي

ابتسمت فيفي، وهي تجلس على الكرسي، الذي أخرجه لها مايسون. قبل انتقالها إلى سافانا، لطالما أُعجبت بسلوك الفرسان هذا، وبخاصة من شاب في عمرها مثل مايسون. يفتح الأبواب بأدب، يقف عند مغادرة السيدة الطاولة، بل ومستعد ليمنح سيدة مريبة سترته لو شعرت ببعض البرد. ومع ذلك، ترى أن تصرفاته تتشابه فقط مع السلوك التقليديِّ للفرسان، فهي على الأغلب، تنبع من رغبة صادقة لإسعاد كل من حوله.

سألها بتقطيبة جادة مفتعلة، وهو يضع منديل المائدة على حجره: «هل أخبرتكِ كم تبدين جميلة الليلة؟».

لقد اصطحبها إلى حانة فرنسية صغيرة، وجلسا في الجهة الخارجية المطلة على النهر، حيث تدلَّت من الأشجار مصابيح ملتفة حول أغصانها، مثل يراعات ضخمة تتوهج حولهما.

أجابت: «لقد فعلت. لكنني لن أعترض إذا أبديتَ إطراءك بضع مرات أخرى».

أسَرها مكانهما الدافئ بما يكفي لتتخلى عن سترتها. لم ترغب في إخفاء فستانها الرومانسيِّ ذي اللون الورديِّ الفاتح، الذي استعارته من أريانا، أو في إخفاء خط عنقها الجميل.

قال متظاهرًا بالوصول إلى جيبه ليخرج هاتفه: «عُلِم. سأعيِّن تذكيرًا كل اثنتي عشرة دقيقة».

ضحكت، وانحنت عبر الطاولة لتضرب ذراعه مازحةً، فارتطمت بالخطأ بزجاجة الخل البلسمي في أثناء ذلك.

- تبًّا!

صاحت والسائل البُني الداكن ينساب على الطاولة، ليتساقط بعض منه على فستانها. لم يتسرب شيء للقماش، فقد اختفى أثره على الفور، كما لو كانت ترتدي معطفًا واقيًا من المطر.

سألها مايسون بينما حضر النادل لينظف الطاولة: «هل فستانكِ بخير؟».

- بخير تمامًا.

ابتسمت في امتنان لسونالي، التي ألقت على فستانها تعويذة إصلاح قبل أن تغادر، لتتأكد أن فستانها وشعرها وكل زينتها، ستظل مثالية حتى تمام الموعد.

قالت لها سونالي سابقًا: «أحبُّ هذه التعويذة كثيرًا، على الرغم من أنها تدفع معجبيَّ للجنون دومًا، عندما أذهب للسباحة لمدة طويلة، ولا يتأثر الكحل على عيني».

تقدر فيفي كثيرًا كل المساعدة التي حصلت عليها. هذه هي المرة الأولى لها مع مايسون، ولا تريد أي حادثة أن تفسد أمسيتهما، فعادةً ما تتوتر قبل أي موعد، وتلجأ للتفكير بأنهما غير مناسبَين لبعضهما بعضًا، رغم الوقت الذي يقضيانه في المكالمات الهاتفية. لكن بمجرد أن فتحت باب منزل الكابا، زال توترها برؤية ابتسامته الواسعة.

سألها: «إذن، كيف العودة للكابا؟ أعتقد أنه ليس سهلًا».

وفقًا للخبر بالصحف، قُتلت داليا وتيفاني في إعصار غريب اجتاح الغابة، خلف الكابا هاوس. مما أضاف حِسًّا ساخرًا على الحدث، يبتعد تمامًا عن الحقيقة، لكنه مناسب بعض الشيء في الوقت نفسه: حادثة مأسوية عنيفة تودي بحياة فتاتين.

يعلم مايسون أنها وُجدت بالغابة أيضًا، لكنها لم تستطع إخباره أنها اختُطفت من قِبل ساحرة خبيثة، حاولت انتزاع قلبها. ودَّت لو حدثته عن الأحداث الصادمة التي مرت بها، حتى ولو في عبارات سطحية، مثل كم كانت لحظات مرعبة، وإلى أي مدى شعرت بالعجز في مواجهة قوة تفوقها، إلى أي مدى شعرت بالذنب لبقائها على قيد الحياة، بينما لم تنجُ الأخريات. إن مشاعرها صادقة على أي حال، وإن لم تذكر أي تفاصيل.

أجابت بعد صمت طويل: «إنه صعب. في كل مرة أمرُّ فيها بغرفهن، أو أزور سكارليت بمكتب داليا...».

أومأ برأسه في تعاطف: «أستطيع تصور ذلك. وكيف حال سكارليت؟».

تحاول فيفي أن تتخذ صداقتهما الحميمية بجدية. فبعد أن افترق مايسون وسكارليت عن بعضهما بعضًا في الفصل الدراسيِّ الماضي، ظلَّا على وفاق معًا، حتى ضبطتهما سكارليت يتبادلان القُبل، بعد وقت قصير من انفصالها عن مايسون. لكنها تغاضت عن ذلك لاحقًا، وغفرت لهما. كما أن مواعدتها لجاكسون تشير أنها لم تعد تعبأ بهما.

- إنها بأحسن حال كما هو متوقع منها، على ما أعتقد.

هز رأسه بضجر: «ما أقسى أن تفقد كلتا صديقتيها دفعة واحدة. ألم يكن من الأفضل لها أن تؤجل الدراسة لهذا الفصل أو شيء من هذا القبيل؟».

رفعت حاجبها، فضحك مايسون: «هذا التصرف لا يشبه سكارليت، أليس كذلك؟ أنتِ محقة، من المحتمل أن انشغالها جيد بالنسبة إليها».

- إنها تتعامل مع أمور الرئاسة بإرادة قوية. من الجيد رؤيتها تعود للعمل.

ينصب اهتمام سكارليت الأساسي حاليًّا على الإعداد لحفل لمِّ شمل خريجات الكابا الشهر المقبل، احتفالًا بالذكرى المئة والخمسين على تأسيس الكابا رو نو. حيث ستحضر كل الخريجات من جميع أنحاء العالم، وستُكرم الفائزات بجائزة بوليتزر: عارضة أزياء أسست شركة ناشئة، ووزيرة خارجية سابقة، ممثلة مشهورة، واثنتين من أعضاء مجلس الشيوخ. إن عضوات الكابا

متحمسات لذلك الحفل، وبخاصة العضوات الأقدم، إنها فرصة العمر لتعزيز العلاقات فيما بينهن.

بينما، بالكاد يشغل حفل لمِّ الشمل تفكير فيفي، فما زال لديها الكثير لتفعله بشأن الحفل المختلط، أولى مهماتها كونها مسؤولة النشاط الاجتماعيِّ بالكابا. كما أنها فرصتها الأولى لتثبت للجميع أن سكارليت قد اتخذت القرار الصحيح باختيارها، وأنها...

ناداها مايسون: «فيفي؟».

هزت رأسها، ورأت النادل يتأملها في ترقب: «آه آسفة (نظرت إلى قائمة الطعام التي نسيت أن تطالعها) سآخذ.. حساء.. البويلي.. بايس، من فضلك».

كرر النادل الكلمة من بعدها، وهو يشدُّ على شفتيه بشكل ملحوظ، ليصحح نطقها الفاشل: «البويلابايس. اختيار رائع جدًّا، يا آنسة».

توردت وجنتاها. يبدو أن كل السحر في العالم لا يزال غير كافٍ ليجنبها الإحراج. لم تستطع أن تمنع نفسها من إلقاء تعويذة محو الذاكرة، إحدى التعاويذ القليلة، التي تدربت عليها دون الحاجة لنطقها. إذا سارت الأمور على ما يرام، فلن يتذكر النادل تلعثمها أبدًا.

همست: «آسفة».

بدا النادل شارد الذهن، ناظرًا إليها في ذهول.

- أرأيت، لهذا السبب أظن أن سكارليت جُنت لتختارني المسؤولة الاجتماعية. لا أستطيع حتى طلب الحساء في مطعم. كيف يمكنني أن أخطط لحفلات لم يسبق لها مثيل؟ ما زلت متدربة جديدة على الســ...

أمسكت لسانها في آخر لحظة قبل أن تتم كلمة *السحر*، وأكملت: «عضوة جديدة في الكابا. والآن، من المفترض أن أتدبر بعض الأمور؟».

مد يده عبر الطاولة، وضغطت على يدها: «تمهلي يا فيفي. تعلمين أن سكارليت مهووسة بالسيطرة، تنشد الكمال في كل شيء. لم تكن لتختاركِ لو لم تتأكد أنه يمكنكِ التحمل. إذن، متى موعد الحفل؟».

- الجمعة القادمة. وغدًا، لدي أول اجتماعٍ تخطيطيٍّ مع الفتيات.

اضطرت للاستعانة بالطالبات الجدد لمساعدتها، لكي يصبح الحفل بالكامل مفاجأةً للفتيات الأقدم. شاركتها ريجان التخطيط منذ البداية، وأرسلت لها العديد من الأفكار التي يظهر أن بعضها مُستوحى من عناصر في خزانة ملابسها. كما أبدت بايلي قلقها، من أنهن قد يحتجنَ لطلب المساعدة من ساحرات ذوات خبرة، لكن فيفي وعدتهن بالتواصل مع ساحرات متخرجات إذا تطلَّب الأمر.

مرر مايسون إصبعه على باطن معصمها، فتولدت عن لمسته قشعريرة بعمودها الفقريِّ: «بذكائكِ وبمساعدة أخواتكِ، ستبهرين الجميع، بلا شك. تعلمين، يمكنكِ دائمًا طلب المساعدة مني في أي شيء، حتى ولو أداء دور النادل».

- رجاءً. أحتاج منك أن تؤدي المهمة الأكثر أهمية على الإطلاق. ابقَ بجواري واجعلني متعقِّلة طوال الليل.

غمز لها: «يمكنني فعل ذلك بالطبع».

ثم فك قبضته، مشيرًا لكأسها الفارغة: «هل نحصل على بعض المشروبات؟».

والتفت ليطلب النادل ثانية.

تبًّا!

بالنظر للطريقة التي يحدق إليها النادل تجاه طاولتهما، متجاهلا يد مايسون الملوِّحة له، يعد دليلًا كافيًا أن تعويذة محو الذاكرة نجحت. ما إن أدار مايسون ظهره لها، حتى همست بصوت خفيض: «بقوة السيف الأوحد. عُد لانتباهك».

اعتدل النادل في الحال منتبهًا، واقترب من الطاولة. أملى عليه مايسون الطلب، ثم أطرق رأسه للأسفل، وانطلق يسرع الخطى. قال مايسون، متحيرًا من أمر النادل: «إنهم في غاية الـ... آه.. الانتباه هنا».

- لا بد أن جاذبيتك لا تقاوم.

- أعتقد هذا.

صمت فجأةً، وظهر عليه التوتر وتجعد جبينه، كأن هنالك ما أثار انزعاجه بشدة. ابتلعت ريقها، وسألته: «وماذا عنك؟ كيف كان أسبوعك الأول؟».

جفل، ثم عاد يركز بصره عليها: «في الواقع، كان عظيمًا. أخبرتني مستشارة الطلاب أنها بصدد إعداد طلبٍ رسميٍّ لدعوتي للدراسة تحت إشرافها!».

- ألا تفعل ذلك بالفعل؟

فقد عمل في العام الماضي باحثًا مساعدًا بدوامٍ جزئيٍّ، يساعد أستاذَته في كتابها حول النساء في السافانا الاستعمارية. اعتادت أن يخرج لمقابلتها، من حين لآخر، أمام مبنى البلدية حيث يقضي يومًا كاملًا في غرفة للأرشيف بلا نوافذ، في الطابق السفليِّ من المبنى، بعينين كبيرتين لامعتين كعينَي طفل من محل لعب أطفال.

- لا، أعني لكي أصبح مُرشحًا لدرجة الدكتوراه في جامعة جورجيا الجنوبية، بعد تخرجي في ويسترلي. عادةً، تحتاجين إلى مستشار لرعاية دراستكِ، فهم لا يقدمون طلبًا للالتحاق حتى تنتهي من دراسة الماجستير. لكنها أشارت أننا نعمل جيدًا معًا، فلا تريد المخاطرة بقبولي عرضًا من جامعة أخرى.

رفعت فيفي كأس الماء، تفتعل نخبًا من أجله: «هذا رائع يا مايسون. تهانينا! إلى المستقبل، يا دكتور جريجوري. هل أخبرت والديك بعد؟».

هز رأسه: «لا، ليس بعد».

تعلم أن والديه يدفعانه للالتحاق بكلية الحقوق، ومن ثم، يعمل في الشركة الصغيرة التي يملكها أبوه. لم يحاولا إخفاء نيتهما قط، لدرجة تخصيص غرفة مكتب، بالفعل تحمل اسم مايسون في مقر الشركة بوسط المدينة. لقد بدا الأمر جليًّا للغاية أن والديه سيقطعان عنه كل الدعم، إذا ما اختار «إضاعة وقته في قراءة اليوميات وكتب الوصفات».

- هل تريدني أن أرافقك عندما تخبرهم؟ كوني دعمًا معنويًّا؟

رد بابتسامة هادئة: «هذا لطفٌ منكِ. لكن أعتقد أن هذا أمر يجب أن أفعله بمفردي».

أومأت برأسها، تفكر لو أنه ما زال يواعد سكارليت، هل كان الحال سيختلف لو أعلنت ابنة عائلة وينتر الموقرة لآل جريجوري دعمها الكامل

لخطط مايسون؟ هل كان والداه ليتخذا كلامها على محمل الجد؟ لطالما طبعت سكارليت على كل أمر تفعله لمسة من المصداقية. كما أن عائلتها أعضاء بارزون في قصر سافانا منذ أجيال، في حين أن كل ما ورثته فيفي عن عائلتها هو مطعم ويندي الصغير، لطلب الطعام من السيارة.

فيما عدا ذلك، تعلم فيفي أن لدى أبيها صلة وثيقة بقصر سافانا أيضًا. فمنذ آخر حديث لها مع أمها، ظل اسم فينس عالقًا بعقلها. لكن كلما حاولت أن تستجمع شجاعتها، وتبحث عنه في محرك جوجل، تحت عبارة «اللاعب فينس فريق كرة قدم ويسترلي»، تجمد مكانها مرتعدةً مما قد تجد.

ماذا لو أن لديه عائلة جديدة؟ هل حقًّا تريد أن تقرأ عن أطفاله الذين فضَّلهم عليها؟ وماذا إذا تبين أنه مجرم؟ أو أنه شخص يفتعل المشكلات عبر الإنترنت؟ لا بد أن دافني لديها أسباب وراء عدم إفصاحها بأي شيء لها. هل تريد حقًّا أن تفتح بابًا من الأسرار لن تستطيع أن توصده مرة أخرى؟

ارتجفت عندما اجتاح نسيم بارد كتفيها العاريتين. نظرت للسماء، ووجدت النجوم المتلألئة قد أصبحت ضبابية، والقمر الأصفر المتوهج، تصعب رؤيته من وراء الغيوم.

سألها مايسون بصوت خافت وغامض، كأنه احتجب هو الآخر وراء الغيوم الكثيفة: «هل أحضر لكِ سترتي؟».

سمعت قرقعة حادة وعالية آتيةً من فوقها، فرفعت رأسها ورأت غرابًا أسود ضخمًا، قد حط على غصن شجرة منخفض، وأخذ يراقبها بعينين صفراوين. رغم أنها تشعر عادةً بألفة مع الطيور لأسباب معروفة، فإنها اقشعرت عندما رأت هذا الغراب بالذات، الذي أدار رأسه جانبًا، وجمد مكانه بغرابة. كأنه يركز النظر على شيء ما خلف ظهرها. *لا، بل يشير إليه.*

أدارت رأسها ببطء، وحبست أنفاسها، عندما استقر نظرها على فتاة ذات شعر أشقر طويل. *تيفاني!*

تسمرت وتقلصت عضلاتها بشدة، كأنها سُحرت عندما رأت معذبتها اللدودة. لكن لا، إن هذه الفتاة البيضاء التي تقف هناك بين أصدقائها، في انتظار طاولة شاغرة بالداخل، يستحيل أن تكون تيفاني بأي حال. كما أن شعرها الأشقر المرفوع خلف رأسها، تتخلله خيوط وردية زاهية.

فجأة، كما لو أن الفتاة شعرت بنظراتها، استدارت وحدقت إليها. تسارع نبض فيفي، وتدفق الدم ساخنًا بعروقها. توقعت أن تشعر بتحسن، لأنها لم تكن تيفاني، لكن شيئًا ما في تلك الفتاة أثار أعصابها.

ربت مايسون على ذراعها، فجفلت: «هل تريدين المزيد من الخبز؟».

سألها مشيرًا بعينيه لسلة الخبز، وكبت ابتسامةً ما، في حين احتفظ بيده على ذراعها. شعرت بجلده الدافئ وشرارة بجسدها منعتها من الرفض. أجابت بابتسامة مفتعلة: «نعم، من فضلك».

عندما استدارت مرة أخرى، كانت الفتاة ذات الشعر الورديِّ قد رحلت. عندها أحضر النادل طعامهما. لم تستطع أن تُذهِب عنها ذلك الإحساس بأنها أغفلت شيئًا مهمًا. لماذا حدقت إليها الفتاة باهتمام بالغ؟ حتى تعويذة الانتباه، لم تكن لتُحدِث هذا التأثير العجيب.

أردف مايسون، مشيرًا للحساء: «ألن تأكلي قبل أن يبرد الطعام؟».

- بالطبع.

أخذت ملعقة من يخنة المأكولات البحرية، وأغلقت عينيها، تتذوق المزيج الغنيَّ بالنكهات. كم يستحق هذا الحساء عناء إحراج نفسها بالنطق الفاشل. كما ساعدت البهارات على صفاء ذهنها، لتركز انتباهها على مايسون، بدلًا من القلق بشأن فتياتٍ ذوات شعرٍ ورديٍّ، أو غربان تتصرف على نحوٍ غريب.

سألها مايسون، بعدما دفع فاتورة المطعم، وسارا معًا بمحاذاة النهر: «هل تعرفين ما الذي تعنيه رسالة الدكتوراه الجديدة أيضًا؟».

- ما الذي تعنيه؟

أخذ يدها وجذبها إليه، من أجل قُبلة أخرى: «هذا يعني أنني سأقضي السنوات القليلة القادمة في سافانا، معكِ».

انقبضت معدتها، وكأنها ارتكبت خطأً تجهله. ثم أحاطت رقبته بذراعيها، وتوقف كلاهما عن التفكير تمامًا.



الفصل الخامس

سكارليت

علَت همهمات الترقب في الغرفة العامة، ولكنها لم تكن كافية لجذب انتباه سكارليت، التي لم تستطِع التوقف عن التفكير بموعد العشاء في منزل جاكسون الليلة. طلب منها أن تقابله في الحرم الجامعيِّ أولًا، ومن ثم يتمشيان معًا حتى مسكنه خارج الحرم.

لقد أصرَّ ألا تُحضِر أي شيء معها، تحضر بذاتها فقط، لكنها ستحضر النبيذ على أي حال، زجاجة خاصة، اختارتها من مخزن مارجوري لحفظ النبيذ في قبو المنزل. رأت أنهما يستحقانها بعد ما مرَّا به معًا، حتى لو لم يتذكر.

قطعت إيتا أفكارها، ونادتها: «السيدة الرئيسة!».

نظرت إلى صديقتها إيتا، المنهمكة في كومة من البذور في وعاء، تحاول تنسيقها بعناية. سألتها إيتا مبتسمة: «أين تريدين وضع هذه؟».

رغم أن إيتا ساحرة كؤوس، يتجاذب سحرها مع أي شيء ينمو، تعرف سكارليت أن اهتمامها بالنبات من أجل عمل التعاويذ، يخفي قوى سحرية أخرى أكثر إشراقًا، تتجاوز سحر الكؤوس خاصتها. تتمنى أن تجعل إيتا يومًا ما ترى مدى تأثير مهاراتها المميزة في الكابا، وعلى نفسها بالأخص.

أجابتها: «هناك، بجوار الأواني سيكون أفضل».

وجهت نظر إيتا للجدار، وأشارت لموضع في ركن منه، حيث تنظم مِي مجموعة من الأواني الخزفية حسب اللون والحجم، وتلتقط الصور لمتابعيها الذين يفوق عددهم مليون شخص. أما الطالبات الجدد فجلسن القرفصاء على أرض الغرفة العامة التي حُوِّلت إلى لوح من البلاستيك بدلًا من السجاد الفارسيِّ المعتاد، لتُنظَّف الأرض بسهولة.

سألت هازيل كيم -ساحرة الصولجان للسنة الثانية- التي تمددت على الأرض، وأخذت تتمطى برجليها حتى وضعتهما متشابكتين: «مهلًا! إذن، كيف ستساعدنا هذه التعويذة لنتغلب على الثيتا؟».

سمعت كل الفتيات عن إعلان نادي الثيتا لإقامة حفل مبكر، ولذا افترضن أن اجتماعهن الليلة من أجل هذا الموضوع.

رفعت ريجان يدها كعادتها، تتساءل قبل إنجاز أي مهمة: «هل ستنمو البذور لتصبح نباتات تجعل فتيات الثيتا ينمن في أثناء حفلهن؟».

- سنتحدث عن الثيتا لاحقًا، أما الآن، فهناك شيء ما أكثر أهمية بالنسبة إلينا للتركيز عليه.

نظرت الفتيات بعضهن إلى بعض في حيرة. سألت ريجان ثانيةً: «ماذا يمكن عدُّه أكثر أهمية من سحق من يريد إهانتنا؟».

ركزت بصرها على ريجان: «ما هو الأكثر أهمية من سعادة الثيتا بساعة انتصار علينا؟ نحن. اعتقدتُ أنكن تهتممن بتعلُّم بعض أساليب السحر الجديدة».

جذبت سكارليت الانتباه إليها، وابتلعت ريقها بصعوبة، ما إن انصب عليها تركيز الفتيات العشرين معها بالغرفة، حتى قبل أن تتم جملتها.

قالت فيفي، وهي تلكز سكارليت، تستحثها على المزيد: «نعم، من فضلك».

ردت: «حسنًا، إنها طقوس جديدة علينا، لكنها في الواقع قديمة، استعرتُ فكرتها من إحدى خريجات الكابا، عند تعرفي عليها بالمكتبة».

أخفت عليهن حقيقة أن هذه الطقوس ليست مستحدثة، بل تخص الكابا هاوس لأجيال في الماضي. ثم نظرت لفيفي، التي تأهبت لتسأل. وتابعت: «إنه السحر الخماسي. ستقرر كل واحدة منكن شيئًا ما، تريد تطويره

خلال الفصل الدراسيِّ الجديد: معدلك التراكمي، مهاراتكِ الرياضية، حياتكِ العاطفية (صدرت ضحكات مكتومة من بعض الفتيات) أيًّا ما كان الذي قررتِ التركيز عليه، ثم تختارين النبات المناسب لرغبتكِ، وستساعدكِ إيتا في اختيار الأعشاب هناك».

لوَّحت لهن إيتا، حيث انتهت لتوها من ترتيب مجموعات البذور بجوار الأواني الخزفية. ابتسمت سكارليت، في رضا عن قرارها: «سنلقي جميعًا تعويذة نمو على نباتكِ، وبالتزامن مع نموه خلال الأشهر المقبلة، سيزدهر هدفكِ أيضًا».

أدارت ريجان عينيها جانبًا في استنكار، ولم تعلق بصوتٍ عالٍ، لكنها أحنت رأسها تجاه سونالي لتهمس لها بشيءٍ ما. ثم قالت ساخرة: «مهلًا! هل نحن ساحرات متلاصقات الآن؟».

انفجرت جيس وجولييت في الضحك، حتى سكارليت كانت لتضحك لو لم تكن المزحة موجهة إليها، وربما تهامست ضاحكة مع تيفاني، كعادتهما في الماضي. ردت سكارليت على مزحتها اللاذعة بصوتٍ عالٍ: «نعم، يجب أن نعتبر أنفسنا محظوظات دومًا للعمل معًا على هذا المستوى الملتصق».

- هل تقولين إن تحقيق رغبات كلٍّ منا هو عمل الكابا.

- ما أقوله هو أن نتجهز الآن -ودائمًا- للخطوة الأولى لتحقيق أي نجاح. إن ما نفعله لا يتعلق بالماضي، بل بالمستقبل.

لمعت عينا فيفي، وهي تنظر لزميلاتها: «أحب هذا».

قالت أريانا، وقد تهلَّل وجهها: «وأنا أيضًا».

كما أومأت بايلي برأسها، رغم غياب حماسها المعتاد. أما جولييت، التي تستند بجذعها إلى مقعد جيس، في وضع حديث جانبيٍّ مع صديقتها المقربة، فسألت: «هل يجب علينا ذلك؟ لدي أطروحة عليَّ تسليمها الأسبوع المقبل...».

أجابتها سكارليت بجفاء: «إن لم ترغبي في المشاركة، لستِ مضطرة إذن. لكن هذا أول طقس لنا على مستوى الكابا هاوس، منذ عودتنا للحرم الجامعيِّ».

عبست جولييت في وجه سكارليت، فرغم اعتراضها، فهي تعد رئيستها بالنهاية، وليست فقط أختًا كبرى لها، فأذعنت رغم أنفها.

تنحنحت سكارليت، ثم قالت: «دعونا نأخذ لحظة لنفكر في الهدف الذي ستختاره كلٌّ منا».

لقد سبق لها أن اختارت بالفعل، ستزرع بذرة لتحسين مهاراتها القيادية، ربما زنابق تمنحها الحكمة، أو زُعرور بري من أجل القوة والطاقة.

أم تفضلين زراعة البنفسج من أجل الحب؟

دغدغها صوت خفيض برأسها، سرعان ما وضعته جانبًا، حيث تحتل قيادة الكابا أهمية أكبر لديها. لفت انتباهها همهمات تجري بين جولييت وجيس، متقاربتَي الرأس.

- لم تكن داليا متسلطة قط في موقف كهذا.

لم يتهادَ إلى سمعها غير هذه العبارة، ومع ذلك كانت أكثر من كافية لحبس أنفاسها في صدرها. هل هن على حق؟ هل هذه فكرة سيئة؟ صحيحٌ أن داليا لم تفعل قط بمثل هذا الطقس، لكن لطالما كانت الطقوس التي فعلتها تستهدف القوة وغايات بعينها. بينما ترى سكارليت أن النهج الذي تتبعه أكثر مناسبة حاليًّا. *وأقل احتمالًا لتكرار ما آلت إليه تيفاني*. لقد قطعت على نفسها عهدًا بأن تحافظ على الكابا من خلال نهج جديد. وقطعًا، لا مجال لإساءة استغلال القوى السحرية مرة أخرى.

- هل نحن جميعًا جاهزات؟

انتظرت حتى أومأن جميعهن بالإيجاب. تابعت: «رائع. والآن، إيتا، هلَّا أطلعتِنا على الأعشاب التي لدينا للاختيار من بينها، والاستخدام الأمثل لكلٍّ منها؟».

شعرت بالامتنان لرؤية بايلي وأريانا تُخرجان دفترًا للملاحظات، ما إن بدأت إيتا بالشرح. مع أنها لم تستطع التخلص كليًّا من شعورها بالانزعاج أن داليا من مكان ما بالأعلى، لربما تراقب على غير رضا.



وصلت بالفعل لحديقة الحرم الجامعيِّ الرئيسية، ولكنها تأخرت عن موعدها مع جاكسون. فقد كان من المفترض أن تقابله خارج مكتبة هيويت العامة، كما طلب منها، منذ خمس عشرة دقيقة مضت. لكن الطقس الجماعيَّ استغرق منها وقتًا أطول مما توقعته. رغم تركيزها المشتت، وعقلها الذي يعمل بنصف طاقته فقط، واصلت الاطمئنان على الفتيات الجدد من وقت لآخر، لتتأكد من أنهن جميعًا يفعلن الطقس بشكل سليم، بالإضافة للتنصت على جولييت وجيس، لتعرف إذا ما زالتا وريجان يشتكين أم توقفن.

لم تقل أي فتاة أخرى شيئًا سلبيًّا، إلا أنه لم يفُتها تلقِّي بعض النظرات الجانبية، التي لم تستطع تفسيرها.

ماذا أصابني؟

دفعت هواجسها جانبًا، وأسرعت من وتيرة سيرها. عادةً ما تثق بنفسها للغاية، وتثق بقراراتها. لكنها تجد نفسها منذ العودة إلى ويسترلي تتصرف كطالبة حديثة تتحقق من طريقها في كل زاوية.

فحصت هاتفها مرة أخرى، لا يوجد رد من جاكسون، حتى آخر رسالة نصية أرسلتها له: «*سأتأخر لبضع دقائق*»، لا تزال غير مقروءة. أسرعت الخطى أكثر، ثم لفت انتباهها شيء ما على يمينها، رأت أحدهم يتقاتل مع خريطة ورقية عملاقة للحرم الجامعيِّ.

كان شابًّا أبيض الوجه في مثل عمرها، يرتدي سروالًا من الجينز، وسترة زرقاء من الكشمير. نظر لأعلى وحوله في إحباط، ثم وقعت عيناه عليها فابتسم لها، بوجه متوهج، يبدو عليه الجهد، والعرق يتلألأ على طول جبينه. وفوق ذلك كله، يبدو وسيمًا، ذا بنية قوية، وفك مربع، وعينين في زرقة السماء، مع قصة شعر كثيف داكن. تكاد تُراهن أنه حقق مظهرًا مثاليًّا من الوسامة.

شدَّ الشاب شعره للوراء قليلًا بتمريرة من يده، ووجَّه حديثه لها: «لم أقصد أن أفزعكِ، (جعلت تلك الحركة قميصه يرتفع بما يكفي، لتلمح سكارليت جزءًا من عضلات بطنه الممشوقة) آسفٌ حقًّا. لم أقصد أن أفزعك. أنتِ فقط.. أعني.. أنت أول شخص ألتقيه في الحرم الجامعيِّ منذ دقائق من وصولي. وأعتقد أنني ضائع بعض الشيء».

جالت بنظرها فيما حولها، فأدركت أنه محق، غريبٌ ألا يوجد أحد بالجوار في هذه الساعة من عطلة نهاية الأسبوع. أمسكت بهاتفها: «كيف لك أن تعرف الطريق باستخدام خريطة بهذا الحجم؟ ألا تعلم أن لدينا تطبيقًا رائعًا يوفر خاصية للخريطة؟».

قال بخجل: «آه.. صحيح. ما زلتُ بحاجة إلى تنزيله، لقد جاءتني تلك الخريطة الورقية مع حزمة الترحيب الخاصة بي».

- وهل تكفي لمساعدتكَ؟

- أعتقد هذا، لكن بمجرد أن أكتشف اتجاه الشمال.

ضحكت، وهي تضع يديها على كتفيه، لإدارته في الاتجاه الصحيح. تحسن كل ساحرة معرفة الاتجاهات في حالة احتجن لذلك.

- شكرًا لكِ، أنقذتِ حياتي. لقد تأخرتُ بالفعل.

سألته، وقد مالت برأسها لتلقي نظرة أقرب على خريطته: «عن أي مبنى تبحث؟».

تُراها أُخذَت به، أم أرادت أن يقبض عليها جاكسون تحادث غيره. أليست خسارة أن تترك شابًّا في تلك الجاذبية يذهب سدىً. فقد أمضت مِي الفصل الدراسيَّ الماضي كله بلا صديق. لربما شاب طويل، لطيف، وتائه، هو علاج لحالة مِي. يجب أن تدعوه إلى الحفل المختلط.

عبس وجهه، وقال: «أحتاج للذهاب إلى المكتب الرئيسيِّ. فأنا طالب جديد هنا. يُفترض أن أتسلم أوراق التحويل الخاصة بي».

ثم أطرق ناظرًا إليها بانتظار ردها، ليطيل الحديث معها، ويستحثها أن تسأله من أي جامعة انتقل ولماذا. تدل لكنته الجنوبية السلسة أنه لم ينتقل من مكان بعيد.

تأخرت بالفعل، وعليها التحرك. لا يحالفها الوقت لتبادل حديث لطيف: «يجب أن تتجه إلى مكتب الإدارة، (أشارت إلى المبنى ذي برج الساعة العالي، بالجهة الأخرى من الحديقة الرئيسية) ولكن أعتقد أنهم لا يحضرون في عطلات نهاية الأسبوع».

قال، وتعبيراته تعكس خيبة أمل زائفة: «للأسف. حسنًا، لا بأس. سأعود في وقت لاحق».

أطالت سكارليت النظر ثانيةً نحو مكتبة هيويت. لكن لم يفهم هذا الشاب تلميحها، وما زال يحاول التقرب إليها: «لقد رأيتكِ بالجوار، أليس كذلك؟ في الحرم الجامعيِّ. قلتِ لأي نادٍ نسائيٍّ تنتمين؟».

أطلقت عليه نظرة جانبية هادئة. بدا لطيفًا للغاية، بطريقة سيئة نوعًا ما، فلديها صديق بالفعل، ولكنه يظل مُرشحًا مثيرًا للاهتمام.

- الكابا رو نو.

رد عليها، مادًّا يده ليسلم عليها: «رائع! نحن جيران إذن. انتميتُ إلى أخوية البيكا في جامعة فاندربيلت. ثم انتقلت للتو إلى هنا، ولحسن حظي، فُتحت غرفة من أجلي في منزل البيكا».

لا بد أنها غرفة مايسون القديمة. شُلَّ تفكيرها، وهي تصافح يده الممدودة. ثم أردفت: «لا أريد أن أبدو قليلة التهذيب، لكن عليَّ الذهاب إلى مكان آخر الآن».

واستدارت مبتعدةً من فورها، ثم توقفت فجأةً: «اسمي سكارليت وينتر، بالمناسبة».

ابتسمت له ابتسامة خاطفة، في حين قال: «وأنا زافيير. ربما أراكِ بالجوار ثانيةً؟».

لوَّحت له مودعةً في فتور، وشعرت به يتمعن بخطواتها مبتعدة. راودتها فكرة العودة إليه. فما الضير من ترشيحه إلى مِي أو لإحدى الأخوات كونه صديقًا جديدًا؟ صاحت باسمه: «مهلًا، يا زافيير... (ابتسم كأنه انتظرها لتستدير له، وتفاجأت سكارليت من نفسها، عندما أضافت) تجنب صف التاريخ للبروفيسور جرانت. سيحاول فتيان البيكا إقناعك ألا تفعل، لكن طريقة شرحه ليست سهلة، بل هجومية».

رفع قبعة خيالية تجاهها، واستدار مبتعدًا. لقد أمسكت عن دعوته للحفل المختلط في آخر لحظة. منعها سبب ما من ذلك. غير أنه شخص غريب،

وفكرة دعوة شخص غريب بين أخواتها، مهما بدا لطيفًا، في ضوء ما حدث الفصل الدراسيَّ الماضي، يجعلها تتردد كثيرًا قبل الإقدام على خطوة كهذه.

اهتمي بشؤونك.

عندما اقتربت من زاوية المكتبة، نسيت كل ما يتعلق به، لكن جاكسون غير موجود.

اللعنة!

أخرجت هاتفها مرة أخرى، وضغطت أرقام هاتفه، بينما تتجول حول المبنى. وبمجرد أن بدأ الرد الآلي، سمعت ضحكات قادمة من حديقة الورود الصغيرة، المستترة في تجويف خلف المبنى. أغلقت الخط، وتتبعت الصوت. بعد بضع خطوات، تعرفت على صوت جاكسون، يصيح: «أنت طفل مزعج!».

دارت حول الزاوية مبتسمة، ومتأهبة بكلمات الاعتذار على شفتيها. وقف جاكسون وسط دائرة من أصدقائه، مجموعة نادي الفلسفة أنفسهم، الذين رأته معهم سابقًا.

قالت لاهثة: «آسفة لتأخري».

نظر جاكسون إلى الأعلى مقطب الجبين، لكنها حافظت على ابتسامتها، على الرغم من شعورها أنها مجبرة على تزييف الابتسام. تابعت: «مرحبًا جميعًا. هل تمانعون إن استعرتُ رئيسكم الشجاع؟ فلدينا خطط للعشاء اليوم».

لكن جاكسون لم ينظر إليها بعد، وحتى لم يأبه لوجودها: «يا مات، هل تقول أن نتخير مساعدًا من أجل الاجتماع الأسبوع المقبل؟».

جمدت مكانها، وسمعت صوت ضربات قلبها العنيفة. حتمًا، إنه ينهي الاجتماع. محال أن يعاملها هكذا لمجرد تأخرها بضع دقائق. تعمَّد تجاهلها بعناد، وماطل في الاجتماع حتى اتُّفِق على موعد وموقع الاجتماع التالي. عبست سكارليت، لم تكن لتتخيل من بين كل الأيام، أن يصير موعدها الأول بهذا الشكل. *إنها سكارليت وينتر التي لم تنتظر أي رجل قط. ولكن ها هي ذي تنتظر.*

- جاكسون؟

نادته هذه المرة بنبرة حادة، وتيقَّن أصدقاؤه -على الأقل- من النتيجة التي ستؤول إليها الأمور، حتى لو لم يدركها هو نفسه. لذا بدؤوا بالتحرك للخارج واحدًا تلو الآخر، لوَّح بعضهم لجاكسون من فوق أكتافهم، ولوَّح البعض الآخر في وجهها بفظاظة. عند رحيل آخر واحد، واجهها جاكسون أخيرًا. لا يمكن أن يستمر في تجنبها طويلًا.

حيَّاها بتصنع، كأنها تجبره على ذلك: «من الجيد رؤيتكِ، يا سكارليت».

بدا مهندمًا، في بنطال وقميص أنيق بأزرار، لم تره يرتدي مثله قبلًا، ولا الشيء اللامع حول رقبته: *قلادة فضية!* حاولت أن تبتسم ابتسامة واسعة، رغم ارتفاع ضربات قلبها.

- آسفة لتأخري. لقد وقعتُ في شَرك بعض أعمال الكابا.

- نعم، حسنًا، لا داعي للقلق. كما ترين، يمكنني الترفيه عن نفسي دونكِ.

حمل حقيبة ظهره، بينما شعرت أن قلبها سيقفز من مكانه.

- إذن، لم تعد ترغب بالعشاء.

- لا أستطيع.

انفجرت فيه، وامتزج شعورها بالأذى والارتباك والدفاع عن نفسها، في آن واحد: «لماذا لا تستطيع؟ أنتَ من طلب مني. أتذكُر؟».

- فقط، لا أستطيع.

ثم تحرك خارجًا، لكنها قطعت الطريق أمامه، فقابل نظرتها المتحدية، بلا مبالاة، قائلًا: «أراكِ في الصف، يا سكارليت».

- لا يمكن أن تكون جادًّا.

قطب جبينه، ثم بعد لحظة، بدا متضاربًا، هز رأسه، وأدار نظره بعيدًا: «اعتقدتُ أنني أستطيع، لكنني لا أستطيع. أنتِ من الكابا. وأنا لا يمكن لي أن أكون مع فتاة كابا. أراكِ بالجوار، يا سكارليت».

سقط قلبها وهي تراقبه يبتعد، وشعرت بوخزة ألم. ما كان لها أن تقترب منه ثانيةً. بطريقة ما، خدعت نفسها بالظن أنه يهتم بها حقًّا. لربما هو سر بالكون يجذبهما لبعضهما بعضًا مرة بعد مرة. رغم أنهما عادا ليتواعدا بعد فترة انقطاع قصيرة، يبدو أن لقاءهما هذه المرة لم يتعدَّ تبادل رسائل نصية

لطيفة. أملت أن يعودا لبعضهما بعضًا كالسابق، لكنه لا يتذكر أي شيء من الفصل الدراسيِّ الماضي، لا يتذكر تعرضهما للخطر معًا، لا يتذكر قُبلتهما.

لعله فقط لم يعد يحبكِ.

هكذا فكرت، وهي تراقبه يعبر الحديقة تحت أشعة شمس منتصف الظهيرة. لم يلتفت إلى الوراء قط، ولو لمرة. إن مجرد ترْكه لها، لأنها من الكابا، دون تذكُّره للتاريخ المشترك بينهما، يكفي ليتألم قلبها.



الفصل السادس

فيفي

تعتبر حانة الطالب العَطِش هي المفضلة لدى طلاب ويسترلي، حيث تظل تعمل حتى ساعات متأخرة من الليل، ولا يزعجك النوادل، ما دمت لا تبخسهم في الإكرامية. ولهذا كان المكان الأنسب للطالبات الخمسة الجدد، لكي يتجمعن في زاوية منه بعيدًا عن الآذان المصغية لباقي أخواتهن في الكابا هاوس.

كما أنهن في حاجةٍ لتوخي الحذر، ألا يُلفتن إليهن أي عضو في أي أخوية بالحرم الجامعيِّ، أو يستمع إلى نقاشهن في تلك الحانة، ذات السقف المنخفض، والجدران الخشبية. بمجرد أن انضمت الفتاة الأخيرة (سونالي) وجلست بهدوء شديد، أخرجت بايلي مجموعة بطاقات التارو من حقيبتها، ومررتها إليها.

جعلت سونالي البطاقات نصف مخبأة تحت الطاولة، في حال مر أحدهم فجأةً، ثم بدأت بالفرز. ما إن اختارت البطاقة المطلوبة، وضعتها بايلي بين أصابعها، ثم قبضت على يد سونالي بإحكام.

تشابكت أيادي الفتيات الخمسة في سلسلة، وهمسن معًا: «يا ملكة الهواء. لا تدعي أي أحد آخر يشعر بوجودنا».

ركزت فيفي على توجيه قوتها إلى بايلي. وبعد لحظات، تيقنت من التحول الذي حدث بالغرفة، مما أبعد كل الأعين الفضولية عن طاولتهن. ابتسمت بايلي في ارتياح، مطلقةً يد سونالي: «انتهينا من ذلك».

قالت فيفي، وهي تدون بذاكرتها التقنية التي تعلمتها من بايلي للتو. تعتقد أنها أكثر فعالية مما جربته في أي موعد لها مع مايسون: «أشكركِ».

تنهدت سونالي، وهي تجمع شعرها الأسود الكثيف المموج، في كعكة فوضوية: «آسفة لتأخري. لم تسِر بعض الأمور على ما يرام».

سألتها أريانا: «ماذا حدث؟ هل أنتِ بخير؟».

- سأكون بخير، عندما يكفُّ ذلك البغيض المتحذلق مقاطعة كل من يتحدث بصف الصحة العامة، ولكني أعتقد أنه لن يكرر فعلته بعد اليوم... (توقفت عن الكلام، وقد توردت وجنتاها بخجل) لقد ألقيتُ عليه التعويذة التي تجعل اللسان ينتفخ، حتى ظن الجميع أنه يعاني من رد فعلٍ تحسسيٍّ، وازداد الزحام من حوله، فلم أستطع أن ألقي عليه تعويذة مضادة قبل وصول المسعفين. هذا كل ما حدث.

قالت ريجان ضاحكة: «يا إلهي، هذا مذهل».

سألت بايلي بقلق: «هل سيكون بخير؟ لا أدَّعي أنه لا يستحق، لكن...».

ردت عليها: «إنه بخير، فقد استطعتُ إلقاء التعويذة المضادة في آخر لحظة، بمجرد حمله على النقالة، لكنها أخذت بعض الوقت لتعمل. على أي حال، ماذا عن ذلك الحفل!».

أومأت فيفي برأسها وما إن فتحت فمها لتجيب، سارعت ريجان تحني رأسها للأمام، لتُوقِفها. مما دفع خصلات شعرها الأحمر الأخَّاذ للوراء، ليغطي كتفَي بلوزتها السوداء الشفافة، قائلة: «لدي بعض الأفكار، يا ديفيرو».

قالت أريانا بنبرة عذبة، تخفي تحذيرًا ما: «لما لا ندَع فيفي تخبرنا بما فكرت فيه أولًا؟».

علَّقت بايلي بسخرية: «نعم، يا ريجان. من الأفضل أن تنتبهي، وإلا ألقت فيفي عليكِ التعويذة الخاصة بسونالي».

قالت ريجان، رافعةً كلتا يديها في الهواء: «آسفة آسفة. تابعي حديثكِ، يا فيفيان».

وجهت فيفي ابتسامة امتنان إلى أريانا: «أودُّ أن أستمع لأفكاركِ بعد أن أنتهي، يا ريجان. أما الآن، فلدي بعض الأفكار المبدئية لعرضها».

أخرجت هاتفها من الحقيبة، وفتحت ملف الفيديو الذي ساعدتها أريانا في إعداده، ثم سحبت بطاقات التارو خاصتها، وأدارت البطاقة العلوية: «أدعو القمر مبدع الحيل والخدع. امدد هذا الوهم بقوة منك».

أضاءت شاشة هاتفها، وعكست على سطحها صورة ثلاثية الأبعاد لغرفة المعيشة في الكابا هاوس، كأنها صورة هولوجرامية حية: «اعتقدتُ أن «أَلِيسْ في بلاد العجائب» يصلح موضوعًا للحفل. أترَين؟».

نقرت على الأريكة داخل الصورة، وحولتها إلى عش غرابٍ ضخم، ثم مررت أصابعها عبر السقف، لتكشف عن ثُريا من أكواب الشاي: «يمكن أن تتزين غرفة المعيشة لتشبه حفل شاي صانع القبعات، ونحول الحديقة الخارجية لتُماثل حديقة الكروكيه بقصر الملكة الحمراء».

تنحنت بايلي إلى الأمام لرؤية أفضل: «يا للروعة!».

بينما أومأت سونالي برأسها مأخوذة بالفكرة. تابعت فيفي: «لقد اخترتُ بعض التعاويذ التي نستطيع استخدامها مع كل تحولٍ سحريٍّ».

ثم أخذت تكبِّر حجم طاولة المرطبات، المملوءة عن آخرها، بقطع الكب كيك كبيرة الحجم، بالإضافة إلى شطائر عجيبة متناهية الصغر: «أظن أن استخدام بعض الخدع الأساسية هنا سيَفي بالغرض».

رفعت ريجان أحد حاجبيها، وقالت: «إممم، ربما، إذا تأكدتِ ألا يتلاشى تأثيرها في منتصف الحفل، مثيرةً الفزع لجميع المدعوين».

أومأت بايلي بالموافقة: «تحتاجين إلى تعويذة أكثر قوة لتجنُّب أي احتمال لإثارة الشك. هل فكرتِ في استخدام تعويذة الوهم الخيميائيِّ؟ لقد حظيت بشعبية كبيرة خلال عصر التنوير، كما جربتها بالفعل مع جولييت في أثناء جلسات التوجيه».

تسربت بعض الحُمرة لخدَي فيفي. لم تسمع من قبل عن تعويذة الخيمياء تلك، فلم تستأنف جلسات توجيهها مع سكارليت منذ محنة تيفاني، الفصل الدراسي الماضي. فأجابت: «سآخذ ذلك في الاعتبار».

تبادلت ريجان وسونالي نظرات لم تفهمها.

ما الذي أفعله؟

لم تكن مستعدةً لهذه المسؤولية. إذا لم تستطع إقناع الطالبات الجديدات بفكرتها، كيف لها أن تثير إعجاب الطالبات الأقدم؟ إنها تدرك مدى أهمية هذا الحفل الترحيبيِّ المختلط. هكذا أخبرتها سكارليت على الإفطار في نهار أحد الأيام: «هذا الحفل سيحدد ماهية الفصل الدراسيِّ بأكمله. نحتاج لإثبات أن الكابا لا تزال أفضل خيار لإقامة حفل الربيع أمام مجلس بانهلينيك، ناهيك بالثيتا التي تسعى للانتقام منا بشراسة، ظنًا منهن أن داليا هي من سربت ذلك الكتيب السخيف عبر الإنترنت، ويُوقِعن اللوم كله على الكابا. أعلميني إن احتجتِ يدَ المساعدة».

يد المساعدة!

هزت فيفي رأسها، وأسرَّت لنفسها أنها بخير. لا تستطيع تحمُّل فكرة طلب المساعدة بهذه السرعة، وتغامر بثقة أختها الكبرى بها.

لكزت أريانا ساقها من أسفل الطاولة، فتمتمت: «جيد. إذن، أحتاج من كل واحدة منكن أن تعمل على تعويذة مختلفة لكل عنصر. ريجان وبايلي، هلَّا تهتمان بالمصابيح والثريات؟».

تصلح كلتاهما لتولي مهمات الضوء واللهب، فهو الدور الأمثل لساحرات صولجان مثلهن.

قالت أريانا بحماس: «لقد أرتني إيتا خدعة خاصة بسحر الكؤوس، قد تكون مفيدة أيضًا. إنها جرعة تتيح لكِ الشعور بتأثيرات أي مشروب كحوليٍّ تشربينه، وتجنبكِ الثمالة».

ابتسمت لها فيفي: «أعجبتني الفكرة. هل نخصص هذه المشروبات لفتيات الكابا فقط؟ أم نشارك سحرنا مع الأقل حظًّا أيضًا؟».

أردفت ريجان، وهي تحدق شزرًا تجاه الطرف البعيد من الحانة: «أؤيد ذلك، ما دام سيمنع أي شخص من التقيؤ في حديقتنا. إلا إذا قُضي على الجميع قبل أن يصلوا إلى حفلنا».

أدارت فيفي رأسها بالاتجاه الذي تنظر إليه ريجان، ورأت فتيات من الثيتا يتجمعن بالقرب من البار. على الرغم من ادعائهن -بصفتهن ناديًا نسائيًّا- أن يُحَسِّنَّ من صورتهن العامة بعد فضيحة الكتيب المنشور، فإن هؤلاء الفتيات ما زلن على عهدهن في اتباع موضة تسريحات الشعر الموصى بها في الكتيب البائس، إلى جانب الأحذية المنبسطة كأحذية الباليه، وحقائب يد لونغشامب المصنوعة من النايلون المقوى المطعم بالجلد الفاخر.

بعد برهة، دخلت فتاة أخرى ترتدي حذاءً منبسطًا، وانضمت إلى فتيات الثيتا، على الرغم من أن شعرها الورديَّ ينافي موضتهن المُتَّبعة. إنها نفس الفتاة التي رأتها في المطعم تلك الليلة. ارتجفت مجددًا لمرآها، وتذكرت عندما ظنتها تيفاني حينها، ثم عادت لتنتبه إلى أخواتها.

قالت ريجان على الرغم منها: «لا أريد أن يُساء الظن بكلامي. ولكن أعتقد أن هذه الخطة قد تكون أقل مما نطمح إليه. أعني، لا يمكن أن نُحمِّل أنفسنا فوق طاقتها، أليس كذلك، يا فيفي؟».

تدخلت أريانا في الحديث فجأةً: «عفوًا. لم تكوني هناك تلك الليلة عندما أنقذت فيفي حياتنا؟ لم أركِ توقِفين عاصفة هادرة، أو شيئًا من هذا القبيل، يا ريجان».

اتسعت عينا ريجان في تأثر: «لم أقل قط إنها ليست قوية. لكن ليس بما يكفي. أعتقد أن فيفي ستكون أول من يعترف بذلك، فلا يزال أمامها الكثير لتتعلمه عن فن إلقاء التعاويذ. أعني، إذا تلاشى السحر خلال الحفل، سنواجه مأزقًا خطيرًا».

توقفت لتأخذ رشفة من الشراب، لكن سرعان ما تجهمت وبصقته مرة أخرى في الكأس. فقد تحول شراب الصودا الخاص بها، إلى مادة سميكة بُنية داكنة. فصاحت بهن: «من التي حوَّلت شرابي إلى مرق لحم؟».

ردت بايلي مازحة: «أعتقد أن عليكِ تعلُّم بعض التعاويذ الدفاعية».

مرت لحظة توتر صامتة، ثم انفجرت الفتيات الخمسة في الضحك.

غمغمت ريجان وهي تمسح فمها بالمنديل: «حسنًا، أستحق ذلك. لكن كيف لي أن أحصل على شراب آخر؟ لن أذهب إلى البار وأتجاذب حديثًا عابرًا مع فتيات الثيتا هناك».

سألت أريانا: «ما السبب، في ظنكن، وراء رغبة الثيتا في منافستنا؟ ألم يتفهمن بعد أن الكابا نوع مختلف عن بقية النوادي النسائية؟».

أجابتها فيفي: «لقد أخبرتني سكارليت أن ماريا تلقي باللوم على داليا لتسريبها الكتيب».

علَّقت ريجان، وقد اتسعت عيناها في عدم تصديق: «حقًّا؟ أظن أنها مجرد ذريعة، تستخدمها لتتعدى على مكانتها كأفضل نادٍ نسائيٍّ مرموق في الحرم الجامعيِّ كله. أم لعلها استراتيجية جديدة للدعاية. إنها حرفيًّا، أكثر خطة مضللة قد أسمع عنها بحياتي».

سألت بايلي، تستطلع المزيد عن ماريا بفضول: «ما هي خططها؟».

أجابتها ريجان في استهجان: «تقصدين إلى جانب نشر آلاف الصورة الشخصية لها بجوار اقتباسات تدور حول الإيجابية؟ لا أعرف. لكنها تتصرف كما لو أن الحرم الجامعيَّ كله ملكٌ لها، لمجرد مواعدتها لابن فينس لِي».

سألتها أريانا: «تقصدين لاعب كرة القدم؟ أليس هو أسطورة ويسترلي؟».

حبست فيفي أنفاسها.

فينس؟ أليس هذا هو اسم أبي الذي أفصحت عنه أمي، دون قصد.

لقد أمسكت عن البحث عنه، حتى هذه اللحظة، ولكن لو أن لديه ولدًا بالفعل هنا، بالحرم الجامعيِّ، ألن يعني هذا أن لديها... ارتجفت قليلًا، ومدت يدها إلى هاتفها، وكتبت في محرك البحث «فينس لي ويسترلي»، عثرت على مئات النتائج، لكن قفز نظرها لنتيجة بعينها، تشير إلى عام 1998. لقد سبق دافني في التخرج بعام واحد فقط، مما يعني أنهما كانا في الحرم الجامعيِّ في الوقت نفسه. هل يحمل لاعب آخر بالفريق نفس الاسم؟

أومأت ريجان برأسها، ثم أضافت: «ومن المفترض أن ابنه تِيم، يفوق والده مهارة. ولذا يُحتمل أن يترك الدراسة مبكرًا ويلتحق مباشرةً بالاتحاد

الأميركي لكرة القدم. عندها، يمكن لماريا أن تحقق اللقب الاسمي الذي تحلم به».

نظرت الفتيات الأخريات إليها في عدم فهم.

- أعني لقب زوجة رياضيٍّ محترف، ومن ثم، تنفق من ماله الوفير على جمع المجوهرات، وإقامة الولائم الباذخة.

حاولت فيفي أن تحافظ على وجه خالٍ من التعبيرات، رغم نبضات قلبها المضطربة. بحثت في قوائم فريق ويسترلي لكرة القدم، مارَّةً بالأعوام التي قضتها أمها في الجامعة. لا يوجد إلا فينس لِي واحد فقط بالفريق، لا بد أنه هو، أبوها.

قالت سونالي بابتسامة، وهي تجذب خصلة من شعر ريجان العجيب اللامع: «تتحدثين كأنكِ شخص يصدِّق الحكم على الآخرين».

ردت ريجان بسخط: «لم أتحمل ثمن وليمة باذخة من قبل. بل فعلت مِي ذلك من أجلي».

سألت بايلي: «فيفي، هل أنتِ بخير؟ لماذا تحدقين إلى الفراغ بهذه الطريقة؟».

- آسفة، لا شيء.

هزت رأسها، ولكن حركتها تلك لم تبدد السؤال الذي كَبُر بعقلها، دافعا أي فكرة أخرى جانبًا.

هل لديها أخٌ غير شقيق في ويسترلي؟ ومضت أمام عينيها الوحدة التي عاشتها في طفولتها، وساعات الظهيرة الطويلة اللانهائية التي قضتها في منازل ميسورة التكلفة قليلة الأثاث، في انتظار عودة والدتها من العمل. طالما جال بخيالها لو أن لها أخًا أو أختًا، لكنها تخلت عن تلك الفكرة منذ مدة طويلة.

ابتسمت أريانا قائلة: «أعرف ما الذي تفكر فيه. لقد دخل لتوه إلى الحانة».

التفتت فيفي حيث تنظر أريانا، فرأت مايسون يدور بعينيه حول الغرفة. بنظرة خاطفة إلى حقيبته المنتفخة والدفاتر تحت ذراعه، يبدو أنه جاء مباشرةً من المكتبة، ليندهش من وجوده فجأةً في مكان مزدحم وصاخب.

أردفت فيفي بابتسامة لطيفة: «لا تتظاهري بأنكِ قارئة أفكار، يا أريانا. نعلم أنها ليست من قواكِ السحرية».

بجانب أنها ساحرة كؤوس، لديها عدة مواهب أخرى، ليست من بينها قراءة الأفكار، بل قراءة التعاويذ قبل أن تخرج من بين شفتَي الساحرات. مثلها في ذلك مثل ريجان، ساحرة الصولجان.

- سأعود على الفور.

وقفت ولوَّحت له، مخترقةً دائرتهن السحرية لفترة وجيزة. عندما التقت عينا مايسون بعينيها، تحول عبوس وجهه إلى ابتسامة كبيرة، بعثت بقشعريرة دافئة عبر جسدها بأكمله. سار إلى طاولتهن، وأسقط حقيبته على المقعد المجاور لها. قبَّلها على خدها، ثم التفت ليحيي بقية الفتيات. سأل بلباقة: «هل تريد إحداكن أي مشروب؟ يمكنني الانتظار في البار، ريثما تنتهين من اجتماعكن. أعلم أنه لا يُفترض بي الاطلاع على أسرار عُليا».

قالت أريانا بلطف: «لا بأس. يمكننا مسح ذاكرتك إن اضطررنا إلى ذلك».

ضحك على مزحتها، بينما وجهت بايلي نظرة تحذيرية إلى أريانا.

- حسنًا، ولكن ليس قبل أن أطلب من أجلكن جولة أخرى من المشروبات.

ردت ريجان، بجرأة من اعتادت أن يدفع الآخرون ثمن مشروباتها: «سأتناول شرابًا آخر بالصودا».

استرقت النظر إلى البار، ثم ابتسمت بعبثية لفيفي ومايسون، وأضافت: «أتدري، سأذهب معك، فقد دخل لتوه فتى مثير من صف الأنثروبولوجيا الذي التحقت به».

رد متبادلًا نظرة مرحة مع فيفي: «على الرحب».

همست أريانا لفيفي، وهما يبتعدان: «إنه يؤدي دور الحارس. ليت لدي شابًّا مثله. أتساءل إلى أي مدى تنجح تعاويذ الاستنساخ؟».

حضرت النادلة إلى طاولتهن بابتسامة واسعة: «هل تُردن طلب بعض الطعام؟ أو شراب آخر؟».

حدقت الفتيات إلى وجهها في ذهول، نادرًا ما تفشل تعويذات بايلي للإلهاء.

قالت فيفي، فيما تبادلت نظرات قلقة مع سونالي وأريانا: «أعتقد أننا نحتاج إلى دقيقة، من فضلك».

ردت النادلة، وصينية الأكواب المتسخة مرتكزة عند خصرها: «لا مشكلة، سآخذ هذه الأشياء وأعود مجددًا».

قبل أن تبتعد، اصطدمت بشيءٍ ما وطارت الصينية من يدها. لم تستطع فيفي الرؤية بوضوح من خلال السائل البارد الذي تدفق على وجهها. لهثت ونظرت حولها عابسةً. حدث الشيء نفسه لأريانا وبايلي وسونالي، وتحولت طاولتهن فجأةً، لبِركة من النبيذ، وغرقت الفتيات في سائل لزج.

بعدها ببرهة، تأرجحت فوق رؤوسهن ذراع مفتولة العضلات لرجل ضخم ذي شعر أشقر قصير، وجَّه لكمة إلى رجل أضخم منه، أسود الشعر. قفزت بايلي من مقعدها واستدارت حول الطاولة مبتعدةً عن مضمار الشجار، بينما ألصقت سونالي ظهرها إلى الحائط لتفاديه.

صرخت النادلة: «مهلًا! توقفا عن ذلك في الحال».

تجاهلها الرجلان عندما انضم إلى شجارهما رجلٌ ثالث حسن البنية. وفي غضون ثوانٍ، انكبوا جميعًا بعضهم فوق بعض.

- عِراك! عِراك! عِراك!

تجمهر حشد حولهم يتصايحون، ولم تُبدِ إحداهن أي قلق من استمرار هذه المنازلة فوق طاولتهن. طارت قبضة قوية تستهدف وجنتَي فيفي، فصُعقت وتفادتها جانبًا في آخر لحظة.

سمعت صوت مايسون: «ماذا يجري بحق الجحيم، يا رجل؟».

ورأته يندفع من بين الحشد، ليشد أحد الرجال بعنف، وينزله عن الطاولة. بينما اعتدل الرجل الأشقر موجهًا قبضته إلى مايسون: «هلَّا اهتممت بشؤونك الخاصة يا جريجوري؟».

رفع مايسون ذراعه ليمنعه: «حسنًا، تعد صديقتي شؤوني الخاصة. ويبدو أنك وجهت لها ضربةً لتوك».

لم تر فيفي تلك النظرة الشرسة في عينَي مايسون من قبل، بينما تفرس الرجل الأشقر بها صعودًا وهبوطًا، ثم أطلق ضحكة خسيسة: «أنا متأكد من أنها فعلت شيئًا مؤخرًا لتستحق اهتمامك».

رد عليه مايسون بنبرة باردة هادئة: «لا يجب عليك التحدث بهذه الطريقة عن أي أحد، وخاصة عن صديقتي. اعتذِر الآن».

سدد الرجل الأشقر ضربة في معدة مايسون، صدر عنها صوت ارتطام مكتوم، جعلها تفزع مطلقةً ساقيها للريح. ضاقت مساحة رؤيتها للمشهد، نظرًا للحشد الذي تضاعف في دقائق معدودة، حتى إن بعضهم وقف على المقاعد والطاولات من أجل زاوية أفضل لمشاهدة القتال المستعر.

دون تفكير، أغمضت عينيها، وهمست: «*أيتها الإمبراطورة. خففي من وطأة نكبتي*».

إنها التعويذة الشاملة التي تعلمتها من سكارليت في الفصل الدراسيِّ الماضي، من أجل الطوارئ.

كررت بنبرة أعلى: «أيها الإمبراطور، أيتها الإمبراطورة».

ومدت يدها في حقيبتها، تبحث عن بطاقات التارو خاصتها، ثم تحسست سطح البطاقات بأطراف أصابعها، وأكملت: «خفِّفا من وطأة نكبتي».

جذبت انتباهها الفتاة ذات الشعر الورديِّ، التي ترقبها باهتمام عبر الحشد. بدت هادئة وساكنة، رغم الفوضى التي تجري أمامها. لم تدُم دهشة فيفي طويلًا، إذ رأت أحد المتشاجرين يهاجم مايسون، مصيبًا فكه بقسوة.

ما الذي حدث لهؤلاء الرجال؟

نظرت إلى الأسفل، وقد ظهرت البطاقتان المطلوبتان أعلى مجموعة التارو، فانتزعتهما على الفور. بدت الإمبراطورة هادئة ورزينة، في حين استعد زوجها الإمبراطور لدعمها. أغمضت عينيها لتركز بكل قوتها: «أيها الإمبراطور، أيتها الإمبراطورة، خفِّفا من وطأة نكبتي».

ساد الحانة صمت متوتر مفاجئ إلا من بعض الغمغمات الجانبية. لكنها لم تعد تسمع أي ضربات أو همهمات أخرى. فتحت عينيها، وشاهدت خصم مايسون يتعثر في مقعد ويقع عليه، في حين ترنح بجانبه آخر ذو شعر

شائك، فأمسك به في الوقت المناسب، وساعده على الاتكاء على حاجز البار قبل أن يسقط. أما الرجل الأشقر، فضغط أنفه النازف بإحدى يديه، ولم يتوقف فقط عن مهاجمة مايسون، بل سار متثاقلًا تجاه المخرج، وتباعد الجميع عن طريقه، فلا أحد يرغب في الاقتراب مع كل الدماء التي تغطي قميصه.

بينما تتابع الرجل خارجًا، تحولت الحانة كليًّا فجأةً، بدلًا من العوارض الخشبية والطاولات المريحة، اخترقت بعض الأغصان السقف، واستحالت الأرضية طينًا رطبًا. نما فِطرٌ كثيفٌ على سطح الطاولات والمقاعد، وأخذ يتمدد نحوها. شعرت بشيء يلتف حول كاحلها، واختنق صراخها.

ما الذي يجري؟

حاولت تحريك قدميها لتحررهما من قبضة هذا الشيء، لكنها لم تتمكن من الحراك. كانت قدماها مغروستين في الأرض، وامتد نبات اللبلاب يلف ساقيها بإحكام، مُحدِثًا قشعريرة عند ركبتيها.

تغيَّر الهواء، وأصبح خانقًا ورطبًا. سمعت خفقات وضربات أجنحة. تعجبت: *أهذا جراد؟ أم فراشات؟*

هز مايسون مرفقها: «فيفي!».

ظهر وميض، ثم عاد كل شيء لمكانه: السقف العادي، والأرضية المعتادة. وحتى الحشد، انصرف الكل إلى طاولاتهم الخاصة ومشروباتهم. انتهى العرض للتو. أخذت أنفاسًا عميقة، تتلمس بعض السكينة، رغم ضربات قلبها المتسارعة.

منذ لحظة، شعرت وكأنها عادت للبقعة ذاتها بالغابة. تائهة في الظلام، والعاصفة العاتية. هزت رأسها. هذه مجرد ذكرى سيئة، ليس أكثر. سألها مايسون: «هل أنتِ بخير؟».

تمكنت من التعرف على وجهه، رغم تلك الكدمة على وجنته، وكرة الثلج الملفوفة في مناديل في قبضة يده. قالت وهي تتحسس فكها، بالكاد لمسها ذلك الرجل بقبضته: «أنا بخير. لكنني قلِقة بشأنك».

التقطت كرة الثلج من يده، ووضعتها على فكه. أجبر نفسه على الابتسام، لكنه جفل من الألم: «إنه لا شيء بالمقارنة بحال دانتي».

أشار بجانب عينيه إلى الرجل ذي الشعر الشائك، المتكئ على البار. بالنظر إلى تورُّم وجهه، بدا أنه على وشك فقدان الوعي.

نقلت نظرها من ذلك المقاتل إلى مايسون: «هل تعرفه؟».

- كان معي في البيكا.

إذن، إنه زميل سابق له في الأخوية، قبل أن يتركها العام الماضي. تعلم فيفي أن معظم أصدقائه المقربين ما زالوا أعضاء في البيكا أيضًا.

هز مايسون رأسه: «إنه أحد ألطف الرجال الذين أعرفهم. لا أفهم ما الذي أصابهم».

- هل كانوا في حالة سُكْر؟

أجاب متنهدًا: «أعتقد هذا. لكن لم أرهم بهذا الشكل من قبل».

استشعرت بعض القلق من نبرته، فاندفعت تلف ذراعيها حول خصره، وتدفن وجهها في صدره.

إنه بخير. الجميع بخير.

مع أنها لا تزال غير قادرة على طرد الغابة من مخيلتها.



الفصل السابع

سكارليت

- أهنئكِ، أيتها الساحرة الصغيرة. لم أكن لأحظى بفكرة كهذه قط. كابا وندرلاند!

جالت سكارليت بنظرها في غرفة معيشة الكابا، التي تحولت محتوياتها العادية من الأرائك التراثية إلى أرائك من الفِطر الطري، حتى السجاد قد شابه العشب الرطب، وتعلقت بحواف الغرفة مرايا خادعة، جعلت المكان يبدو أضعاف حجمه الطبيعيِّ.

تطلَّعت إليها فيفي مترقبة. قالت سكارليت: «ظننتُ أنني سأقابل أكثر من ملكة حمراء وأكثر من أليس».

ثم مدت يدها تبسط طرف ردائها لأسفل، الذي يظهر من تحته فستان قطنيٌّ مريح، مما أشعر سكارليت بالرضا عن زيها الخياليِّ.

- هل تمزحين؟ لن تجرؤ إحداهن. لن يضحين برؤوسهن. أنتِ وحدكِ ملكتنا الحمراء.

وبالطبع، فيفي وحدها هي أليس. لكن العجيب أنها تخشى استعادة أختها الصغرى كامل قوتها، التي تلمحها في كل تفصيلة من تجهيزات الحفل.

توافد الضيوف إلى الحفل، في أزياء تنكرية مناسبة، فظهر القط شيشاير، وزغبة السنجاب، والأرنب مارس. عند مدخل الفناء الخلفيِّ، توازنت على أطراف من النافورة أكواب شاي، يتدفق منها الشراب. وعلى بُعد خطوات،

تجولت مجموعة مؤلفة من فتيات الكابا وفتيان البيكا أمام جدار ضخم من الساعات، مُلحق بلافتة توضح أن الساعات تكشف عن تاريخ ميلاد حبك الحقيقيِّ. تعرَّفت سكارليت على التعويذة المستخدمة على الجدار التي تُظهِر تاريخ ميلاد الشخص الواقف إلى جوارك.

أطلقت عليه مِي اسم جدار الشرارة، أما فيفي فاختارت له اسم جدار القلوب، ذلك الاسم الذي تعتقد سكارليت أن المؤلف لويس كارول كان ليفضله. رأت مِي تتفاعل مبتهجة، عندما عرضت الساعات سلسلة من الأرقام لشاب لطيف من البيكا، جذب انتباهها منذ الفصل الدراسيِّ الماضي، الذي يبدو وسيمًا في زي تويدلدي.

حيَّاها الشاب بغمزة من عينه: «مرحبًا، هذا عيد ميلادي».

ردت مِي: «أحقًّا، يا شيرلوك».

قال متظاهرًا بالجدية: «لستُ شيرلوك، أنا تويدلدي».

- بالطبع أنت كذلك.

عبَّرت سكارليت عن رأيها بالتخاطر إلى مِي. حيث يبدو أنه أفرط في الشراب خلال حفل الثيتا المبكر: *«لستُ متأكدة إذا كان هو الشخص المناسب، يا مِي»*.

ردت مِي عليها بالتخاطر أيضًا: *«إن ذلك التويدلدي الوسيم ليس بحالته الطبيعية، ربما تجعله دزينة من فناجين القهوة يعود لصوابه»*.

تأملتها سكارليت وشعرها الطويل المموج، المنسدل على كتفَي فستان الملكة البيضاء الذي ترتديه، وهي تتودد إلى الشاب المعجبة به. شعرت بالأسى، ولم تستطع منع نفسها من التفكير بماذا كانت لترتدي داليا لو أنها هنا، أو ماذا كانت لتهمس به تيفاني في أذنها. ربما شاركتها بعض التهكم على موضوع الحفل. لطالما كرهت تيفاني الحفلات ذات الموضوع الخاص. كادت سكارليت تبتسم لتلك الخاطرة، لكنها كبحتها في اضطراب.

لا يجب أن أفتقدها، ليس بعد ما فعلته.

أخذت نفسًا عميقًا وزفرته لتهدأ. لا تزال فيفي بجوارها يشوب وجهها حمرة الخجل، بسبب إطراء أختها الكبرى لعملها.

- أعلم أنكِ طلبتِ مني ألا أبالغ...

أدارت سكارليت عينيها قليلًا: «إنه مبالغ فيه، لكنكِ تفوقتِ على نفسك».

لقد قلقت عندما بدأت فيفي بالإعداد لليوم، حيث انطلقت تلقي التعاويذ على كل شيء، من غرفة المعيشة إلى بار المشروبات، بالإضافة لتعويذة تقاوم الانسكاب التي ألقتها على المنزل بأكمله.

اعتدلت فيفي في سرور، مُبديةً امتنانها لرئيستها، التي شعرت بدورها بالفخر بأختها الصغرى، وبنجاحها في أول مهمة لها كونها مسؤولة اجتماعية. ستكون هذه السنة الأفضل التي تمر على الكابا، بلا شك.

حتى حفل الثيتا المبكر لن يشكل إزعاجًا، فقد عملت جولييت وإيتا معًا على إلقاء تعويذة لدى الباب، تطرد أي شخص حضر الحفل المبكر وقضى معظم يومه هناك. إذ سيشعرون برغبة لا تقاوم في النوم، فيستديرون من فورهم عائدين لمنازلهم. لكن يبدو أن ما حدث مع تويدلدي صديق مِي استثناء وليس قاعدة.

ألقت فيفي نظرة لما وراء سكارليت: «آه، وأعتذر بهذا الشأن».

كان هناك عدد من النوادل يمرون بين الضيوف، يحملون الصواني الملأى بالمُقبلات وأكواب الشراب. استغرقت سكارليت لحظة لتدرك ما تقصده فيفي، ولماذا تعتذر. عندما رأت جاكسون يحمل صينية من كؤوس الشراب، ويقدمها لجمعٍ من الطلاب الجدد بالقرب من المدفأة. توترت وارتفعت حرارة جسدها، ثم بردت فجأةً.

ارتدى جاكسون بذلة صانع القبعات، التي اختارتها فيفي لتصبح الزي الموحد للنوادل. يبدو متأنقًا واثقًا بربطة عنقه الرفيعة، وشعره الممشط للوراء تحت القبعة، رغم اختلاف الزي الكلي عن بنطاله الجينز المعتاد. كأنه لا يأبه مطلقًا لرأي الآخرين في مظهره، كمن يقول: «لا يهمني».

همست فيفي، تتأهب لإلقاء تعويذة ما: «لقد نسيتُ أن أعتذر له عن الحضور. يمكننا إعادته للمنزل، يمكنني الاقتراب منه وإلقاء...».

ردت عليها بجمود: «لا بأس. إنه بحاجة إلى المال. لا أريد حرمانه من وظيفة لمجرد أنه لم يعد يهتم بي».

قالت فيفي في حنق: «إذا لم يكن مهتمًا منذ البداية، لزم عليه أن يعترف لك. لا أن يدفعكِ تجاهه، ثم يصدمكِ أمام الناس. ما هذه الطريقة؟».

- لا أعرف، ولا أهتم فيمَ كنت أفكر، لم تكن لتنجح علاقتنا...

أدركت سكارليت أن لديها الكثير لقوله عن شخص يتظاهر باللامبالاة. لذا توقفت، وأدارت رأسها بعيدًا عنه في شموخ: «لنتخطَّى هذا الأمر».

لسببٍ ما، يصعب عليها التخطي، كما اعتادت سابقًا. ربما يرجع السبب لعواطفها المضطربة بالفعل، منذ الفصل الدراسيِّ الماضي. أو ربما لأنها لا تستطيع منع نفسها من التساؤل. لو أن الأمور جرت على نحو آخر، لو لم تكن هناك أسرار للكابا عليها حمايتها.

وكأنه شعر بنظراتها، رفع جاكسون رأسه يستطلع الشرفة، فتراجعت سكارليت خطوة للوراء. أما فيفي فظلت ممشوقة القامة بجانبها، تنتظر تلقي أوامر رئيستها. غير أن زي أليس الذي ترتديه -ذلك الفستان الأزرق الجميل، ومشبك الشعر المتعلق بخصلاتها الشقراء اللامعة- يتناسب تمامًا مع حماسها البريء.

قاومت سكارليت رغبتها في الضحك، دافعةً فيفي نحو الدرج: «اذهبي! اذهبي واستمتعي بحفلك. تستحقين هذا».

شاهدتها تنزل الدرج لتنضم إلى صديقاتها من الساحرات الصغيرات، ثم تمهلت في خطواتها، في محاولة للملمة شتات نفسها. عادةً ما تعشق الحفلات، وتستمتع برؤية الناس والظهور بينهم، لتنال إعجاب الجميع. أما الليلة، فشعورها مختلفٌ تمامًا، ربما لأنها المسؤولة هذه المرة، أو ربما لأنها حتى في أثناء نزولها هذه الدرجات القليلة، لم تجذب انتباه الكثيرين إليها، كما السابق.

بذلت كل ما في وسعها لتتألق في زي الملكة الحمراء. عدَّلت الرداء قليلًا ليُشابِه رداء بيونسيه في أحد ألبوماتها المصورة، الذي تخلَّت عنه لاحقًا سعيًا لإطلالة جديدة. غيرت فقط لونه من الفضيِّ إلى الأحمر. جعَّدت شعرها في طبقات مرتفعة، وزيَّنته بكومة من الفراولة المستعارة. اهتمت مِي بمكياجها المستوحى من ماري أنطوانيت: شفاه حمراء، وخدان أحمران، وأشكال

صغيرة مرسومة بكحل العين، تعكس بعض المشاعر. إطلالتها خيالية، ومع ذلك لماذا لم يلتفت إليها أحد بالحفل؟

عبرت فتاة أخرى غرفة المعيشة، لها شعر مستعار طويل، يزدان بالورود، وترتدي فستانًا منفوشًا من الجلد الأحمر، وكأنها في حفل كلاسيكيٍّ راقص. إذا كانت إطلالة سكارليت خيالية، فإطلالة هذه الفتاة شديدة الجاذبية. فضَّل الناس الاحتشاد حول تلك الفتاة في انبهار دونها.

فكرت سكارليت: *هل هذه تاكي؟*

ولكن سرعان ما شعرت بمرارة بحلقها، عندما استدارت الفتاة، وأدركت أنها ماريا. وبالتأكيد هذا تِيم، الشاب الطويل ذو الشارب، الذي تتأبط ماريا ذراعه. يرتدي أذنَي أرنب كبيرتين، ويعلق ساعة جيب ضخمة في عنقه، تشبه ساعة مغني الراب الأمريكي، فلافور فلاف. إن تِيم وماريا هما أشهر حبيبَين في الحرم الجامعيِّ. ذهبت سكارليت ومايسون في موعد مزدوج معهما عدة مرات خلال العام الدراسيِّ الأول. توقفت تلك العادة بمجرد حصولها على عضوية الكابا، دون ماريا. سبق لسكارليت أن رأتها تحضر حفلات من قبل، إلا أن هذه المرة، تسعى ماريا لامتلاك الحفل. ما زالت تعتزم المضي في انتقامها السخيف من داليا.

اندفعت سكارليت بين الحشد، تجبر نفسها على الابتسام: «مرحبًا تيم. مرحبًا ماريا. مسرورة جدًّا لحضوركما. لم أتوقع أن تحضرا بعد انقضاء حفلكِ الخاص المبكر».

بدت ابتسامة ماريا الواسعة مفتعلة، وهي تغمز لها: «بالطبع! لم نكن لنفوت حضور حفلكِ المتأخر بأي ثمن».

استشاطت سكارليت غيظًا، وماريا تقارن بينهما بنظراتها الجريئة: «اعتقدتُ أن العقول الضخمة تحسن التفكير، هممم؟ يا لها من صدفة!».

عضَّت سكارليت وجنتها من الداخل، وهي تقاوم الرغبة في الإشارة إليها أن الجلد اللامع لا يتناسب مع التصميم القيِّم لهذا الفستان. لكنها ردت بلطف قدر المستطاع: «حسنًا، تبدين رائعة».

لا بد أنها لم تنجح في إخفاء انزعاجها كليًّا، حيث مدت ماريا يدها لتربت على ساعدها: «أوه، يا عزيزتي، لا تقلقي. تبدين جذابة بدورك».

انتزعت يدها باشمئزاز، ترفض أن تستمر ماريا في محاولة إغاظتها، فهي مجرد فتاة، بينما هي سكارليت وينتر: «كم يسعدني أن هناك من لديها الشجاعة لتعيد موضة فستان اللحم».

توقفت ماريا عن الابتسام، وغرزت أظافرها في ذراع تِيم، الذي ضحك قائلًا: «آخ، ما بالكِ يا حبيبتي».

قالت سكارليت وهي تتجاهلهما مبتعدة: «يجب أن أتحدث إلى بعض الأصدقاء. استمتعا *بالحفل المتأخر*».

مدت ماريا يدها تستوقفها: «أتمنى أن تتمكني من الحضور لحفل الثيتا المرة القادمة! إننا نخطط لحفل مختلط آخر نهاية الأسبوع القادم».

تدخَّل تِيم في الحديث: «ربما يمكنكِ إقناع البيكا بالحضور أيضًا. إن أردتِ أنتِ ومايسون...».

لكزته ماريا بكوعها. يبدو أن مايسون لم يتواصل مع صديقه السابق بالبيكا، منذ خروجه من الأخوية، وإلا لعلم أن مايسون أنهى علاقته مع سكارليت. أما ماريا، فتدل ابتسامتها المصطنعة الواسعة، كابتسامة القط شيشاير، أنها على علم بالأمر.

ردت ببرود: «لم يعد مايسون عضوًا بأخوية البيكا بعد الآن. كما أحتاج أن أتحقق من جدول مواعيدي. لا يزال لدى البعض منا صفوف دراسية للالتحاق بها، على أي حال».

ثم أومأت لهما ثانيةً، وتعذرت بالانصراف.

عليكِ اللعنة.

صحَّ ما قالته أوجيني. تعلن الثيتا الحرب عليهن بشراسة من أجل حفل الربيع هذا العام. لا يُعقل أن تعمل ماريا على استضافة حفل في نهاية كل أسبوع بلا سبب. خاصة بعد الصدام الذي حدث بينهما حول الحفل المبكر.

كان يجب عليها أن ترسل فتاتين من الكابا إلى الحفل آنذاك، ليتحققا إذا ما كان حفلهن يصبو لمستوى المنافسة بالفعل، ويستحق القلق بشأنه.

يصعب تصور أن تخاطر الثيتا بسمعتها طويلة الأمد -وبمركزها، كونها ثاني أفضل نادٍ نسائيٍّ- في حين أن فتيات الكابا يستطعن عمل أي شيء بفرقعة إصبع.

ارتفعت أصوات الثرثرة وقرع الكؤوس في أرجاء المنزل. وبينما تخطو إلى داخل الصالة الرئيسية، لمحت الشاب الذي ساعدته سابقًا في اكتشاف الاتجاهات -*زافيير، أليس كذلك؟*- يرتدي حُلة سوداء من رأسه حتى أخمص قدميه، ويتسمر كالتمثال بالقرب من المدخل.

ماذا الذي يفعله هناك؟

اتجهت نحوه، وتفرَّق الحشد بيسر من أجلها، كما اعتادت دائمًا. قالت عند وصولها بقربه: «أتدرك أن هذا حفلٌ تنكريٌّ؟».

رد عليها: «بلى، ولذا أرتدي زيًّا».

- كيف يُعد زيًا، في حين عليك شرحه.

قال رافعًا ذراعيه في انحناء إلى جانبيه: «أعترض، إنه من أفضل الأزياء. ألم تسمعي من قبل عن الشاب البستوني، صاحب القلب الأسود؟ الشاب الذي أمرت الملكة الحمراء بإعدامه. واتضح لاحقًا أن الشاب البستوني ليس هو المذنب، بل الشاب السُباتي اللعوب».

سألته: «هل لدى لويس كارول علم بهذا الشاب اللعوب؟».

أخرج زافيير بطاقة من جيبه، وناولها إياها: «إن شهرته محدودة».

جعلتها بطاقة الشاب السباتي الذي يتحدث عنه، تبتسم في ارتياح، على خلاف ما توقَّعَت: «لا أعتقد أنك ستفوز بمسابقة الأزياء التنكرية الليلة. يمكنك الاستمتاع بالحفل فقط».

أحنى رأسه في وقار: «أشكركِ على لطفكِ، يا صاحبة السمو».

قالت بلطافة: «لا يجب أن تحني رأسك أبدًا للملكة الحمراء».

- لا مانع لدي في مواجهة بعض الخطر. أعتقد أن الملكة تمل الحديث معي، على أي حال.

بل على العكس، فقد شعرت بقليل من الاسترخاء. من الجيد أنها تستطيع الحديث مع أحد لا يعرف أي شيء عنها، أو عما تمر به. رفعت ذقنها عاليًا،

متظاهرةً بعدم الاكتراث: «إذن، كيف ترى حفلنا بالمقارنة بالحفلات التي حضرتها في...».

أكمل جملتها: «جامعة فاندربيلت».

ثم صمت وأطال النظر ببطء حول الغرفة: «سأخبركِ في أثناء تناول القهوة، إذا قبلتِ الخروج معي في موعد غدًا».

قالت بنبرة ساخرة: «هل أخبرك أحد من قبل أنك لحوحٌ للغاية؟».

انحنى كأنه يشكر جمهورًا وهميًّا: «إنه اسمي الأوسط».

واستطرد: «التاسعة صباحًا في جريند».

مقهى الحرم الجامعيِّ، لا غيره! تفضل سكارليت ردهة تايلور الخاصة بالطلاب الأقدم، لكن كيف له أن يعرفه؟ ما زال جديدًا هنا.

حدقت إليه قائلة: «لم أوافق بعد».

بعد يومٍ مُضنٍ من النزاعات، كما لو أن السماء أمطرت وأرعدت طوال يوم كامل، يظهر زافيير أمامها، ببساطة، كقوس قزح مبهج.

- ولم ترفضي أيضًا.

لم تستطع المقاومة، فتظاهرت بالنظر نحو الحشد، نحو النوادل المارين بينهم. لا يمكنها أن تلمح جاكسون من مكانها، لكن يظهر أن زافيير فهِم تعبيرات وجهها وما تحاول فعله.

اتسعت عيناها وقالت: «لا. قلتها أخيرًا. هل أنت سعيد الآن، يا سيد زافيير؟».

- آه، لقد فهمت.

تغيرت وقفته فجأةً. استقام بجذعه، وأخفى يديه في جيبيه: «يبدو أن السيدة لدينا هنا مرتبطة. لا داعي للقلق. يمكنني ملاحظة ذلك».

واستدار تاركًا إياها تشتعل غضبًا. لم تكن سكارليت وحدها التي تراقبه يبتعد، بل وعدد من الفتيات أيضًا. فوجهت انتباهها للحفل مرة أخرى.

ما الذي فعلتُه؟

نعم، تُسيء التصرف أمام الناس. لقد رفضَت شابًّا ممتازًا لتوها. من الممكن ألا ينظر إليها مجددًا. كما لا توجد رغبة لديها لمواجهة جاكسون، ليس في وقت قريب، على الأقل. خاصةً، بعدما أوضح عدم اهتمامه بها. لكن وجوده بالجوار، يفقدها القدرة على المقاومة. ولا تستطيع أن تغفل إحساسها أن هناك خطأً ما. تشعر أنه ليس على طبيعته. لطالما كان متحدثًا لبقًا، إن لم يُرِد أن يتقرب منها، لَما اضطر أن يخدعها.

وماذا لو تذكَّر أكثر مما ينبغي؟ ما الذي يجب عليها فِعله لو فشلت تعويذة محو الذاكرة. أتحاول ثانيةً؟ تكره التفكير بالأمر. وماذا لو تذكَّر، يجب أن يكون ولاؤها للكابا، مهما حدث.

فجأةً، كما لو أنها استحضرته، لمحت شعر جاكسون المجعَّد الذي تألفه. يختفي عند زاوية الصالة الرئيسية قاصدًا الردهة. مجرد رؤيته جعلت قلبها يخفق بقوة. لكن الردهة التي يتجه إليه أحيطت بشرائط مخملية كبيرة، معلقٌ عليها لافتة يستحيل إغفالها: «*خاص بعضوات الكابا*».

ما الذي يفعله؟ ربما ضلَّ طريقه باحثًا عن الحمَّامات. خرجت من الصالة، وصلت لمنطقة الشرائط الخاصة، وتخطتها. دارت حول الزاوية التالية للردهة، حيث يقع دولاب التخزين، ومن ورائه، الدرج الخلفي الذي يؤدي إلى الطابق السفليِّ. إنها لا تريد -حقًّا- أي تطفل أو تربص من أحد، حتى لو كان جاكسون نفسه. عندما دارت عند المنعطف، جمدت مكانها، وحبست أنفاسها. شعرت كما لو أنها تلقَّت لكمةً قويةً في معدتها.

رأت جاكسون مستندًا بانحناء إلى باب القبو، لكن ليس وحده. وقفت إلى جواره فتاة ترتدي تنورة بلاستيكية لامعة، تقبض على ظهر رقبته. همست له بشيءٍ ما، فاصطدمت شفاههما ببعضهما بعضًا. في غضون ثوانٍ، شعرت سكارليت بانقباض بمعدتها، عندما نظرت الفتاة تجاهها. إنها فتاة الثيتا نفسها.

كايت!

قبَّلها جاكسون ثانيةً، فانصرفت سكارليت منفطرة القلب.



الفصل الثامن

فيفي

ابتسمت فيفي لمرأى فتاتين في رداءين مثيرَين -ترتدي إحداهما زي الأرنب الأبيض، وترتدي الأخرى زيًّا دوديًّا، يشبه خرطوم المياه بالحديقة إلى حد كبير- تحدقان إلى طاولة المرطبات.

تفتخر فيفي بما صنعته بالطاولة، الملآنة بأطباق شتى من المعجنات الملونة: الكعكات الضخمة ذات اللونين الوردي والأبيض، وحلوى الإكلير بنكهة الخزامى في حجم علبة ثقاب صغيرة، وفي أحد أطراف الطاولة، وُضع إبريق شاي فضي عملاق، يُصدِر صفيرًا وينفث البخار.

سألت الفتاة ذات زي الأرنب، وقد مالت نحو الإبريق تتفحصه: «كيف فعلن ذلك؟».

شدَّتها الفتاة الأخرى من ذيل ردائها الأبيض، حتى لا تحرق أنفها الورديَّ الملوَّن: «احذري! سمعت أنه استُعين ببعض خبراء المؤثرات الخاصة من لوس أنجلوس. لا بد أن الحفل كلفهن ثروة».

تطوف فوق رؤوسهما مصابيح زجاجية صغيرة على شكل فناجين شاي، تتناسب مع الثريات الضخمة المسحورة، وتمتد حتى الحديقة الخارجية. بدا كل شيء وكأنه حفل شاي خياليٌّ نبضت به الحياة، باستثناء ركنٍ بالفناء، خُصِّص للرقص فوق رقعة ضخمة من الشطرنج.

عملت كلٌّ من أخواتها عملًا سحريًّا لا معقولًا، تحت توجيهاتها مباشرةً. صَدَقت سكارليت القول، عندما مدحت عملها قبل بدء الحفل. ما زال صدى كلماتها يتردد بعقلها: «*إنه عمل مدهش*».

ابتسم مايسون إلى جوارها، وضوء الشموع ينعكس على عينيه: «لا بد أن لديكن -يا فتيات الكابا- ميولًا درامية».

تظاهرت فيفي بالغضب: «تقصدنا نحن؟ دراميات؟ على الإطلاق».

انحنت تمرر طرف إصبعها عند منتصف صدره. يدهشها تأنق مايسون المثير في زي صانع القبعات الخاص به: معطف أرجواني، وربطة عنق، وقبعة كبيرة الحجم.

- لكن عليك الاعتراف أننا ماهرات في إقامة الحفلات.

ضمها إليه، رافعًا وجهها ناحيته: «رائع جدًّا».

انحنى إليها حتى استقرت جبهته على جبهتها. فاتكأت عليه تشبُّ بقامتها لأعلى لتُقبِّله، ثم تملصت من بين ذراعيه مبتسمة: «لا يزال هناك ضيوف عليَّ أن أرحب بهم».

اقشعر مايسون في انزعاج: «تعلمين لمَ تركتُ عالم الأخويات، أليس كذلك؟».

- تستطيع الانصراف وقتما تشاء! تذكَّر ما قلته لك أنه ليس عليك الحضور، إن لم ترِد.

نظر حوله في إعجاب، محركًا يده بطريقة استعراضية: «ماذا؟ كيف أنصرف قبل أن أشهد تفوقك؟».

أمسكت يده، فانتهز الفرصة، وأخذ يلفها حول نفسها في دوائر، وتنورة فستانها الأزرق تحوم حولها. حدقت إليهما بايلي ما إن لمحتهما: «لمَ أنتما في غاية اللطف. يجب أن تحصلا على تصريح قبل الظهور معًا هكذا في الأماكن العامة».

رد مايسون على استهجان بايلي: «يا إلهي! هل أفهم من ذلك أن موعدكِ لم يسِر على ما يرام تلك الليلة؟».

فقد سمعها في إحدى المرات تشتكي من صعوبة الالتقاء بشاب يدرس الأدب الفرنسيَّ، مما جعله يعرض عليها مقابلة صديق له.

صاحت بايلي في عتاب: «كان عليك تحذيري أنه يشبه آدم ساندلر في طبعه».

هز مايسون رأسه: «أخبرته أن هذا موعد غراميٌّ وليس صفًّا دراسيًّا جديدًا. آسف يا بايلي. لكن أقسم لكِ إنه معجب بك».

اخترقت أريانا طريقها من بينهما، تحمل كؤوس شراب بيديها. رغم حركتها السريعة، لم تسقط منها نقطة واحدة. هذه ميزة أن تكون ساحرة كؤوس: «حسنًا، لقد أثبتت هذه المشروبات فعاليتها في مقاومة الثمالة».

تناولت فيفي من أريانا أحد الكؤوس: «أنتِ بطلتنا».

ثم ابتسمت لريجان وسونالي، الواقفتين بالقرب منها.

- بالمناسبة، أحسنتِ صُنعًا يا سونالي. هذه الصورة الهولوجرامية للفلامنجو أفقدت الناس عقولهم.

أجابت سونالي في تواضعٍ: «تعلمتُ هذه الحيلة من حفلات العشاء التي تقيمها أمي».

أوشكت أن تسألها عن حفلات أمها، عندما تجهمت ريجان فجأةً، تمعن النظر في شيءٍ بعيد: «انظرن!».

وفي تلك اللحظة، سمعت فيفي شخصًا يتنحنح. استدارت لتجد فتاة مألوفة ترتدي زي الملكة الحمراء -لن تسعد سكارليت بذلك- وتتأبط ذراع رجل أسود الشعر، يحمل ساعة جيب كبيرة الحجم. ومن ورائهما، تقف الفتاة ذات الشعر الورديِّ، التي رأتها من قبل.

سألتها الملكة الحمراء بابتسامة عريضة: «أنتِ فيفي، أليس كذلك؟ سمعتُ أنكِ من يشكرها الجميع على هذا الحفل».

ثم مدت يدها: «أنا ماريا، وهذا صديقي، تِيم، وهذه روز، إحدى عضوات الثيتا».

تِيم.

تنفست فيفي بصعوبة، وهي تتطلع إلى ابن فينس، الصبي الذي قد يكون شقيقها. تراه كلاعب ظهير رباعي شهير، بفك مربع ووجه مستطيل، يتشابه مظهره مع شخصية غاستون في قصة الأميرة والوحش. رغم أن تعبيرات وجهه تبدو عادية خالية من الرهبة. بصرف النظر عن شعره الداكن، ليس هناك شيء آخر مشترك بينهما. لكنهما نِصف شقيقين، بالنهاية، ربما يشبه تِيم والدته.

- إممم، شكرًا لك.

ألقت نظرة سريعة على صديقاتها. قطبت ريجان جبينها، في حين لم تُبدِ باقي الفتيات: أريانا، وبايلي، وسونالي، أي اهتمامٍ بالأمر. ترددت لحظة قبل أن تمد يدها إلى ماريا. هزت الفتاة الأخرى أيديهما بتكلف. ذكَّرتها بمقابلات العمل التدريبية في أثناء دراستها بإحدى المدارس الثانوية التي التحقت بها.

قالت ماريا وهي تطلق يد فيفي: «أنتِ ماهرة في التخطيط إذن، لتُخرِجي هذا العمل كله. مؤسف جدًّا، أننا لم نحصل على مساعدتكِ من قبل، وإلا لأصبح حفلنا المبكر أفضل من حفل هذه الليلة».

قالت ريجان بلطف مصطنع: «ربما كان عليك التفكير في ذلك قبل التخطيط لحفلين ينافسان حفل الكابا».

رفعت ماريا حاجبها، وأطلقت نظرة ذات مغزى تجاه كأس ريجان: «أعتقد أنني سمعت أيضًا عن الضيافة المتميزة للكابا».

سارعت بايلي إلى مقاطعتهم، قائلة: «هل تحققتم جميعًا من مائدة الحلوى؟ يجب عليكِ تجربة حلوى الإكلير قبل أن يُقضى عليه».

صاح تِيم في سرور: «إكلير؟».

هزت ماريا رأسها بحزن: «أتبع حمية الثلاثين يومًا، كما أن روز لا تتناول الجلوتين».

ساد الإحباط وجه تِيم، فتحيَّنت فيفي الفرصة: «يجب عليك تجربتها، إنها حلوى مذهلة. تعال، سأريك!».

أثار حماسها ارتباك مايسون، ولكنها تجاهلته، إن رعاية ضيوف الحفل جزءٌ من دورها كونها مسؤولة اجتماعية، على أي حال. حتى لو اضطرت إلى إرشادهم بضع خطوات حيث طاولة المرطبات، ستفعل ذلك برحابة صدر.

قالت بوجه بشوش، بينما تناول تِيم أحد الأطباق: «ها نحن أولاء! أما زلت تستمتع بالحفل؟».

قال تِيم مُركزًا انتباهه على ملء طبقه بالحلوى الملونة: «هاه؟ نعم، بالطبع. حفل جيد».

- إلى أين ستذهب نهاية هذا الأسبوع؟

قضم قطعة من حلوى الكريمة المغطاة بالسكر بقوة، فطار معها بعض مسحوق السكر في الهواء: «أظن إلى بعض الحفلات الأخرى، إلى جانب مباراة الأحد، بالطبع».

كررت وراءه دون وعي: «بالطبع».

شعرت بوخز خفيف من خيبة الأمل. لو كانا، هي وتِيم، نِصف شقيقين فعلًا لزمن طويل، لحدث بينهما نوع من التلاقي في الطباع: ألفة طبيعية، أو وئام عائلي. لكن ما يجري بينهما شديد الغرابة.

- درس والدك في ويسترلي مثلك، صحيح؟

نظر تِيم إليها بدهشة، من بين كومة المعجنات في طبقه، وقد علِق بعض مسحوق السكر بأنفه. يتراءى لها ككلب لطيف أمسكت به متلبسًا للتو يعبث بالثلاجة: «لا بد أنكِ معجبة كبيرة بكرة القدم الجامعية».

- أوه نعم، جدًا. إنني أحبُّ الألعاب الرياضية.

قالت بوهن، مع أنها تعلم أنه لا يمكن لأي سحر في العالم أن يجعلها عاشقة لكرة القدم: «في الواقع، لا، ليس بالضبط. أنا... إمممم...».

على غير المتوقع، لم ينزعج من تلعثمها، بل انهمك في تناول الحلوى بهدوء، ناظرًا إليها. لديه ما يكفيه في طبقه حتى يتبين بالضبط ما الذي تحاول هذه الطالبة الجديدة قوله. رد في نبرة جافة: «لا أعرف الكثير عن أبي، إن كنت تسألين عنه».

- إذن، لستما على اتصال؟

- لم تتحدث أمي عنه كثيرًا. لم أعلم حتى أنه نجم كرة قدم مشهور إلا منذ فترة قريبة.

- وأنا كذلك!

حدق إليها بوجه جامد. لا يمكنها الاستمرار في لعبة الغموض هذه. فهي ليست بارعة في مثل تلك الألعاب. إن لم تصارحه بالأمر سيعتبرها فتاة غريبة الأطوار تثير الريبة، ويظل يتجنبها بقية حياته في ويسترلي.

أخذت نفسًا عميقًا: «حسنًا، ربما يبدو ما سأقوله عشوائيًّا، لكن... لكنني نشأت دون أبي أيضًا. لم أكن أعرف اسمه حتى قبل أسابيع قليلة، عندما ذكرته أمي دون قصد. قالت إن اسمه فينس، وإنه لعب كرة القدم في ويسترلي. وقد تخرجت أمي بعد عام من تخرج والدك».

تأهبت لضحكٍ هستيريٍّ، أو ردٍّ دفاعيٍّ مثل: «*يا لها من مزحة؟*»، لكن بدلًا من ذلك، استمر في تحديقه إلى وجهها لفترةٍ أطول على نحوٍ غامض. قال أخيرًا: «مدهش».

ثم شملتهما لحظة أخرى من الصمت.

- نعم. على الأرجح، ليس هذا ما توقعتَ أن تسمعه هذه الليلة. عندما قالت أمي إنه لعب كرة القدم في ويسترلي، جعلني الأمر أفكر مليًّا... (لم تستطع أن تختم كلماتها بصوتٍ عالٍ) ربما نكون شقيقَين أو شيئًا من هذا القبيل؟

شعرت بالارتياح لأنه أكمل كلماتها بنفسه: «نعم، أو شيء من هذا القبيل».

قال مبتسمًا للمرة الأولى: «إنه شيء لا يُصدَّق».

ردت بسرعة، حتى لا يظن أنها تُولي أهمية للموضوع: «وما الذي يُصدَّق في الحياة. لا تجري الأمور عادةً كما يقول الكتاب أو كما يحدث في مسلسل واقعيٍّ».

- آسف، ما هو اسمكِ مرة أخرى؟

- فيفي.

كرر اسمها وكأنه أحب نغمته: «فيفي. من الجيد أننا التقينا يا فيفي».

ثم هز رأسه ضاحكًا: «آسف، أعتقد أنه حديث غريب بين أخ وأخت».

ابتسمت له ابتسامة عريضة: «إنه وضع غريب، على أي حال. إذن، أين نشأتَ؟».

- لقد ولدتُ في نيو أورلينز، لكننا انتقلنا إلى...

توقف فجأةً، إذ جذب انتباهه أحد المصابيح العائمة فوق الرؤوس. حرصت فيفي ألا تطفو المصابيح إلى الخارج، أبعد من شجرة البلوط الكبيرة في الخلف، حتى لا تثير الشكوك. لكن خرج هذا المصباح عن مساره، وعلِق بالخارج ككرة أرضية معلقة في الهواء، لا يعلوها سوى النجوم.

سقط قلبها، وأردفت بخفة: «إنه سلك غير مرئيٍّ».

- رائع. كيف فعلتنَّ...

لم تسمع كلماته بسبب صوت اصطدام حاد صمَّ الآذان أتى من ركن ما من المنزل. تبادلت نظرات ذهول مع أريانا، التي لا تزال واقفة مكانها تتحدث إلى بايلي ومايسون، على بُعد خطوات قليلة. حركت أريانا شفاهها بما تريد قوله: «*ألعاب نارية؟*».

لكن فيفي أكدت على ريجان ألا تستخدم الألعاب النارية هذه الليلة. كما أن الصوت جاء من الداخل. قالت لتِيم، وهي تجبر نفسها على الابتسام، رغم انقباض معدتها: «أعتذر. عليَّ التحقق من شيءٍ ما. سأعود مجددًا».

ما إن استدارت حتى أرعبها ما حدث. انفجرت تلك الكرة الأرضية العائمة مثل البالون، ناثرةً زخات من قطع الزجاج في كل اتجاه. هرع الجميع للاختباء تحت الطاولات، بما في ذلك روز، التي صرخت بشدة، عندما سقط الزجاج فوق رأسها.

صاحت بها فيفي، راكضةً نحوها: «لا تتحركي!».

لكن شظايا الزجاج انزلقت بالفعل على جلدها، مسببةً جروحًا ووخزات دامية صغيرة. وقبل أن تتمكن من الوصول إليها لمساعدتها، دارت روز حول نفسها، ثم أسرعت الخطى، قابضةً على ذراعها.

نادتها: «روز، انتظري!».

لو أنها فقط تمكنت من الوصول إليها، فستكون قادرة على إلقاء تعويذة شفاء وأخرى لمحو الذاكرة. لكن صوتها راح أدراج الرياح، والمصابيح الزجاجية تنفجر وحدًا تلو الآخر.

وصل إليها صوت أريانا بجوارها كالفحيح، وهي تقول: «ماذا سنفعل؟».

أجابت باحثةً بيدين محمومتين في جيوب زيها، عن بطاقات التارو: «اذهبي واعثري على سكارليت».

لم يتسع زيها لمجموعة التارو كاملة، فتخيَّرت بعضها في حال احتاجت لإعادة إلقاء طارئ، لبعض التعاويذ.

أومأت أريانا برأسها وانطلقت تجاه المنزل، في حين هرعت سونالي لاهثةً تجاهها: «اندلعت النيران، إنهن بحاجة للمساعدة».

نظرت حيث تشير سونالي، ورأت ريجان وبايلي تقفان عند حافة حلقة من النار، تمتد منها ألسنة شاهقة نحو السماء، تفوق ارتفاع الكابا هاوس. ثم بدأت تتسع دائرة النار إلى خارج سور كومة الخشب التي أشعلنها للتدفئة.

همست فيفي في رعب، وكتل مشتعلة من اللهيب تتساقط على شرفات المنزل الخشبية: «يا إلهي».

انطلقت هي وسونالي تجريان، حتى وصلتا إلى جانب بايلي وريجان في الوقت المناسب، لتتشابك أيديهن جميعًا، ويهتفن لاهثاتٍ: «ندعو ملكة الصولجان والنار. ساعدينا على إخماد هذا اللهب».

تطلعت فيفي حولها. فقد علت أصواتهن للغاية بحيث يمكن لأي شخص بالقرب سماعهن. لكن بعد نظرة أخرى للفوضى العارمة التي اجتاحت الفناء، وفتيات الثيتا المختبئات تحت المقاعد والطاولات، يتجنبن الزجاج المهشم على الأرض، بالإضافة لفرار الأولاد تجاه الطريق حاملين صديقاتهم، فلن ينتبه أحد إليهن، أو على الأقل، تتمنى ألا يفعل أحد.

أخذت نفسًا وبدأت في الترديد: «ندعو ملكة الصولجان والنار. ساعدينا على إخماد هذا اللهب».

يمكنها الشعور بالسحر يتدفق على طول كتفيها، وذراعيها، ويمتزج بالطاقة النابعة من ريجان وبايلي وسونالي. لكن قوة السحر المنبعثة منهن

معًا، ليست كما اعتادت من قبل. لسببٍ ما ارتجفن بألم، وكأنهن يقاومن جدارًا من الصُلب. كما آتت تعاويذهن بنتائج عكسية.

ظلت النيران تتصاعد أكثر، ويشتد لهيبها، وتحرق كل ما يقابلها في الجانب الخشبيِّ من الكابا هاوس. أصبحت فيفي تصرخ الآن. لا تستطيع سماع أي شيء، غير أجيج النار المستعرة، ولا تشعر إلا بحرارة بجسدها، والرعب الضاغط على عقلها: «ندعو ملكة الصولجان والنار».

ثم خفت كل شيء وهدأ، لكنها تكاد تُقْسِم إنها لم تسمع فقط، طقطقات النار، بل وصوتًا عاليًا يقهقه أيضًا.

- فيفي!

أمسك شخص ما بكتفيها من الخلف، ففزعت وأفلتت يدها من يدَي أخواتها. فتوقفت دائرة السحر.

تمتمت سكارليت ببضع كلمات إلى جانبها، وبعدها بقليل، اقتربت منهما مِي وإيتا تلهثان. في ثوانٍ، انطفأت النيران، كأنها لم تكن. حتى ألسنة اللهب على جانب المنزل خمدت تمامًا.

قالت فيفي في ارتياح، وزفرت نفسًا طويلًا: «شكرًا لك».

ثم اتضح أنه ارتياح قصير الزمن. حيث دُمِّرَت حديقة الفناء بالكامل تقريبًا، وتغطى العشب بأكوامٍ من الأكواب والأطباق بين قطع الزجاج المتلألئة على الأرض. بدت أعين العدد المتبقي من ضيوف الحفل، على أشد اتساعها من أثر الصدمة، وهم يحدقون إلى الدمار من حولهم فاغري أفواههم.

لم يكن المنزل أفضل حالًا من الفناء. تلطخت الجدران والأرضية والأرائك. كما كسر شخص ما طاولة غرفة الطعام إلى نصفين. وفوق كل ذلك، دوت صفارات الإنذار، اتصل أحدهم بالشرطة.

ترنح الضيوف المتبقون في أثناء مغادرتهم، تاركين فتيات الكابا فقط وراءهم. بالنهاية، استدارت ببطء لتواجه سكارليت، متأهبةً لنظرة عتاب منها، أو اشمئزاز، أو كليهما. لم ترَ إلا جانبًا من سكارليت، التي نظرت بعيدًا عنها وهي تقيِّم حجم الدمار للحظة، قبل أن تبدأ بإطلاق بعض الأوامر: «جيس،

اذهبي لمقابلة الشرطة عند الباب. انظري ماذا يمكنكِ فعله لإقناعهم أننا بخير هنا. سونالي، اذهبي معها. ريجان وبايلي، اعملا على تنظيف هذا».

أشارت إلى الحفرة التي خلَّفتها النار في أرض الحديقة: «مِي وإيتا، أحتاج مساعدتكما في الداخل. جولييت وهازيل، اهتما بالفناء الخلفيِّ».

سألتها فيفي بهدوء: «ماذا عني؟».

ردت عليها سكارليت بابتسامة شديدة البرود. جعلتها ترتجف، ويذهب مع ابتسامتها كل ما تحمله سافانا من دفء: «أعتقد أنكِ فعلتِ ما يكفي لليلة واحدة».



الفصل التاسع

سكارليت

استعاد المنزل رونقه من جديد بحلول الساعة الثالثة صباحًا، بعد ليلة طويلة من العمل. نُظِّفَت غرفة المعيشة بالكامل، بفضل مِي وإيتا. اختفت كل آثار الفرقعات والطعام المتناثر والشراب المنسكب، بعد فرار المدعوين. كما اكتفت الشرطة بالتحذير، فلم يسبق أن تلقَّت شكوى ضد الكابا رو نو من قبل، وخاصةً خلال أي حفل لها.

توقعت سكارليت بالفعل أن تتلقى مكالمة هاتفية من أمها مع بزوغ أول ساعات الصباح، لكنها لم تهتم، فما تحتاج إليه حقًّا هو التركيز. سألت بهدوء: «هل تفهمن جميعًا دوركن؟».

تحلَّقت كل الفتيات على سجادة غرفة المعيشة، حول وعاء من بخور الأعشاب وأوراق شجرة الأرز، ذكية الرائحة، من أجل طقس التطهير والحماية. وضعت كل فتاة أمامها بطاقات التارو الخاصة بها، ولدى كلٍّ منهن بطاقة واحدة مقلوبة للأعلى من مجموعة السيوف.

غمغمت إيتا: «ألا نستطيع فعل ذلك في الصباح، جميعنا مرهقات يا سكارليت».

وجهت ريجان نظرة ثاقبة لسكارليت، وأضافت: «كانت داليا لتسمح لنا ببعض الراحة أولًا».

كزَّت على أسنانها، لتكبح موجة الغضب التي اعترتها. لم تحتج داليا قط إلى مسح ذكريات هذا العدد الهائل من الطلاب دفعة واحدة. لن تتركهن يتذمرن مرة أخرى، كما فعلن حينما أرادت أن تعلمهن شيئًا جديدًا. ليس الآن، على الأقل، ومهمة حماية الكابا واجب أساسيٌّ عليهن جميعًا.

تراخت للوراء قليلًا، ثم قالت: «أنتِ على حق. يجب أن نحصل جميعًا على قسط من النوم. وفي الصباح، عندما يكتب أحدهم «ساحرة» على بابنا الأماميِّ، لن يكذِّبه أحد، فقد رأى كل الناس بالفعل، نيرانًا ضخمة تشتعل وتنطفئ في ظروف غامضة».

قالت مِي، تستوقف أي تذمر آخر: «تحتاج تعويذة الذاكرة للتركيز، والوقت ليس في صالحنا».

شكرتها سكارليت بإيماءة من رأسها، حتى لا تلفت الانتباه أن مِي تقف دائمًا في صفها.

- ألا يجب أن نطلب من ساحرة سيوف أن تقود هذا يا سكارليت؟

سألت ريجان معترضة، دافعةً بسونالي، التي تجلس إلى جانبها أن توافقها الرأي. لم تعرف سونالي ما عليها فعله، اكتفت بمجاراة ريجان، وهزت رأسها بالإيجاب.

تنهدت سكارليت: «أتفهم التوتر الذي نشعر به جميعًا، في هذه اللحظة. لكن ستزداد الأمور سوءًا إن لم نتكاتف معًا (ثم بسطت يديها على جانبيها متأهبةً للبدء) هل أنتن معي جميعًا أم لا؟».

نظرت ريجان إليها، ورفعت ذقنها في تحدٍّ، رغم أن الفتيات بدأن بتشابك الأيدي، واحدة تلو الأخرى. أصرَّت على موقفها، وأحاطت سونالي بذراعها من ناحية، وطوقت فيفي بذراعها الأخرى. حاولت سكارليت ألا تسمح لها بالتمادي في رفضها. لا تعرف ما إذا أمكن أن يفعلن الطقس دونها، فتفعيل تعويذة الذاكرة على هذا النطاق الكبير ليس سهلًا أبدًا. في ضوء ما حدث، لا يوجد لدى سكارليت وقتٌ لمثل هذه المعارضة على الإطلاق. لماذا تغيرت ريجان في الآونة الأخيرة؟

جذبت حركة ما انتباهها عبر الدائرة. إنها فيفي تتململ في جلستها، وتضغط بأسنانها بشدة على شفتها السفلى. لقد أمضت الليل كله بهذا الشكل، منذ أن أنَّبتها في وقتٍ سابق. غمرها شعورٌ بالذنب. لم يكن عليها كونها رئيسة أن تلقي باللوم كله عليها. لم يسبق لها أن شهدت عدة تعاويذ، فعلتها مجموعة من الفتيات معًا، تفشل دفعة واحدة في بضع لحظات. الأمر الذي أفزعها للغاية. ثُرياتٌ تنفجر، ومرايا تتكسر، ونافورة من فناجين الشاي تشتعل، وسحرهن لم يبدُ ذا قيمة.

بأي طريقة، تشرح بها ما حدث للضيوف المذعورين؟ كيف تشرح سبب تحوُّل مقاعد الفطر، التي يجلسون عليها، إلى حالتها الطبيعية الأولى ولونها الأرجواني، أو تغيُّر ملمس ولون السجادة العشبية فجأةً. تتخيل سكارليت أنهم لو عرفوا من وراء تلك الخُدع -ومن هن الغربان- ستختفي تعبيرات الهلع والفزع، لتحل محلها نظرات الخوف والاشمئزاز. هذه أكثر ليلة، تتعرض فيها جماعة الغربان لخطر اكتشاف هويتهن، على الإطلاق. والأدهى أن كل ذلك حدث أمام ناظريها.

ما كان يجب عليها أن تعهد بمثل هذه المسؤولية الكبيرة إلى طالبة جديدة، بل إلى ساحرة صغيرة. قالت ببطء، مدركةً أنه الوقت المناسب للاعتراف بالحقيقة: «ما حدث الليلة هو خطئي. يجب عليَّ كوني رئيسة أن أحافظ على سلامتنا، وأن أحمي أسرارنا. أعتذر لفشلي في ذلك».

هزت فيفي رأسها: «لا يا سكارليت، إنها مسؤوليتي...».

قاطعتها سكارليت: «أنا التي حمَّلتكِ هذه المسؤولية. لذا عليَّ تحمُّل النتائج. لكن في الوقت الحاليِّ، نحتاج إلى مساعدتكن جميعًا، أيتها الساحرات. دعونا نركز معًا على إعادة الأمور إلى نصابها».

انتظرت حتى تومئ كل الفتيات لها، قبل أن تُحني رأسها معهن، ويبدأن ممارسة الطقس.



بعدما انتهين من طقس الذاكرة، ذهبت كل الفتيات لغرفهن، فيما عدا سكارليت التي لم تستطع النوم. توجهت للمطبخ للانتهاء من غسل الصحون

من حفل البارحة. فضلت أن تعمل بيديها، بدلًا من استخدام السحر أو الطلب من متعهد الحفل أن يعود ليكمل عمله. كما أن الحركات الروتينية البسيطة تعمل على تهدئتها.

تذكرت قول داليا سابقًا: «إن دور الرئيسة أصعب مما تعتقدين يا سكارليت. إنه يعني ألا تقتربي من الأخوات أكثر من اللازم أو تبتعدي عنهن أكثر من اللازم. يجب عليكِ أن تري ما لا يرينه، وأن تكوني لهن صديقة ومرشدة في آن واحد. يتحتم عليكِ أحيانًا أن تقسي عليهن، لكن لا تنسي تشجيعهن. وإذا أردتِ جذب انتباههن، ستضطرين -أحيانًا- إلى إخافتهن بعض الشيء...».

فكرت في كل الوقت الذي قضته مع رئيستها داليا، في أثناء إعدادها لتولي المسؤولية في أحد الأيام. لم تكن لتتوقع أن تصبح رئيسةً بهذه الطريقة. ولذلك قررت أن تقود بلا خوف، على عكس داليا. رغم أن أسلوبها الجديد في تهيئة ساحرة صغيرة، تراه لا يجري على النحو المتوقع.

إنها لا يمكن -بل لا تريد- أن تقود بخوف. لكن ماذا لو أنها تسرعت في الحكم؟ لو أنها رجعت للوراء قليلًا، لرأت أن فيفي قد تمكنت من فهم بواطن للسحر أكثر منها نفسها. إذا لم تكن شديدة القلق بشأن رفع المهارات السحرية للفتيات، لربما كانت لتستمع إليهن وإلى توجسهن من الثيتا. لو لم ينشغل ذهنها بجاكسون. لو... لو أنها انتبهت أكثر لهن، وأدت دورها الذي يقع عليها وحدها، دون فيفي أو إحدى أخواتها.

استمرت في غسل الصحون، دون أن تقوى على تطهير نفسها من ذنبها. انحنت لشطف كؤوس الشراب من الصابون، ففزعت لدى سماعها حفيف خطوات على بلاط الأرضية. غمغمت فيفي، متحاشيةً النظر إلى عينيها: «إنه أنا. هل تسمحين لي بالمساعدة؟».

حدقت سكارليت إلى الأطباق المبللة بالماء بجوارها على المنضدة. حاولت تمالك نفسها للحظة. ثم تحركت لليسار قليلًا، دون تردد، مفسحةً لفيفي ركنًا من المنضدة، لتبدأ في تجفيف الأطباق.

لبضع دقائق، عملت الاثنتان في صمت. تنظف سكارليت الأطباق وتشطفها بالماء، ثم تناولها لفيفي من أجل التجفيف. وأعادتا بعد ذلك معًا الأطباق لمكانها في الخزانة.

تنحنحت فيفي ثم قالت: «إنني آسفة».

تنهدت سكارليت: «أعرف. إنني آسفة أيضًا. لا ينبغي أن أؤنبك أمام الفتيات، فأنا من أعطيتكِ مهمة تنظيم الحفل...».

قاطعتها فيفي متأوهةً: «آه. تمنيت فقط أن أعلم فيما أخطأت. لا أعرف أي تعويذة استخدمناها، هي التي أتت بتلك النتائج الكارثية، أو حتى كيف حدث كل هذا الدمار...».

ردت عليها: «أمكنكِ أن تطلبي مني المساعدة. لا يجب عليكِ التحرج من سؤالي، خاصة بعد ما مررنا به معًا».

قالت فيفي بخفوت، وبنبرة ساذجة: «أردتُ أن أثير إعجابك».

ردت سكارليت، مشتعلةً غضبًا: «ومن أجل ذلك، نتعرض لكشف أنفسنا أمام الجميع!».

تقدر شعور فيفي بالحيرة، لكنها شديدة الغضب منها، في الوقت نفسه. مدت يدها إلى الصنبور، ورفعت درجة حرارة الماء الساخن. مجرد تخيُّل ما الذي ستقوله أمها، بشأن الكارثة التي حدثت في بداية فترة رئاستها، مزعج للغاية.

- ما زلتِ بحاجة لتعلُّم الأولويات، يا فيفي. مسألة إثارة الإعجاب ليست بأهمية الحفاظ على الأمان.

ردت بهدوء، وعيناها تترقرقان بالدموع، فيما خرجت بعض الرغوة من بالوعة الحوض: «أعرف ذلك».

- نحن لا نبكي على «السحر» المسكوب، بل ننظفه ونكمل المسير. غير أننا شددنا الحماية على المنزل، حتى لا يتكرر ما حدث. أعتقد أننا نجونا بأعجوبة هذه المرة.

تابعت متجاهلةً رغوة أخرى خرجت من البالوعة: «لقد رشحتكِ لهذه المسؤولية، لأنني اعتقدتُ أنكِ الأحقُّ بهذا الدور. لكن بعد ما حدث الليلة،

أخشى أنني أخطأت الاختيار، وبدأت أقلق عليكِ، يا فيفي. ما زال لدينا حفل الذكرى المئة والخمسون، الذي سيُعقد قريبًا. وتذكَّري أنها فرصة بالعمر لكل عضوة بالكابا. يليها حفل الربيع السنوي الكبير، الذي نسعى ألا تخطفه منا فتيات الثيتا. محتمل أنكِ لستِ على استعداد بعد، أو أنه من المبكر جدًّا التفكير بالأمر، بعد ما مررتِ به العام الماضي. فإذا لم تقدري على التعامل مع أعباء هذه المسؤولية، سأبحث عمن تقدر».

جفلت فيفي: «لا، أقدرُ على التعامل معها. أعدك. أنا فقط...».

صدرت قعقعة عالية من الصنبور، ثم انفصل عن الحوض. قفزت الفتاتان للوراء بسرعة، تلعنان المياه كريهة الرائحة ذات اللون البُنيِّ البرتقاليِّ، التي تدفقت من الأنبوب المكسور، وملأت المطبخ برائحة بيض فاسد.

أطاحت سكارليت بيديها في الهواء، صائحةً بسخرية: «بالطبع! انفجر كل شيء بالمنزل، لماذا لا ينفجر الصنبور أيضًا؟».

أما فيفي، فنظرت إلى الأعلى، تفكر في أخواتها النائمات بغرفهن: «سأغلق محبس المياه».

دبَّت سكارليت قدميها في الأرض بقوة تجاه الدرج الخلفيِّ. ينبغي لها الاتصال بمسؤولي الصيانة.

رائع! سنرى أناسًا آخرين يتجولون بالكابا هاوس مجددًا.

تمتمت فيفي: «دعيني أساعدك».

تجاهلتها، وتابعت طريقها للقبو. عند أعلى الدرج، فتحت الباب بعنف، وسارعت فيفي تمد يدها لمفتاح الضوء، أو حاولت، على أي حال. حركت فيفي المفتاح ذهابًا وإيابًا عدة مرات، ثم هزت رأسها: «إنه لا يعمل».

لا ترى الفتاتان سوى ظلام دامس بالأسفل. بالكاد تتلمسان خطواتهما عند الدرجة الأولى من الدرج، ولا شيء بعدها، فقط صمت وظلام.

- اللعنة!

تفقدت سكارليت خزانة الأدوات، باحثةً عن الشموع التي تحتفظ بها إيتا بالخزانة. عندما أمسكت واحدة بيدها، همست: «أدعو ملكة الصولجان. أظهِري لي قوتكِ، وأمِديني بالضوء».

اشتعلت الشمعة، فأحاطت سكارليت وهج لهيبها الدافئ بكفها، وبدأت تنزل الدرج. مع كل درجة تهبطها، يرتفع صوت طقطقة الشعلة، وتزداد طولًا. كما ترتفع حرارة الهواء، أكثر فأكثر، ليصبح ثقيلًا ورطبًا. وجهت الضوء تجاه ركن بعيد مظلم، بالقرب من رفوف زجاجات العصير والشراب المرتبة بعناية، وطلبت من فيفي: «أعيدي تشغيل قاطع الكهرباء هناك، بينما أهتم بشأن الماء».

ابتعدت فيفي عنها، واتجهت للخلف، بأنفاس مضطربة: «بشأن الماء، يا سكارليت. هل أنتِ من فعلها؟ أعلم أنكِ غاضبة مني...».

هزت سكارليت رأسها. إنها غاضبة بالفعل، لكن هذه لم تكن فعلتها. اقتربت قليلًا. وهي تشعر أن هناك شيئًا خاطئًا: «لستُ أنا، لربما المنزل، فهو قديم».

يبلغ الكابا هاوس من العمر أرذله، غير أنه مسحور بالكامل، وحوفِظ عليه جيدًا حتى الآن. لا تذكر سكارليت أنه طُلِبت خدمة الصيانة في أي وقت مضى، إلا من باب التظاهر أمام الآخرين أنه منزل عاديٌّ.

دنت من المرجل، الواقع ما بين آلة الغسيل -التي لم تستخدمها الفتيات تقريبًا، فما أسهل تنظيف ملابسهن بطريقة سحرية- والمضخة الخارجية الموصولة بخرطوم المياه، الذي يغذي الدفيئة مباشرةً.

هذا الجانب من القبو، على عكس النصف الآخر منه، مغطى بخيوط العنكبوت وبه مساحة ضخمة فارغة. تعرف أنه قُدِّم العديد من الالتماسات على مر السنين لتجديد القبو، وإضافة المزيد من غرف النوم، وقاعات العمل. لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل. فقد استمرت إدارة ويسترلي بالرفض، رغم دور الكابا المؤثر في الحرم الجامعيِّ. وهكذا بقي القبو خاليًا إلا من الغبار المتراكم، وخُصِّص جزء صغير منه كونه مساحة تخزينية. تتساءل عن السبب. لكن هذا لا ينفي أن الأمر لا يزال غامضًا.

مع كل خطوة تخطوها تجاه المرجل، تزداد الحرارة. تُذكِّرها الحكة التي تشعر بها على وجهها بوقت سابق، صارعت فيه النار لتخمدها. تشعر بالإحساس نفسه الآن، وكأن اللهب يلعق طرف أنفها.

من خلفها، سمعت لعنات مكتومة، بينما تحاول فيفي إعادة الضوء. ولكنها آثرت التطلع إلى الجدار البعيد. تُقْسم إنها سمعت صوتًا آخر. إنه ليس مثل صرير أرضية المنزل أو نفخة الريح المتسربة من أعقاب الأبواب من حين لآخر. بل إن له إيقاعًا ثابتًا وعميقًا.

شهقة ثم نفخة. تشبه عملية التنفس.

غرزت قدمها في شيء زلق، فشهقت بحدة. وجهت الشمعة لتنظر. إنها قطعة بالية مهملة من السجاد، رطبة ومبللة. مما جعلها تشمئز، حيث يبدو أنها مضطرة للتنظيف هنا قريبًا. يمكنها تكليف الطالبات الجدد بذلك، مقابل الحفل الذي تسببن في تدميره.

دارت حول السجادة البالية، وواصلت السير نحو الجدار الخلفيِّ. غريبٌ كيف يلسعها البرد القارس بالأدوار العليا في ليالي الشتاء بسافانا، وفي الأسفل، كل أجزاء جسدها تتصبب عرقًا.

عندما مدت يدها إلى صمام الماء لتغلقه، صدمتها حرارته الحارقة. لعنت، وانتفضت مبتعدة: *ما هذا بحق الجحيم؟*

همست بأمرٍ ما، فطال لهب الشمعة مضيئًا مساحة دائرية أوسع على الجدار. كان عاديًّا تمامًا، بأحجاره المتراصة، والأسلاك المعلقة عليه، ومع ذلك، ما إن تلمس جانب منه، حتى تجفل من سخونته الهائلة.

أعطال بالكهرباء؟.

تجهمت للحظة، ثم تهادى إلى سمعها، ذلك الصوت مرة أخرى، تنفسٌ هادئ، يعلو بالتدريج كلما اقتربت من الجدار. كأن شخصًا ما يتنفس في أثناء نومه بقربها.

همست: «فيفي؟».

لم يرُد أحد. توقف الصوت فجأةً. ظنت أنها تتخيل، قبل أن يتحول التنفس إلى غمغمات خفيضة متداخلة، كأن عشرات الأصوات تتحدث في وقت واحد، بلغة لا تعلمها. على الرغم من عدم فهمها لما تعنيه الكلمات، فإنها لا يمكن أن تغفل ذلك الشعور.

غضبٌ شديد. يحثها كل جزء بجسدها على الهرب والصراخ، لكن سكارليت وينتر لم تهرب يومًا من ساحة قتال. لا سيما قتالٌ مع هواجسها.

قالت بإصرار: «توقفي!».

وبلا تردد، مدت يدها تُحرك الصمام، متجاهلةً الألم الحارق في أطراف أصابعها، فهي بحاجة إلى إغلاقه قبل أن يغرق المطبخ بأكمله. كلما زادت من قوتها، تقاومها عجلة الصمام أكثر. لفَّت يديها بطرف قميصها، واستمرت في محاولاتٍ يائسة لإغلاقه. علَت الأصوات، واقتربت. دغدغت أنفاس غريبة ظهر رقبتها، وتخلل شيءٌ ما شعرها.

أهذه ريح؟ أم أطراف أصابع؟

- هيا!

ضاعفت الضغط على الصمام. ثم تغير كل شيء في لحظات. عادت إضاءة القبو أخيرًا. لم تسمع فقط صيحة انتصار فيفي، بل وقرقعة رهيبة من فوقها، ثم حدث الانفجار.

انسكبت مياه حارة كريهة الرائحة على رأسها، وأطفأت الشمعة. صرخت وقفزت للوراء، لكن دون جدوى. فقد طالها الماء بالفعل، وغمرها من رأسها حتى أخمص قدميها. دمعت عيناها من الألم.

صدأ. إنه الماء البُني البشع نفسه. على الأقل، يعطي هذا تفسيرًا معقولًا لكل تلك الهمسات: صوت تدفق المياه من خلال الأنبوب. يا لها من حمقاء، حمقاء مبللة ومثيرة للاشمئزاز.

أسرعت فيفي الخطى تجاهها، وقد اتسعت حدقتاها: «سكارليت؟ يا إلهي. ماذا حدث؟ أخبريني، من فضلك، أي تعويذةٍ تصلح لهذا الأمر».

ضحكت على الرغم منها. لم تصدق كم أن فيفي بعد كل الظروف التي مرت بها، واختبرتها دون غيرها، لا تزال صغيرة ساذجة من عدة نواحٍ.

- بعض الأمور تفوق عمل التعاويذ. أعتقد أننا بحاجة إلى سباك صحيٍّ.

بعد ما حدث البارحة، ظنت سكارليت أنها استنفدت كل طاقتها، كما لن يحدث شيء أسوأ مما حدث. لكن بينما تنتزع شعرها من الماء اللزج، أدركت أن الأمور قد ازدادت سوءًا بالفعل.

الفصل العاشر

فيفي

استيقظت فيفي بعد ليلة مُسهدة، تحاصرها رؤى عن اللهب المتصاعد وأصداء صرخات الضيوف المرعبة. على الرغم من ثقل هذه الذكريات عليها، فإنها لا تضاهي ذكرى وجه سكارليت وهي تقول: «*إذا لم تقدري على التعامل مع أعباء هذه المسؤولية، سأبحث عمن تقدر*».

ربما لديها حق في إلقاء اللائمة عليها. إنها ليست مسؤولة فقط عن الحفل الذي دُمر، الذي يعد بمنزلة ترسيخ لمكانة الكابا على قمة ويسترلي، بل كاد سر جماعة الغربان يُفتضح بسببها.

زادت حدة انقباضات معدتها إثر محاولة الاعتراف بحقيقة الوضع الراهن: عليها التخلي عن دورها.

قُرع باب غرفتها بهدوء. تأوهت ودفنت وجهها في وسادتها، تتمنى لو تختفي. لربما هناك تعويذة تمكنها من ذلك، لكن حتى لو أنها تعرفها، لا بد أنها ستفسد، وينتهي بها الأمر محاصرة، حتى آخر حياتها، في مكان لا يعلمه بشر.

قُرع الباب مرة أخرى بوتيرة أعلى. فأجابت باستسلام متنهدة: «ادخل».

أخذت تؤرجح ساقيها على جانب السرير، مرتديةً أكثر بيجامة طفولية متهلهلة لديها. عادةً ما تخجل أن يراها أحد بهذه البيجامة، لكن في ضوء ما تعرضت له من إحراج الليلة الماضية، لم تعد تبالي.

فُتح الباب، ودخلت أريانا وبايلي، تحمل كلٌّ منهما صينية. قالت أريانا بمرح، وهي تضع الصينية التي تحملها على سرير فيفي: «اعتقدنا أنكِ بحاجة للراحة، لذا أحضرنا لكِ طعام الإفطار».

امتلأت صينية أريانا بالفطائر والبيض المقلي واللحم المقدد وعصير برتقال طازج. أما بايلي فحملت وعاءين مختلفين وكوبًا، وأردفت: «لم نعرف إذا ما كانت حالتكِ المزاجية تسمح بتناول القهوة أم الشاي. كنتُ سأحضر لكِ أيضًا شراب الزنجبيل المنعش الذي أحضِّره بنفسي، لو لم تمنعني أريانا».

اتسعت عينا أريانا: «بايلي، لقد وجدتِ الوصفة في تعويذة كتاب منذ عام 1688، ونصف المكونات الموصى بها سامة».

ردت بايلي في حنق: «أخبرتكِ أنني وجدتُ بديلًا للزرنيخ».

قالت فيفي مقاطعة: «القهوة جيدة، أشكركما. لستُ بحاجة لما يذكِّرني بحفل الشاي الكارثي ذاك. لطفًا منكما أن تحضرا لي الإفطار، لكن لا أظن أنه يمكنني تناول الطعام الآن».

قالت ريجان وهي تخطو للداخل، تتبعها سونالي، وتحمل كلٌّ منهما الحلوى: صحنًا كبيرًا من الآيس كريم، وكعكة شوكولاتة مزينة: «حسنًا. سأتناوله بدلًا عنكِ».

ارتفع حاجبا فيفي: «هل صنعتِ كعكة؟».

فتعجبت بايلي: «ألم تري حلوى الشوكولاتة التي صنعتها عندما حصلت على علامات متدنية، في أحد اختباراتها في منتصف العام الدراسيٍّ؟».

هزت سونالي كتفيها في خجل: «أصنع الحلوى عندما أشعر بالضيق».

اجتاحت فيفي موجة أخرى من الإحساس بالذنب، فجفلت: «أنا آسفة للغاية بشأن الليلة الماضية. ما كان يجب أن أضغط عليكن جميعًا لتساعدنني. من الواضح أننا أنجزنا الكثير في وقت قصير، دون أن ننتبه للعواقب».

قالت أريانا بحزم: «هذا ليس خطأك. لقد عملنا جميعًا معًا. وتلك النتائج العكسية...».

قاطعتها ريجان، وفمها مملوء بالآيس كريم الذي تتناوله بنهم: «لم يكن هذا سحرنا. فعلتُ تعويذة درء النار عشرات المرات من قبل».

أضافت بايلي، بعينين منتفختين ومرهقتين، مثل عينَي فيفي تمامًا: «إنني أكيدة أننا فعلناها بشكل صحيح. بل فعلنا كل التعاويذ الأخرى بشكل صحيح. لا يُعقل أنها سبب اندلاع الحريق، وفقداننا السيطرة عليه».

تبادلت سونالي مع ريجان نظرة ذات مغزى، قبل أن تقول: «محتمل أنني ارتكبتُ خطأً ما في أثناء استخدام سحر السيوف. فعندما كنا نحاول احتواء النار، شعرتُ بشيءٍ، مثل نوع آخر من السحر يقاومنا».

شعرت فيفي بذلك أيضًا. كأنهن فقدن السيطرة على سحرهن. لو أن أحدهم متورط في ذلك، لن تتحمل، إذن، ذنب ما حدث. لكن إذا لم يكن هذا خطأها بالفعل، هذا يعني أنهن أمام معضلة كبيرة.

قالت فيفي متشككة: «لا أعرف...».

أردفت أريانا، وهي تتهاوى جالسة على حافة السرير: «يجب أن نتحدث إلى سكارليت. عليها أن تتأكد إذا ما يحاول شخص ما تدميرنا».

صمتت الفتيات وتجنبن النظر بأعين بعضهن بعضًا، فيما غرقت الغرفة بالتوتر والقلق. يفكرن فيما فعلته تيفاني من وراء ظهورهن. هل يُحتمل وجود خائنة أخرى بالمنزل؟

نطقت أخيرًا: «سأتحدث إلى سكارليت قبل أن تتكالب علينا الظنون. فربما الذي حدث أمس، يرجع إلى اضطرابنا جميعًا منذ الفصل الدراسيِّ الماضي».

فتحت ريجان فمها لتحتج، فقاطعتها فيفي: «لا أقول إنكِ فعلتِ ذلك. يا ريجان. لكننا ألقينا الكثير من التعاويذ مما قد يخل بتوازنها كلها، أو لعله سبب آخر، من يدري».

إن للسحر قوة لا يُستهان بها، ولا يمكن التنبؤ بها. لذا فالتفسير الأكثر معقولية هو أن فيفي بالغت في استخدام السحر. في حين لو أن أحدهم يضمر شرًا للغربان، لشعرت الساحرات الأكثر خبرة بذلك، وحذرتهن.

تابعت: «في كلتا الحالتين، ومهما كانت الحقيقة، فما زال اللوم يقع عليَّ».

دفعت أريانا طبقًا من الفطائر المكدسة تجاه فيفي: «لا تضغطي على نفسك. هذا أول حدث كبير لك. وحتى آخر وقت، سار الحفل على نحو مذهل، أليس كذلك يا فتيات؟».

أومأت جميع الفتيات، حتى ريجان، رغم تبادلها النظرات مرة أخرى مع سونالي، في أثناء إيمائها. تتساءل عما تتحدثان عنه بشأنها على انفراد. لو أن ريجان لا تزال غير راضية عن اختيارها بصفتها مسؤولية اجتماعية، فلديها حق، لدى ريجان وسونالي خبرة بالمقارنة بها، بسبب نشأتهما على السحر، أما هي، فقد تعرفت منذ وقت قريب على هذا العالم.

قالت أريانا بلطف: «لا تستسلمي. لقد خطوتِ لتوكِ بعالم جديد. الجميع يتعثر قليلًا في البداية. لكنني متأكدة أنكِ ستصبحين مسؤولة اجتماعية رائعة».



تدربت على ما ستقوله لسكارليت، وهي ترتدي ملابسها. لكن بينما تنزل الدرج على مهل، جعلها التفكير في مواجهة أختها الكبرى، تتجاوز الدرجات الأخيرة في تردد. ربما من الأفضل إعطاء سكارليت مساحة من الوقت، يومًا أو يومين، لتهدأ.

اطمأنت للهدوء الذي يعم الكابا هاوس هذا الصباح. عادةً ما تستمتع بتجمع عشرين ساحرة تحت سقف واحد، وما يُحدِثنه من ضجيج، صرخات مبهجة للاحتفال بنجاح تعويذة. أو صرخات مشؤومة بسبب طفرات تعويذة فشلت، قرقعة أكواب القهوة في المطبخ، جلبة حفلات غرف النوم للرقص الارتجاليِّ، زقزقة الطيور في أقفاصها، لكنها تشعر بالارتياح اليوم، لن تضطر إلى مواجهة نظرات أخواتها المشفقة أو الباردة.

التقطت حقيبة دفاترها من حامل الحقائب بالبهو الأماميِّ، وحملتها إلى المكتبة، إحدى غرفها المفضلة في المنزل، حيث باتت تعلم لمَ احتفظت هذه الغرفة دون غيرها بطرازها الأصليِّ. ستُعد جريمة إن عُبث بأرفف الكتب العتيقة ذات الأغلفة الجلدية، التي تمتد من الأرض حتى السقف، غير الخزائن الخشبية الضخمة، المُقسمة بعناية للاحتفاظ بالعقاقير والأعشاب المجففة، بالإضافة للسقف الأزرق البديع ذي الإطار الذهبيِّ المزخرف بأوراق الشجر.

جلست على مقعدها الوثير المفضل، وأخذت نفسًا عميقًا. تستنشق الروائح التي تعبق بها الغرفة: رائحة الجلد، ملمع الأثاث، شمع القناديل،

الأعشاب المجففة، رائحة المدخنة المسحورة. لطالما جعلتها هذه الروائح تشعر بالفخامة والتبجيل، كما لو أنها تشم رائحة السحر لأجيال مضت، إرثها الثمين الذي تنتمي إليه حاليًا. لكنها تشعر، هذا الصباح، أنها دخيلة على هذا العالم. كم من التعاويذ المكدسة في هذه الكتب تقدر على إلقائها دون إيذاء الآخرين؟

أخرجت كتابها عن علم الأعصاب من حقيبتها، وفتحت الفصل الذي درسته هذا الأسبوع. مهما حاولت التركيز على مطالعة السطور أمامها، تبوء محاولاتها بالفشل. يبدو أنه لم يعد بعقلها متسع لأي شيء سوى تصور الخزي والندم. جفلت عند تذكُّرها التعبير الذي ارتسم على وجه تِيم، في أثناء مساعدته لماريا والفتيات الخائفات من الثيتا على الاحتماء. مع أن قصتها عن أنهما نِصف شقيقين لا تُصدَّق، إلا أن تصرفها في نهاية الحفل، يكفي ليعتبرها غريبة الأطوار. فهي لم تعرِّض الكابا للخطر فقط، بل وفقدت الفرصة التي أُتيحت لها للتعرف على شقيقها.

تنهدت ونهضت على قدميها، تتجول في الغرفة ببطء. غطَّت أغصان اللبلاب معظم النوافذ، مضيفةً على الغرفة ضوءًا أخضر خفيفًا، عزَّز من ثراء المكتبة، وكأنها جاءت من عالم خياليٍّ. مررت يدها على جوانب أغلفة الكتب الجلدية. تشققت بعضها لِقدم عمرها، وتألق بعضها بحروف ذهبية. كانت هناك معاجم للأعشاب، سجلات قديمة، مخططات ميلاد فلكية، خرائط أثرية، وعدد لا يحصى من كتب إلقاء التعاويذ.

ربما لو تمكنت من معرفة الخطأ الذي حدث الليلة الماضية -سواء كان سحرًا دخيلًا أو نتائج عكسية للتعاويذ التي استخدمتها- على الأقل، ستتأكد ألا يتكرر هذا الخطأ ثانيةً. لا بد أن الإجابة هنا في مكان ما، مختبئة بين المعارف المجمعة التي تخص كل ساحرة عاشت في الكابا هاوس، أو حتى السحرة السابقين.

دارت في الغرفة مرة أخرى، تفحص عناوين الكتب من كثب هذه المرة. داعب نسيم لطيف مؤخرة عنقها، فاستدارت باحثةً عن مصدره. نادرًا ما تُفتح نوافذ المكتبة، كما أنه من غير المعتاد أن تستخدم تعاويذ مماثلة عبر أروقة

الكابا هاوس، في هذا الوقت من اليوم. كالنسيم الذي يبعث ببعض الندى، يفتح ويغلق الأبواب بخفة، أو يخلف استخدام سحر الصولجان.

شعرت به مجددًا، كنفسٍ بشريٍّ على رقبتها هذه المرة. ارتجفت وعادت تصب انتباهها على الكتب. لمحت كتابًا كبيرًا مُغلفًا بقطعة قماش زرقاء داكنة، ويبرز من حافة أحد الأرفف، كأنما قرأه شخص ما ثم أعاده مكانه بإهمال.

دليل لوْوِيلين لبناء الحدائق المُحصنة.

انتابها الفضول، التقطته وفتحته برفق، حتى لا يتضرر غلافه المتشقق والضعيف. أزالت الغطاء القماشيَّ بسهولة، ولدهشتها، وجدت بداخله دفترًا صغيرًا لتدوين الملاحظات، وزنه أخف من دفاتر التدوين العادية، رغم زخرفته المبالغ فيها. اعتادت أمها، طيبة القلب، أن تهديها في أعياد ميلادها، دفتر تدوين ذا صفحات جلدية سميكة، مزخرفة وغير مسطرة، التي فضلت الاحتفاظ به، ولم تبالِ يومًا باستخدامه، خوفًا من أن تُدمر صفحاته الجميلة بخطها السيئ. ومن ثم، ينتهي به المطاف في الجزء الخلفيِّ المغبر من خزانة ملابسها.

أما هذا الغلاف الجلديُّ البنيُّ الغامق، فقد تزين بنقوش بارزة على شكل أوراق شجر فضية، ورموز أخرى محفورة بعناية، أبرزها دائرة بها خطوط متقاطعة في المنتصف، تشبه النجمة الخماسية.

مررت أطراف أصابعها على الغلاف الناعم بحماس. هل يعني رمز النجمة الخماسية أنه يتضمن سحرًا خاصًّا بساحرة الخماسي فقط؟ شيءٌ ما أثار رغبتها في التحقق من أن باب المكتبة لا يزال مغلقًا، ولم يدخل أحد بعد، قبل أن تُخرِج دفتر الملاحظات المَخفيَّ.

أعادت كتاب لوْوِيلين إلى مكانه على الرف، ثم حملت دفتر الملاحظات، وجلست على مقعدها تتفحصه بدقة. استحالت صفحاته إلى لونٍ بُنيٍّ في بعض الأجزاء، كما يحدث للمخطوطات القديمة. دُوِّنت صفحاته بخط يد منمق يعود لخطاط محترف، رغم أن بعض الحروف قد بهت حِبرها قليلًا مع مرور الوقت.

أدركت أنه بمنزلة كتاب للسحر. حيث تظهر على صفحات منه صور توضيحية مرسومة باليد، وأشكال سحرية معقدة وتصميمات متعددة لبطاقات التارو. احتوت صفحات أخرى ما يشبه الملاحظات، تبدأ بذكر تعويذة ما، ثم يليها كيفية إلقائها، ونصائح إضافية من المؤلف بعد اختبارها.

ذُكِرت العديد من التعاويذ والوصفات السحرية التي لم تسمع عنها من قبل: إحداها -مثلًا- وصفة لتحضير «عسل الطوارئ» الذي يُضاف إلى شاي الخزامى الورقيِّ، فيكتسب من يتناوله صوتًا غنائيًّا جميلًا، ينوِّم أي مستمع له مغناطيسيًّا، كما تُكسِبه القدرة على فهم زقزقات العصافير وطيور القبرة، ليرسل من خلالها رسائل تحذيرية.

غير أن مقدمة المؤلف هي أكثر ما جذب انتباهها، كأنها بيان قصير عن مخاطر التركيز على التطابق السحريِّ: «*ينضم السحرة الصغار -في الغالب- إلى المجتمع السحريِّ، من خلال اختبارات تحدد مصدر قوتهم: سحر الصولجان، سحر الكؤوس، سحر السيوف، وسحر النجمة الخماسية. يرجع تاريخ هذا الطقس إلى القرن السابع عشر، وذاع صيته بين هؤلاء السحرة الذين سعوا للحد من القوى السحرية للفرد. حيث ترسخ مفهوم الساحرة المارقة، التي تهدد استقرار مؤسسة السحر، في حين أنها ليست إلا أكذوبة، لتبرير حركة تقسيم ممارسي السحر إلى فئات حسب تطابقهم السحريّ. مما يفتح المجال لسهولة تعقُّب السحرة، ومراقبتهم، والتأثير فيهم. إن الغرض الأساسيَّ من هذا الملخص هو مساعدة السحرة على ضبط النفس وتحرير قواهم الكامنة، من أجل تحكُّم كامل بقدراتهم السحرية*».

فكرت فيفي أنها لو تمكنت من تعلُّم بعض هذه التعاويذ، فربما تطلق العنان لكامل إمكاناتها السحرية. تستطيع إبهار سكارليت وأخواتها بقدراتها، وجعلهن يغضضن البصر عن أخطائها ليلة أمس.

شعرت بذبذبة على أطراف أصابعها، كما لو أن يدها تعلن استعدادها، هي الأخرى، لتجرب سحرًا جديدًا. يمكنها البدء بإحدى التعاويذ البسيطة الآن، كإحماء. تصفحت دفتر الملاحظات بعناية حتى وصلت إلى عنوان يقول: 'تعويذة إخفاء مُبسَّطة' مع ملخص قصير لها: «*يجب اعتبار ملائمة التعويذة للقوى السحرية الخاصة بممارسها. يمكن استخدام هذه التعويذة*

لإخفاء أشياء بسيطة، وتحت ظروف مواتية، تصبح أداة مفيدة أحيانًا، لإخفاء الأعداء».

تجهمت متسائلة عما يُقصَد بالضبط بكلمة «إخفاء» في هذا السياق، لكنها قررت عدم القلق بشأن المعنى. إن الشخص الوحيد الذي تريد حقًّا إخفاءه هي شريكتها القديمة في السكن، زُوي. ولكن بعدما انتقلت من مساكن الطلاب إلى الكابا هاوس، لم تعد تمثل تعليقات زُوي اللاذعة وهمزاتها السخيفة أي مشكلة.

شيءٌ بسيط.

أمسكت بقلمها، وحركته في يدها في شرود، بينما تتابع القراءة: «*تتطلب تعاويذ الإخفاء قوى متساوية من سحر الهواء والأرض. بدلًا من استدعاء إمبراطورة السيوف، مع أو دون ملكة النجمة الخماسية، مما يهدر قوى الساحرة من خلال تعاويذ حمقاء، من الأفضل تصفية الذهن، وتطويع هاتين القوتين السحريتين، فدائمًا ما تُحاط الساحرة الموهوبة بالقوى اللازمة، بغض النظر عن تصنيفها*».

عبس وجهها. إن ممارسة السحر نفسه ليس سهلًا، ومع هذه التعليمات الغامضة مثل: 'صفي ذهنك'، يزداد الأمر سوءًا. لكن من المفترض أن التجربة لا تضر. ركزت ذهنها على القلم، وتخيلت أنه يختفي. لم يحدث شيء. حاولت مرة أخرى، وأغمضت عينيها بقوة، حتى شعرت بذبذبة مألوفة للسحر في صدرها، وعندما فتحت عينيها، وجدت القلم لا يزال هنا.

زفرت بقوة، يبدو أن خطتها الرائعة لرفع مستوى ممارستها للسحر وإبهار سكارليت وجميع أخواتها، لم تستمر لأكثر من عشر دقائق. عادت تتأمل التعويذة، فانتبهت إلى ملاحظات مدونة بالهوامش: «*يمكن للدم، الذي يستخدم لتعزيز قوة معظم التعاويذ، أن يفيد في حالة إلقاء تعويذة الإخفاء. تكفي بضع قطرات من الدماء لإحداث تأثير ملحوظ*».

نقَّبت حقيبتها إلى أن وجدت دبوس المشبك الخاص بها. فتحته، وثقبت باطن إبهامها، بما يكفي لسحب قطرة دم واحدة. ثم ركزت انتباهها على القلم، متجاهلةً وخزة الألم الخافتة.

لن يعد هناك أثر لهذا القلم بعد الآن.

بدأت تتخيله يختفي في الهواء. شعرت بخط عرق رفيع يجري على فروة رأسها، مما سبَّب لها حكة، قاومتها حتى أكملت تنفيذ التعويذة. ثم مدت يدها تحك رأسها. عندما فتحت عينيها مجددًا، كان القلم قد اختفى، معلنًا نجاح التعويذة. ابتسمت فيفي راضية بما حققت. أراحت ظهرها للوراء، وأغلقت الدفتر الصغير. نظرت تجاه النافذة، ففوجئت أن الوقت قارب على الغروب. ولمحت، من خلال أغصان اللبلاب، شرفة المنزل المجاور، وقد أُضيئت بضوءٍ ذهبيٍّ لامع.

مضى الوقت دون أن تدري، لكنها أحسنت الاستفادة منه. قبل أن تجد هذا الكتيب، كانت يائسة، ضائعة، وبأمس الحاجة للتوجيه، لدرجة أنها أوشكت على الاستسلام، وأوشكت أن تخذل ثقة أختها الكبرى بها. رغم أن أكثر ما تحتاج إليه هو دعمهما، والانتماء إلى الكابا هاوس.

هذه المرة، احتكت عن قرب بالقوة الحقيقية للغربان. ولم تعد نظراتهن إليها تفزعها، بل تشجعها على المضي قُدمًا. كما لو أن تلك النظرات الصامتة هي رسائل لها.

يمكنكِ إصلاح الأمر.

تُصدِّق فيفي ذلك الآن، أكثر من أي وقت مضى من اليوم.



الفصل الحادي عشر

سكارليت

اكتظت الحديقة الرئيسية للحرم الجامعيِّ بالطلاب، من أجل ليلة مشاهدة الفيلم لهذا الثلاثاء. تحلَّقت كل أخوية في ركن خاص بأعضائها على أرضية الحديقة، وحظيت الكابا كعادتها بأفضل رقعة: في منتصف الحديقة تقريبًا، على مسافة كافية من جهاز العرض، تسمح لهن بمشاهدة الفيلم من زاوية مريحة، دون الحاجة لشد أعناقهن لأعلى، وفي نفس الوقت، يجلسن على مسافة قريبة نسبيًّا من الشاشة، حيث ينعكس بعض الضوء على بساطهن، مُضفيًا على جماعة الغربان تألقًا ساحرًا، يلفت الأنظار.

رغم الأجواء الحماسية، فإن الجميع بدا هادئًا على غير العادة. ما زالوا مضطربين منذ حفل الجمعة الماضية. يحاولون بجهدهم إخفاء ذلك، فيما عدا سكارليت، التي لم تستطع أن تُخفي توترها الشديد. أرسلت لها أوجيني، في صباح اليوم التالي للحفل المُدمَّر، رسالة نصية: «*ما السبب وراء انتشار #الثيتا_تستضيف_حفل_الربيع على صفحات الحرم الجامعيِّ عبر تويتر؟*».

في وقت لاحق من ليلة الحفل، تلقت مكالمة غاضبة من مارجوري، حيث صاحت بها بعنف: «*سمعتُ أن الشرطة جاءت إلى المنزل؟ أهذا صحيح؟*».

بعيدًا عن غضب أمها العاصف، تدرك سكارليت أن مارجوري هي الأخرى خائفة، كما خافت كل الساحرات ليلتها أن يُفتضح أمرهن، أن يتعرضن لخطر أكبر مما مرت به الكابا في الفصل الدراسيِّ الماضي. لقد استنفدت سكارليت

كل طاقتها في محاولة إقناع أمها وطمأنتها أنها تسيطر بالفعل على أمور الكابا، وحضور الشرطة، لم يكن سوى حادث عارض، استطعن التعامل معه.

لم تصف لها بالطبع، ما آل إليه الحفل بالنهاية، فإذا اشتعلت مارجوري غضبًا، لن يقدر أحد على اتقاء شررها. لذلك تحرَّت بنفسها خلال صف يوم الاثنين، تسأل بعض رؤساء الأخويات والرابطات عن الحفل، وتطمئن أن تعويذة الذاكرة تمت كما يجب.

لم يتذكر أحد إلا القليل عن حفل الكابا، مثل: الديكور الرائع، ومشروبات الكوكتيل القوية. بينما يتذكر الجميع الكثير من تفاصيل حفل الثيتا المبكر. يتحلقون ويثرثرون، في كل مناسبة، عن حفل الثيتا وكم كان مرحًا. تمكنت ماريا، على ما يبدو، في وقت قياسيٍّ، من إقامة وليمة طعام كاملة، بالإضافة لسباقات متعددة الأشكال لشرب الكحول.

جعلتها تلك الثرثرات تغلي من الغضب على خسارة الكابا لتألقها هكذا في لحظات. رغم أنه لا يمكن لسكارليت الشكوى. فقد يسوء الأمر إن تذكَّر أحدهم ما حدث حقًّا.

تراخت سكارليت في مقعدها المميز -مقعد أسفنجي قماشي كبير على هيئة بجعة بيضاء- الذي أهدته لها تيفاني بعامهما الثاني. في البداية، كان منظر المقعد مثيرًا للضحك، حتى استخدمتا السحر لتحسينه، وجعله مريحًا، كالاتكاء على فراش من الريش.

منذ أن بدأت سكارليت تستخدمه في ليالي مشاهدة الأفلام بالحرم الجامعيِّ، رصدت بعض الفتيات في الأخويات الأخرى، يحاولن منافستها: طيور فلامنجو وردية اللون، أو مقاعد قابلة للنفخ على هيئة بجعات كبيرة. ترى إحداهن الآن، هناك في ركن الثيتا، تُدعى ديلين، وبجوارها فتاة أخرى، متغطرسة ومُحبة للتظاهر. تجلسان على بجعتين ورديتين لامعتين ونصف فارغتين من الهواء. شعرت سكارليت أنهما تحدقان إليها وتسخران، حيث تجلس كايت وجاكسون بجوارهما، متعانقَين على بساط سميك مبطن ومزخرف بطباعة ملونة. لا بد أن كايت هي من أحضرته.

من خلال الوميض الخافت للفيلم الكلاسيكي «سَيكو» -الذي وقع عليه الاختيار هذا الأسبوع- تستطيع سكارليت أن ترى ذراع جاكسون الملتفة حول

كتفَي كايت. بعثت رؤيته بوخزة ألم بصدرها، فتحاشت النظر إليهما، لتنتبه للفيلم، الذي سبَّب لها وخزة ألم مزدوجة. لا يمكن لها أن تنسى أحد أفلامهما المفضلة معًا، بينما وحده جاكسون، الذي لا يتذكر. لقد اكتشفا حبهما المتبادل لأفلام الرعب، عندما كانا في طريقهما لمواجهة جوين، الساحرة التي ظنَّا أنها تريد إيذاء فتيات الكابا. اختفت تلك الذكرى تمامًا، كما اختفت جوين. وها هي ذي، سكارليت تجلس هنا وحيدةً بالظلام، تستعيد ذكرى كل شيء.

تنهدت ونظرت بعيدًا عن شاشة العرض. لم تعد تكترث حتى لأكثر المشاهد المفضلة لديها، عندما يذكر نورمان بيتس أمه لأول مرة.

تمتمت مِي بهدوء: «لا تنظري الآن، لكن هناك فتى طويل، داكن الشعر، ذو وجنتين بارزتين، لم يتوقف عن النظر إليكِ لبعض الوقت».

جلست مِي إلى جوارها، على وسادة بسيطة ذات طرازٍ مغربيٍّ، تتناسب مع سروالها الحريريِّ الفضفاض، الذي ترتديه، وبلوزتها القصيرة. أومأت مِي تجاه الركن الخاص بالثيتا. حيث يجلس زافيير مرتخيًا، وبجانبه إحدى الفتيات. لم يحضر بساطًا، بل افترش المعطف المميز لأخوية البيكا، وجلس عليه. من المؤكد أنه كان يحدق إليها. ففي اللحظة التي التقت فيها أعينهما، لوَّح لها متصنعًا ابتسامة مرحة على وجهه، مما جعل الفتاة بجواره تنظر لأعلى في استياء.

اجتاحتها رغبة مفاجئة أن تجول بعينيها، ثم وجدت نفسها تختلس النظر إلى جاكسون مرة أخرى. ثم نقلت بصرها بين الشابين: جاكسون وزافيير، مثلما تقلِّب بطاقة ذات وجهين، وتترك نفسها تشعر أيهما تريد حقًّا. لو أن جاكسون ما زال يتبادل معها الشعور نفسه، كما تظن، فإن رآها مع شخص آخر، يمكنها التكهن بردة فعله. لكنها تتردد في التفكير بزافيير، ماذا لو عرف أنها تستخدمه ليتقرب إليها جاكسون. حينها رأت هذا الأخير، يحكم قبضته حول كايت، عند مشهد صاخب بالفيلم.

لذا عادت تنظر إلى زافيير، ولوَّحت له مبتسمة. لم يحتج أكثر من إشارة صغيرة منها، حتى يقفز على قدميه واقفًا، يحمل معطفه، ويشق طريقه تجاهها.

غمزت لها مِي غمزة خاطفة، وهمست لها بالتخاطر، بابتسامة من شفاهها المطلية بحمرة زاهية: «*استمتعي*».

ثم تحركت جانبًا، ليجلس زافيير بجوار سكارليت.

من حولها، استلقت الفتيات على مقاعدهن في هدوء. استندت فيفي برأسها على صدر مايسون، وطوت ذراعيها أمامها، أراحت جيس رأسها على حِجر جولييت، التي شردت بذهنها بعيدًا، وهي تتلاعب بخصلات من شعر صديقتها. أما إيتا وأريانا، فقد انجذبتا لأحداث الفيلم في ابتهاج، تتهامسان ما بين اللحظات الحاسمة، وتستمر ريجان في إسكاتهما. لم تتخيل أن لأفلام الرعب كل هذا الصدى المثير بين البعض؟

بعد برهة، حجب زافيير رؤيتها للشاشة، وجزءًا من مشهد مؤثر، في أثناء عبوره من أمامها، فابتسمت له ممتنة، عندما قال: «هل تأذن لي صاحبة السمو بمحادثتها؟».

تردد زافيير قبل أن ينزلق إلى جانبها، ويسترخي على البساط الكبير المريح، المزين بصور للقمر والنجوم، الذي افترشته فتيات الكابا تحت مقاعدهن. رفع زافيير حاجبيه، وهو يربت على سطح البساط: «كيف لهذا البساط أن يكون مريحًا إلى هذا الحد. مع العلم أن العشب أسفل منه، يتكون من عدد من الصخور وبعض الأغصان المتكسرة؟».

ضحكت بصوت خافت: «بقليل من الخبرة، تتعلم كيف تتعامل مع تضاريس الأرض».

قال: «أعتقد أنني مدين لكِ بالاعتذار».

ارتفع حاجبا سكارليت: «عن ماذا؟».

ارتبك في خجل، حتى ظهرت ملامحه حادة جدًّا في ضوء الشاشة: «عليَّ الاعتراف أنني رحلتُ عن حفلك مبكرًا».

تنهدت: «دعني أخمن. هربت إلى حفل الثيتا؟».

هز زافيير رأسه: «في الواقع، ذهبت للنوم. أشعر أنني عجوز من الداخل».

ضحكت مرة أخرى، فالتفتت ريجان تبحث عمن يضحك لنُسكِته. عندما اتضح أنها سكارليت، احمرت وجنتاها خجلًا. وعادت تصب اهتمامها على

الفيلم في هدوء. حدقت سكارليت إلى ظهر ريجان، وتذكَّرت انفعالها الغاضب في أثناء طقس الذاكرة بعد الحفل. ألا تزال فكرتها عنها هي نفسها؟ أنها ليست قائدة جيدة للكابا، كما كانت داليا من قبل.

اقترب زافيير منها منحنيًا، وهمس: «سأذهب لإحضار بعض الفشار؟ هل تريدين أن أجلب لكِ شيئًا؟».

أوشكت أن تطلب منه مياهًا غازية، قبل أن تجذب انتباهها حركةٌ ما: أرخى جاكسون قبضة ذراعه حول كايت، واتجه نحو مقصف الوجبات الخفيفة في أقصى المروج. تمتمت، قبل أن تترك لنفسها فرصة للتفكير على نحوٍ أفضل: «سآتي معك».

مد لها زافيير يده ليساعدها على النهوض، فجفلت من ملمسها الخشن، كما لو أنه أرهق يده بعمل يدويٍّ. رغم أن هذا يتنافى مع سلوكه الصبياني اللامبالي تمامًا. قالت عندما وقفت على بُعد خطوة منه: «كيف تجد ويسترلي حتى الآن؟ هل ترقى لمستوى جامعتك السابقة؟».

أجابها: «قليلًا».

ثم استدرك ما قال، مركزًا نظره على عينيها: «أوه، معذرة، هل تقصدين أكاديميًّا أم من حيث نظام المواعدة؟».

حدقت إليه قليلًا بابتسامة باهتة. فهي لا تبالي بمغازلة زافيير لها الليلة، إلا بمقدار ما تحتاج لإرضاء غرورها الشخصيِّ: «ما السبب وراء انتقالك من جامعتك؟ أعني، بجانب نظام المواعدة».

ابتسم ابتسامة عريضة: «تبدين فضولية جدًّا. هل تُجرين دائمًا اختبارًا من الدرجة الثالثة للوافدين الجدد، أم أنني حالة خاصة؟».

احتجت قائلة: «أحاول فقط أن أُجري محادثة عادية».

اقتربا من صف الانتظار أمام المقصف. رصدت جاكسون هناك، يسبقهما قليلًا في الصف، واضعًا يديه بجيبيه، ويميل برأسه إلى أحد جانبيه. تتبعت سكارليت وجهة نظره، لتدرك أنه يحدق بشكل مستقيم عبر الحديقة إلى كايت. كأنه لا يحتمل الابتعاد عنها بضع لحظات.

ما هو الشيء المميز بها؟

لا تستطيع سكارليت استيعاب الأمر. لطالما نفر جاكسون من الفتيات المنتميات للنوادي النسائية، لدرجة أنها استغرقت عدة أسابيع في مراسلته حتى تخفف من تشدده، ويطلب منها الخروج معه. ليتركها بعدها بأيام، فجأةً، وبطريقة غريبة، من أجل فتاة أخرى، لا تناسب طبعه تمامًا؟

تحرك الصف، واتخذ جاكسون خطوة إلى الأمام دون أن يرف له جفن. من خلال إضاءة المقصف، رأته يرتدي قميصًا مزررًا وسروالًا فضفاضًا. حتى طريقة ارتدائه لملابسه تغيرت. هناك شيء خاطئ. إن جاكسون الذي تعرفه لا يرتدي سوى القمصان العادية، التي عليها وجه أو شعارات.

انتبهت على صوت زافيير: «لو أنني تطفلت...».

توردت وجنتاها، حين لاحظت أنه ينقل بصره بينها وبين جاكسون. وكأنه فضح أمرها. أجبرت نفسها على الضحك: «آسفة. لقد شردتُ بذهني. لقد كان أسبوعًا حافلًا بالأحداث».

- ما زلنا في بداية الأسبوع.

- كنت تقول إنك انتقلت بسبب...

مرر يده في شعره، وأردف: «أنتِ حقًّا لا تسمحين لأحد بتغيير الموضوع، أليس كذلك؟».

تطلعت إليه من كثب. لماذا يتحدث بجدية فجأةً؟

- إن كنتَ لا تريد التحدث عن الأمر...

ضحك بخفة هذه المرة، كأنه يجبر نفسه: «لا، لا بأس. إنه مجرد جدال مزعج مع عائلتي، هذا كل ما في الأمر. لدى والديَّ تطلعات هائلة عن مستقبلي، والنهج الذي عليَّ اتباعه».

جف حلقها على نحو غير متوقع. يمكنها أن تفهم ما يقصده، في ضوء التوبيخ الذي تلقته من أمها في آخر مكالمة: «هل أجبراكَ على الانتقال إلى هنا؟».

رد بنبرة ساخرة، في محاولة لتغيير ما فهمته: «لم يجبراني بالمعنى الصحيح. هما فقط أوضحا الأسباب التي من شأنها أن تجعلني أوافق. بالإضافة أنهما سيتوقفان عن دعمي أكاديميًّا، إن رفضتُ شروطهما».

تنهدت: «للأسف، يبدو هذا مألوفًا جدًّا».

تجهم وجهه: «إنني آسفٌ لسماع ذلك».

رفعت إحدى كتفيها بفتور: «لكن أعتقد أن الأمور لدي أسوأ حالًا. لا تخطئ فهمي، أنا أحب عائلتي».

أطال النظر بعينيها: «وأنا كذلك. أتمنى فقط لو أنهما أحبَّاني بقدر ما يحبان العادات والتقاليد».

نظرت إليه سكارليت، وقد فاجأها شعورهما المتقارب، بعيدًا عن انتمائهما إلى أخويات بعينها. لأول مرة يقول لها شيئًا حقيقيًّا عن نفسه. أردفت بكلمات ذات مغزى: «لقد أعادت سموُّها النظرَ في موقفها من الرسميات، ورأت أنها تفضل التحدث معك دونها».

قال بجدية: «أعتقد أنه يمكننا تدبر الأمر».

اصطدم بها شخص ما ودفعها للأمام. وضع زافيير يده على ظهرها لحمايتها، قائلًا للرجل الذي صدمها: «مرحبًا، احذر كيف تتحرك».

لم تحاول أن تبعد يده عن ظهرها. لكن عندما نظرت أمامها، أدركت أنهما قد وصلا إلى مقدمة الصف. وعند الزاوية، وقف جاكسون في انتظار الفشار. جعلها التحدث إلى زافيير تصرف انتباهها عنه، وتنساه.

مع هذا، ما زالت ترى خطبًا ما بجاكسون. إنها على يقين بذلك. ليس فقط بخصوص كايت، فلديه أيضًا، تلك النظرة في عينيه، كأنه في مكان بعيد أو ضائع. لم يسبق لها أن رأته في مثل هذه الحالة. عادةً، لا يبقى هادئًا صامتًا، بل يلتفت إلى كل شيء وكل شخص. فعندما تقابله، يبدو متيقظًا للتفاصيل على نحو مزعج. في البداية، اعتبرت ذلك مثيرًا للأعصاب، ثم وجدته مع الوقت ساحرًا، ولا يقاوم. أما هذا الشخص فهو غائب تمامًا.

يجب عليها أن تتحدث معه. عليها -على الأقل- أن تحاول. إن جعلته غيورًا، سيبدو تصرفها طفوليًّا وساذجًا، لكن كل ما يهم هو أن تتأكد أنه بخير. تقنع نفسها أن الأمر لا يتعلق باستعادته. تكاد تصدق ذلك.

قالت لزافيير: «معذرة. هلَّا أمهلتَني ثانية واحدة!».

ثم خرجت عن الصف: «جاكسون».

لم يرُد عليها أو يحاول التعرف على الصوت. قاومت رغبتها بالصراخ في وجهه، وفضلت أن تربت على كتفه برفق: «جاكسون».

قفز من مكانه فازعًا، لكنه بالنهاية نظر إليها، أم لعله ينظر من وراء كتفها، كأنه لا يستطيع التركيز بوجهها. صاحت به: «مرحبًا. هل أنت بخير؟ أعني هل تشعر أنك بخير؟».

اعتادت أن يتحداها، ويعتبرها مُحللة نفسية، ويهزأ منها. لكن ها هي ذي تقف أمامه مباشرةً، ولا يكاد يشعر بها.

- توقف عن النظر إليها. انظر إليَّ.

أوشكت على استخدام السحر، ومنعت نفسها، إنه أكثر شخص بحياتها لا تريد التأثير فيه بالسحر.

عبس وجهه، وظهر تجعد حاد بين حاجبيه. في حين أن جاكسون الذي تعرفه لا يعبس بهذه القسوة. لم تعتد أن ترى تعبيرات على وجهه غير ابتسامات غرور، أو تهكمات ساخرة. رد عليها بنفس النبرة الواهنة، الوحيدة، التي تحدث بها لأسبوع كامل: «أنا بخير. أحتاج فقط الحصول على مشروبات من أجلي وكايت».

واصل حكَّ رقبته حتى انتهى من كلامه، جاعلًا السلسلة التي يرتديها تدور مرارًا.

لن تفهم شيئًا على هذا المنوال. عليها سؤاله مباشرةً: «صحيح، بشأن كايت...».

لمعت عيناه للمرة الأولى منذ أيام: «إنها رائعة».

- تمام. أعني، هذا جيد. أنا سعيدة من أجلك، لكن أنا... متى تقربتما من بعضكما بعضًا؟

ارتفع معدل ضربات قلبها، رغم استمرارها في تذكير نفسها: *لم يعد يهم. لن يعود إليكِ مجددًا.*

لقد قضيا وقتًا طويلًا يتراسلان يوميًا، حتى قبل أن تذهب لمقابلته، في الموعد الذي...

قال جاكسون: «تقابلنا في نهاية هذا الأسبوع، في حفل الثيتا المبكر».

أراحها رده من توترها. فعلى الأقل، لم يواعد كلتيهما خلال العطلة. ومع هذا، لا يزال يشغل تفكيرها شيء آخر: «لذا، فعلاقتكما حديثة، أليس كذلك؟».

أومأ بالإيجاب: «اعتقدتُ هذا، لكنني أشعر أنني أعرفها منذ زمن بعيد. إنها رائعة».

سقط قلبها بين ضلوعها: «اسمع يا جاكسون...».

- يجب أن أذهب.

حمل المشروبات الغازية بيديه، وسارع الخطى عائدًا. في حين راقبته سكارليت مبتعدًا للحظة، وبصدرها وخز مؤلم.

اتركيه يذهب.

من الواضح أنه على ما يرام، غير أنه تغير قليلًا. لا يفترض بها أن تفكر به وكايت، على أي حال. يكفي أنها تأكدت بنفسها أنه لا يتذكر أي شيء مما حدث الفصل الدراسيَّ الماضي. هذا أمر جيد.

أسعيدة بهذا الآن؟

أنَّبت نفسها، ثم عادت لتقف بجانب زافيير، الذي تحرك جانبًا.

- منذ متى انفصلتما أنتِ وهذا النادل؟

- لا تدعُه هكذا.

- مؤخرًا، إذن؟

قالت سكارليت بمرارة: «ليس بالضبط. ظننتُ أن بيننا توافقًا، لكنه نفى الأمر».

- يا له من أحمق. تعرفين، بعض الرجال لا يرون الأشياء القيِّمة، حتى لو أمام أعينهم مباشرةً.

- ما عداكَ، صحيح؟

ابتسم زافيير: «بالطبع، فلدي رؤية مثالية».

مازحته قائلة: «هل ظهر تأثير تلك الرؤية في شخص ما بالفعل؟».

- ليس بعد. لكنني متفائل.



حمل كلاهما الفشار والمشروبات الغازية، واتجها عائدَين، عندما سمعت ذلك الصوت. كان خافتًا في البداية، كالهمس. افترضت سكارليت أنه مجرد صدى همس بين شخصين، عرجا عليهما في الطريق. يتبادلان تعليقات لطيفة فيما بينهما، خاصة أن الفيلم قد وصل إلى نهاية رومانسية.

استمر الصوت في الارتفاع، والاقتراب. توقف زافيير، وركز رأسه إلى جانب واحد، بانتباه. ثم سألها: «هل تسمعين...».

علا صوت أحدهم بصراخ حاد، لا ينتمي إلى الفيلم المعروض. لم يكن لأشهر مخرجي الإثارة، حتى هيتشكوك نفسه، ليحصل على صراخ واقعيٍّ كهذا -صراخ عالٍ ومذعور- لم يسبق لها أن سمعت مثله من قبل، حتى في أثناء مواجهتها لتيفاني.

انتصبت كل شعرة في مؤخرة عنقها. انتبه كل من حولها، وشد قامته في ارتباك. تزايدت الصرخات المذعورة على نحوٍ هستيريٍّ، آتية من منتصف المروج.

الكابا!

ركضت سكارليت على الفور، متجاهلةً أمر زافيير، ومتفاديةً مختلف المجموعات الأخرى من الأخويات والنوادي النسائية. قفز الجميع عن بساطهم ومقاعدهم. وأخيرًا، رصدت بعينيها مصدر الضجيج.

كانت بايلي على الأرض تتلوى، وبجوارها ريجان وسونالي تحاولان الإمساك بذراعيها. في كل مرة، تهاجمهما بايلي بعنف، فتتراجعا للوراء، ثم تعاودان التقدم. راقبت سكارليت ريجان، وهي تتقدم ثم تتراجع للوراء مذعورة، وقد تلطَّخت ذراعها بخيط من الدم، بعدما نشبت بايلي أظافرها بها.

وفي الثواني التالية لتحرير نفسها من ريجان، اختطفت بايلي كتلة من شعر رأسها، وأخذت تشده بأقصى قوتها. على بُعد عدة خطوات منها، سمعت سكارليت خصلات من شعر بايلي تُنتزع من مكانها. اقتربت لتوها، من مِي وإيتا، المنغمستين في الهمس لبعضهما بعضًا، بعينين ناعستين. صاحت من مسافة آمنة: «مرحبًا بايلي! هذا أنا! أنا هنا، وكل أخواتك هنا معك...».

ثم أغلقت عينيها، وتخاطرت إلى كل الأخوات دفعة واحدة: «*افعلن التعويذة المهدئة. الآن!*».

ركعت سكارليت على ركبتيها بجانب بايلي، وأمسكت بيدها. تبعتها كل الفتيات، وتحلَّقن حولها على الأرض. بدت حالة بايلي سيئة للغاية. فقد خدشت وجهها وحلقها، وتناثرت بقع الدماء على ثوبها الأبيض.

على بُعد قريب، سطعت أضواء كاشفة. سمعت همهمات وصيحات، ممتزجةً بسرينة سيارة الإسعاف. تمتمت مِي بجوارها بتعويذة إلهاء، واعتراها بعض الارتياح، الذي خفف قليلًا من وطأة الأسى الملازم لها. كان ينبغي لها أن تفكر في ذلك أولًا، في اللحظة التي رأت فيها بايلي.

أدار الجميع من حولهم أنظاره المحدقة، وابتعد بعضهم. رغم أن التعويذة لن تدوم لفترة طويلة، وقد رأوا الكثير بالفعل.

تمسكت سكارليت بأيدي أخواتها: «ندعو بطاقة الكأسين و...».

يا للحماقة، ماذا كان الجزء الثاني؟

ضاق نفسُها، بدأت تلهث مذعورة، ودارت الهواجس بعقلها. في حين، تكورت بايلي حول نفسها، ضعيفة، هشة، وملطخة بالدماء. لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في الغابة، في تيفاني، ونظراتها عندما ابتلعتها العاصفة بالكامل. راقبتها الغربان الأخريات للحظة، حتى ضغطت إيتا على كتف سكارليت، وتولت قيادتهن محلها.

وجدت سكارليت صوتها، أخيرًا: «ندعو بطاقة الكأسين، ورأس الطَّارة. امنحا هذه الطفلة النور لتُشفَى».

رددت الساحرات جميعهن: «ندعو بطاقة الكأسين، ورأس الطَّارة. امنحا هذه الطفلة النور لتُشفَى».

توقفت بايلي عن المقاومة. هدأت أطراف جسدها، وأغمضت عينيها. أما الآثار الدامية على وجهها وحلقها، فبقيت على حالها، كما الجزء الكبير الخالي من شعر رأسها. يشاهدنها تعاني أمام أعينهن، وبالكاد يؤثر بها سحرن. لماذا لا تزال تتألم؟ على الأقل، لا تزال تتنفس.

استرسلت سكارليت والساحرات في إلقاء التعويذة بصوت عالٍ بتحدٍ: «ندعو بطاقة الكأسين، ورأس الطَّارة. امنحا هذه الطفلة النور لتُشفَى».

همست ريجان: «إنها لا تعمل».

ثم تخاطرت مِي إلى سكارليت لاهثة: «*تعويذة الإلهاء تتلاشى. لا شيء يؤثر. لماذا لا يعمل أي شيء معنا؟*».

مع آخر كلمات مِي، شعرت سكارليت بالطلاب، يعودون للتجمع حولهن مجددًا. في حين تحلَّق بالقرب منهن بعض فتيان البيكا. تساءل أحدهم: «لماذا تكتفون بالتزاحم حولهن يا رفاق؟ لماذا لا يمد أحدكم يد المساعدة؟».

وجَّه آخر سؤالًا لمايسون، الذي وقف مشدوهًا بجوار فيفي: «هل هي بحاجة للمساعدة؟».

شمَّر تِيم، صديق ماريا عن ذراعيه قائلًا: «أنا سأحملها. تقف سيارة الإسعاف هناك بمحاذاة موقف السيارات».

جثا على ركبتيه، متطلعًا في وجه سكارليت للحصول على إذنها. نقلت بصرها بينه وبين أطراف جسد بايلي، التي تسيل منها خيوط دامية. ثم أومأت برأسها.

رفع تِيم بايلي، كما لو أنها لا تزن أكثر من وزن الفستان الذي ترتديه. تركت فيفي مايسون، واقتربت بضع خطوات من تِيم. ووجهت نظرها إليها: «سأذهب معها. سأتأكد أن تصل إلى المستشفى بخير».

صاحت ريجان: «وأنا أيضًا».

راقبتهم سكارليت، وهم يعبرون الحديقة نحو الأضواء الحمراء الوامضة، وقد تسمرت مكانها بلا حراك: *ماذا الذي حدث؟*

قبل دقائق من مغادرتها، كانت بايلي بخير، وتستمتع مع أخواتها بمشاهدة الفيلم. ألم يكن الأمر كذلك؟ هل هذه علامة تحذير قد غفلت عنها، في أثناء انشغالها بجعل جاكسون يغار من زافيير؟ لقد نسيت أمر هذا الأخير تمامًا، حتى لكزتها مِي، مشيرةً تجاهه. بمجرد أن استدارت، وجدته يحدق إليها مبهوتًا.

اللعنة. كم كشف من أمرهن؟

الفصل الثاني عشر

فيفي

من خلف كومة من الأعشاب في متجر المرجل والشمعدان، الواقع في وسط مدينة سافانا، الذي اعتادت الغربان شراء معظم اللوازم السحرية منه، سألت فيفي: «هل نحتاج إلى عُشب النار؟».

سحبت سكارليت حفنة من الخلاصات العشبية من أحد الرفوف، وتفحصتها عن قرب: «أعتقد أنه لا تزال لدينا حزمة حديثة في المخزن. هل أعادوا تخزين أقماع البخور؟ كما يكاد ينفد لدينا دم التنين».

قالت فيفي: «سأرى ما عندهم».

استنشقت بعمق المزيج المركز من الأعشاب المجففة، والبخور ذي الرائحة النفاذة، والكتب القديمة. تصفِّي رائحة السحر رأسها، وتهدئ من اضطرابها. إن هذه هي المرة الأولى التي تشعر فيها بالراحة حقًّا، منذ ليلة الحفل الكارثيّ.

أردفت سكارليت ببطء، وكأنها قرأت أفكار فيفي: «بشأن الحفل المختلط. والنتائج العكسية، التي انتهت إليها كل التعاويذ في وقت واحد، هل لديكِ فكرة عن السبب؟».

تجمدت فيفي مكانها، بعد لحظة استرخاء لم تدُم طويلًا. هل هذا سؤال أم نوع من الاختبار؟ ردت بحذر: «تعتقد ريجان والفتيات أن أحدهم متورط في هذا، لقد شعرن بنوع آخر من السحر، عندما كنا نحاول إصلاح التعاويذ».

أومأت سكارليت برأسها، ثم شبَّت على أطراف قدميها، لتصل إلى سوار من العقيق الأزرق على الرف العلويِّ: «وماذا تعتقدين أنت؟».

جفلت فيفي وانتابها إحساس بالذنب، كأن قرحًا بمعدتها، قد تسللت مرارته إلى حلقها: «أعتقد أنني السبب».

- لماذا؟

رفعت سكارليت حاجبها، وترقبت رد فيفي: «لقد تلهيتُ عن الاهتمام بالحفل».

تعلم فيفي أن الأمر لم يعد يحتمل أعذارًا غامضة، فأخذت نفسًا عميقًا، وقالت بسرعة: «أعتقد أنني قابلتُ أخي».

تفاجأت سكارليت وطرفت بعينيها عدة مرات، وحدقت إليها في ذهول: «ماذا؟ أخ؟».

تماسكت سكارليت ونتر لوقت طويل، لكن لدى تلقيها الخبر، فقدت توازنها، على نحو غير مسبوق. رَوت لها فيفي عن حوارها الغريب مع دافني، وما استخلصته من حديثها مع تِيم. فذهبت تعبيرات الصدمة عن وجه سكارليت، لتستمع إليها في تعاطف، تلمح من ورائه نظرة شفقة. بعدما انتهت، سألتها سكارليت: «أتقصدين تِيم صديق ماريا؟».

أومأت فيفي بالإيجاب: «رائع، أعني... لا أعرف ماذا أقول».

تأرجحت فيفي يمنة ويسرى في غير راحة، متمنيةً لو فكرت قليلًا قبل أن تروي لها كل ما حدث.

- حسنًا، أنا بجانبك، إذا احتجتِ أي شيء.

قالتها سكارليت في إحراج، كأنما تواسي فيفي على فقدان فرد من عائلتها، وليس اكتساب أخ جديد، لم تعرف عنه لزمن طويل. هل هذا أمرٌ مُحرج؟ لم تدرك فيفي، حتى اللحظة، أن يكون لدى أحدٍ مثل سكارليت -التي تنحدر من عائلة عريقة- أخ من أم أخرى، وتعامله بازدراء.

قالت فيفي، تحاول تغيير الموضوع. «أشكركِ. أعدكِ أنني لن أنشغل مجددًا عن عائلتي التي أعرفها، الغربان».

أومأت لها سكارليت: «لكن، هل ما زلتِ تعتقدن أن التعاويذ التي أُلقيت من جهة الكابا، هي السبب وراء فشل الحفل؟».

هزت فيفي رأسها: «لستُ متأكدة. فبعد ما حدث لبايلي في الحديقة الرئيسية، لم أعد أعتقد كذلك. ماذا لو أن أحدهم يعتزم إيذاءنا؟ لا يمكن أن أتعرض لفصل دراسيٍّ مرعب آخر».

تنفست سكارليت بعمق وببطء، ثم أعادت سوار العقيق إلى مكانه: «أعلم ذلك. لكن إذا كان هناك شخص ما يستهدف الغربان، فنحن بحاجة إلى وضع حدٍّ له».

- حدث شيء آخر في حانة الطالب العَطِش. اندلع شجار من العدم عند طاولتنا، واخترق تعويذة الإلهاء التي فعلناها.

ترددت سكارليت: «قد يكون أمرًا عاديًّا. يتسبب الإسراف بالكحول بأشياء من هذا القبيل».

صمتت فيفي لبرهة، فهي لا تريد أن تشارك حديثًا آخر. يُتعامَل معه بمزيد من الشفقة: «بالتأكيد. لكن راودتني رؤى غريبة، شعرت أنها حقيقية. كأنني ما زلت في الغابة مع تيفاني. حتى تغير كل شيء، وعاد لطبيعته».

اقتربت منها سكارليت، وأحاطتها بذراعها: «مع الأسف، أسترجع أحيانا ذكريات مريعة بدوري».

أردفت فيفي بنبرة خافتة، خشية أن يعلو صوتها بما ستقول: «لا أظن أنها مجرد ذكريات. ماذا لو أن تيفاني لم تمُت حقًّا؟».

حركت سكارليت رأسها بالنفي: «لقد رأيتها، عندما جاءت عائلتها... بها (لم تستطع أن تنطق بكلمة «جسدها») لقد ماتت، يا فيفي. أما لو استولى شخص آخر على أفكار منها...».

توترت فيفي، وأدركت فجأةً أنه ربما تعمدت سكارليت إحضارها معها هنا، لإجراء هذه المحادثة، خارج الحرم الجامعيِّ، وبعيدًا عن الأعين والآذان المتطفلة: «لا تعتقدين أنها إحدى الغربان، صحيح؟».

زمَّت سكارليت شفتيها للحظة قبل أن تقول: «أتمنى ذلك. إنني أثق بأخواتي. لكنني وثقت في تيفاني من قبل أيضًا».

شعرت فيفي بالغثيان، فأغمضت عينيها. لو اكتُشف أن أختًا أخرى تخون الغربان، فمتى سيسترجعن الثقة ببعضهن بعضًا؟

هزت سكارليت كتفَي فيفي برفق: «استمعي لي. دعينا لا نُرهِب أنفسنا. حتى نتحقق من الأمر. اتفقنا؟».

فتحت فيفي عينيها: «اتفقنا».

- رغم كل شيء، نحتاج كامل تركيزنا أن يحقق حفل لمِّ شمل الكابا -المئة والخمسون- نجاحًا ساحقًا، أليس كذلك؟

أومأت فيفي لأختها الكبرى بابتسامة واثقة. يجب عليها أن تجعل هذا الحدث مثاليًّا مهما كلفها الأمر.



في وقت لاحق قبيل الغروب، أسندت فيفي ظهرها إلى جذع شجرة، واضعةً كتاب السحر على ركبتيها. أظلمت الغابة بما يكفي، لتتوقف عن كتابة الملاحظات. كما أن الأغصان أخذت تهتز مع هبات الريح، ملقيةً بظلال داكنة عنكبوتية على صفحات الكتاب. لم تراودها، قبل أيام قليلة، فكرة الاقتراب من الغابة، من ذات المكان، حيث استدرجتها تيفاني، لتنتزع قلبها، وتسلب منها قواها السحرية. بعد محادثتها الأخيرة مع سكارليت، احتاجت إلى مكان خاص لتفكر، وتمارس تعاويذ جديدة. ووجدت نفسها تتجه للغابة القابعة خلف الكابا هاوس، حاملةً الكتاب السحريَّ، الذي أمدها بالأمان والاحتمال، لأول مرة منذ شهور. تكاد تجزم أنه يمدها بقوى سحرية عبر صفحاته إلى عروقها مباشرةً. مما جعل ممارسة التعاويذ تسير على نحوٍ سلس وطبيعيٍّ، لتثق كفاية بقدرتها واستعدادها لمواجهة أي كائن شيطانيٍّ كامن في الغابة، سواء كان حقيقيًّا أو خياليًّا.

هذه ليست إلا البداية. إذا تمكنت من إتقان كل التعاويذ المذكورة في الكتاب، يمكنها الاعتماد على نفسها في إعداد حفل لمِّ الشمل بأكمله، باستخدام تعويذة واحدة، دون الاعتماد على أي مساعدة من أي أحد. إذا حدث خطأ هذه المرة، فلن تلوم إلا نفسها. أما لو أرادت ساحرة خائنة من الغربان العبث بسحرهن، فلن تجد أمامها سواها. ارتجفت لتلك الخاطرة.

عندما دخلت إلى الغابة من بعد ظهر اليوم، بدا كل شيء على ما يرام. استطاعت من مكانها أن تسمع ضوضاء الطريق، وعبور السيارات، وهمهمات عادية، من حين لآخر، فاطمأنت، حتى لو لم تقدر على الرؤية بوضوح من خلال الشجيرات الكثيفة.

لكن مع حلول الغسق، ألقت بنظرات متوجسة قلقة من الظلال الطويلة الملتوية. تُذكِّرها بالطيور التي استدعتها تيفاني من خلال سحابة دخانية. فتسارع نبضها، ووضعت يدها بشكل غريزيٍّ على صدرها، مستحضرةً لهاثها المتصاعد، وضيق نفسها الحاد.

أجبرت نفسَها أن تأخذ نفسًا عميقًا مطمئنًا. لا يمكن أن يحدث لها شيء هنا، بعد هزيمة تيفاني وتدمير طلسم هينوسيس. لن تسمح أبدًا بأن تتخاذل أو تُستضعف مرة أخرى من أجلها وأخواتها. تنوي أن تتم قراءة الكتاب السحريِّ هذا، من الغلاف إلى الغلاف، وتستوعب أسراره، لتصبح ساحرة تثير الإعجاب، وليست فتاة مثيرة للقلق والشفقة.

أضاءت المصباح بهاتفها، ثم عاودت العمل. تنذهل، كيف تصبح ممارسة التعاويذ الجديدة أيسر هنا في الغابة. ربما يرجع ذلك لكونها ساحرة خماسية، وقواها تُثقَل عند قربها من الأرض، والأشجار المنحنية فوق رأسها، وجذور الأشجار المتآكلة، الزاحفة في باطن الأرض من تحتها.

تململت في جلستها، مدت ذراعيها فوق رأسها لتُنشِّطها، ثم استنشقت بعمق، تاركةً عبق الغابة، يتسرب إلى رئتيها: عطر الأرض الرطبة، أوراق الشجر التي غطاها الصقيع، ورائحة الصنوبر على قمم الأشجار. ثم أخرجت دبوسًا من جيبها وغرزته بعنف في جلدها الرقيق بين عظام الرسغ، حتى لهثت: «أرِني ما أريد رؤيته».

بالكاد تعرفت على صوتها، الذي بحَّ واحتقن في حلقها، وهي ترفع رأسها لأعلى، وترقب الغابة تتحرك من وراء أهدابها.

تحركت الأشجار أولًا، وتقوست أغصانها العالية للخارج، في وضع الدعاء. بينما نهضت على قدميها ببطء. يمكنها أن ترى النجوم الآن، الملايين منها، بعيدًا عن أضواء سافانا الساطعة. كلما أطالت التحديق، كلما اقتربت منها

السماء، فمدت يدها تمسك بالسماء بأطراف أصابعها، وتشدها كالستائر المنسدلة، لتوقِعها أرضًا.

تغطت أرض الغابة، حتى اختفت الأشجار والأوراق المتساقط، تاركةً النجوم فقط تحت قدميها، وبقيت السماء نفسها، سوداء قاتمة، تحيط بالغابة من كل اتجاه.

لحراستها، تحلَّقت حولها الأشجار، التي ارتفعت من باطن الأرض المرصعة بالنجوم. لكن لفت انتباهها حركة خاطفة بين الأشجار. هناك من يراقبها.

اغتاظت لهذا الأمر. لقد جاءت إلى هنا ترغب ببعض الخصوصية، فلماذا بحق الجحيم لا يتركها الناس في حالها؟ لكن ذبذبات السحر التي تجري بعروقها، جعلتها تتغاضى عن استيائها، وزادتها حماسة لتكمل ما بدأته. وماذا لو تجسس أحد عليها؟ أمدتها قوى السحر المتصاعدة داخلها بالثقة في قدرتها على أداء أي تعويذة تحتاجها، متى أرادت. يمكنها مسح ذاكرة ذلك الشخص المتلصص، أو استحضار أرواح تثير به الرعب، ولن يستطيع النطق بما رأى.

رفعت فيفي كلتا يديها للأعلى، وبلمح البصر عاد العالم إلى طبيعته: نجوم عادية في سماء عادية، وأشجار عادية، لم تعد تسبح في بِرك نجمية ذهبية لامعة. ظهر عندها الجسم المتحرك، كالظل على بُعد منها. ركضت وراءه، تبحث بذاكرتها عن تعويذة تجعل هذا الدخيل تتباطأ خطاه.

همست، وهي تركض لاهثة: «أدعو ملكة الأرض. دعي قوتك تتجلى بين الموت والبعث».

ارتعدت الأرض قليلًا من تحت قدميها، استجابة لأمرها. وامتدت الجذور زاحفة عبر الغابة، تتعقب آثار ذلك المتلصص.

إنها تعمل.

طربت فيفي لمرأى الظل أمامها، يوشك أن يتعثر ويسقط مكانه. حاولت أن تسرع الخطى تجاهه، تتحرق لمواجهته. لكن فجأةً، شعرت بثقل قدميها. وفي لحظات، جمد كل جزء بجسدها، كما لو أنها سقطت للتو في بحر

جليديٍّ. أصبح الهواء من حولها حادًا وقارسًا، وخرج زفيرها كنفخات بيضاء. لم تشعر فيفي برعشة برد كهذه من قبل، حتى خلال الشتاء الذي قضته مع أمها في نورث داكوتا.

لفت ذراعيها حول نفسها، وحاولت أن تتمتم رغم اصطكاك أسنانها: «أدعو.. ملكة.. الصولجان. أظهِري قوتكِ.. أمدِّيني بالضوء».

انتظرت حتى تشعر بالذبذبة المألوفة في أطراف أصابعها. لم يحدث شيء، ظلت باردة ومتيبسة. لم يكن سحر الصولجان سهلًا عليها قط، لكن عليها أن تلقي تعويذة الدفء البسيطة هذه. ارتجفت لاهثة، وهي تقاوم باستماتة. همست: «أظهِري قوتك.. أمدِّيني بالضوء».

كما داهمها الصقيع في لحظات، اختفى. التقطت أنفاسها في ارتياح، وهي تدلك ذراعيها بقوة، وعاد الدم يتدفق إلى أطرافها. اختفى الظل أيضًا.

همست، وهي تهز رأسها بعنف، قبل أن يلفت انتباهها شيءٌ ما، يرفرف على أحد الشجيرات متكسرة الفروع، كما لو أن شخصًا ما قد اخترقها للتو: *تبًّا*.

خصلة شعر. دنت فيفي والتقطتها. إنها خصلة شقراء من الجذور، يتدرج لونها إلى الورديِّ الزاهي.

روز!

يا إلهي. كم هذا سيئ، سيئ للغاية. لقد رأتها فتاة عادية، وهي تمارس السحر، وليس سحرًا بسيطًا، بل معقدًا، وكبيرًا، يستحيل تجاهله. عليها أن تستخدم تعويذة أخرى للذاكرة، لكنهن قد محون ذاكرة روز بالفعل، مثل الجميع، في أعقاب الحفل.

أطلقت صرخة فزعة، عندما رن هاتفها. وضعت خصلة الشعر بجيبها، وأخرجت الهاتف: مايسون، ما الأمر؟

أجابت بصوت مرتعش، فلعنت نفسها: *تصرفي بطبيعية، يا فيفي*.

لم يلحظ مايسون تغير صوتها، وسألها: «ماذا حلَّ بكِ؟ أين أنتِ يا فيفي؟ قد مرت ساعة بالفعل، وأنا أنتظرك».

في خلفية حديثه، سمعت عزفًا موسيقيًّا هادئًا، وثرثرات خافتة. جفلت، ثم رفعت الهاتف أمام ناظريها، لتتفقد الوقت: 7:47.

تبًا. كيف تأخرت لهذه الدرجة؟ لقد خططت أن تعود للكابا هاوس، في وقت كافٍ قبل موعدها مع مايسون.

- آسفة جدًّا. كنتُ أدرس، وفقدت الإحساس بالوقت تمامًا.

بدا متوترًا وغاضبًا، وهو مزيج نادر لا يُعبر عنه: «هذه هي فرصتنا الأولى التي نرى فيها بعضنا بعضًا منذ أيام، يا فيفي. كنت أتطلع إلى موعدنا، والآن...».

- أعلم، سأتجه إلى هناك في الحال (ثم نظرت إلى نفسها والوحل الذي يغطي سروالها الجينز) فقط امنحني بضع دقائق لأغير ملابسي.

مرت برهة طويلة من الصمت، حتى هتف بها مايسون: «انسي الأمر، يا فيفي».

سقط قلبها.

- سوف أعوضكَ عن ذلك، يا مايسون. أعدك. أنت تعرف الضغوط التي لدي ما بين الدراسة والكابا...

تنهد: «أعرف، يا فيفي. حاولي فقط أن تتذكري أن وقت الآخرين مهم كذلك! لستِ وحدكِ التي لديها ضغوط كثيرة هذه الأيام. كما أنني أفتقدك. نحتاج إلى تخصيص وقت لبعضنا بعضًا».

- أنت على حق. إنني آسفة.

كررت اعتذارها ثانيةً بندم أعمق. لكن عندما نظرت إلى الشاشة، كان قد أغلق الخط.



الفصل الثالث عشر

سكارليت

تركت سكارليت جزءًا كبيرًا من غرفة مكتب داليا دون تغيير. تكدست في الأركان آثار التنسيق الخاص بالرئيسات السابقات، وأصبح شائعًا بمرور الوقت، أن تُترك كل تلك التغيرات السابقة على حالها: من أرفف التخزين المُكدسة، والمكتب الضخم، إلى الكرة الأرضية في زاوية الغرفة، ذات الفتحة السرية، التي تكشف عن أكواب كريستالية مزخرفة الحواف، وقنينة شراب.

لكن جعلتها هذه التنسيقات تتوتر للحظات، في كل مرة تدلف فيها إلى الغرفة، وتغمرها ذكرى الساعات الطوال التي أمضتها عند جانب المكتب، مثلما تفعل فيفي هذه الأيام، لتدوِّن ملاحظاتها الخاصة بناءً على تعليمات داليا. تشعر بالدوار بين الحين والآخر، عندما تفكر أن المكتب أصبح لها، تلقي من خلاله التعليمات، وليست داليا.

بعد ظهر هذا اليوم، دفعت ذكرياتها والحنين إلى الماضي جانبًا، تشعر أن هناك خطرًا ما، وعليها أن تركز تفكيرها بشأنه. على الرغم من أنها لم تذكر ذلك الأمر لـــفيفي في متجر السحر، بدأت سكارليت تتوجس من أن شخصًا ما يتدخل عمدًا في سحر الكابا، لكن من؟

لقد زارت بايلي في المستشفى بعد نوبتها، مع فيفي وعدد قليل من الساحرات الصغيرات. مهما حاولت جاهدةً لم تستطع بايلي أن تذكر سبب نوبتها العنيفة، أو حتى ما تلا ذلك حتى انقضاء الليل. تذكرت فقط وقت انتظار بدء الفيلم، ومشاركة الفشار مع أريانا، وعندما غمزت بعينيها لأحد

الأولاد الجالسين في ركن الثيتا، ثم لا شيء، حتى استيقظت في المستشفى، ووجدت نفسها مغطاة بالضمادات.

عادت بايلي إلى المنزل الآن، وقد شُفيت جروحها بطريقة سحرية، ونما شعرها المفقود. لكن أن يحدث شيء كهذا مع إحدى الأخوات في حضور سكارليت؟ لا يُعد أمرًا مقبولًا، ومُحبط للغاية. ثار حنقها مما قالته ريجان بشأنها، على الرغم من أنها محقة.

كأن سكارليت لا تعرف ما عليها فعله. نظفت سطح المكتب من دفاتر الدراسة المبعثرة، وحاسوبها المحمول، والملاحظات التي نسختها بطريقة سحرية من الورق إلى الحاسوب في أثناء المذاكرة. حان وقت رصد الأسرار.

وضعت كرة بلورية في وسط المكتب، وأغلقت الستائر. جلست واستنشقت بعمق، ثم كتمت نفسها لثوانٍ، ودعته يخرج رويدًا رويدًا. ملأ صوت أنفاسها أرجاء الغرفة، وتصاعدت الأنفاس تدريجيًّا، حتى أصبحت الغرفة بأكملها كما لو تتنفس معها.

شعرت بالهواء كثيفًا وحارًّا من حولها، فتوقعت أن تبدأ برؤية البخار يرتفع على السطح الكريستاليِّ. من خلال رؤيتها الضبابية، وجهت تركيزها إلى جانبَي البلورة، حتى تحولت الغرفة إلى سحابة حلم كبيرة. كأنها انتقلت، وهي لا تزال مكانها، إلى عالم آخر بعيد وهادئ، حيث لا يشعر بها أحد. سمعت همسات خافتة في البداية، تشبه خرير الماء في الأنابيب، أو غمغمات بين أخواتها، عدة طوابق بالأسفل.

لم تطرف بعينيها قط، لم تبعد بصرها عن الكرة البلورية. ثم رأت ما تنتظره باهتًا، ثم ازداد وضوحًا. تشكلت أمامها ما يشبه أيادي شاحبة، العشرات والعشرات منها. تتدافع ضاغطةً على إطار البلورة من الداخل، تحاول الخروج. سمعت الأصوات الهامسة تتصاعد كالفحيح، عند مؤخرة عنقها.

نق نق نق.

صاحت سكارليت لاعنة، عندما عادت الغرفة لهيئتها الطبيعية، وكذا البلورة الكريستالية. واختفت الهمسات في الهواء.

نق نق نق.

كبتت رغبتها في الابتسام، لم يكن هناك سوى طرقٍ عاديٍّ على الباب.

- من هناك؟

وقفت مِي لاهثة عند المدخل، بشعر مجعد، مربوط في كعكة فوضوية: «اجتماع طارئ.. لمجلس بانهلينيك.. بصالة الألعاب».

نهضت سكارليت في الحال. يشرف مجلس بانهلينيك على أمور جميع الأخويات والنوادي النسائية بالحرم الجامعيّ. كما أن الاجتماعات الطارئة عادةً ما تتعامل مع المسائل الحرجة، التي تحتاج لتوجيه من عميد الجامعة مباشرةً. حضرت سكارليت أحدها من قبل، عندما اتُّهمت أخوية سابقة، أنها أضافت الكحول إلى مشروبات العصير خلال إحدى حفلاتها. فجُرِّدت من مكانتها ومنزلها.

في طريقها للخارج، مرت بغرفة المعيشة، ورأت فيفي تجلس متراخية على مقعد وثير. إنها تحتاج لحضورها بصفتها مسؤولة اجتماعية.

- فيفي، تعالي معنا.

تركت فيفي ومِي تسبقانها تجاه صالة الألعاب، وتبعتهما على بُعد خطوات قليلة، مقطبة الجبين. تشغلها تلك الأيادي الكثيرة، التي رأتها في البلورة. رغم رغبتها المُلِحة لتتحقق مما تعني، عليها إرجاء ذلك لاحقًا.

بعقل مشحون بالتفكير، سارعت من وتيرة سيرها للحاق بمِي وفيفي. تتوق لمعرفة سبب عقد هذا الاجتماع الطارئ. هل حدث شيء آخر؟ شجارٌ آخر كالذي حدث في حانة الطالب العَطِش؟ أو ربما قلق الناس مما جرى لبايلي، لكن ما الذي يمكن أن يدعو المجلس لعقد اجتماع كامل لمناقشة ما حدث لها؟

جُهِّز المجلس بهيئته المعتادة داخل صالة الألعاب، على شكل نصف دائرة، حيث جلس في المقدمة رؤساء كل أخوية ونادٍ نسائيٍّ، تليهم بضعة صفوف من الكراسي القابلة للطي لباقي المسؤولين داخل الأخويات. بينما وقف العميد ساندرسون خلف منصة في المنتصف.

اتخذت مِي مكانها كونها مسؤولة العلاقات، وإلى جانبها فيفي، بصفتها مسؤولة اجتماعية. وكالعادة، كانت الكابا آخر الحاضرين، لكن هذه المرة، لا تشعر سكارليت باعتداد الكابا، بل بقلق غير معهود.

تبعتهن أعين جميع الحضور باهتمام، لا يحمل الترحيب والإعجاب المعتاد، على قدر ما اجتذب كل أنواع التحديق المزعجة تجاههن.

تقدمت من مقعدها بالقرب من وسط الطاولة. فارتسمت فجأةً تعبيرات جدية على وجه ماريا، الجالسة على يسارها، قائلة بصوت مبحوح: «وصلتن أخيرًا».

نظرت سكارليت إلى الساعة الهائلة فوق باب القاعة. دون الحاجة للطلب منها، فعلت مِي المطلوب، ولَوت معصميها في وضع عاموديٍّ. في لحظتها، عاد عقرب الدقائق خطوتين في الاتجاه العكسيِّ.

أجابت سكارليت، بمجرد انتهاء مِي: «أعتقد أننا حضرنا في الوقت المناسب».

تجعد أنف ماريا في استهجان، بينما التفت سكارليت تنظر إلى فيفي، متذكرةً ما حكته لها عن أمر تِيم. فتخاطرت إليها: «*لا أعرف ما الذي جعل أخاكِ يعجب بتلك المخادعة*».

زمَّت فيفي شفتيها، تمنع نفسها من الضحك، وعادت توجه سكارليت اهتمامها إلى العميد، الذي تنحنح قائلًا: «حسنًا. دعونا نبدأ العمل. أعتقد أننا جميعًا نعرف لماذا وجب عقد هذا الاجتماع».

شابكت سكارليت أصابعها برسمية في حِجرها، واستمعت باهتمام. بينما ظل الجميع يراقبونها دون غيرها. فتسارعت نبضات قلبها بعنف.

تابع: «كما نعلم جميعًا، فقد استُدعيت الشرطة، في نهاية الأسبوع الماضي، استجابةً لشكوى مقدمة ضد إحدى الأخويات، بسبب الفوضى والكحول».

الكحول؟

تقلصت عضلات سكارليت. بالتأكيد لا يقصد...

تابع العميد: «لقد اطلعتُ على تقرير الشرطة بنفسي. يُعد هذا سلوكًا غير مقبول، خاصة من نادٍ نسائيٍّ، مشهود له بالالتزام في هذه الجامعة».

يا إلهي.

ألقت نظرة خاطفة على ماريا، التي تجلس مستقيمة الظهر بجانبها، وعلى شفتيها شبح ابتسامة متعجرفة.

هل ارتد أثر طقس الذاكرة عكسيًّا؟ لقد رأت بنفسها، عندما سحرت جيس الضابطَين، وأملت عليهما كلمات الإخطار كلمة كلمة. لم يُذكر أي شيء بخصوص الكحول، بل بالكاد شكوى روتينية من الضوضاء.

تابع: «بالإضافة إلى ذلك، تلقينا شكاوى من عدد من أعضاء مجلس الجامعة، الذين حضروا تلك الليلة، بشأن التجاهل التام لمعايير السلامة في ذلك الحدث».

لوى العميد طرف شفته في ازدراء، في حين صاحت سكارليت: «لكن ما حدث...».

تمكنت من إيقاف نفسها، وضغطت على شفتيها.

لا ينبغي لأحد أن يتذكر ما حدث.

توقف العميد عن الحديث، ووجه لها نظرة تفحصية باردة: «أرجو أن تنتظري إلى أن يأتي دورك، يا آنسة وينتر».

نبض قلبها بسرعة شديدة، وبدأت رؤيتها تهتز.

لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًّا. لم تقع الكابا في أي مشكلة من قبل. خاصة مشكلة بهذا الحجم.

ماذا ستقول أمي؟

دار رأسها، وتخيلت مارجوري في ثورة غضبها، ووجه أوجيني الساخر. لم تسمع العميد ساردًا كل الأخطاء التي ارتكبتها الكابا، من خلال ضوضاء هواجسها. لكن بمجرد انتهائه، أشار تجاهها قائلًا: «إذا كان لديكِ ما تدافعين به عن الكابا رو نو، يا آنسة وينتر، ضد هذه الادعاءات، يمكنكِ التحدث الآن».

- أنا...

جف حلقها، ولم تستطع الكلام. سمعت صوت فيفي فجأةً برأسها: *«يمكنكِ فعل ذلك»*.

التفت لترى أختها الصغرى، تشهر إبهامها لأعلى مشجعة، كما تومئ لها مِي بعينين واسعتين. أخذت سكارليت نفسًا عميقًا، وشدَّت قامتها في تأهب: «استضافنا بالفعل الحفل المختلط في الكابا هاوس مساء الجمعة الماضية. كما تلقينا شكوى بشأن الضوضاء من الشرطة، وتسلَّمنا إخطارًا من الضابطَين، اللذين حضرا لمنزلنا. أقدم اعتذاري لما حدث، لكنها المرة الأولى، على الإطلاق، التي يُوجه فيها اتهام بهذا الحجم للكابا، الذي لم يتعدَ مشكلة الضوضاء، على حد علمي. أما الاتهامات الأخرى، بخصوص الكحول وتجاهل معايير السلامة، لا علم لي بها من قبل. على الرغم من أنني سأبذل قصارى جهدي، لتلافيها في المستقبل...».

غمغمت ماريا: «على افتراض أنه ما زال لديكِ مستقبل».

قاومت سكارليت أن تُظهِر أي تعبير عابس، وأضافت: «ولكن لا يمكنني، أيها العميد، الدفاع ضد اتهامات ليس لي عهد بها».

حدق إليها العميد، فرفعت ذقنها وبادلته النظرات المحدقة. لقد أمضت ما يكفي من حياتها، في مجابهة مارجوري وينتر، فلن تخاف هذا الرجل بقدر رهبتها من أمها، ولن تترك نفسها للادعاءات تتلاعب بها. إنها من جماعة الغربان. يمكنها فعل أي شيء.

استمرت بالتحديق، مركزةً انتباهها على تعويذة التأثير، التي لا يجب عليها إساءة استخدامها. لكن دفعة صغيرة في الاتجاه الصحيح لن تضر: *«أستدعي قوة العدالة والاعتدال. اجعلي هذا القاضي يُحسِن معاملتنا»*.

كسر العميد ساندرسون دائرة التحديق، وراجع كومة من الأوراق على منصته. ظل هادئًا لفترة طويلة، حتى لم تكن سكارليت وحدها من تحبس أنفاسها في ترقب، بل شاركها الجميع الشعور نفسه، فيما عدا ماريا. فقد جلست مسترخيةً إلى جانبها، دون اكتراث.

حضر مع ماريا عدد قليل من فتيات الثيتا، على رأسهن كايت، وديلين، والفتاة الجديدة ذات الشعر الورديِّ، التي تُدعى روز. بدت الفتيات متحمسات للغاية، وكأنهن بانتظار فتح الهدايا، صبيحة عيد الميلاد. أدركت سكارليت

أنهن يعرفن شيئًا ما. أخيرًا، تحدث العميد من خلال مكبر الصوت: «أخشى أنه يتعين علينا توجيه إنذار للكابا».

- ماذا؟

صاحت سكارليت، وقد سقط قلبها بين ضلوعها، بينما اندفعت ماريا تعترض قرار العميد: «معذرة؟».

نظرت إليها سكارليت في ذهول، فاحتقن وجه ماريا، التي قبضت يديها بشدة. تستطيع الأخويات أو الرابطات مزاولة أنشطتها المعتادة، إلا إذا أُصدر إنذار آخر.

قالت ماريا: «لا يُعد الإنذار كافيًا. يجب أن توقَف أنشطة الكابا، لقد عرَّضن حياة الناس للخطر».

وقفت سكارليت متحدية، وجادلتها: «هذا أول إنذار يُوجه إلينا. عن أي خطر تتحدثين؟».

ردت ماريا وهي تشد على أسنانها: «تعرفين بالضبط ما أعنيه».

إلى أي مدى تتذكر؟

تسارع نبض سكارليت، ما إن تنحنح العميد، معلقًا: «أيتها الآنستان، هذا ليس سلوكًا سليمًا في حضور المجلس. أما أنتِ يا آنسة وينتر، عليكِ الحذر، على وجه الخصوص».

جلست ثانيةً على كرسيها، وزفرت بقوة في محاولة لكبح غيظها. في حين تأملتها مِي وفيفي بقلق. تخاطرت إليها مِي: *«سيسير الأمر على ما يرام».*

لكن سكارليت لا ترى ذلك، بل ترى الكابا تنهار، وهذا خطؤها. فترقرقت الدموع بعينيها.

- يجب على الكابا رو نو الالتزام قيد الإنذار لمدة شهر واحد، ما لم نتلقَ أي شكاوى أو أوامر قضائية أخرى ضدها.

- لكن...

رفع العميد يده رافضًا احتجاج سكارليت: «في حال تمكن منزلكِ من حسن التصرف خلال الفترة المحددة، سيُرفَع الإنذار عنه. ولكِ عندئذٍ مطلق الحرية في استئناف كامل أنشطتك المعتادة. لكنني أحذركِ، في حال صدر

من الكابا أي سلوك آخر غير مسؤول، لن تتغاضى ويسترلي عن اتخاذ اللازم. وهذا يشمل كلًّا منكم».

أضاف العميد ناظرًا إلى جميع رؤساء الأخويات الحاضرين أمامه.

جذب أندرو هايت، رئيس البيكا، انتباه سكارليت، وحرَّك فمه هامسًا: *«آسف»*.

تساءلت إذا ما توقع هذا القرار هو الآخر، ولم تُتح له الفرصة لتحذيرها سابقًا.

تبًّا لهم جميعًا.

رفعت ماريا إحدى يديها، تستطرد هجومها، بينما اتسعت عينا العميد باهتمام. آثرت سكارليت عدم التعليق، وطرقت للأسفل.

- نعم، يا آنسة جريمالدي؟

شابكت ماريا يديها في رسمية، متسائلة: «ماذا عن حفل الربيع؟ إنه أكبر حدث بالحرم الجامعيِّ لهذا العام، وعلى ما أذكر، تبعًا لتقاليد مجلس بانهلينيك، أن الأخوية الأفضل، والأكثر التزامًا، يمكن لها استضافة هذا الحدث. وفي ضوء الإنذار الذي حصلت عليه الكابا رو نو للتو...».

- آنسة جريمالدي، لن يقام حفل الربيع حتى أبريل المقبل. ألا يبدو مبكرًا بعض الشيء لـ...

- مع خالص احترامي، أيها العميد، يبدأ التخطيط عادةً لحفل ضخم كهذا مع بداية العام. إلا إذا أردنا الإخلال بمعايير السلامة.

قالت ماريا، ناظرةً إليها بجانب عينيها، فكزَّت سكارليت بشدة على أسنانها حتى يكاد يُسمع صوت احتكاكها.

تنهد العميد ساندرسون: «حسنًا. في الوقت الحاليِّ، تستطيع ثيتا أوميغا إكسي التخطيط للحفل...».

صاحت سكارليت: «هل هذه مزحة؟».

تابع بلا مبالاة: «وعندما نقترب من الموعد المقرر، سنراجع حينها سجلات السلوك الخاص بكل الأخويات».

قبضت ماريا يديها مجددًا، من الواضح أن القرار لا يسرُّ أي أحد: «هل من المفترض أن نبدأ في التخطيط للحفل، من ثم تستضيفه أخوية أخرى بالنهاية؟».

نظر إليها العميد من أعلى طرف نظارته: «ربما، يا آنسة جريمالدي. هل تنوي الثيتا التصرف بما لا يليق خلال هذا الفصل الدراسيِّ؟».

امتقع وجه ماريا: «بالطبع لا، لكن...».

ضرب العميد بكفه سطح المنصة، كأنما يحمل مطرقة القاضي: «جيد. لقد سُوِّيَ الأمر، إذن. ما لم يكن لدى أحدكم أمر لمناقشته...».

لم تقدر أن تسمع بقية حديثه من أثر الطنين المتصاعد، الصارخ والمؤلم بأذنيها. لم يكن عليها توبيخ فيفي بلا داعٍ. ربما لم يحدث خطأ بتعاويذها على الإطلاق. لا يمكنها لوم أحد إلا نفسها: *أنا رسميًّا أسوأ رئيسة في تاريخ الكابا.*



الفصل الرابع عشر

فيفي

تنهدت فيفي وهي تجلس على الدرج الحجريِّ لمركز ويسترلي الاجتماعيِّ. يختبئ جزء من وجهها في طيات معطف وبر الجمل، الذي أهدته لها سكارليت في عيد الميلاد. امتنعت في البداية عن قبوله باعتباره بذخًا مبالغًا منها. فرغم خبرتها الضئيلة في تقييم الأشياء، من الواضح أنه معطف جملي اللون، مُبطَّن بالحرير، باهظ الثمن جدًّا. حينها اتسعت عينا سكارليت، وادَّعت أن هذه الهدية تعني لها أكثر مما تعني لفيفي، فلن تضطر إلى رؤيتها ترتدي تلك القلنسوة ʻالكئيبةʼ مجددًا. في الفصل الدراسيِّ الأول، يمكن لتعليق مماثل لسكارليت أن يزعجها، لكنها أصبحت مع الوقت، تفهم بما يكفي طريقتها في الحديث، وما تعنيه بالفعل: «*أريد أن أفعل لكِ شيئًا لطيفًا، دون اعتباره غريبًا*».

اليوم هو أكثر يوم قارس البرودة في أي موسم شتاء، مرت به سافانا. رغم الريح الباردة التي يقشعر لها البدن، فإنها لا تضاهي حالة الأسى التي حلَّت على الكابا هاوس، في أعقاب وضعهن تحت المراقبة.

أحكمت يديها حول كوب عصير التفاح الساخن، مستمتعةً بالدفء الذي يبثه في بشرتها كالسحر. ترددت في اللحظة الأخيرة، عند إضافة لاتيه بنكهة الفانيليا إلى طلبها، فليس لديها فكرة عما يفضل تِيم أن يشرب. لكن بالنظر إلى رد فعله تجاه الحلوى في حفل الكابا، لم يعد هناك مجال للشك أن له ميلًا للمذاق الحلو.

اتفقت هي وتِيم أن يتقابلا عند المركز الاجتماعيِّ. ربما يعرفان أكثر عن فينس، في أثناء التجول معًا في قاعة مشاهير ويسترلي. تعتقد أنها طريقة لطيفة للتواصل معه، رغم أن الأمر برمته، لا يزال مُحرجًا بالنسبة إليها.

تناولت رشفة من مشروبها الدافئ، وحاولت تهدئة أعصابها. فوجئت بمدى رغبتها أن ينجح الأمر. مع أنها لم تسمع حتى باسمه إلا منذ أسبوع تقريبًا، لكن حقيقة أن لديها أخًا، قلبت عالمها رأسًا على عقب. طوال حياتها، كانت دافني عائلتها الوحيدة. أما الآن، فقد أعطاها الكون هدية لا تريدها أن تضيع من يدها.

رن الهاتف في جيبها برسالة من مايسون: «*ما الذي قررتِه؟ هل ما زلتِ ترغبين في تناول القهوة معًا، في وقت متأخر من اليوم؟*».

حدقت إلى الرسالة للحظة، ثم أعادت الهاتف إلى جيبها، وهي تشعر بوخزة من الإحساس بالذنب. لم تخبر مايسون بأمر تِيم بعد. تتعجب من نفسها أنها تخفي عنه مثل هذا السر الكبير حتى الآن، لكن في كل مرة، تحاول مصارحته، تخذلها الكلمات. يبدو الوضع مثيرًا للسخرية في نظرها. عندما اتصلت بأمها منذ بضعة أيام، تأكدت أن دافني وفينس استمرت علاقتهما بعد الكلية، ومكثا معًا لبعض الوقت في إحدى المدن العديدة التي انتقلت إليها.

- مرحبًا. (حيَّاها تِيم لاهثًا، وهو يركض صعودًا على الدرج. ثم، قفز في مكانه وفرك يديه معًا) اللعنة. الجو شديد البرودة اليوم.

ابتسمت له، وهي تناوله اللاتيه، قائلة: «ربما لم يكن يجب عليك ارتداء السراويل القصيرة؟ هذا الكوب لك».

قال مدهوشًا: «رائع، هذا لطيف منكِ حقًّا».

يندهش *على نحو لطيف*.

فكرت، بينما تراه يرتشف جرعة كبيرة، ثم حمل الكوب أمام عينيه لفحصه: «ما هذا؟».

- لاتيه بنكهة الفانيليا. آسفة لو أنه...

أخذ رشفة كبيرة أخرى: «إنه مذهل!».

قالت ظنًا أنه يسخر من اختيارها: «حسنًا. يمكنك التوقف عن ذلك».

تفترض أنه في عالم الرياضة الجامعية، حيث يصبح اللاعبون نجومًا مثل تِيم، يعتادون تلقي الهدايا الباهظة على الدوام. بالمقارنة، يُعد كوب اللاتيه سخيفًا وبلا قيمة.

- لا، أنا جاد. لم أحصل على واحد كهذا من قبل.
- لم تجرب اللاتيه من قبل؟

ابتسم تِيم في خجل: «اعتقدتُ دائمًا أن طعمه يشبه مشروبات الفتيات».

ركزت بصرها عليه: «حقًّا؟».

- أعلم أنه أمر سخيف من قِبلي. لكنكِ في نادٍ نسائيٍّ، تعرفين كيف يبدو الأمر، لو تعيَّن عليكِ تخيُّل صورة للفتيات.
- إن الكابا ليست كذلك تمامًا، في الواقع. لا يمكن لأحد أن يحرر مخالفة ضدي، لمجرد ارتداء ملابس بيضاء، لا تناسب درجتها فترة ما بعد ساعات العمل.

توردت وجنتاها، عندما تذكرت أن تِيم يواعد رئيسة النادي النسائيِّ، الذي سخرت منه لتوها: «آسفة. أعرف أن ماريا تسعى لتغيير كل ذلك».

رد عليها: «لا بأس. أعرف إلى أي مدى وصلت سمعة الثيتا، لكن ماريا تحاول تحسينها بالفعل».

رفع رأسه ناظرًا للمركز الاجتماعيِّ من ورائها، ذلك المبنى الطوبي ذي النوافذ البيضاء، الذي يغطي اللبلاب جانبه العلويَّ: «هل تعتقدين أن هذا المكان لديه معلومات عن فينس؟».

- أعتقد ذلك. فكل ما عرفته عنه من خلال محرك جوجل، يتعلق بكرة القدم الجامعية. هل تعرف الكثير عنه؟

استنشق بعمق، مجيبًا: «لا، فمهارته في الاختباء، تفوق مهارته في كرة القدم. لقد انفصل عن أمي قبل ولادتي. لم أقابله قط بحياتي. آخر ما سمعته، أنه في مكان ما بكندا. صدقًا، غريبٌ أنني منذ أن بدأت الدراسة في ويسترلي، والناس يتحدثون عنه من حولي، وكأنه إله، نوعًا ما. أعرف أنه كان أسطورة في كرة قدم، لكن بالنسبة إليَّ، هو ذلك الوغد الذي تركنا».

قالت في إحراج مفاجئ: «أتفهم وجهة نظرك. لكن لمَ وافقت على مقابلتي هنا؟».

هز كتفيه: «لا أعلم. بدا الأمر مهمًّا بالنسبة إليك».

زفرت براحة: «هذا لطيف منك حقًّا. إذن، هل ما زلت تريد الدخول؟».

- هيا بنا.

بعدما صعدا الدرجات المتبقية، انفتح الباب فجأةً، وخرجت منه فتاة تهرول. خمنت فيفي وفقًا لسترتها وبطاقة الاسم الذهبية، أنها طالبة تعمل بالمركز. عندما رأت تِيم، اتسعت عيناها، وتوقفت مكانها لاهثة: «يا إلهي، مرحبا! (ثم هزت الفتاة رأسها) آسفة. هذا عجيب. دومًا ما أنسى أنك شخص حقيقيٌّ في الحرم الجامعيِّ. بالمناسبة، كنت مذهلًا نهاية الأسبوع الماضي».

رد تِيم بابتسامة لطيفة، محدقًا إلى بطاقة الاسم: «أشكركِ يا أماندا. أقدر تشجيعك. لم نكن لنتمكن من النجاح لولا تشجيع المعجبين».

أشرق وجه أماندا، وبينما تغادر، التفتت فيفي له، تمازحه: «هل كنت تقول منذ قليل، إن فينس 'يُعامَل كنوع من الآلهة'؟».

من الداخل، يشبه المركز الاجتماعيُّ بهوًا واسعًا لمدخل فندق فخم، وليس مجرد مبنى إداريٍّ بالجامعة. اصطفت مقاعد وثيرة، وآرائك جلدية أنيقة حول طاولات قهوة ذات سطح زجاجيٍّ، كما وُضعت الورود في مزهريات تحمل نقوشًا لألعاب أولمبية، وتكدست بجوارها مجموعة راقية من المجلات. بالإضافة لأطباق من الفاكهة والحلوى المنتشرة في كل مكان. حيث لم يضيع تِيم على نفسه أي فرصة للحصول على حفنة من حلوى النعناع.

نادتهما سيدة شقراء الشعر، بوجه مبتهج من وراء مكتب ضخم من خشب الماهوجني: «مرحبًا، هل تحتاجان للمساعدة؟».

تخضَّب وجه تِيم بحمرة خجل، واندفع يخفي حلوى النعناع بجيبه.

قالت فيفي: «نعم. نبحث عن قاعة مشاهير الجامعة. إنها في هذا المبنى، أليس كذلك؟».

- تقع أسفل هذه القاعة. سأريكما إياها.

ردت فيفي، وهي تشير لتِيم ليتبعهما: «شكرًا لكِ».

ما إن استدارت السيدة، حتى اندفع يأخذ حفنة أخرى من الحلوى، ثم ركض للحاق بهما.

سألت السيدة بدماثة: «هل أنتما طالبان بويسترلي؟».

أطرقا برأسيهما بالإيجاب، فتابعت السيدة: «هذا رائع. نتمنى أن يزورنا مزيد من الطلاب أيضًا».

قادتهما إلى رواق ذي جدران مغطاة بورق حائط، مزين ببراعم الورود، وإلى غرفة طويلة للعرض، تمتلئ بمعروضات محفوظة في خزائن زجاجية. وفي جانبٍ منها، تصطف على الحائط صور عديدة للخريجين في ويسترلي. تُظهِر بعض الصور القديمة للخريجين، قبعات ومعاطف فخمة.

- هل تبحثان عن معلومات تخص أحد الخريجين بشكل خاص؟

ردت فيفي: «نعم. إمم.. فينس لِي؟».

أضاء وجه السيدة الشقراء، وومضت عيناها تجاه تِيم: «بالطبع. سأرشدكما لقسم الألعاب الرياضية لدينا».

قادت فيفي وتِيم إلى جانب آخر من الغرفة، حيث توجد خزانة زجاجية ضخمة تملأ جدارًا كاملًا. كانت هناك جوائز تذكارية، صور بالأبيض والأسود لرجال يرتدون خوذات كرة القدم الجلدية، ذات طراز قديم، ويقف بينهم فريق مشجعات، يرتدين التنانير الطويلة ذات الطيات، ويحملن العديد من الكرات الجلدية الموقعة.

- ها هو ذا.

قالت السيدة، وقد تهلل وجهها مشيرةً إلى صورة لامعة لشاب وسيم، لديه فك مربع. يظهر شعره قصيرًا داكنًا، متعرقًا، فيما تكسو وجهه بهجة الانتصار، رافعًا كأسًا كبيرةً في الهواء. تابعت: «ترجع هذه الصورة لنهاية عامه الدراسيِّ الأول، عندما قاد فريق ويسترلي، في أول موسمين، دون هزيمة تُذكر».

شكرتها فيفي، وانتظرت حتى غادرت. ثم قالت مشيرةً للصورة: «إنك تشبهه حقًّا».

هز كتفيه، ونظر بعيدًا. لكن اتسعت عيناه لمرأى شيءٍ ما خلفها مباشرةً، لفت انتباهه: «يا للروعة. انظري لهذا».

نظرت بالاتجاه الذي يشير إليه تِيم، لتجد خزانة زجاجية ضخمة أخرى، بداخلها تماثيل لعرض أزياء من مختلف الأنواع: البذلات الرسمية، الفساتين المنفوشة، أردية القضاة، الزي العسكري، وغيرها.

قالت فيفي، وهي تفحص فستانًا للتزلج عن قرب: «هذا غريب بشكل لا يُصدَّق. لكنه مبهج».

قرأ تِيم ما كُتب على اللوحة المعلقة على الحائط، بجوار الأزياء: «هذه المجموعة تحتفي بذكرى إنجازات معظم خريجي ويسترلي تبجيلًا، عن طريق عرض الأزياء التي ارتدوها خلال أروع اللحظات في حياتهم، سواء عند قبول جائزة الأوسكار، أو نوبل، أو وسام القلب الأرجواني».

- رائع! إذن ما الزي المستقبلي الذي تتمناه لنفسك يومًا ما؟

قالت فيفي، متسائلةً أيًّا من أزياء مِي الخلابة يمكن أن ينتهي به الأمر هنا. لقد حصلت دروس المكياج الخاصة بها على اليوتيوب على نصف مليون مشاهدة، مما لا يدع مجالًا للشك، أنها ستُحدِث قريبًا طفرة جديدة في عالم الموضة أو مستحضرات التجميل، أو ربما كليهما.

تابعت: «ألا يجب أن يتوفر لديهم عارض للأزياء يحمل كأس ستانلي؟».

- بلى، إذا أصبحتُ فجأةً بارعًا في لعبة الهوكي.

أمالت فيفي رأسها على راحة يدها: «عندك حق. إذن، ماذا تتمنى أن ترى لنفسك في خزانة العرض؟».

رد بنبرة قاطعة: «لا أعرف، ربما قميصي المُرقم في الفريق».

- لا يبدو أنك متحمس بشأن هذا الأمر.

- لا. أعني، لا بد أنه شرف لي، بالنهاية. إنني تعبتُ قليلًا من أمر نجومية كرة القدم، لكن على أي حال، لا بأس بها. أعتقد أن الجميع يعرف كيف يمكن أن يشعر الشخص اللافت للنظر أو المُهمش، طوال الوقت. إنها فقط الطريقة التي يعمل بها العالم هذه الأيام.

أومأت تلقائيًّا، ثم صمتت للحظات.

- بالطبع، في الواقع، لا، لا أعرف حقًّا. لقد تنقلت كثيرًا في أثناء نشأتي، وكنت أذهب لمدرسة جديدة كل عام. وفي بعض الأحيان، في مدة أقل. لذلك اعتدت الشعور بأنني غير مرئية.

عبس وجهه، وتحرك يمنة ويسرة، في انزعاج: «كم يبدو هذا قاسيًا. هل... هل ألقيتِ اللوم على فينس بسبب ما مررتِ به؟ مثلًا، هل فكرتِ كيف كانت لتختلف حياتكِ لو أنه بجوارك؟».

حرَّك شيء ما في صوته أوتار قلبها. في لحظة، اختفى نجم كرة القدم، ليحل محله فتى صغير، يشتاق إلى أب، لم يعد يومًا للمنزل. أجابت بلطف: «ليس تمامًا. لم يكن الأمر كذلك بالنسبة إليَّ. رفضت أمي إخباري أي شيء عن أبي. لم أعرف حتى اسمه إلا منذ أسابيع قليلة مضت».

قال بمرارة: «أكاد أغار منكِ (ثم هز رأسه) آسف، أعلم أنني أبدو مثيرًا للشفقة».

- ماذا؟ أبدًا (ترددت قبل أن تمد يدها بغرابة تجاهه، وتسند رأسها على كتفه) لقد عشتَ حياة قاسية. من الطبيعيِّ أن تشعر بالأسى.
- أشكركِ. إنه لمن الجيد أن أعبر عن شعوري. كلما تحدثتُ عن هذا الموضوع مع ماريا، تحاول دائمًا استخدام بلورات الشفاء الخاصة بها أو شيء كهذا «لتخلصني من المشاعر السلبية».
- أعتقد أنها تحاول مساعدتك بطريقتها.

ابتسم لها تيم: «اسمعي، لا تدعي سكارليت تجعلك تكرهين ماريا. إنها لطيفة حقًّا إذا تعرفتِ عليها».

قالت وقد توردت وجنتاها خجلًا: «آسفة، أنت على حق. أعتقد أنها تؤدي عملها بصفتها رئيسة نادٍ نسائيٍّ بشكل رائع».

تُعد ماريا صديقته المقربة، وإذا قررت فيفي أن يصبح تِيم جزءًا من حياتها، فيجب عليها تقبُّل ماريا، والتعايش معها.

- نعم، إنني سعيد لحصولها على المنصب. لطالما شعرتْ أنها الثانية دائمًا، تفهمين قصدي؟ لم تكن لديها فرصٌ من قبل للتألق. لذا أعتقد أنها أفضل حالًا الآن.

أردفت فيفي ضاحكة: «أتفهم قصدك. فيما عدا أنني شعرتُ دائمًا أنني الرقم... لا أعرف... سبعة. ما رأيك أن نخرج، ثلاثتنا، في المرة القادمة؟».

أخرج تِيم هاتفه، متجهمًا: «لمَ لا. لدي صف دراسيٌّ بعد قليل. عليَّ الذهاب. إلى أين تتجهين؟».

- إلى ردهة باربيا. أحتاج إلى استلام رزمة دراسية من مركز النسخ.

- رائع، يقع صفي بالقرب منه. هل تريدين أن نتمشى معًا؟

- بالتأكيد.

عادا أدراجهما إلى بهو الاستقبال، وأخذ تِيم حفنة أخرى من الحلوى، قبل أن يتوجها إلى الخارج. سارع تِيم الخطى بجوارها، للحد من الوقت المستقطع في الجو البارد، لكن كلما أدرك أنه سبقها بضع خطوات، يستدير وينتظرها. قال على استحياء: «آسف. دائمًا ما أمشي بسرعة كبيرة».

- لا داعي للقلق.

رن هاتفها: «*أنتظركِ على صف المقهى. ماذا قررتِ؟*».

تقلصت عضلات معدتها. يقع المقهى بالقرب من ردهة باربيا، مما يعني أن مايسون قد يراها مع تِيم، وينهال عليها بالعديد من الأسئلة، التي لا تعتقد أنها على استعداد للإجابة عنها، في الوقت الحاليِّ.

- آسفة. نسيت كتابًا بالمنزل. لذلك عليَّ الذهاب في الاتجاه الآخر.

- لا بأس. هل يمكنني مهاتفتكِ قريبًا؟

قالت مبتسمة: «بالطبع».

انطلق يهرول، ثم استدار يناديها: «أشكركِ على القهوة!».

صاحت فيفي: «في أي وقت!».

استكملت طريقها، لكنها جفلت عندما رأت مكالمة فائتة من مايسون. فراسلته سريعًا: «*آسفة للغاية. تحتاج سكارليت لمساعدتي في شيءٍ ما بالمنزل. هل يمكننا أن نلتقي لاحقًا؟*».

استقبلت رد مايسون بعد ما يقرب من خمس دقائق: «*ما الذي يحدث يا فيفي؟ لماذا تتجنبينني؟*».

شعرت بوخز بمعدتها. تعلم أنه من الأفضل أن تخبر مايسون عن تِيم، لكنها في وضع يختلف عن وضع سكارليت المثاليِّ، وانحدارها من عائلة عريقة مثل عائلة مايسون. مع أنه لطيف وعقله متفتح، لكن هل سيقبل أن يُعرِّف والديه على فتاة، لها أب أخلَّ بواجبه، وترك عدة أطفال له في كنف أمهات وحيدات؟ لا تزال تتذكر نظرة الشفقة بعينَي سكارليت في متجر الأدوات السحرية. تخشى أن تحصل على نظرة مماثلة في عينيه.

ردت على مايسون برسالة أخرى: «*لا أفعل! أقسم لك إنني منشغلة حقًّا. سأتصل بك لاحقًا*».

احتفظت بالهاتف بين يديها طوال الطريق للكابا هاوس، في انتظار أي رد منه. لكن ظل هاتفها جامدًا صامتًا.



الفصل الخامس عشر

سكارليت

ضجَّت حانة الطالب العَطِش بالحياة والضوضاء. وبمجرد أن دخلت سكارليت، استطاعت أن تلتقط أحاديث جانبية عنها، من أناس ينظرون لها في أثناء مرورها، أو يتهامسون من وراء ظهرها. لا تحتاج لاستخدام السحر لتعرف عما يتهامسون. لا بد أنهم جميعًا يثرثرون عن انهيار الكابا. حافظت على رأسها شامخًا، وهي تسير تجاه كرسي عالٍ بلا ظهر، بالزاوية عند البار.

انتشر خبر تلقي الكابا لإشعار الإنذار، وخسارتها فرصة استضافة حفل الربيع، دون أن يتكبد أحد أي جهد لمحاولة المعرفة.

جلست على الكرسي بأكتاف مشدودة، وظهر ممشوق. ترفض أن تعطي انطباعًا لأي شخص يجلب المزيد من النميمة عنها. لقد جاءت إلى هنا من أجل الشراب، ولن تغادر حتى تحصل عليه، بغض النظر عن شعورها بعدم الارتياح.

تحتاج إلى متنفس خارج الكابا هاوس. لا يسبب لها تحديق طلاب ويسترلي هنا إزعاجًا، بالقدر الذي تسببه همهمات أخواتها ونظراتهن الجانبية. يشعرن بالضغط الشديد مع اقتراب موعد لمِّ شمل الخريجات في غضون أيام قليلة. فإن مسألة تلقي الأخوية لإشعار إنذار، لا تعد فقط مربكة ومزعجة، بل وقد تؤثر في مستقبل عضوات الكابا الجدد. كيف يمكن لهن إبهار الخريجات الأقوى، والأكثر تأثيرًا حاليًّا، في حين أن مهمتهن الأولى لإظهار قدرتهن، قد عرضت الكابا لخطر شديد؟

كما أنها ضربة قاضية للطلاب الأقدم. بعد أن أمضت مِي أسابيع في تحضير ألبوم الأزياء الأسطورية التي صممتها، أصبحت مكتئبة وهادئة. خابت آمال جيس، بشكل ملحوظ، بعدما تلقت بريدًا إلكترونيًّا محبطًا، من صفحة جوائز بوليتزر الصحفية، التي تجهزت للتدرب بها الصيف القادم. مما يجعل سكارليت تلقي باللائمة على نفسها، فيما تشهد الكابا تنهار من حولها.

أصرَّت فيفي أنها تسيطر على الأمر، ولديها كل الخطط اللازمة من أجل حفل لمِّ الشمل، وليست بحاجة لطلب المساعدة من سكارليت. لكن لم تستطع أن تبعد ما حدث في الحفل المختلط عن ذهنها. لو خرجت الأمور عن السيطرة مرة أخرى...

رفعت يدها ولوَّحت للنادل، وهي تهمس بخفوت بتعويذة من سحر السيوف. التفت لها النادل، وأومأ لها برأسه، ثم عاد يستكمل حديثه مع فتاة أخرى، تعتقد أنها إحدى الطالبات الجدد في الثيتا.

عظيم. *إذن، حتى خارج الحرم الجامعيِّ، لا تزال الثيتا تبرز تفوقها على الكابا.*

تراجعت في كرسيها، وأشارت بيدها أن لا يهم. اختار زافيير هذه اللحظة تحديدًا ليظهر بجانبها.

- أسبوعٌ صعب؟

تمتمت: «أصعب مما يمكنك التصور».

رفع يده للنادل، فابتعد الأخير عن فتاة الثيتا، وحضر إليه على الفور. كانت سكارليت متعبة، لدرجة أنها لم تلقِ بالًا لشعورها بالإهانة.

- كيف حال تلك الفتاة؟ بايلي، أليس كذلك؟

سألها زافيير بعدما طلب من النادل أن يحضر لهما مشروبين من القائمة المميزة. تتجنبها سكارليت عادةً، لاحتوائها على كحوليات قوية. لكنها الليلة تحتاج إلى أحدها.

تنهدت: «لحسن الحظ، إنها تشعر بتحسن كبير».

- هل عرف الأطباء ما الذي أصابها؟

قرب زافيير إليها الشراب، محتكًا بظهر يدها. تجاهلت الخدر الذي أصاب يدها، جراء ملامسته.

- قالوا إنه ناجم عن الإجهاد. في ضوء كل ما حدث للكابا خلال الفصل الدراسيِّ الماضي، يمكنني أن أتفهم.

لكن هل يجعل التوتر فتاة تؤذي نفسها بهذا الشكل؟

تناولت رشفة من شرابها، ثم جرعة كبيرة، لعلها تقلل من حُرقة قلبها: «لا يسعني التوقف عن التفكير بأنني أسوأ رئيسة للكابا على الإطلاق».

رفع زافيير كأسه ليقرعها بكأسها، قبل أن يتجرعها: «يمكنكِ أن تحققي شرفًا أسوأ من هذا».

ردت بتهكم: «مثل ماذا؟».

ابتسم مجيبًا: «مثل أنه لم يكن بمقدوركِ أن تصبحي رئيسة بالأساس».

تجهم وجهها، وهي تتأمل الثلج الذي يذوب بكأسها: «قبل الأشهر الستة الماضية، كنتُ لأتفق معك، لكن الآن، لست متأكدة. في البداية، كان الأمر واضحًا وبسيطًا جدًّا. عرفت ما الذي أريده، وما الذي أحتاج فعله للحصول عليه».

لكزها زافيير، ممازحًا: «أنتِ صغيرة على مواجهة أزمة منتصف العمر. كما، أرى أنكِ ما زلتِ تعرفين ماذا تريدين».

جاكسون.

دفعت هذه الفكرة جانبًا. لقد اختار طريقه. علاوةً على ذلك، ليست سكارليت التي تفقد عقلها بسبب رجل، فلديها العديد من الأولويات، التي تحوز أهمية أكبر بحياتها. على الأقل، هذا ما تحاول إقناع نفسها به.

قالت بابتسامة حزينة على شفتيها: «أردت أن أكون رئيسة حتى أحافظ على إرث عائلتي. أو بالأحرى، أردت أن أضفي عليه، وأصبح أفضل رئيسة للكابا في التاريخ. أن أصنع اسمًا لنفسي، بدلًا من البقاء دائمًا في ظل عائلتي. لمَ عليَّ أن أكون الوحيدة التي تفشل فيما تصبو؟».

حرَّك زافيير شرابه بين يديه للحظة، ثم قال: «حسنًا، يصعب أن يبرز أحد من بين الحشود، إذا استمر يفعل ما يفعلونه بالضبط».

حدقت إليه، فهز كتفيه: «لماذا تنظرين إليَّ هكذا؟ قلت لك سابقًا، إنكِ لست الوحيدة التي لديها معضلات مع العائلة».

ذكَّرها بما تحدثا عنه معًا، آخر مرة. لكنها حاولت وقتها استخدامه لإثارة غيرة جاكسون، كما أنها تركته في منتصف الحديث.

- بالمناسبة، أعتذر عن الهروب منك، تلك الليلة.

لوَّح زافيير بيديه: «لقد نسيت بالفعل. لكنني سعيد أن صديقكِ بخير».

- وأنا كذلك.

ثم أطلقت ضحكة ساخرة: «هل تحدث الأشياء المُرة لي فقط، أم أن كل شيء مقلوب رأسًا على عقب في هذا الفصل الدراسيِّ؟».

التفت زافيير محدقًا إلى شخصين إلى جانبه، مجبرًا إياهما على النظر بعيدًا، فيما تظاهرا أنهما لم يحاولا التنصت عليه وسكارليت.

- هل تقصدين أن الحرم الجامعيَّ لا يبدو دائمًا كمسلسل تلفزيونيٍّ حيٍّ؟

أسرعت سكارليت ترد محتَدة: «أتقصد أن والديك الخبيرين لم يتبينا الوضع الاجتماعيَّ هنا بدقة، قبل أن يجبراك على الانتقال؟».

غمز لها زافيير: «للأسف، لا تعنيهما حياتي خارج نطاق الدراسة مطلقًا».

ثم التفت ناظرًا إليها، وأسند مرفقيه على حافة الحاجز: «هل تأذنين لي بسؤال؟».

- تفضل.

- هل كنتِ ستسعين لمنصب رئيسة الكابا، لو لم تتقلده أمكِ وأختكِ يومًا؟

عبست، ولم تستطع التذكر إذا ما أخبرته من قبل، أي فرد بعائلتها تقلد منصب الرئاسة للكابا.

كُفِّي عن الهذيان.

هذا أمرٌ معروف لدى الجميع. كما أن زافيير من البيكا، ويمكن له معرفة ذلك من إخوته. أطلقت زفيرًا عميقًا، ثم قالت: «أنا... لا أعرف كيف أجيب عن هذا السؤال».

كلما أطال النظر إليها، يرتعش قلبها بين ضلوعها. إنه ليس مثل جاكسون، لكن وسامته جذابة. ومن الواضح أنه ينتمي إلى عائلة في مستوى عائلتها. لذا يحملان ضغوطًا متشابهة على كاهلهما.

سألها مجددًا: «هل تخيلتِ حياتكِ دون هذا الإرث العائليِّ، أو دون الكابا؟ أن تكوني مجرد فتاة عادية، تعيش حياتها، هي فقط، بلا ضغوط؟».

أجابت بتلقائية، وهي تكتم ضحكة مفاجئة: «مطلقًا. من يريد أن يعد نفسه شخصًا عاديًّا؟».

ابتسم، وبدا متفاجئًا بعض الشيء. لا تعرف بسبب ردها أم لأنها سكارليت.

- لا أعتقد أنه يمكن أن تُعَدِّي فتاة عادية أبدًا، يا سكارليت وينتر.

- ماذا عنك؟ لا تشبه شابًّا ينتمي إلى أخوية تقليدية. لماذا انضممت إلى البيكا؟

ألقى نظرة خاطفة على تعبير وجهها، ثم رفع حاجبيه: «صدقي أو لا تصدقي، ليس من السهل التنقل بين الجامعات (ثم هز كتفيه) لكنني لا أنوي أن أبذل جهدًا من أجل منصب الرئاسة. هذه مسؤوليات مبالغ بها».

- آه، فهمت. إذن فأنتَ ممن يشجع العمل على قدر المطلوب، وكفى؟

حدق إلى عينيها مباشرةً: «لا، مطلقًا. لدي فقط أولويات أخرى».

تورد وجهها، بينما بعثت تحديقاته المستمرة بقشعرة خفيفة في رقبتها، وظهرها. تعلم أنها يجب أن تنظر بعيدًا، وتقطع نظراته... كم يسهل التحدث إليه. وكم هي ساحرة لكنته الجنوبية القوية. مع شرابها المُسكِر الذي ملأ جسدها، لا تستطيع إنكار جاذبيته المُغرية لها بالذات.

مدَّ زافيير أطراف أصابعه، ليداعب ظهر معصمها برقة. اقشعر بدنها في أعقاب لمسته، وتسارع نبض قلبها. تساءلت إذا ما يستطيع أن يشعر بضربات قلبها المتصاعدة، بينما تبلع ريقها بصعوبة. قبل أن تتمكن من قول أي شيء، استدار ناحية الحاجز، وارتشف جرعة أخرى: «الدراسة، على سبيل المثال، لها أولويةٌ كبيرةٌ عندي».

ضحكت، بينما ارتعشت زوايا شفتيه، ثم رفع أحد حاجبيه، وتجرع ما تبقى من شرابه.

- ماذا تدرس؟

أجاب: «الاقتصاد».

لم تستطع أن تمنع نفسها من تذمرٍ غريزيٍّ: «ماذا؟ إنها صناعة تعتمد على الربح. هل هذا هو دافعك؟ المال».

هز زافيير كتفها بإصبعه، كأنه يوبخها على كلامها اللاذع: «لا تتسرعي في الحكم عليَّ، يا آنسة وينتر. بالكاد، تعرفينني. لا يمكنكِ معرفة كامل دوافعي».

بل يمكنني.

في لحظتها، اتجه ذهنها بالتفكير بطريقة محظورة. لربما لشرابها المتدفق في عروقها دخلٌ بتهورها. بلمسة واحدة، وبضع كلمات، يمكنها أن تعرف كل دوافعه، وحتى نواياه، في التقرب منها.

قد تبدو حركتها محاولة للتودد إليه، لكنها تحتاج أن تعرف. لا يمكن أن تضع نفسها في موقع متخاذل مرة أخرى، كما حدث مع جاكسون. لن يتحمل قلبها، بعد ما مرت به الفصل الدراسيَّ الماضي.

سألقي نظرة خاطفة.

فقط لمحة سريعة بعقله. عادةً ما ترفض استخدام السحر في حالات مماثلة، خاصة، إذا ما تعلق الأمر بفتى. من حيث المبدأ، لا تحتاج سكارليت وينتر إلى مساعدة سحرية لتجذب الرجال إليها. لكن هذا مختلف، إنه أشبه بالدفاع عن النفس.

أخذت رشفة أخرى لتشجع نفسها، فقد أوشكت أن تفقد أعصابها. داعبت بأطراف أصابعها صدغه بخفة، وبما يكفي للسماح لها بالغوص بأفكاره. ركزت بإمعان، بينما تردد في ذهنها: «*أدعو ملكة السيوف والكلمات. أظهِري ما الذي يتطلع إليه*».

لم تجد إلا جدارًا فارغًا. لا شيء. ولا حتى خيطًا من العاطفة، الشغف، الانزعاج، أو أي شيء آخر. طرفت بعينيها، وأعادت يدها إلى جانبها، في عبوس. لم يكن سحر السيوف اختصاصها قط، لكنها تجيد استخدامه، على الأقل، في قراءة حالات الناس العاطفية.

لمحت زافيير ينظر إليها بغرابة، متكلفًا الابتسام: «لديكِ ذبذبة مريحة بيدك. أشكرك».

أجابته، ورأسها يدور، من أثر الشراب: «على الرحب والسعة».

ما الذي أفعله بحق الجحيم؟ أقلقُ من شاب وأتجسسُ على أفكاره.

هل كل ذلك بسبب صبي واحد تركها من أجل فتاة من الثيتا؟ لا يمكنها أن تزيد الأمر سوءًا. دفعت مشروبها بعيدًا. لا يجب أن تتجسس على أفكار أحد، حتى لو أفكار شاب لطيف مثل زافيير، لمجرد أنها تريد ذلك. بدأت تشعر بالثمالة، ما يكفي لترى الغرفة تتأرجح حولها. إن آخر شيء تريده، هو أن تمنح الأعين التي تراقبها في الحانة، نظرة شافية لسكارليت وينتر، وهي تنهار.

- يجب أن أذهب.

- دعيني أخمن، لديكِ عمل بالكابا؟

أجابت، وهي تلتقط حقيبة يدها: «لا راحة للطموحين».

- اعتقدتُ أنه لا راحة للطالحين.

- لا راحة لهم أيضًا.

غمزت له بجانب عينيها، ثم تحركت مبتعدة. لا تحتاج أن تنظر إلى للوراء لتعرف أنه ليس وحده الذي يحدق إليها، بينما تتقدم للأبواب، بل الجميع. رفعت ذقنها عاليًا، فالملكة لا تخيب ظن رعاياها.

لا تدعي أحدًا يراكِ تتصببين عرقًا أبدًا.

هذه هي إحدى نصائح مِيني لها، التي تشبه نصائح أمها أيضًا. إنها واحدة من النقاط النادرة التي تتفق عليها الاثنتان. ومع ذلك، فقد سمحت لنفسها بمتعة صغيرة، وتمتمت، بينما تدفع الأبواب للخارج: «أدعو ملكة الصولجان والكأس الأوحد، أظهِري قوتكِ الحقيقية، وأفسِدي تلذذهم بالشراب».

عند خروجها، وقبل أن تتوقف الأبواب عن تأرجحها، سمعت عددًا من فتيان الأخويات يئنون في شكوى، ويبصقون ما يشربونه باشمئزاز. صاح أحدهم: «يا للقرف، هذا الشراب طعمه مثل البول».

عندما اقتربت من الحديقة الرئيسية، أخذت نفسًا عميقًا من الهواء المنعش، وشعرت أنها أفضل حالًا للحظة.



كانت الطريق المعتادة التي تسلكها سكارليت من الحرم الجامعيِّ إلى الكابا هاوس مظلمة تمامًا. ألقت باللوم على دورة القمر الجديدة، والسماء الملبدة بالغيوم تلك الليلة، التي حجبت وراءها النجوم المنيرة، تاركةً أعمدة الإنارة المتفرقة على مسافات بعيدة، تلقي ضياءً خافتًا. ومع ذلك، فلديها ميلٌ لمثل تلك الليالي الحالكة الثقيلة، التي تنبئ باحتمال هبوب العواصف. تشعر أن هناك ألفة بينها وبين السحب المثقلة بالمطر، قبل أن ينهمر.

أما الليلة، فقد توقفت في طريقها العديد من المرات. تسمع ضوضاء من مكان بعيد، وصريرًا خافتًا، كأن شيئًا ما يُجَر على طول الرصيف. وكلما توقفت، تتوقف الضوضاء. تلتفت وراءها كل بضع خطوات، فتنتابها قشعريرة بامتداد عمودها الفقريِّ. في كل مرة، لا ترى سوى الفراغ، على الرغم من أن هذا التوقيت من ليلة الخميس، يخرج فيه العديد الطلاب إلى طرقات الحرم الجامعيِّ. أكملت سيرها، وعادت الضوضاء من جديد. فتوقفت، ولم تستدِر هذه المرة، وبحثت في حقيبتها عن مرآتها المضغوطة، متظاهرةً أنها تتأكد من زينتها، لكنها ظلت تفحص الطريق من خلفها.

لا شيء.

تنفست بعمق، ثم سارعت الخطوات، تنقر الأرض بكعب حذائها. تبعتها الضوضاء، وقد تحول الهمس إلى صوت أشد، ويمكن تميزه. إنها خطوات أقدام، تلاحقها.

لربما خطوات فتاة جامعية أخرى.

قالت لنفسها، بينما تتساءل عن عدم ظهور الجميع. أسرعت من وتيرة سيرها أكثر، في محاولة لتجاهل الأدرينالين المتصاعد داخلها. قالت بهدوء: «أدعو ملكة الكؤوس».

ارتفعت قرقعة العاصفة بالأعلى. لا يمكنها أن تمطر، ليس بعد. تشعر بقرب هبوب العاصفة، على وشك الانطلاق بكلمة منها. إذا كان هناك شيء -أو شخص ما- يتبعها في الظلام، فإنها مستعدة لمجابهته.

عندما وصلت إلى عمود الإنارة التالي، قرقعت السماء مرة أخرى، بصوت أعلى، لكن ليس بما يكفي، ليطغى على صوت الخطوات التي تقترب من خلفها. تفحصت الغابة على كلا الجانبين، والرصيف من أمامها، فلم تلحظ أحدًا. توقفت تحت عمود الإنارة، ومنحها التوهج البرتقاليُّ المنبعث منه هيئة مهيبة. حافظت على ثبات نفَسها، وضمت قبضتيها إلى صدرها، في وضع استعداد للدفاع عن النفس.

استدارت بسرعة، لتجد زافيير، رافعًا يديه في الهواء، مستسلمًا، على بُعد خطوات قليلة منها: «يا للهول، لا تضربيني».

عقدت ذراعيها، صارخةً به: «هل تتبعني؟».

أجابها بابتسامته الجانبية التي تثير حنقها: «لا يدور كل شيء حولكِ يا سكارليت، كما تعلمين».

ثم أشار من ورائها: «يبعد منزل البيكا خمسة منازل فقط عن الكابا هاوس، أتذكرين؟».

عبست قائلة: «أمكنك أن تُلمِّح لي بدلًا من التسلل خلفي».

- حاولتُ ذلك. ليس خطئي أن لديكِ حاسة سمع غير عادية (زفرت أنفاسًا متعاقبة في انزعاج، بينما أضاف، ناظرًا إليها في خجل) كما أردتُ التأكد من عودتك سالمة. لم تبدي بخير بالحانة منذ قليل.

- حسنًا، إن أردتَ نصيحتي. إن ما فعلته لن يجعل أي فتاة تشعر بالراحة، وأحدهم يتسلل خلفها في طريق مظلمة (ثم أضافت، دون أن تتزحزح عن موقعها الدفاعيِّ) يمكنني حماية نفسي؛ بعيدًا عن لعبة الفارس الشجاع التي تلعبها معي.

نظر إلى قبضتيها المشدودتين، رغم جهدها الملحوظ، لإرخاء كفيها المتشبثتين بطيات تنورتها: «أتفهم ذلك. أعتذر منكِ».

تكره الأمر، لكنها تشعر حقًا بالأمان، وهو بجانبها. لا يمكن لسبب آخر، أن يجعلها تفقد تركيزها في أي ضوضاء حولها بالغابة. لم تعد تسمع أي شيء، لا اهتزاز غصن، ولا قدمًا زاحفة على الأرض الموحلة.

عند وصولهما إلى الطريق الرئيسية، انحنى لها في وقار: «أرسَلكِ فارسكِ الشجاع إلى منزلكِ بأمان، يا سيدتي».

اتسعت عيناها، وابتسمت: «أتمنى لك ليلة سعيدة، يا زافيير».

- ولكِ أيضًا يا سكارليت.

تأمل وجهها للحظة، وكأنه على وشك قول شيء آخر. ثم لوَّح لها، وركض تحت رذاذ المطر. راقبته مبتعدًا، والمطر يحوم حول كتفيها، دون أن يلمس شعرها أو ملابسها قط. إنها ساحرة كؤوس، رغم كل شيء. لكن عليها الاعتراف، لقد أصبح من الصعب الابتعاد هذا الشاب.



الفصل السادس عشر

فيفي

عندما قابلت مايسون مساء الجمعة، كان الهواء قد اعتدل، وانتهت موجة البرد. اتفقا على اللقاء بجانب النهر، على أحد المقاعد المطلة على أرصفة الميناء. سارت بجوار الحانات والمطاعم المزينة بالأضواء الساحرة، المنعكسة على سطح الماء الداكن. مما أعطى المشهد بهاءً من عالم آخر، يتخطى وصفه بالخياليِّ أو الرومانسيِّ. لقد تحدثا بالكاد، منذ آخر رسالة نصية متوترة بينهما، منذ يومين. تمعنت فيفي في الظروف التي أحاطت بعلاقتهما، وارتأت أن تعيد الأمور بينهما إلى نصابها قبل أن تخرج عن السيطرة.

رأته جالسًا على أحد المقاعد، فأجبرت نفسها على الابتسام بحرارة، رغم توتر أعصابها، صائحة: «أهلًا!».

شعرت برغبة في الركض، ملقيةً بنفسها بين ذراعيه. لكنها عدلت عن ذلك، حتى لا تفسد هندامها. بالغت هذه المرة في اهتمامها بارتداء ملابس تناسب الموعد. استعارت تنورة قصيرة من سونالي، وطابقتها بحذاء ذي كعب عالٍ، لدى ريجان. كما أنها اختبرت زينتها، قبل أن تضفي على عينيها ظلالًا خفيفة، ومحددًا لإبراز خديها.

يمكنها التكهن من خلال نظراته المدققة لها، أن جهودها لم تضِع هباءً. لكن بدلًا من أن يقف ويقبِّلها، أو يخبرها كم تبدو رائعة، أومأ برأسه ببساطة، وقال: «شكرًا على مجيئكِ هذه المرة».

جفلت لرده الجاف. تعلم أنها لم تكن أفضل صديقة له خلال الأيام القليلة الماضية، أو لعلها أسابيع، لوجه الدقة. إن لديها الكثير من الأسرار، والتفاصيل عن حياتها، لن يستطيع مايسون أن يتفهمها. تبادلت هي وتِيم الرسائل بانتظام، منذ زيارتهما لقاعة المشاهير. تشاركا أيضًا التعليق على التشابه الملحوظ بينهما في صور الطفولة. توطدت علاقتهما، لدرجة أن تِيم طرح فكرة دعوتها ودافني في عيد الشكر. لا تعتقد أن أمها ستقبل الدعوة، نظرًا لما عانته طوال سنوات، لمحو فينس من ماضيها. ومع ذلك، لم تُخفِ حماسها للحصول على عيد شكر حقيقيٍّ للمرة الأولى، عشاء مبهج مملوء بالضحكات في أثناء تناول الديك الرومي المحشو، بدلًا من الحساء النباتيِّ، الذي تحظى به مع دافني عادةً.

تحتاج لإخبار مايسون، لكنها لا تعرف الطريقة المناسبة. تمنت لو أنها لوَّحت بعصا سحرية، وجعلته يقبل هذا الجانب الجديد من حياتها، دون طرح أي أسئلة. في الواقع، يمكنها فعل ذلك دون الحاجة لعصا سحرية. يمكنها ببعض الكلمات، أن تضمن ألا يغضب مايسون منها، بعد الآن. هذه أسهل طريقة، لتجعله يغفر لها سلوكها الغامض والجامد، أحيانًا، على نحو مثاليٍّ. فكرت بحزم أنه باستخدام السحر ستتخطى الحدود التي ترفض قطعًا تجاوزها.

لا، لا يمكن فعل ذلك، بأي حال من الأحوال.

جلست بجواره على المقعد بعد لحظة تردد. استطاعت على مسافة كافية منه، أن تلتقط الرائحة الجذابة لعطر الصنوبر الخاص به. مما جعلها تريد أن تتكئ على انحناءة كتفه، لتستزيد من عطره. لكن بالنظر إلى تعبير وجهه الصارم، لا يبدو أنه في مزاج ملائم لمعانقتها.

قالت في محاولة لكسر الحاجز المتوتر بينهما: «آسفة على ما بدر مني ذلك اليوم. لقد عاملتك بشكل مروع».

قال وهو يحدق إلى النهر: «نعم، أعرف».

لم تسمع منه تلك النبرة الباردة الساخرة، من قبل. فقالت وهي تتزحزح إلى حافة المقعد، وقد أدركت للتو أن تنورتها قصيرة للغاية: «كيف يمكنني أن أعوضك؟».

تنهد، ونظر إليها بتعبير حزين، أبعد ما يكون الغضب: «الأمر لا يتعلق بالليلة الماضية فقط، يا فيفي. إنه... أريد أن نحافظ على الصدق بيننا. لقد مررتُ بعلاقات سابقة، حيث كنتُ دائمًا في جهة رد الفعل. أكره هذا الشعور».

لا بد أنه يتحدث عن علاقته السابقة مع سكارليت. فقد انفصلا لأن مايسون لم يشعر أنهما على اتصال كافٍ، كما لم يعد هناك شيء مشترك بينهما. لكن وضعها مختلف معه، لديهما تواصل خاص. يجب أن تجعله يرى ذلك.

التفتت بجسدها تجاهه: «لدي الشعور نفسه. أريد أن تكون علاقتنا حقيقية».

رد بصوت منكسر قليلًا، جعل قلبها ينبض بشدة: «لذلك، أخبريني لماذا كنتِ بعيدة جدًّا مؤخرًا. لماذا تتجنبينني؟».

قالت وهي تحاول الإمساك بيده: «لا أعرف».

تصلَّب وجهه ونفض يدها بعيدًا: «إذن، فستجلسين هنا، وتكذبين عليَّ. هل تعتقدين حقًّا أنني بهذا الغباء؟».

- ماذا؟ ما الذي تقصده؟

خرجت منه أنَّة خافتة، ثم دفن وجهه بين يديه: «لا تتلاعبي بي هكذا من فضلكِ، يا فيفي. لقد رأيتك».

سألته، وقد تسارع نبضها: «رأيتني أفعل ماذا؟».

هل تركت وراءها أثرًا للسحر، أو أهملت في إخفائه؟

- لقد رأيتكِ مع تِيم لِي، بعدما راسلتكِ مباشرةً، لتناول القهوة معًا، وتعذرتِ بأنكِ مشغولة في عمل ما بالكابا هاوس.

- ماذا؟ يا إلهي. ليس الأمر كما تظن، يا مايسون. صدقني. التقيته، وتحدثنا لبضع دقائق. هذا كل ما في الأمر.

رفع رأسه وحدق إليها بضجر: «لمَ تكذبين إذن، بحق الجحيم، بشأن مكان وجودك؟».

- إنه أمر معقد.

في اللحظة، التي تفوهت بتلك الكلمة، أدركت خطأها.

- معقد! حسنًا، لمَ لا تحاولين شرحه، وسأبذل قصارى جهدي لتفهمك.

عندما لم تُجِب، نَهَرها: «عندما تفضلين نجم الظهير الرباعي، على أحمق يدرس التاريخ. لا يبدو الأمر معقدًا إلى هذا الحد، بنظري».

- يا لك من سخيف، يا مايسون. كيف تظن أنني أخونك!

ظل صامتًا للحظة طويلة، ثم أومأ ببطء: «لا، لا أظن أنكِ تفعلين. لكنني أعلم أنكِ تفكرين بالأمر».

- هل محظور عليَّ أن أتخذ أصدقاء من الذكور؟

- بالطبع، يمكنكِ اتخاذ أصدقاء من الذكور! لكنكِ تبدين على غير عادتكِ، منذ الحفل، وبدأتِ في تجنبي، ثم أخيرًا، كذبتِ عليَّ. ما الذي يُفترض أن أظنه بكِ بحق الجحيم؟

عليكِ أن تخبريه.

هكذا فكرت، بينما تبحث عن الكلمات الصحيحة بذهنها، في ظل مشاعر الهلع التي تجتاح صدرها. بشكل ما، تتوافق علاقتها مع مايسون أكثر من علاقته مع سكارليت. لكنهما يتعثران الآن في علاقتهما. إن سكارليت جميلة وذكية وواثقة من نفسها، وتحمل بريق انتمائها لواحدة من أغنى وأرقى العائلات في جورجيا. ورغم أن والدَي مايسون يعيشان هنا في سافانا، لم يدعُ فيفي لمقابلتهما. هل يعتقد أنهما سيجدانها غير مثقفة، ودمثة الخلق بما يكفي؟ هل يشعر بالإحراج من علاقتهما؟

- إن تِيم بمنزلة...

توقفت الكلمات في حلقها، في حين امتقع وجهه، وطل الألم من عينيه. لا تستطيع التسبب في معاناته على هذا النحو، في حين أنه بإمكانها أن تخلصه من الألم.

أدعو القمر. امدده بالحكمة وجلاء الغمة. أخرِجه من الشك إلى اللطف.

انقشعت الغيوم بالأعلى، كاشفةً عن قمر فضيٍّ متوهج. استرخى مايسون على المقعد متنهدًا، وفرك ما بين عينيه: «لا أعرف لماذا أتصرف بهذا الشكل. إنني أهتم بكِ حقًا يا فيفي، وأريد أن تنجح علاقتنا. تعلمين؟ إنكِ على حق، أنا أثق بكِ. إذا قلتِ إنه لا يوجد شيء بينكما، عليَّ أن أصدقك».

ثم أمسك بيدها، مبتسمًا: «آسف على فقدان أعصابي. هل يمكنكِ مسامحتي؟».

شعرت ببعض الراحة، بينما يبتسم لها بانتظار ردها. لكن لم يخلُ شعورها من الإحساس بالذنب، مما جعلها تستصعب مبادلته الابتسام. لقد أساءت معاملته الفترة الأخيرة، والآن يطلب منها أن تسامحه، غير أنها استخدمت السحر، وتلاعبت بإرادته. فرغم أنها تعويذة بسيطة، فإن هناك سببًا لمنع السحرة من التدخل في مسار الإرادة الحرة، إنه منحدر زلق وخطير، لا يخلو من العواقب غير المتوقعة.

لن أفعل ذلك مجددًا. فقط هذه المرة.

قالت بصدق: «إنني آسفة أيضًا».

رغم أن مايسون لن يعرف عما تعتذر بشكل كامل، تابعت: «لقد مررتُ بالكثير من الضغوط مؤخرًا. اعتقدتُ أنه يمكنني أداء مهام منصبي الاجتماعيِّ الجديد. لكنه يفوق قدرتي على الاحتمال، حتى إنني تسببت بفوضى عارمة بذلك الحفل المختلط السخيف. والآن، لدينا حفل لمِّ شمل نتجهز له، وفي ظل الإنذار الذي تلقيناه من مجلس الجامعة، يقع كل شيء على عاتقي، لوضع الأمور في نصابها الصحيح. ناهيك بالدراسة التي لا تسير على نحو جيد...».

تزاحمت الكلمات بحلقها، فتوقفت والدموع تترقرق على جانبَي عينيها. صحيح أنها عاشت طفولة مضطربة إلا أنها تفوقت دراسيًّا. أما حاليًّا، بالكاد تستطيع مواكبة دراستها، والاستعداد للامتحانات. حتى بايلي، لم تستطع مساعدتها، ذلك اليوم، في أثناء الامتحان التمهيديِّ لنصف العام لمادة تاريخ الفن. عندما لاحظت بايلي وجهها المرتعب، حاولت أن تتخاطر إليها بالإجابات، قبل أن تكتشفا أن الأستاذ أعطى الجميع نسخًا مختلفة من الاختبار نفسه.

قال مايسون، وهو يحيطها بذراعه: «لا تبكي، يا حبيبتي. أعدكِ أن كل شيء سيكون على ما يرام، فأنتِ قادرة على ذلك. ألم تري ما فعلتِه بحفل أليس في بلاد العجائب ذاك. لقد كان حدث الموسم!».

- بالتأكيد.

حتى كاد شخصٌ ما أن يُقتَل.

مسحت أنفها بظهر يدها بأسى، وهي تتذكر ما حدث بالحفل. لكنها ضحكت عندما ناولها مايسون منديله القماشيَّ، قائلة: «آسفة، أعلم أنه فعل مقزز».

رد، مقربًا إياها منه: «لا تقلقي بهذا الشأن».

زفرت ببطء وأراحت رأسها على كتفه: «آسفة، يا مايسون. أعرف أنني صديقة سيئة هذه الأيام، لكن أعدك أن أصبح أفضل».

مازحها بلطف: «لم يقل أحد إنكِ سيئة».

- حسنًا، فيما كنت غائبة عنك، ماذا فعلت؟ هل أخبرت والديك عن خططك للعام المقبل؟

استدار محدقًا إلى النهر: «ليس بعد. أردتُ أن أخبرهما نهاية هذا الأسبوع، لكن ظلت أمي تتحدث عن شركة المحاماة، وعن الفوز بمجموعة من العملاء الجدد المهمين، ولمَّحت أن لدى الشركة العديد من الفرص للمتدربين هذا الصيف، حتى فقدتُ أعصابي، من كثرة التلميحات الموجهة لي».

اقتربت منه قليلًا، حتى صارا متلاصقَين، قائلة: «ستكتشف الطريقة المناسبة لإخبارهما. تحتاج لبعض الوقت فقط».

أمال رأسه للوراء متنهدًا: «لم يعد لدي وقت. يجب أن أجيب مستشارتي خلال الأسبوعين المقبلين».

- أسيساعد ذهابي معك؟ كونه دعمًا معنويًّا؟

ضحك، ثم أمال رأسه إلى الجانب مستطلعًا وجهها في تساؤل: «هل تريدين حقًّا مقابلة والديَّ للمرة الأولى، خلال العشاء الذي قد يقتلانني فيه؟».

- في هذه الحالة، ألا يجب وجود طرف ثالث، على الأقل بصفته شاهدًا، إذا ما حاولا الإفلات من العقاب؟

- هل ستفعلين ذلك من أجلي؟

شابكت أصابعها في يده: «بالطبع. أليس هذا هو سبب وجود الصديقات غير السيئات؟ بالإضافة، يمكنني البحث عن فرص عمل للمؤرخين. أو ربما أتخصص في كيفية صنع السلال، وأنضم إلى رابطة مشجعي النظام الغذائيِّ

النباتيِّ بعد التخرج. كما تعلم، أستطيع وضع خطط متماسكة تضاهي خططك المستقبلية».

- أعلم أنك تمزحين، رغم أن هذه الخطط يمكن تفعيلها في الواقع.

- عظيم. سأباشر بتحضير سيرتي الذاتية. هل تعرف مكانًا لشراء بعض السلال من أجل التقاط الصور؟

- أتدرين كم أنتِ مدهشة؟

انحنى ليقبِّلها، لكنها تراجعت للوراء: «آه. دعنا أولًا نحدد الموعد. لقد قلتَ إن لديك أسبوعين فقط لإتمام الأمر، ومن ثم... في أي يوم ينشرون أخبار الوالدين؟».

مازحها: «في يوم المهام التعسفية. إذن، حفل الخريجات غدًا، أليس كذلك؟».

- التي ستكون فيها أكثر رفيق وسيم في العالم.

- إذن، ماذا عن صباح الأحد؟

- متى تحديدًا؟

فإذا صارت الأمور على ما يرام في الحفل، فلن ينتهي قبل الساعات الأولى من صباح اليوم التالي.

- وجبة الإفطار المتأخرة؟ سأبلغ والديَّ.

- ممتاز.

- مثلكِ تمامًا.

- كم أنت لطيف!

- هذا ما جعلكِ تعجبين بي.

قبَّلها، ولم تحاول الابتعاد عنه هذه المرة.



الفصل السابع عشر

سكارليت

تشككت عندما اقترحت فيفي، في بادئ الأمر، استخدام قاعة الطعام من أجل حفل لمٍّ الشمل المئة والخمسين. إن قاعة الطعام لها إطلالة متميزة: جدران حجرية، أسقف عالية ذات عوارض خشبية، نوافذ زجاجية كبيرة تطل على الحرم الجامعيِّ. لكنها تظل بالنهاية مطعم الجامعة. لذا وجدت صعوبة في تخيُّل إقامة سهرة ذات شأن تثير إعجاب خريجات الكابا بهذا المكان. مع ذلك، استطاعت فيفي أن تفوق توقعات سكارليت نفسها.

ما إن وطأ الضيوف أقدامهم إلى الداخل، حتى تفاجؤوا بوجودهم في نسخة طبق الأصل من قصر فيرساي. حيث تمتد مرايا ضخمة ذات طراز عتيق، من الأرض إلى السقف، بمحاذاة الجدران المواجهة للنوافذ. استُبدِلت طاولات شراب مرتفعة بجميع الطاولات والكراسي العادية، لها أرجل مزركشة بالذهب. بالإضافة لعدد من الأرائك والمساند المنفوخة في زوايا القاعة، ليجلس عليها الضيوف. تحولت الأرضية المغطاة بطبقة من الفينيل البسيط، إلى رخام لامع من الأبيض والأسود، تتخلله خطوط متعرجة من الذهب الورديِّ.

ما إن نظرت في المرآة، انقطع نفَسُها. لم ترَ سكارليت نفْسها، أو على الأقل، ليس بفستانها الأخضر الزمردي وردائها ذي الطابع الملوكيِّ، مع فتحة لإظهار ساقها وكعبها العالي. بينما ترتدي صورتها المنعكسة في المرآة فستانًا من القرن الثامن عشر، كفساتين ماري أنطوانيت، بكُمين منتفخين،

وتنورة ضخمة مثل الجرس. كما، ظهرت وَشْمة حُسنٍ صغيرة بالقرب من شفتيها، وشعر مجعد مستعار على رأسها.

إلى جانبها، لم ينقص انعكاس زافيير شيئًا من وسامته. كان يرتدي بالأصل حُلة رسمية، غاية في الكمال، أما صورته المنعكسة، فأضفت عليه لمسة لزي حفل فرنسيٍّ، ذي طابعٍ عسكريٍّ. حتى إنه رفع حاجبه مدهوشًا، واستدار يمينًا ويسارًا، يتأمل ملابسه في استمتاع: «كنتُ أعلم أن ويسترلي لديها قسم رائع للبرمجيات. وهذه المؤثرات الخاصة، يمكن عدُّها الأفضل من نوعها».

أجابت سكارليت مبتسمة: «مرحبًا بك في حدث الكابا الأضخم».

ترددت في دعوته بصفته رفيقًا لها في الحفل، لكن عليها الاعتراف ألا أحد غيره يصلح.

- الآن، فهمتُ سبب شهرة الكابا.

انحنى بظهره قليلًا للأمام، ثم مد يده لها، وقال بالفرنسية: «هل تسمحين بالرقص، يا آنسة؟».

أوشكت على قبول دعوته، قبل أن تنضم شخصية إليهم في المرآة. ترتدي شعرًا مستعارًا أكثر تجعيدًا مما على رأس سكارليت. همست مارجوري وينتر: «يجب أن أعترف أنكِ أحسنتِ صنعًا هذه المرة».

تركت سكارليت يد زافيير، ورسمت على شفتيها ابتسامة واسعة: «كل هذا من تصميم فيفي، أختي الصغرى».

رفضت فيفي أدنى مساعدة منها في فترة الإعداد للحفل. كما أن توجُّس رئيستها من هذه الليلة، لم يكن ليساعد أيضًا. حاولت أن تخفف من حدة توترها، فقد بدأ الحفل المختلط الأخير جيدًا، ولكنه لم ينتهِ كذلك. لذا تتمنى النجاح هذه المرة، من أجل فيفي، ومن أجل كل فتيات الكابا.

قاطعهما زافيير، محدقًا إليها في ذهول: «سكارليت تتواضع!».

توقعت أن يفعل كما فعل أصدقاؤها السابقون عند أول مقابلة لمارجوري، أن يتراجع للوراء قليلًا، حتى يُعرَّف به. لكنه مد يده بجاذبية ساحرة، تجاه مارجوري: «اسمي زافيير هانت. تشرفت بمقابلتكِ، يا سيدة وينتر».

على الرغم منها، تساءلت كيف كان ليتصرف جاكسون في نفس الموقف. تخيلت أنه قد يقدم نفسه مباشرةً كما فعل زافيير، لكن ليس بنفس القدر من الجاذبية الرزينة. بل ربما أكثر مرحًا. ما الذي تفكر به؟ لا بد أنها تخادع نفسها. لم تعد هناك أي فرصة على الإطلاق، لتعريف أمها بجاكسون. لحسن الحظ، جيد أن هذا لم يحدث.

حدقت مارجوري إلى كف زافيير دون إبداء أي حركة. إنها تكره الذين يُعرِّفون بأنفسهم. أخذ زافيير الأمر ببساطة، ورفع يده الممدودة، لتتخلل شعر رأسه: «على أي حال، إذا سألِتني، سأقول إن جزءًا كبيرًا من مهارات القيادة تعتمد على الإقدام».

- لم أسألك.

زمَّت مارجوري شفتيها، ثم نظرت إلى سكارليت، واستطردت: «لكن واضح أنكِ أحرزتِ الكثير هنا. اختيار موفق. تخوفت بشأن إقامة الحفل بعد ما سمعته عن الإخفاق الأخير».

حدقت سكارليت إليها. إن مارجوري لم تترك فرصة إلا وراسلتها، أو هاتفتها منذ الإنذار الذي تلقته الكابا. بالطبع، أطلعتها أوجيني على الفور، بعدما انتشر الخبر في دقائق معدودة. تستطيع تخيُّل ابتهاج أوجيني، لدى تلقيها التوبيخ جراء المأزق الذي أوقعت فيه الكابا.

لم يعد يزعجها الأمر، بعد أن استجمعت شجاعتها. قالت بعد برهة من الصمت: «إنني قادرة على إصلاح كل شيء. أحتاج فقط إلى بعض الوقت».

وضع زافيير إحدى يديه على ظهرها برفق، كأنه يدعمها بصمت.

- الوقت رفاهية لا يمكننا دفع ثمنه جميعًا.

ردت سكارليت بصوت خفيض: «إنه مجرد إنذار واحد، يا أمي».

إذا لم يتهادَ إلى مسامع بعض الخريجات، فيما عدا أمها، أيٌّ من الأحداث الأخيرة بعد، فآخر ما ترغب به هو لفت المزيد من الأنظار إلى مدى سوء فترة رئاستها للكابا.

تطلعت مارجوري في الحشد من وراء ظهر سكارليت، ثم قالت: «لم تتلقَ الكابا رو نو تحذيرًا مطلقًا طوال الأعوام المئة والخمسين الماضية. أعلم أنكِ

تريدين ترك انطباع حسن خلال فترة رئاستكِ، يا سكارليت. لكن دعيني أقول إن هذا ليس ما توقعته».

توردت وجنتا سكارليت، وقبل أن تتابع جدالها مع أمها، تدخَّل زافيير: «في الواقع، هذا ليس صحيحًا تمامًا. (التفتت إليه كلٌّ من مارجوري وسكارليت، بينما تجعد جبينه) وجدتُ أنني يجب أن أتطرق إلى تاريخ الكابا قبل حضوري هذه الليلة، بما أنها ذكرى سنوية...».

ألقى نظرة خاطفة على سكارليت، مستطردًا: «في عام 1974، تلقت الكابا إخطارًا بشأن إحداث الفوضى، وتكرر الأمر في عام 1987».

نظرت سكارليت إلى أمها في ذهول، متسائلة: «ألم تكوني بالحرم الجامعيِّ خلال ذلك العام؟».

زمَّت مارجوري شفتيها، متجاهلة ابنتها: «أشكركَ على درس التاريخ هذا. لدي بالفعل دراية بتلك الحوادث، التي لم تكن سوى حوادث بسيطة، مقارنةً بما نشهده الآن».

استطاعت سكارليت أن تقرأ من خلال الشرارة المضطربة بعينيها، أن مارجوري معجبة ومنزعجة من زافيير، في نفس الوقت. انتظرت حتى تستدير أمها مبتعدة، تجاه عدد من صديقات الدراسة، منهن كاتبة ضمن القائمة القصيرة لجائزة صحيفة ذا ناشيونال بوك، ومخرجة عُدَّت أحدث أفلامها الأكثر ربحًا في العام الماضي، ثم سمحت لنفسها أن تنفجر في الضحك.

- أمرٌ لا يُصدقّ.

نظرت إليه بجانب عينيها، وتركته يقودها إلى حلبة الرقص.

- هل بحثت بجدية في تاريخ الكابا فقط من أجل هذا؟

- تبدين فتاة تُقدِّر التفاصيل. لذا لم أرغب أن يخيب أملك بي، خاصة بعدما استطعتُ اصطحابكِ في موعد.

قوست حاجبيها المهذبين بشكلٍ مثاليٍّ: «أتعتبر هذا موعدًا؟».

ابتسم، وأدارها تجاهه، مأخوذًا بالموسيقى: «سمِّيها كيفما تشائين، ما دمتِ تقبلين».

لا تنكر أنها تراه بعد وقوفه في وجه مارجوري وينتر أكثر جاذبية. كما جعلها أكثر تشوقًا للخطوة التالية معه هذه الليلة. لو ظلت مارجوري مستاءة طوال الحفل، لن تستمتع كفاية بوقتها معه. سببت لها هذه الفكرة دوارًا مفاجئًا، ربما يرجع أيضًا للفارس الوسيم الذي يدور بها راقصًا.

لم تعلن أمها بعد موافقتها على الخطة، لجمع التعاويذ التي سبق استخدامها من قِبل الخريجات، لإضافتها لكتاب ذكريات الكابا الذي صنعته. فحتى بعد اجتماع مجلس الملوك الأخير، زعمت مارجوري أنه لم يُتَح لها وقت لطرح الفكرة. مما جعل سكارليت تصمم على تنفيذ الخطة، سواء وافق الملوك، أم لا.

نظرت إلى الساعة المعلقة فوق مدخل القاعة، والمؤطَّرة بالذهب والفضة. لم تتغاضَ فيفي حقًّا عن أي تفصيلة مهما كانت صغيرة. حاولت إفلات يدها من قبضة زافيير، قائلة: «يجب أن أذهب لمقابلة فيفي».

لكنه لم يترك يدها، قبل أن يرفعها إلى شفتيه ليطبع قُبلة على ظهر أصابعها. تسارعت أنفاسها، فخلصت يدها على عجل، قبل أن ينشغل ذهنها بأمره. فلا يزال لديها ما يزعجها بشأن عدم قدرتها على قراءة نواياه في حانة الطالب العَطِش. لا بد أن هناك سببًا آخر يكمن وراء لهفته الشديدة لقبول دعوتها له على الفور.

بعد نظرة متمعنة، استدارت لتجد فيفي بالقرب من المنصة، التي اهتمت بتهيئتها للحفل. قطعت بضع خطوات قليلة عبر القاعة المكتظة بالضيوف، عندما لمحت تجعيدة شعر مألوفة لديها. *جاكسون*. ارتدى زي النادل مثل المرة السابقة، لكن نسخته المنعكسة هذه الليلة في المرايا، ترتدي سترة مزركشة من القرن الثامن عشر، وسروالًا ضيقًا.

عبست وأدارت نظرها بعيدًا. لا يمكنها أن تفقد تركيزها، خاصة قبل أن تلقي خطابها الافتتاحيَّ. ستحتاج للتركيز عند إلقاء التعويذة المطلوبة، حتى لا يفهم الضيوف، فيما عدا الساحرات، ما توجهه لهن.

لكن نظرة خاطفة أخرى على المرآة، جعلتها تتوقف. هناك شيء خاطئ بجاكسون. رغم أنه، في الواقع، يحتفظ بابتسامة واسعة عادية في أثناء

تقديمه للمقبلات إلى مجموعة من الخريجات، فإن صورته في المرآة، تعكس تعبيرًا مخيفًا ومرعبًا على وجهه.

تأملت في ذهول بقية الحاضرين والمارة من حوله. بدت انعكاساتهم، بصرف النظر عن الأردية التنكرية، طبيعية. لقد أتمت فيفي تفعيل التعويذة على نحو جيد. لدرجة أنه تهادى إلى سمعها توسُّل رفيق هازيل إليها ليتعرف على شركة المؤثرات البصرية التي أنتجت هذا العمل الرائع.

فيما عدا الجميع، يبدو أن انعكاس جاكسون به خطب ما. تسارعت نبضات قلبها. تخطت زوجين من الراقصين، واخترقت الحشد المتزاحم، تتبع خطوات جاكسون، المتجه إلى المطبخ، ليجلب صينية أخرى من المقبلات. ألقت نظرة أخرى على المرآة، وأفزعها ما رأت. بينما تواصل اللاحق به، رأت يد جاكسون تمتد إليها، وقد فتح فمه على اتساعه في صراخ صامت.

أمسكت بذراع جاكسون الحقيقية، فترنح متعثرًا، وهوت الصينية الفارغة على الأرض. حرر ذراعه من قبضتها، والتفت يواجهها: «ماذا بحق الجحيم؟».

نجم عن حركته السريعة ظهور شيء لامع بين طيات سترته. إنها السلسلة الفضية، التي رأتها حول رقبته خلال الأيام القليلة الماضية. لم يعتد ارتداء أي مجوهرات أو حُلي من قبل. لكن يبدو أنه لن يستغني عن هذه بالذات.

لم تلحظ من قبل هذا الحجر الورديَّ الكريستاليَّ المدبب، الذي يتدلى من السلسلة الفضية حول رقبته حتى منتصف صدره. *تستخدم هذه الكريستالات عادةً مع تعاويذ الحب.*

قطب جبينه، ونَهَرها: «أنتِ ثانيةً! توقفي عن اللحاق بي. لكم مرة عليَّ أن أخبركِ أنني لم أعد مهتمًا بك؟».

أجابته، وهي تحرك يدها إلى أعلى رقبته ببطء: «تكفي حركة واحدة فقط، لإنهاء الأمر. آسفة لما سأفعله».

ثم أمسكت بالسلسلة، وانتزعتها بقوة، فصرخ من الألم. شعرت سكارليت بيدها، وكأنها أغرقتها في إناء من الثلج. تسرب الخدر إلى أطراف أصابعها، ثم زحف إلى ذراعها وكتفها. صرخت متألمة، وهي تطلق سراح الحجر الكريستاليِّ، تاركًا علامة حمراء حارقة على راحة يدها.

الأسوأ من ذلك، أن الحجر ظل محيطًا برقبته، ومن ثم، أسرع يعيده داخل سترته بغضب: «ليس لكِ الحق بلمسه. إنه ملكية خاصة».

هذه المرة، فهمت سبب نبرته الغريبة، والرتابة في صوته، ولمعة عينيه الزائغتين. لا يمكنه أن يفعل أو يقول إلا ما تريده الساحرة التي ألقت عليه تعويذة الحب. أصبح لديها الآن فكرة واضحة عمن يقع عليه اللوم. لم يستطع جاكسون الابتعاد، ولو للحظة، عن كايت، لعدة أسابيع متعاقبة.

لكن هل هذا يعني...

ليست لديها فكرة عن كيفية تمكُّن كايت من إلقاء سحر قويٍّ كتعويذة الحب. تذكُر أن كايت خلال حفل التعارف الخاص بها في الكابا، بالكاد شعرت بشرارة قواها السحرية. حتى خلال طقس التارو، لم تستطع أن تطوع قواها السحرية بما يكفي لقبولها بالكابا.

رغم قواها السحرية المحدودة، فإنها استطاعت أن تنميها بطريقة ما. من الممكن أنها تابعت دراسة السحر بمفردها، مثلما فعلت مِيني وجوين. ومع ذلك، أمكنها على الأقل، إلقاء تعاويذ بسيطة، كالإسراع من نمو النبات، أو إضاءة شمعة بلا مشعل. لا يمكن لها، بأي حال من الأحوال، أن تلقي تعويذة حبٍ بهذه القوة، تُسلِب إنسانًا آخر إرادته الحرة، كما تفوق قدرة ساحرة كابا على كسرها. *لا يبدو هذا معقولًا.*

قالت سكارليت بحزم: «سأصلح الأمر. سأعمل على إنقاذك».

على الرغم من عينيه الزائغتين، تأمل أن جاكسون الحقيقي المحاصر بالداخل يستطيع سماعها.

تمتم: «إن الشخص الوحيد الذي يحتاج إلى إنقاذ هنا، هو أنتِ. عليكِ التخلص من أوهامك».

ثم انحنى ليلتقط الصينية. بينما لاحظت مجموعة من الحضور يراقبونهما. أخذت نفسًا عميقًا، وبابتسامة واسعة، تحركت مبتعدة. لا يمكنها أن تصلح الأمر هذه الساعة، فأختها الصغرى تنتظرها عند المنصة. استقبلتها فيفي بنظرات قلقة، متسائلة: «ما سبب كل هذا التأخير؟».

مدت سكارليت إحدى ذراعيها، وعناقتها بخفة: «في وقت لاحق. بالمناسبة، أديتِ عملًا مذهلًا. الجميع مبهورون بالحفل، حتى أمي، رغم أنها لا تزال مستاءة بشأن إخطار المجلس».

- لا تقلقي. سنحظى باستضافة حفل الربيع.

بالنظر إلى رعشة شفتيها القلقة، فهمت أن أختها الصغرى تحاول إراحتها من الضغوط المتكالبة عليها. لكنها لا تعتقد ذلك، حقًّا، مثلما لا تعتقده هي بدورها كذلك. تناولت من فيفي كأس شراب رفيع، ثم قالت، وهي تحرك يدها تجاه قاعة الحفل المتألقة: «لو استطعنا إقامة حفل ربيع رائع كهذا الحفل، فلا داعي للقلق كما قلت».

شحذت ثقة أكبر مما لديها، وقبل أن تصعد على المنصة، ضغطت على يد فيفي، تطمئنها.

هدأت القاعة في الحال، فيما عدا بعض الهمهمات، التي سكنت تدريجيًّا. نظرت إلى الحشد أمامها، واستشعرت طاقة هائلة بالأرجاء، طاقة جماعتَي الغربان والملوك السحرية، التي لا يمكن بالطبع تجاهلها. لكن أيضًا، طاقة كايت، ساحرة الثيتا الغامضة، التي لم تخدع فتىً واحدًا فقط بسحرها، بل تسعى لتفوق هؤلاء السحرة قوة.

قالت، وقد تضخم صوتها بواسطة السحر، وانتشر في القاعة حتى سقفها العالي، دون أن تبذل أدنى جهد: «عضوات الكابا، أخوات الماضي والحاضر، الأصدقاء والضيوف الكرام، أهلًا بكم جميعًا في حفل لمِّ شملنا المتواضع».

سمعت ضحكات خافتة بالأرجاء، فابتسمت بلطف، وتابعت: «إنكم على حق، فالتواضع آخر صفة معروفة عن الكابا».

علَت الضحكات هذه المرة.

تابعت: «هل يمكننا من فضلكم أن نصفق تعبيرًا عن امتناننا للمسؤولة الاجتماعية المتميزة، فيفي ديفيرو، التي جعلت من حفلتنا الليلة حدثًا ساحرًا؟».

ابتسمت ابتسامة عريضة لأختها الصغرى، التي توردت وجنتاها من الحياء، وواصلت التصفيق لها بقوة، حتى آخر صدى. ثم أضافت: «أشكركم جميعًا على حضوركم الليلة، ودعمكم لنا، بعد ما مررنا به خلال الفصل الدراسيِّ الماضي».

همهم بعض قليل من الحشد، مصدِّقًا على كلامها، بينما لاحظت أن بعضًا آخر من قريبات عضوات الكابا الحاليات، يحكمن قبضتهن على أكتاف بناتهن.

تابعت: «إن حضور أخواتنا السابقات في الكابا، يعني لنا الكثير. نأمل أن نستمتع معًا جميعًا هذه الليلة».

رفعت سكارليت كأس شرابها عاليًا، وهتف الحضور استجابةً لها: «بينما تستمتعن بوقتكن، لدينا طلب واحد صغير. نود أن تشاركننا المزيد من خبرتكن، فيما يتعلق بتاريخ الكابا».

نظرت تجاه الجدار الجانبيِّ، حيث انتقلت فيفي للوقوف بجوار صديقاتها: إيتا ومِي وجيس وجولييت. ما إن أومأت لهن، حتى بدأت شفاههن في التمتمة بالتعويذة، التي خططن إلقاءها في وقت سابق.

عندما عادت لمواجهة الحشد مرة أخرى، تأكدت أن كل الحضور -الأصدقاء، والمرافقين، والنوادل- فيما عدا عضوات الكابا، قد ظهرت على وجوههم تعبيرات باهتة فارغة. ذكَّرتها تلك التعبيرات بالنظرة المزعجة التي وجَّهها جاكسون إليها، منذ قليل. وضعت هذه الذكرى جانبًا.

هذا أمر مختلف كليًّا. فالفتيات لا يحاولن سلب إرادة أحد، بل يفعلن تعويذة بإلهاء من هُم دون الكابا، فيتوقفون عن الاستماع لبضع دقائق، ريثما تنتهي من خطابها المباشر لخريجات الكابا.

أضافت: «لدي وأخواتي مشروع جديد، نريد مشاركتكن فيه. لقد أصغنا كتابًا للتعاويذ لنجمع فيه التاريخ السحريَّ لرابطة الكابا».

ثم أشارت لفيفي التي رفعت الكتاب لأعلى. بينما قاومت الابتسام بتهكم، عندما لاحظت بعض الخريجات ينظرن حولهن في قلق، ليجدن بقية الأصدقاء والمرافقين في حالة تشبه الغيبوبة: «لقد سُحِر الكتاب حتى يخفي هوية جميع الساحرات المشاركات. وما نطلبه هو أمر بسيط: نريد أن نعرف عن وقت كلٍّ منكن في الكابا، الذكريات، سواء الجيدة منها أو السيئة، وبخاصة التعاويذ التي فعلتنها مع أخواتكن خلال الدراسة في ويسترلي. كيف جرت كلٌّ منها، وهل أدت إلى النتيجة المنشودة، أم إلى.. نتائج غير متوقعة».

ترددت قبل أن تكمل جملتها، فآثرت النطق بالجزء الأخير، بحذر شديد. لا يمكنها أن تثير المزيد من القلق لأمها، إلى أن تتحقق مما يجري في الحرم الجامعيِّ، ومن أسبابه.

يتلاعب السحر على نحو غريب هذه الأيام.

يمكن لعبارة صغيرة كتلك، أن تسبب رعبًا هائلًا للخريجات. كما لا يُعقل أن تعويذة حب ألقتها ساحرة سيئة، هي السبب بالضرورة وراء النتائج العكسية لسحر الكابا، والصراخ الفظيع لإحدى الفتيات أمام الجميع.

جالت ببصرها بين الحشد الصامت. لمحت عينَي أمها المحدقتين، وبجوارها أختها، التي فغرت فمها في ذهول. ربما لم تتوقع أوجيني أن تستمر سكارليت بخطتها في إصرار، دون انتظار موافقة من مارجوري.

راقِبنني.

وعدت نفسها، بعد ما حدث الفصل الدراسيَّ الماضي، وبعد وفاة داليا، أن تتعامل مع الأمور بأسلوب مختلف تمامًا. ستفي بوعدها بدءًا من الآن.

قالت بنبرة أكثر هدوءًا: «بالنظر لما حدث للرئيسة السابقة، وكيف قُتلت على يد ساحرة منا... علينا أن نتعلم من ماضينا، حتى نتأكد ألا يتكرر ما حدث ثانيةً، وتعود رابطتنا لسابق عهدها وقوتها ما أمكننا».

ظلت القاعة صامتة على حالها، لكن بمجرد أن انتهت من كلامها، وبعد نبضين، اثنين، ثلاثة... انطلقت امرأة مسنة، تعرفت عليها في إحدى حفلات العشاء التي أقامتها مارجوري، تصفق ببطء، ثم انضمت إليها امرأة أخرى، وأخرى. سرعان ما فعلت كل عضوات الكابا السابقات والحاليات مثل السيدة المسنة، وتشاركن جميعًا التصفيق الحاد.

نظرت مرة أخرى إلى أمها وأختها. تجعد أنف أوجيني في ضيق، ورغم أن أمها بدأت تصفق ببطء وتركيز، فإن سكارليت تعلم أن ذلك لن يجنبها سماع محاضرة قاسية منها، لكن الأمر يستحق بالنهاية.

أوشكت أن ترفع يدها تجاه الحشد، لإعطاء فيفي الأمر بإعادة بقية الضيوف إلى وعيهم. لكن جذب انتباهها شخص بعينه. إنه زافيير. من المفترض أن التعويذة شملت الحضور، من غير الكابا، بما فيهم زافيير. لكن ما إن تلاقت أعينهما، حتى كادت تقسم إنه واعٍ ومستيقظ، فيما يتطلع بعينيها مباشرةً.

الفصل الثامن عشر

فيفي

قال مايسون مدهوشًا، وهو يمد ذراعه، لتدور فيفي حول نفسها، بينما يرقصان: «إنها حفلة خلابة! قبل أسبوع، كنتِ في حالة من الفزع، لأنكِ لا تثقين بقدرتك كفاية لإتمام المهمة. والآن، تبهرين الجميع!».

ثم ابتسم وهز رأسه متفاعلًا مع الموسيقى، ومشجعًا صديقته أن تندمج بدورها. عندما بدأ عازفو الآلات الوترية -الذين وضعوا فوق رؤوسهم شعرًا مستعارًا، وارتدوا الأزياء الرسمية، من القرن الثامن عشر، الخاصة بمسرح ويسترلي- في عزف مقطوعة فالس راقصة، قبض مايسون على يدها، وكأنه يحدث نفسه بأنه حان الوقت للاستفادة من دروس كوتليون للرقص الرسميِّ الثنائيِّ، على النمط الفرنسيِّ.

- لم أشهد حفلًا للكابا في مثل هذه الروعة من قبل. لا أعرف كم من المال تتكبدنه في المقابل؟ ولا من يدعمكن لإنتاج حفل استثنائيٍّ كهذا؟

أجابته فيفي بابتسامة خجلة: «المسؤولة الاجتماعية لا تكشف عن أسرارها أبدًا. لكن هل تعتقد حقًّا أن الجميع مستمتع بالحفل؟».

- هل تمزحين؟

ثم شدد قبضته بلطف حول خصرها، وأدارها إلى اليمين قليلًا في الوقت المناسب، لتجنُّب الاصطدام بثنائيٍّ آخر يرقصان الفالس. تابع: «سيتحدث الناس عن هذا الحفل لعدة سنوات».

عندها، جذبتها أريانا بعيدًا عن مايسون، وهي ترفع هاتفها أمام ناظريهما: «هل رأيتِ هذا؟ لقد انتشرت صور من الحفل على الإنستجرام، وتصدرنا قائمة البحث على تويتر، في دقائق معدودة. لقد جعلتِ كل من لم يسعه الحظ للدراسة بويسترلي يغار ممن يرتادونها. مما دفع الثيتا إلى الجنون».

أردف مايسون ضاحكًا: «هذه علامة كاملة على النجاح. ماذا عن الخريجات، هل قابلتِ إحداهن بعد؟».

أومأت أريانا بالإيجاب: «لقد تحدثت لوقت طويل مع مصممة للجرافيك، تنشئ صفحات إلكترونية لرائدات الأعمال في الهند. قالت إن بإمكاني التدرب عن بُعد معها، خلال الفصل الدراسيِّ القادم، إن أردت».

- هذا رائع!

أشارت لأريانا ومايسون أن يتبعاها إلى حافة حلبة الرقص، حتى تُستكمل رقصة الفالس بانسيابية دون الاصطدام بالراقصين. ثم جالت بنظرها في القاعة، فخورةً بما صنعت، ومطمئنةً أن كل شيء يسير وفقًا للخطة. انخرطت جيس في حديث عميق مع صحفي أُعجبت به. أما مِي وإيتا وريجان، فيرقصن مع مجموعة من الخريجات، من بينهن عالمة أحياء، مرشحة لجائزة نوبل، ومخرجة مشهورة في هوليوود. كما تبدو على وجه سكارليت ابتسامة راضية، وهي تتأمل الاحتفال من حولها.

وفي جانب آخر، رأت أمها تتحدث بحماس مع زميلات لها من صف العهود الخاصة بالكابا. يعد هذا أول حفل لمِّ شمل تحضره دافني ديفيرو، منذ تخرجها في ويسترلي، ولم تنظر للوراء قط، لأكثر من ثلاثين عامًا.

قال مايسون، ناظرًا في الاتجاه الذي تحدق إليه: «يبدو أن والدتك تستمتع بوقتها أيضًا. لم تري وجهها عندما شكرتكِ سكارليت في أثناء خطابها. من الواضح أنها فخورة بكِ. كما أفعل».

كررت أريانا، ثم التفتت مبتسمة لمايسون: «كما أفعل! آسفة. تعلم أنني معجبة بك يا سيد جريجوري، حتى لو تحدثت كشبح جذاب من العصر الفيكتوريِّ».

هز رأسه ضاحكًا: «أنتِ على حق. أعتقد أن هذا ما يحدث إذا قضيتِ معظم وقتكِ في الأرشيف. ربما يجب عليَّ أن أُفعِّل إشعارات 'مفردات اليوم' حتى أظل مطلعًا على مستجدات اللغة. سيكون ذلك أفضل حل لمعضلتي».

تأوهت أريانا، ثم نظرت إلى رفيقها، الذي لا يزال ينتظرها بحلبة الرقص، وهمست له بشيءٍ ما، بتحريك فمها. بادلها الابتسام، وبدأ يتمايل مع الموسيقى.

- يا إلهي، يتسبب هذا الشاب في إحراجي على نحو رائع. يجب أن أذهب.

شعرت فيفي بسعادة غامرة لصديقتها المقربة، وهي تشاهدها تذهب تجاه رفيقها، ليستمتعا معًا بموسيقى الراب. لكنها على نحو غريب، تحسدها في نفس الوقت على سهولة اعترافها بحب رفيقها، في حين أنها استغرقت وقتًا طويلًا حتى تعترف بحبها لمايسون. رغم تأكدها من مشاعرها تجاهه، خشيت أن تكون أول من يعترف منهما للآخر.

سألها مايسون، بذراعٍ ممدودة إليها: «هل تريدين العودة لحلبة الرقص؟».

استرقت النظر إلى يديها. عليها أن تعيد إلقاء التعويذة، لإخفاء آثار السحر الظاهرة عليهما: آثار وخزات الدبابيس على أصابعها، وظهر يديها. لكن بعض التعاويذ الأخرى، التي استخدمتها لتحضير الحفل، خلفت كدمات عميقة، وجروحًا، تؤلمها، كلما حركت أصابعها بسرعة.

لا بأس.

يمكنها، كما فعلت طوال هذا الأسبوع، أن تحصل على المرهم الخاص بإيتا بالمطبخ، واستخدامه لتهدئة الجروح لاحقًا. لقد أمضت كل دقيقة من وقت فراغها في التدرب من أجل هذه الليلة. وكل تعويذة تعلمتها في كتيب السحر، واستخدمتها الليلة، كلفتها الكثير. حتى عندما استيقظت هذا الصباح، وجدت ملاءتها قد تلوثت ببقع من الدماء المتسربة من جروح صغيرة على يديها، بالإضافة لانتفاخات وهالات داكنة تحت عينيها، إثر محاولتها لإلقاء تعويذة التنكر بالمرآة، لثلاث مرات متتالية، الليلة السابقة.

يختلف السحر الذي استخدمته عن سحر الكابا. إنه قابل للتطويع طالما تتفهمه، باستثناء الحاجة لوخزات الإصبع. لكن إن تطلَّب الأمر إجراء حدث ضخم كهذا، فتلك الوخزات ليست سوى تضحية بسيطة.

شددت قبضتها حول كتف مايسون، مُخفيةً شعورها بوخزة ألم خفيفة، بينما يدور بها راقصًا. يمكنها من زاويتها أن ترى المرايا، تحفتها الرائعة، التي تعكس صورتهما كأميرة وأميرها، يحيط بهما الرعايا في قاعة رقص أنيقة ببلاطٍ ملكيٍّ. لكزته، ففهم إشارتها، ودار بها ثانيةً. فاستطاعت، من زاوية أخرى، أن تتأمل رداءها التنكريَّ، في مقابل الحقيقي، بقصته العميقة على شكل حرف V، مع خصر مشدود وتنورة مطرزة بالدانتيل اللامع عند حافة ركبتيها.

استقرت جبهته على جبهتها، ما إن هدأت وتيرة الموسيقى. طوَّق خصرها بذراعيه، فتسرب إليها دفء منبعث من جسده. لدى مايسون طريقة خاصة تُشعِرها بالأمان والحماية. رغم أنها لم تتوقع أن يهمس بأذنيها بهذه الكلمات: «أحبكِ يا فيفي».

اشتعل كل جزء بكيانها، وتخوفت من أن يتصدع سحر الحفل كله، ويتحول إلى بريق متفجر. عندها لاحظت أن جزءًا من إحدى المرايا تغير في ثانية، قبل أن تسحره مرة أخرى.

مرر مايسون إبهامه على وجنتيها، ثم ضغط على شفتيها: «لستِ مضطرة إلى قولها، إذا لم تكوني مستعدة. لم أستطع الاحتفاظ بهذه الكلمات لفترة أطول».

مطت شفتيها، وقبَّلت إبهامه: «أحبك أيضًا، يا مايسون».

تهلل وجهه، كما لو لم يتوقع أن تعترف له بحبها. يمكنها معرفة ماهية السعادة التي تجتاحه الآن، فلديها الشعور نفسه. امتزجت شرارة حماسهما بطاقة صافية من الرضا عن نفسهما. أصبحت الآن أكثر ثقة من نفسها، وقدرتها على فعل أي شيء، ما داما معًا.

اقتربت منهما دافني، تحمل كأس شراب بإحدى يديها: «آمل ألا أكون قد قاطعتكما، أيها العاشقان. أريد فقط أن أهنئ ابنتي، إذا سمحت لي أيها الشاب الوسيم».

لم ترَ فيفي أمها متوردة الوجنتين بتأثير الشراب من قبل. ولم يسبق لها كذلك أن تمنت لو تذوب أو تبتلعها الأرض، بسبب تصرفاتها الغريبة.

- أمي، من فضلك.

ضحك مايسون: «بالتأكيد يا سيدة ديفيرو».

- دافني من فضلك، دون ألقاب. سنعود بعد برهة.

تأبطت ذراع فيفي، وقادتها بعيدًا: «هل تعلمين أنكِ تجيدين اختيار أسوأ الأوقات؟».

- يمكنكِ قضاء كل الوقت الذي تريدين مع صديقك. لكنني أريد أن أحدثكِ عن العمل الرائع التي أنجزتِه أنتِ وسكارليت.

وجَّهت فيفي لمايسون ابتسامة اعتذار من وراء كتفها. ثم تركت أمها تسحبها تجاه طاولة الوجبات الخفيفة. في طريقهما، وقع بصرها على سونالي وبايلي تتحدثان إلى بعض الخريجات الأكبر سنًّا، وهازيل التي ارتدت فستانًا في زُرقة الليل، قد تعلقت بذراع رجل كبير السن. إن الفتيات جميعهن يستمتعن بوقتهن، وبنظرة خاطفة إلى أمها، بعضهن يستمتع على نحو مبالغ فيه قليلًا.

بالقرب من الطاولة، وقفت سكارليت مندمجة في حوار عميق مع رفيقها في الحفل، زافيير، ذلك العضو الوسيم الجديد بالبيكا. شعرت أن أختها الكبرى مضطربة. كما تدل تعبيرات وجهها الجامدة، أن هذا ليس الحديث المناسب لمقاطعته. حاولت أن تستوقف أمها: «تمهلي يا أمي».

لا تعرف عدد كؤوس الشراب التي تجرعتها أمها مع مارجوري حتى الآن، والتي تجعلها لا تعي ما تفعله.

قال زافيير مستطردًا بفك مشدود، في محاولة لكظم غيظه: «اعتقدتُ أن هناك شيئًا ما بيننا. لماذا دعوتِني إذن، إذا لم تكوني مهتمة بي؟».

أجابت سكارليت: «أوضحت لك من البداية، أننا هنا معًا بصفتنا صديقين. آسفة، يا زافيير، لكنني لا أرى إطارًا آخر لعلاقتنا غير الصداقة».

على الرغم من أن صوتها خافت، فإن فيفي استطاعت أن تسمع نبرة الأسى بكلماتها.

- أمرٌ لا يُصدَّق...

عندما همَّ أن يرد عليها، وصلت دافني إلى جوارهما، فسارعت فيفي إلى اللحاق بها. قالت أمها بصوت مرتعش من أثر الشراب: «حبيبتي سكارليت! يا له من حفل مذهل. آه، ومن هو صديقكِ الوسيم الواقف هنا؟».

أجابها زافيير بتقطيبة على جبينه، وقبضتين مشدودتين: «لستُ كذلك».

شاهدته يبتعد من فوره، فاستدارت تسأل سكارليت، مستخدمةً سحر السيوف، حتى لا تسمعهما دافني: «*هل أنتِ بخير؟*».

بدا رد سكارليت هادئًا، إن لم يشبه بعض اللامبالاة: «نعم بخير. من *الواضح أنه كان فكرة سيئة، على أي حال*».

لكنها ركزت بصرها على زافيير مبتعدًا، وعلى وجهها تعبير مُحير، ما بين الانزعاج والقلق.

ضغطت دافني على معصم فيفي، ومدت يدها الأخرى لتمسك بمعصم سكارليت: «إنني فخورة جدًّا بكلتيكما».

تمتمت فيفي: «آسفة».

بينما ضحكت أختها الكبرى، وعانقت كتفيها بذراعها الحرة قائلة: «هذا جميل. إنني سعيدة بموافقة والدة إحداهن».

دارت بنظرها في القاعة، ولم تلمح والدة سكارليت، فسألتها بقلق: «هل والدتكِ لا تستمتع بوقتها؟».

- إنها تعتقد أن الحفل رائع، لكنها غاضبة من التحذير الذي تلقيناه.

انحنت دافني إلى الأمام هامسة، وهي تترنح قليلًا: «لا تقلقي بشأن مارجوري. إنها فقط لا تريد الاعتراف بتأثرها بهذا الحفل. لن يطول غضبها، يا عزيزتي».

وما إن غمزت أمها لسكارليت، رأت سحابة الاضطراب على وجه رئيستها تتبدد. ربما حالة دافني الثملة لم تكن كارثية بالنهاية. مع أنها استمرت في إحراجها طوال الليلة، حتى تدخَّل مايسون، وأقنع والدتها بإحضار سيارة أجرة لتعود آمنة إلى المنزل. بينما انتظر السيارة بالخارج مع دافني، اندفعت

فيفي إلى فجوة بجدار الممر المؤدي لقاعة الطعام، لتسترد أنفاسها للحظات، قبل أن تُجري جولتها الأخيرة، وتودع الخريجات.

ارتفعت روحها المعنوية للغاية في ليلة واحدة، ويطاردها نجاح ساحق، لكن الشهرة الاجتماعية أرهقتها على نحو غير متوقع. رن هاتفها برسالة نصية من تِيم: «*انتشرت صور عن حفلكن الخاص بكل مكان. مبارك عليكن! هل سكارليت سعيدة بهذه النتيجة؟*».

ابتسمت متأثرة باهتمام تِيم بها. لم تره نجم كرة قدم أنانيًّا ومغرورًا قط، كما يعتقد الجميع: «*أعتقد ذلك. إنها ليست شخصًا يبالغ في إطراء أحد، كما تعلم؟ إنها تتشابه مع المدرب كارفر في هذه الخصلة. هل تعتقد أن سكارليت كانت مدربة كرة قدم في حياة سابقة؟*».

- لا يمكن. هذا لن يفسر موهبتها الطبيعية للمشي في الكعب العالي.
- هل يقف المدرب كارفر عاجزًا أمام زوج من الأحذية ذات الكعب العالي؟ يبدو أنك تنحاز إلى صفه.
- هكذا يفكر الرجل الذي اعتاد الخوف من اللاتيه.
- Toosh.

قهقهت عاليًا. لقد تقابلا مرة أخرى أمس، ومكثا مع بعضهما بعضًا لما يقرب من ثلاث ساعات في مشاركة قصصهما المحرجة من أيام الطفولة. لقد اعترف لها، أنه خلال المدرسة الإعدادية، كان يخطئ تهجئة كلمة Touché بمعنى أصبت، على أنها toosh.

أعادت هاتفها إلى حقيبتها. من مكانها، يمكنها أن تلمح جانبًا من نفسها منعكسًا في المرآة التي سحرتها، لقد وضعت واحدة بجوار باب قاعة الطعام مباشرةً، لتهيئة إطلالة الضيوف بمجرد وصولهم. بدت مرهقة في انعكاس المرآة. يظهر تعبها الشديد عند كل عظمة بوجهها، وفي الهالات الكبيرة حول عينيها حتى عظمة وجنتيها.

تحولت رؤيتها ضبابية، فطرفت بعينيها عدة مرات، معتقدةً أن عينيها متعبتان لدرجة الإعياء. لكنها أدركت بعد برهة أنها المرآة نفسها التي أصبحت ضبابية، وشاهدت بحذر أن انعكاسها فقط هو الذي تحجبه المرآة بسحابة

دخانية داكنة. همست، وهي تقف على قدميها، محدقة إلى انعكاسها: «ما هذا بحق الجحيم؟».

كان الممر مظلمًا وفارغًا، وخفتت أصوات الضحكات والموسيقى الآتية من القاعة الرئيسية، التي أصبحت وكأنها بعيدة جدًّا ومعتمة. هزت رأسها، في محاولة لتبديد هذه الهلوسة، وهذا الصمت العجيب، الثقيل والخانق، المخيم على البهو.

تقدمت نحو المرآة، وشعرت بخدر على جلدها، جراء سحر لا يعود لها أو لإحدى أخواتها. استمرت في التقدم كأنها تقتفي أثر حيوان مفترس، جائع وخطير، يكمن في الظلال.

- من هناك؟

أرادت أن تصيح، لكنها همست بصوت مبحوح. التف الدخان في دوائر، ثم تقلص تدريجيًّا، ليكشف عن انعكاسها مرة أخرى. إلا أنه لم يكن انعكاسها تمامًا. رفعت يدها إلى رقبتها، ورأت نفسها في المرآة تفعل الحركة ذاتها. لكنها بدلًا من أن تلمس بشرتها فقط، لمست نفسها المنعكسة قلادة زرقاء مألوفة، معلقة بسلسلة ذهبية مزخرفة.

إنه طلسم هينوسيس.

تلاحقت أنفاسها، وحاولت نزعها عن رقبتها، والتخلص من ثقلها الذي يسحق صدرها. لكن أصابعها لم تحرك إلا الهواء. تذكِّرها القلادة بالغابة، القيود حول معصميها، ثقل قلبها الخائن الجاثم خلف قفصها الصدريِّ، ومحاولاتها اليائسة لتحرير نفسها. في حين، تضع تيفاني الطلسم حول عنقها، وتضحك، وهي تقود فيفي لهلاكها.

عندما بدأ رأسها يدور، اختفت الصورة، وثقلت القلادة على رقبتها، وعاد الدخان الداكن يواجهها في المرآة. لهثت بشدة، فوضعت يديها على ركبتيها وأخذت أنفاسًا عميقة. ليست لديها فكرة عمن يفعل هذا، أو ماذا يريد. كل ما تفكر فيه أنها في أثناء معركتها السحرية الأخيرة، كادت تُقتل. يجب أن تكون مستعدة بقوة هذه المرة.

تجسدت صورة جديدة في المرآة، فيما أعلنت فيفي لنفسها كامل جاهزيتها لأي شيء قادم. إنها أقوى مما كانت عليه في الفصل الدراسيِّ الماضي، وأكثر قدرة على المقاومة. تكونت صورة لمنزل ريفيٍّ رماديٍّ على الطراز الفيكتوريِّ، يقع على تل مرتفع، وعلى مقربة منه شجرة صفصاف وحيدة. هناك شيء مألوف لديها على نحو غامض، امتدادًا من السور المُسيج المحيط بالمنزل، إلى الطيور السوداء القابعة على سطح الغرفة العلوية. هل هي غربان؟

على الرغم من رؤيتها الواضحة، مالت للأمام قليلًا لرؤية أقرب للتفاصيل. لكنها لهثت بشدة، لدى تفاجئها بقوة خفية تدفعها ببطء نحو المرآة. تَموَّج سطحها، وكأنها تحولت إلى سائل. حاولت أن تثبت قدميها على الأرض، فلم تجد موطئ قدم تتمسك به. اقترب وجهها أكثر من المرآة، حتى أصبح بإمكانها أن تشم رائحة العشب الرطب، وأن تسمع الريح تضرب الأشجار، وصرير فتح البوابة المُسيجة.

مزرعة الصفصافة الوحيدة.

للحظة وجيزة، شعرت أن الهواء دافئ ولطيف، فأغمضت عينيها، وتصورت أنها تغوص داخل الصورة. سمعت غرابًا يصيح عن بُعد، لكن يغلب على نعيقه نبرة إنسانية. ماذا يحاول أن يقول؟ تحتاج فقط الاقتراب أكثر... فتحت عينيها.

لا. لن أدعك تتحكم بي.

أحكمت قبضتيها وغرزت أظافرها في راحتيها بقوة. شعرت أنها خدشت جرحين قديمين. جعلتها وخزة الألم تتأكد أنها لا تزال حية وواعية.

أدعو القمر، قاهر الوهم. امددني بالقوة لمقاومة هذا الغموض.

اختفت القوة الخفية التي دفعتها للحظة، وقبل أن تتمكن من التقاط أنفاسها، عادت تدفعها من جديد. تأوهت، وهي تنحني في الاتجاه العكسيِّ بكل طاقتها: «لا!».

داهمها ألم بذراعيها، واشتدت أعصابها.

أدعو القمر، قاهر الوهم. امددني بالقوة لمقاومة هذا الغموض.

هذه المرة اختفت القوة الخفية على الفور، مُطلقةً قبضة فيفي لترتد إلى الجدار، وترتطم به. أخذت عدة أنفاس عميقة، وانتظرت حتى تزول نوبة الهلع التي انتابتها. ارتجفت وجف حلقها، رغم القوة التي تستشعرها بداخلها. فمهما كان ذلك الشيء، لم يستطع أن يسيطر عليها.

رغم اعتقادها بأن شخصًا ما يحاول أن يريها شيئًا بعينه، كونها طريقة لمقاومة طلسم هينوسيس، اقشعر بدنها لذكرى وجه تيفاني القاسي والمهووس، وهي تقبض على القلادة. لكن الغربان دمرن الطلسم وقتها، وتأكدن ألا يؤذي أحدًا آخر أبدًا.

صحيح؟

شقت طريقها نحو الحفل، تحاول الابتسام واستعادة رباطة جأشها. رغم أنها تحتاج إلى مناقشة ما حدث للتو مع سكارليت، فإن دورها الحاليَّ، يقتضي عليها التأكد من أن الحفل سينتهي على خير ما يرام، بلا حوادث، أو كوارث.

تذكرت نداء الغراب عبر المرآة، وأدركت الآن فقط، ماذا شابه صوته. لقد كان ينادي باسمها.



الفصل التاسع عشر

سكارليت

بحلول منتصف الليل، أعلنت سكارليت انتهاء الحفل، قائلة للغربان: «هذا يستدعي الاحتفال».

ودَّعت الساحرات جميع الخريجات، وهن فخورات بنجاحهن هذه الليلة. ليس فقط بشأن الحفل، فقد قُبلت جيس للعمل التدريبيِّ الصيفيِّ، الذي سعت له. كما دُعِيَت مِي للتعلم على يد مصممة أزياء بمسرح برودواي خلال عطلة الربيع. أما جولييت فقد ترشحت للعمل بعد التخرج، في أحد أفضل مراكز علم الأحياء الدقيقة في البلاد.

لقد نجحت كل الفتيات، بما فيهن فيفي، التي أقامت حفلًا لم تشهد الكابا مثيلًا له من قبل. وقد حدث في عهد رئاسة أختها الكبرى: سكارليت. لكن عملهن لم ينتهِ بعد. ما زال عليهن الانتهاء من بعض الأمور كما خططت رئيستهن.

سألت إيتا بنبرة مرحة، لم تسمعها سكارليت طوال أسابيع: «الاحتفال فقط؟».

فرقعت رئيستها أصابعها، فظهرت بعض النباتات المنزلية في منتصف البهو، تنحني تجاهها استجابةً لأوامرها: «أو طقس سحري آخر؟».

أردفت مِي: «أوه، لا، يا سكارليت. لم يمر الكثير منذ فعلنا جميعًا معًا هذا الطقس».

في حين أن ريجان بدت مهتمة، لكنها لم تفصح عن ذلك. نظرت سكارليت عبر غرفة المعيشة إلى فيفي. هل تتخيل، أم أنها تبدو أكثر إرهاقًا وتعبًا من بقية الفتيات؟ فوفقًا لما علمته من أخواتها، بذلت فيفي كل طاقتها السحرية لهذا الحدث، دون مساعدة من إحداهن. ستنفد قواها السحرية على هذا النحو.

- لو لديكن جميعًا ما يكفي من الطاقة بعد...

كانت فيفي شاردة، لكنها انتبهت في اللحظة التي أدركت فيها أن سكارليت تحدق إليها. فشدت قامتها واتسعت ابتسامتها: «بالتأكيد، أنا متأهبة».

دارت سكارليت بنظرها في غرفة المعيشة. لم تُضَأ إلا بعض المصابيح القليلة، بينما أحاط الظلام بالأثاث العتيق، والصور المصطفة على الجدران لبعض العضوات السابقات. خطرت لها فكرة، فقالت بهدوء: «حسنًا. بما أن الليلة، شملت كل ما يخص الخريجات، ونجاح العضوات السابقات للكابا».

عند الزاوية، لكزت جولييت صديقتها. لكن هذه المرة لم تكن همهماتهما سلبية. سمعتها تتمتم مبتسمة: «ينبئ وجه سكارليت أنها تتعامل مع الأمر بمرونة».

أبدت هازيل موافقتها: «هذا أفضل».

تشجعت سكارليت لتستطرد فكرتها: «كنتُ أفكر في التواصل مع بعض مؤسسي الكابا، والأخذ برأيهن عن أفضل الطرق لوضع حد للثيتا دون رجعة. أودُّ إقامة جلسة تحضير الأرواح».

ساد الغرفة صمت مفاجئ. للحظة شعرت بالقلق أنها لم تختر الليلة المناسبة. حتى شهقت إيتا في انبهار، وتراجعت بضع خطوات للخلف، بينما مدت أريانا يدها، وقبضت على يد فيفي. وأطلقت الفتيات الأخريات صيحات حماسية.

صاحت مَي: «نعم! هذا حل مثاليٌّ».

أفصحت ريجان عن سعادة غامرة: «نعم! وأخيرًا!».

في حين تسمرت فيفي بعينين زائغتين: «لدي شيءٌ قد يساعدنا. انتظِرن هنا».

وكأنها استعادت نشاطها كله، استدارت صاعدةً الدرج. في حين توجهت سكارليت وإيتا للمخزن لإحضار الأدوات اللازمة: الكثير من الشموع السوداء، ستائر ثقيلة لتغطية النوافذ، بالإضافة إلى بعض الملح والزعتر من أجل حماية إضافية.

عندما عادتا إلى غرفة المعيشة، كانت مِي وعدد من الفتيات، قد وزعن كؤوس الشراب، وقطعًا من كعكة الشوكولاتة، التي خبزتها سونالي أمس، إلى جانب بعض الطعام المتبقي من الحفل. وُضعت الكؤوس وأطباق الطعام، في وسط الدائرة، حيث سارت سكارليت بمحاذاتها لتنثر الملح والزعتر، وحرصت على ترك مكان فيفي مفتوحًا لحين عودتها.

بعد برهة، عادت أختها الصغرى تنزل الدرج، وهي تحمل كتابًا جلديًّا رفيعًا بين يديها. ثم أشارت إليه موضحة: «هذا هو مصدر التعاويذ التي استخدمتها من أجل حفل لمِّ شمل الكابا».

خطت بضع خطوات تجاه الدائرة، وجثت بركبتيها على الوسادة التي وُضعت لها.

تأوهت أريانا في حماس: «أوه! ستكشفين لنا عن أسرارك الرائعة، أليس كذلك؟».

مالت سكارليت إلى الأمام حتى تتمكن من قراءة الغلاف. فلم ترَ سوى نجمة خماسية منقوشة على الجلد.

- أين وجدتِ هذا الكتاب؟

ردت فيفي، وهي تتصفحه: «في المكتبة، عندما كنت أبحث عن كتاب للتدرب على السحر في أثناء أوقات فراغي. وجدت به تعاويذ فريدة حقًّا، وانظُرن هنا».

وضعت الكتاب على الأرض، حتى تتمكن الفتيات من الانحناء، والقراءة عن قرب.

من الواضح أنه طقس لاستحضار الأرواح، رغم أنه لا يشبه أيًّا مما تعرفه سكارليت، فلا يذكر هذا الطقس أي شيء عن الملح أو دوائر الحماية، أو حتى تقديم الطعام والشراب للأرواح، كونها نوعًا من الامتنان لحضورهم.

في الواقع، بدا طقسًا بسيطًا للغاية على نحو مدهش. زمَّت سكارليت شفتيها، ومررت إصبعها تحت أسطر الشرح، تقرؤه للمرة الثانية: «هل أنتِ متأكدة أنها ستعمل؟».

أجابتها فيفي بتفاؤل: «استطعتُ تفعيل كل التعاويذ التي تعلمتها من الكتاب حتى الآن».

أخجل ردها سكارليت قليلًا. فقد أدركت أن أختها الصغرى تريد حقًّا إثارة إعجابها. كما يُعد حماسها لمشاركة أمر جديد، دليلًا على ذلك. رغم النظرة الجانبية التي تبادلتها ريجان مع سونالي، فيما تنهدت هازيل في سخط، عرفت ماذا عليها أن تفعل، لتتجنب الوقوع في الخطأ نفسه مرتين. لقد وعدت نفسها أن تتأكد أن كل ساحرات الكابا يعملن معًا، ويتعلمن تقنيات جديدة معًا. لو أرادت فيفي أن تختبر تعويذة جديدة، إذن فليكن.

قالت بيقين، وهي تومئ إلى فيفي، التي مررت الكتاب لباقي الفتيات: «حسنًا. لنفعل ذلك».

بينما تتجهز الفتيات، نهضت سكارليت واقتربت من المرآة المزخرفة ذات الإطار الذهبيِّ فوق المدفأة. بالنسبة إلى نادٍ نسائيٍّ عاديٍّ، قد تحتاج لحملها، إلى اثنين من فتيان البيكا، على الأقل، ذوَي بنية قوية. لكن لحسن الحظ، أن هذا ليس ناديًا نسائيًّا فحسب، بل ومقر جماعة الغربان.

تكفي بضع كلمات تهمس بها، لتجعل المرآة ترتفع عن الحائط، وتوجهها إلى وسط الدائرة بأطراف أصابعها، تاركةً إياها على السجادة بالغرفة. ومن ثم عادت إلى مكانها، وجثت على ركبتيها عند رأس المرآة: «هل علمتن الكلمات المطلوبة؟».

انتظرت حتى تومئ لها جميع الفتيات، قبل أن تصفق بيديها: «جيد. ساحرات الصولجان، قليلًا من الضوء من فضلكن؟».

رفعت ريجان، وهازيل، وبايلي أيديهن في تزامن واحد، فاشتعلت الشموع السوداء، التي نشرتها إيتا في أرجاء الغرفة. كما انطفأت المصابيح العادية، في نفس الوقت. مما استغرق سكارليت بضع لحظات حتى تعتاد عيناها ضوء الشموع الخافت.

سألت مِي بصوت خافت: «هل نبدأ باستدعاء الوسائط الأربعة؟».

ترددت سكارليت، اعتادت بالفعل أن تبدأ الطقوس الجماعية دائمًا بهذه الطريقة، خاصة مع طقس قويٍّ كهذا، ينطوي على احتمال مصادفة أرواح ساخطة. لكن كتاب فيفي السحري لم يذكر أي شيء عن الوسائط، عند البدء. لقد تعلمت شيئًا أساسيًّا خلال سنواتها بالكابا، أنها لا يمكن أن تنحرف عن تعليمات كتاب لتعليم السحر أبدًا، على الأقل، عند التجربة الأولى.

ردت: «ليس هذه المرة. لكن دعونا نتشابك الأيدي، ونكمل الدائرة».

انتظرت لتتأكد أن كلهن فعلن ذلك. عبر المرآة، انعكس ضوء الشموع على عينَي فيفي، مما زاد من أجيج حماستها. وعندما التقت عيناها بعينَي سكارليت، ارتسمت ابتسامة عريضة على محياها.

قالت سكارليت بنبرة هادئة: «سندعو الآن ضيفتنا المنشودة».

شعرت من خلال أيدي أخواتها المتشابكة بذبذبة ترقُّب تسري بينهن. ارتجفت سكارليت بدورها. أهذا صنيع خيالها، أم أن الهواء أصبح باردًا فجأةً؟ لا يمكن أن يكون هذا تأثير التعويذة. فهن لم يبدأن بعد.

أخذت نفسًا عميقًا: «نحن جماعة الغربان من مقر الكابا رو نو، ندعو أسلافنا، مؤسسي منزلنا، منزل الغراب الأصلي. نناشد حضوركِ يا بيرل جونسون. تفضلي بزيارتنا هنا، في المقر الذي أنشأته، وشاركينا من خلاله حكمتك».

رددت أخواتها من ورائها، صدىً لبعض كلماتها: «نناشد حضوركِ يا بيرل».

ارتعش لهيب الشموع بلطف، كأنما يحركها نسيم غير محسوس. لقد نفذن، حتى الآن، كل ما أوصى به الكتيب، كلمة كلمة، دون إعادة صياغة.

تابعت: «نحن القوة والرؤية والهدف. نطالب الليل أن يرفع حجابه».

انضمت الساحرات إليها، وكررن معًا: «نحن القوة والرؤية والهدف. نطالب الليل أن يرفع حجابه».

أخذت أصواتهن تتصاعد تدريجيًّا: «نحن القوة والرؤية والهدف. نطالب الليل أن يرفع حجابه».

ألقى لهيب الشموع بظلاله على الجدران. تتبعت سكارليت ظل كل الساحرات الجاثيات على ركبهن في الدائرة. لكن بعد ذلك... هل بدأت تظهر ظلال أكثر من عدد الفتيات؟

نحن القوة والرؤية والهدف. نطالب الليل أن يرفع حجابه.

لا بد أنها لا تتخيل تلك الأشكال الغريبة التي ظهرت على طول الجدران. رأت أصابع تتمدد، وأجسادًا تتمايل بطريقة غير مألوفة. ارتجفت، فأسرعت تبعد ناظريها، وركزتهما على المرآة بالأسفل. حيث استطاعت أن ترى جسدًا يتشكل، مع أنه لا يزال ضبابيًّا. مع كل نفَس، يتضح أكثر: شعر داكن، ثم وجه بيضاوي شاحب. *هل هي بيرل؟*

نحن القوة والرؤية والهدف. نطالب الليل أن يرفع حجابه.

برد الهواء أكثر من حولهن. حتى إنها زفرت أنفاسًا ضبابية باردة. كما حركت ريح غريبة شعورهن، وتطايرت خصلات شعر مِي الطويل تجاه إحدى الشموع، قبل أن تسحر صديقتها، في اللحظة الأخيرة، شعرها وتربطه بطول أقصر.

أحكمت سكارليت قبضتها على أيدي أخواتها. لا يمكنهن كسر الدائرة، وإلا سيخاطرن بإطلاق سراح أرواح خبيثة غير مرئية، تختبئ في مكان ما داخل المرآة.

نحن القوة والرؤية والهدف. نطالب الليل أن يرفع حجابه.

أغلقت ريجان عينيها بحزم، بينما ارتعبت بايلي، لكنها ظلت متمسكة بأيديهن، مرددة بصوت أعلى: «*نحن القوة والرؤية والهدف. نطالب الليل أن يرفع حجابه*».

جذبت فيفي انتباه سكارليت، وأومأت لها تجاه المرآة. حيث ظهر وجه كريستالي، له شفاه وردية وعينان واسعتان. يشبه وجه بيرل جونسون بصورتها المعلقة في صالة المعرض، بالطابق العلويِّ. ومع ذلك، يمكن أن تكون أي شخص آخر لديه لون بشرتها وخصلات شعر طويلة داكنة.

همست سكارليت: «بيرل؟».

شهقت بايلي، فتوترت باقي الفتيات، لكنهن استمررن في الترديد: «*نحن القوة والرؤية والهدف. نطالب الليل أن يرفع حجابه*».

ازداد الوجه وضوحًا. ربما استدعينها بهيئتها أيام دراستها بويسترلي، فقد بدت شابة يافعة. لذا لم تستطع التأكد إن كانت هي حقًّا.

بدأت بيرل بنطق مقطعٍ لفظيٍّ واحد، وكررته مرات متتالية. ورغم أن ظلالهن ثبتت مكانها على الجِدران، فإن ظلالًا جديدة لهن تكونت من حولها، حتى بدا الأمر، وكأن آلاف العضوات من الكابا، قد حضرن دفعة واحدة إلى الغرفة، وجميعهن يصحن ويرددن. لم تفهم سكارليت معنى الأصوات البعيدة المتداخلة، التي تُحدِث ثرثرة عالية، كبقبقة ماء مغليٍّ.

أما بالقرب منها، فقد ظهر وجه امرأة ذات شعر أسود طويل، يمتد حتى خصرها، وقد لمست المرآة من الداخل بكفها. وفجأةً وجدت سكارليت راحة يد المرأة تتغير، حتى صارت ترى كل خطوط أصابعها الدقيقة، وكأنها لا تستند على الطرف الداخليِّ لمرآة، بل لنافذة.

لفظ وجه بيرل كلمة أكثر وضوحًا، وأعلى نبرة من المحاولة السابقة: «أخواتي!».

شعرت بقشعريرة تجري على طول ذراعيها، وظهر رقبتها، لكنها أجابت بنبرة عالية حتى لا يهتز صوتها: «نعم يا أختي. نريدكِ أن ترشدينا، وتفيدينا من علمك. دُلينا كيف يمكننا التغلب على عدونا؟ من فضلكِ يا أختي».

همست بيرل: «العدو قريب».

- نعم يا أختي. أرشدينا من فضلك.

صاحت بيرل: «العدو قريب. تذكرن حقيقتكن. أنتن الغربان».

اخترق الغرفة صدع كالرعد يصم الآذان، وانطفأت كل الشموع.

صرخت بايلي وانتزعت يدها من يد فيفي. بينما بدأت ريجان في الهمس باللعنات، شهقت إحداهن. تسارع نبض سكارليت، وارتجف جسدها. تكاد تقسم: *كان معهن شيء ما في الغرفة*. لقد سمعته فيما وراء صراخ أخواتها. صوت أظافر تخدش السقف بقسوة. تبعه صوت أنفاس متحشرجة من مكان ما فوق رؤوسهن.

نهضت على قدميها على الفور، وضعت خوفها جانبًا. ثم قالت بأشد نبرة لديها: «انصرفي أيتها الروح».

غمر الغرفة ضوء ساطع، يعمي الأبصار. وقفت مِي بجوار مفتاح الضوء، بعينين مذعورتين، ويدين ترتعشان. تمعنت سكارليت النظر في السقف، فلم تجد شيئًا غريبًا، كما اختفت الظلال على الجدران أيضًا.

تذمرت ريجان: «واضحٌ أنها كانت فكرة سيئة».

حاولت أن تعيد إشعال إحدى الشمعات، لكنها بقيت منطفئة. فعبس وجهها، وقالت بصوت عالٍ: «أدعو ملكة الصولجان. أظهِري لي قوتكِ، أمدِّيني بالضوء».

لم يحدث شيء، بقي الفتيل على حاله. غمغمت ريجان: «ما هذا بحق الجحيم!».

بدأت باقي الفتيات في تجربة تعويذات أخرى بصوت مسموع، مثلما فعلت ريجان. همست مِي، وهي تضع يديها على خديها: «أدعو ملكة الأرض».

فزعت سكارليت لمرأى زوال إطلالة مِي الساحرة في لحظات: تحولت خصلات شعرها الطويل، إلى شعر مموج عاديٍّ لا يتعدى الكتفين، وظهرت تحت عينيها هالات سوداء، وبثرة بجوار أنفها.

لم تتبقَ ذرَّة من السحر.

وبالقرب منها، بدت إيتا مرتعبة للغاية، وبإحدى يديها كأس شراب. مهما حاولت أن تلقي من سحر، لم تتأثر الكأس قط.

ما الذي يحدث؟

أما فيفي فوجدتها جالسة على الأرض، تقلب صفحات كتاب السحر، لعلها تجد إجابة على السؤال، الذي لم تجرؤ إحداهن على البوح به بصوت عالٍ بعد.

نظرت سكارليت ثانيةً إلى وجه مِي الذي هجره السحر. وكررت هاجسها: *لم تتبقَ ذرَّة من السحر.*

حاولت التركيز على قوتها السحرية بأعماقها، سحر الكؤوس. همست: «أدعو ملكة الماء. استجيبي لنداء ابنتكِ المخلصة».

عادةً ما يداهمها سيل من طاقة الكؤوس عند النطق بهذه الكلمات. تمكنها من فعل أي ما تريده. ومع ذلك، لم تشعر بشيء، لا بقوة، ولا بعاصفة. تلاحقت ضربات قلبها: لا!

قد ارتكبت أخطاء من قبل في أثناء تأدية التعاويذ الجديدة. وهذا طبيعيٌّ مع كل ساحرة في بداية تمرُّسها على قواها السحرية. رغم هذا، دائمًا ما شعرت بشرارة السحر بداخلها، سواء نجحت التعويذة كما أرادت أم نتجت عن فعل آخر. لكن الآن...

قفزت على قدميها ما إن تهادى إلى سمعها صراخ احتجاج أخواتها على ما حدث لقواهن، فلم تُعِرهن اهتمامًا، واتجهت رأسًا إلى المطبخ، في ذعر متصاعد. تحتاج أن تنفرد بنفسها، لتقييم ما حدث للجميع. هذه هي الطريقة الوحيدة المتبقية لها، التي لا تحتاج سحرًا لفعلها. تريد أن تحدد حجم الضرر الذي لحق بهن، وماذا يواجههن حقًّا.

فُتح صنبور المياه من تلقاء نفسه، وامتلأ الحوض عن آخره بسائل بُنيٍّ له رائحة كبريتية.

همست حين أدركت أن سحر الكؤوس قد خذلها بالفعل: «لا!».

أسرعت تغلق الصنبور، ثم مدت يدها إلى خزانة الأدوات. أوشكت أن تلقي تعويذة استدعاء للصندوق المطلوب، قبل أن تتوقف، وتُخرِج صندوق المنظفات، ثم صندوقًا آخر، حتى وجدت ما تبحث عنه. صاحت متبرمة: «ها أنت ذا!».

عندما عادت إلى غرفة المعيشة، وجدت أخواتها يرتجفن بشكل ملحوظ. تعانق بعضهن في بكاء حار، وقد احمرت أعينهن.

قالت سكارليت بحزم: «لن تساعدنا الدموع. يجب أن نساعد أنفسنا».

لا يمكنها إهدار الوقت حتى تتحلق الفتيات، فدارت بينهن، حاملةً صندوق شعلات الاحتفال: «هيا! هناك واحدة لكلٍّ منكن».

تبادلت أخواتها النظرات في مزيج من الغضب والخوف. لكنهن جميعًا استجبن لأمرها. مدت فتاة تلو الأخرى يدها في الصندوق وتناولت إحدى

الشعلات. إنها الشعلات ذاتها التي اعتدن استخدامها في حفلات التقدم للكابا كل عام، لاكتشاف مَن مِن الفتيات المتقدمات ستنضم إلى الغربان.

انتظرت سكارليت حتى حملت كل فتاة شعلة، وهي نفسها. تبادلت النظرات مع أخواتها، واحدة تلو الأخرى، متمنيةً أن تكون مخطئة في ظنها. ثم أمرتهن، وهي ترقبهن في رعب متزايد: «أشعِلْنها».

لم تُضَأ شعلة واحدة في الغرفة بأكملها.

لقد زال سحر الغربان.



الفصل العشرون

فيفي

بالكاد استطاعت أيٌّ من فتيات الكابا أن تنام تلك الليلة. سهرن جميعهن يتصفحن كتاب السحر، علهن يجدن تلميحًا ما عن سبب الكارثة التي انتهت عليها جلسة تحضير الأرواح. ألقت ريجان باللوم على سكارليت لقيادتهن خلال تعويذة لم تختبرها من قبل. حاولت إيتا الدفاع عن رئيستها رغم الشك التي تسرب إليها. بينما استشاطت بايلي غضبًا، عندما لم توافق إحداهن على تجربة السحر المضاد التي قرأت عنها سابقًا، ربما لأنها اكتُشفت في جيب جثة هامدة. صرخت فيهن مِي بأعلى صوتها ليتوقف جميعهن عن الشجار والتذمر. أما سكارليت، فمكثت مكانها صامتة كأن الحياة قد رحلت عنها.

في نحو الثانية صباحًا، استسلمت فيفي للنعاس، وصعدت للطابق العلويّ لتنام. لكنها بقيت في حالة ما بين النوم واليقظة، وحاولت إقناع نفسها أن ما حدث لم يكن سوى حلم سيئ، وسيعود كل شيء إلى طبيعته في الصباح. عندما نزلت أسفل الدرج مترنحة بعد بزوغ الصباح بقليل، وجدت مِي وجيس ما زالتا جالستين على طاولة المطبخ، تمامًا حيث تركتهما منذ بضع ساعات.

سألتهما بصوت مبحوح وقلِق: «هل من جديد؟».

أصبحت قواها السحرية، خلال الأشهر القليلة الماضية، جزءًا أساسيًّا منها، وضروريًّا كالماء والهواء. دونها تشعر بالفراغ والإرهاق، كما لو امتُصَّت الدماء من جسدها، فيما عدا قدرًا ضئيلًا لإبقائها على قيد الحياة. قضت

ريجان معظم الليل في الحمام، تحاول التغلب على نوبات الغثيان والتشنج التي اجتاحتها.

ردت عليها مِي بتجهم: «ليس بعد. هل حدث أي تغير معك؟».

دون اللمسات السحرية أو التجميلية، بدت مِي غاية في الشحوب والإرهاق والوهن.

جفلت فيفي، وهزت رأسها بالنفي. فإن أول ما فعلته عندما استيقظت، هو محاولة إلقاء تعويذة رفعٍ بسيطة -إحدى التعاويذ التي تعلمتها في بدايتها- لكنها لم تستطع حتى رفع هاتفها عن المنضدة.

مع كل دقيقة تمر، يتعمق الرعب بداخلها أكثر وأكثر. ماذا سيحدث إذا لم يستعدن قوى السحر قط؟ لم يمضِ وقت طويل، منذ أن بدأت تتقن بعض تعاويذ الكتاب، وبالكاد استكشفت جزءًا من قوتها الكامنة. كيف يمكنها مواصلة ما بدأته، كيف يُعِدن الأمور إلى سابق عهدها؟

سكبت كوبين من القهوة، ودلفت إلى غرفة المعيشة، حيث نامت بعض الفتيات. بدا عليهن الذهول والقلق والتعب، لدرجة أنهن لم يتمكنَّ من الصعود إلى غرفهن، بعد الاجتماع الطارئ الليلة السابقة. ظنت أنها تتخيل أو أن كل النباتات قد ذابت فعلًا، وكأن الحياة فارقتها هي الأخرى. كما غطى الغبار النوافذ على غير المعتاد، وعندما جلست على الأريكة، لاحظت أن أَخْمَصَي قدميها متسخان بالتراب. إن كل السحر الذي حافظ على المنزل نظيفًا ومرتبًا، قد زال.

سألت هازيل، وهي ترفع جسدها في وضع الجلوس: «كم الساعة الآن؟».

مدت فيفي أحد أكواب القهوة إليها: «نحو الثامنة صباحًا. هل تريدين بعض القهوة؟».

تناولت منها الكوب الآخر، وارتشفت منه رشفة كبيرة. ثم تفقدت الغرفة من حولها: «أشكركِ. أين سكارليت؟».

- لا أعرف، لم أرها بعد. إنها بالتأكيد تعمل على خطة في هذه اللحظة.

تمنت أنها تفعل ذلك بالفعل. في حين غمغمت إيتا، وهي تتمطى على الأريكة التي نامت عليها، وتدعك عينيها: «لم تكن داليا لتدع هذا يحدث قط».

شعرت فيفي بنبرة من السخط الموجه إلى أختها الكبرى. لكن قبل أن تقول أي شيء للدفاع عنها، ظهرت سكارليت عند مدخل الغرفة، متعبة ومغلوبة على أمرها. قالت بضجر: «بلى، لم تكنْ لتفعل. لكن أخشى أن داليا قد رحلت، وتركتكِ عالقة معي. ما لم ترغب إحداكن بشغل مكاني هنا والآن».

سألتها ريجان، وهي تنسل من خلفها، لتنضم إلى إيتا على الأريكة. بينما تبعتها أريانا وبايلي، لتجلسا على الأرض: «ماذا عن والدتكِ؟ هل ستساعدنا؟».

كتمت فيفي ضحكة مُرة. من حسن حظ ريجان أن سكارليت لا يمكنها استخدام السحر، وإلا جعلت ريجان تقضي بقية اليوم في التقاط الديدان من شعرها.

ردت سكارليت في برود: «سأعتبر أن هذا سؤال بلاغيٌّ».

عقدت ريجان ذراعيها: «لم يكن سؤالًا بلاغيًا. إن والدتكِ هي رئيسة جماعة الملوك، وربما شهدت على حدث مثل ذلك من قبل، أو على الأقل، بإمكانها مساعدتنا لإصلاحه».

قطعت أريانا حديثهما، متأوهة: «لقد سجل عدد قليل منهن ذكرياتهن في كتاب التعاويذ! يمكننا قراءة ذلك ومعرفة ما إذا ذُكر شيءٌ عن فقدان السحر».

تشنج فك سكارليت، مشيرةً إلى أريانا وسونالي: «بعد انقضاء الاجتماع، تستطيعان قراءته».

ثم ركزت بصرها على وجه ريجان، مستطردة: «أما بالنسبة إلى استدعاء إحدى الخريجات، فسوف نعتبر هذا آخر ملجأ لنا. هل لديكن أي فكرة عما سيحدث لنا، إذا اكتُشف أمر افتقادنا لكل قوتنا؟».

همست هازيل: «لنا أم لك؟».

تابعت سكارليت على مضض: «لقد مُنحنا نطاقًا واسعًا من الحرية هنا. نملك منزلنا الخاص، نقرر قواعدنا، ونحكم أنفسنا بأنفسنا. كما نستطيع إلقاء التعاويذ كيفما نشاء، ونمد بعضنا بعضًا بالقوة والدعم. هل تتخيلن ماذا يمكن أن يحدث إن قرر مجلس الخريجات أننا لم نعد قادرات على تحمُّل هذا القدر من المسؤولية؟».

عمَّ الصمت أرجاء الغرفة، وبعد برهة، أومأت سكارليت مضيفةً: «تتخيلن ذلك، صحيح؟ سوف أعطي كل واحدة منكن مهمة الآن. علينا أن نكتشف حقيقة ما حدث. هناك احتمال أن السحر قد تأثر سلبًا بالتعاويذ الأخيرة. تذكرن كل التعاويذ التي استخدمناها في الآونة الأخيرة، أو أي شيء غير عاديٍّ، منذ عودتنا من العطلة الشتوية. ما زلنا لا نعرف إذا ما تعمد أحدهم فعل ذلك بنا، أو أننا أوقعنا أنفسنا».

جمدت فيفي مكانها، وقد تسربت إليها موجة جديدة من الرعب. إنها لم تخبر سكارليت بما رأته في المرآة الليلة الماضية. لقد عرف أحدهم بشأن الطلسم، وحاول أن يبعث لها برسالة. أو لعله عقاب على ما فعلت. احتقن حلقها: *إنني بحاجة لتفقُّد كتاب السحر.*

نهضت على قدميها، وتحركت دون أن تشعر، متجهة نحو الدرج. لا يشغل بالها غير كتاب السحر. يجب *عليها الحصول على الإجابة*. عندما قطعت نصف الطريق عبر غرفة المعيشة، أوقفها صوت سكارليت: «لم آمر بالانصراف بعد».

ردت دون أن تلتفت: «سأعود على الفور. أريد... آه... أن أحضر شيئًا من غرفتي يمكنه مساعدتنا».

همست لها سكارليت: «اجلسي».

تحركت في ذهول، عائدةً إلى مجلسها، متسائلة إذا ما استعادت سكارليت سحرها فجأةً، حيث إنها خضعت لأمرها دون مقاومة.

- لا يُسمح بفتح هذا الكتاب ثانيةً، مفهوم؟

اعترضت فيفي، بوجنتين متضرجتين من الحرج والإحباط: «ماذا؟ لمَ؟ قد نجد هناك شيئًا ما يمكنه مساعدتنا».

- ربما يكون هذا الكتاب هو سبب فقداننا للسحر. لا يمكننا المجازفة بجعل الأمور تزداد سوءًا.

تبادلت الفتيات الأخريات نظرات لم تفهمها فيفي. هل يعتقدن أن هذا خطؤها؟

ردت بنبرة قاطعة: «حسنًا».

- اذهبي وأحضِريه. أعلم أنكِ تحتفظين به في غرفة نومك.

اشتعل خداها. ماذا تظن بها سكارليت بحق الجحيم، ولماذا توبخها أمام جميع الفتيات؟ إن كتاب السحر هذا، هو الذي ساعدها في إقامة أفضل حفل لمٍّ شمل في تاريخ الكابا. كما أن إخفاق رئيستها في تنفيذ الطقس، لا يعني أن الكتاب بات وجوده خطيرًا.

- أنا لا أكذب عليكِ يا سكارليت. لستِ مضطرة إلى مراقبة كل تحركاتي.

تحجر وجه سكارليت، واستعدت فيفي لسيل الكلمات القاسية المحتملة التي ستلقيها في وجهها. لكنها أخذت نفسًا عميقًا وقالت: «حسنًا جدًّا، أحضِريه إليَّ لاحقًا. هل هذا واضح؟ سأحفظه في المكتب. هذه أفضل طريقة لنا جميعًا».

طال الاجتماع لساعة أخرى، حيث استمر الجدال فيما بين الفتيات حول الخطوة التالية التي عليهن فعلها. وعندما أدركن أنها ليست الطريقة المناسبة لإحراز أي تقدم، صرفت سكارليت الفتيات إلى غرفهن: «سنعيد التفكير بوضوح أكثر، بعد أن نحصل جميعًا على بعض النوم. دعونا نجتمع مرة أخرى بعد ظهر اليوم».

بينما يغادرن غرفة المعيشة، اقتربت أريانا من فيفي، وأردفت بهدوء: «لا تعتقد إحدانا أنكِ المخطئة».

ردت باقتضاب: «نعم، أعرف».

ثم استدركت كلماتها متنهدة: «آسفة، إنني فقط...».

ارتسمت ابتسامة حزينة على وجه أريانا: «لا بأس. كلنا مثلك».



ما إن عادت إلى غرفتها، تمددت على سريرها، ومدت يدها تلتقط كتاب السحر، مررت أطراف أصابعها على الغلاف. شعرت بمجرد حمله بين يديها بالارتياح. ففي خلال أسابيع قليلة، ساعدها في إطلاق عنان قوى سحرية لم تدرك قبلًا أنها تمتلكها. كيف يمكنها تجاهل كل ما وصلت إليه؟ وخاصة في الوضع البائس الذي آلت إليه الأمور؟ إنها متأكدة أن الكتاب يحتوي المعرفة التي تحتاج إليها، يمكنها الحدس بذلك. لا يهم إلى أي مدى وصل

غضب سكارليت منها. فقد أصبحت الحاجة لعودة قدرتها السحرية كحاجتها للتنفس. ستفعل أي شيء لاستعادتها.

إنني عاجزة دونها.

تسارعت نبضات قلبها، فضغطت بيدها على صدرها، واسترجعت الشعور الذي اجتاحها عندما لعنتها تيفاني. تذكُر الإحساس الرهيب المؤلم، وكأن ضلوع صدرها تتكسر، وقلبها ينتفض بوحشية.

ينتفض قلبها الآن بالطريقة نفسها. تسمع نبضاته تطن بأذنيها، كقنبلة على وشك الانفجار. دون السحر، لا يمكنها المقاومة. لن تستطيع الدفاع عن نفسها ضد السحرة أمثال تيفاني أو حمايتها من طلسم هينوسيس. لقد كادت تقع في ذلك الفخ مرة أخرى، وتفقد حياتها.

فتحت الغلاف بتردد، وبدأت تقلِّب الصفحات ببطء، لكن سرعان ما شعرت بالدوار، وبأجفانها تتراخى. وضعت الكتاب تحت وسادتها، واستلقت على جانبها، مستسلمةً للنوم. لم تدرك كم مر عليها من الوقت، قبل أن يوقِظها طرقٌ على الباب. من خلال الضوء الساطع المنبعث من النافذة، أدركت أن الوقت قد تجاوز منتصف الظهيرة.

نادتها أريانا من ممر الغرف: «فيفي؟ هل أنتِ بالداخل؟».

ردت وهي تدعك عينيها جالسة: «نعم. سألحق بكِ خلال دقيقة».

قالت في تردد وبنبرة اعتذار: «أعتقد أنكِ يجب أن تنزلي في الحال. فمايسون ينتظركِ عند الباب الأماميٍّ».

وجهت نظرة محدقة إلى هاتفها، الذي لا يزال على المنضدة بجوار السرير، حيث تركته هذا الصباح، لتلتحق بباقي الفتيات في الطابق السفليٍّ. يمكنها من مكانها، أن تلمح كم المكالمات الفائتة على الشاشة.

- حسنًا، أنا قادمة.

توقفت أمام مرآتها لتتأكد من هندامها، ورفعت إحدى يديها لتلقي على نفسها التعويذة المعتادة. تذكرت في اللحظة الأخيرة: *لم يعد بإمكاني فعلها.*

اكتفت بغسل وجهها بالماء. لم تتحسن عيناها المنتفختان المتوهجتان، لكن على الأقل، خف احتقان خديها بالدماء. عند وصولها للطابق السفليٍّ،

كان الاجتماع بغرفة المعيشة قد انتهى. وبينما تمر بين الفتيات خلال توجهها نحو الباب الأماميِّ، رأت سونالي وأريانا تجلسان متجاورتين وتتفحصان كتاب الخريجات. أما الفتيات الأخريات، فأخذت كل واحدة منهن كتابًا ضخمًا، وانتشرن على المقاعد حول طاولات القهوة. كما سمعت أصواتًا آتية من المطبخ، وماءً يغلي على الموقد. يبدو أن بعض الفتيات يفعلن شيئًا ما، على قدم وساق.

وجدت مايسون جالسًا على سور الشرفة الأمامية، يؤرجح رجليه، فاردًا ركبتيه، محني الرأس، تاركًا كتفيه ترتخيان. بدا حزينًا للغاية لدرجة أنها نسيت للحظة الفوضى التي تعم المنزل، وهواجسها، وزوال سحرها.

خفق قلبها، وهي تقترب منه: «مايسون؟ ماذا حدث؟».

رفع رأسه، فرأت عينيه الصافيتين، رغم الحمرة التي تسربت إليهما. بدا مرهقًا ومضطربًا مثلها تقريبًا. كما لو أنه لم يغمض له جفن طوال الليل. كان على ما يرام الليلة الماضية، عندما قبَّلها مودعًا.

عبس وجهها: «هل أنتَ بخير؟».

جاءها صوته أجش على غير المتوقع: «ماذا تعتقدين؟ لقد قضيتُ ساعتين في شرح خطتي المهنية لوالدي. شعرتُ بالوحدة. أين كنتِ بحق الجحيم، يا فيفي؟».

تذكرت فجأةً، إنه الإفطار المتأخر في منزل والديه اليوم. وعدته بأن تصاحبه لدعمه، وتخفيف حدة توتره. فتحت فمها لتتحدث: «أنا...».

فقاطعها هازًّا رأسه: «لا! تعرفين، لقد غيرت رأيي. لا أريدكِ أن تُسمعيني عذرًا سخيفًا آخر (تحولت تعبيرات وجهه من الغضب إلى الألم) قلتِ لي إنك تحبينني الليلة الماضية. ثم لا تهتمين بالرد على مكالماتي في الصباح».

انقبض شيء ما في صدرها: «حسنًا، كنا نتعامل مع أمر طارئ. آسفة لذلك، لكنك لست الوحيد الذي يعاني من المشكلات».

نهض على قدميه، فاردًا ذراعيه: «أوه، أجل؟ إذن ما هي مشكلاتكِ يا فيفي؟ هاه؟ ما هو المهم بالنسبة إليكِ أكثر من الاستمرار في إثارة استفزازي، كأنني لا أعنيكِ بالمقارنة بمنصبكِ الاجتماعيِّ العظيم، أليس كذلك؟».

- الأمر لا يتعلق بمنصبي. كان لدي بعض المسؤوليات...

- من أجل الكابا. أوه، نعم، أعرف كم المسؤوليات الملقاة على عاتقك.

ردت بحدة: «ما الذي تعنيه؟».

تحرك مايسون ذهابًا وإيابًا عبر الشرفة: «لقد استخدمتِ الكابا لاختلاق الأعذار طوال أسابيع. وقد عذرتكِ وتفهمتكِ. حتى عندما نتقابل، أرى القلق في عينيكِ، فأنسى حنقي منك. وأصدِّق قولكِ بأنكِ لن تتركيني مرة أخرى».

- ولم أفعل.

أرخى كتفيه: «أحقًّا لم تفعلي؟».

حينها توقف عن الشجار. لم يبدُ غاضبًا بل... حزينًا.

«أحبكِ يا فيفي».

أهَمَس لها بتلك الكلمات الليلة الماضية فقط؟ تشعر أن ذلك حدث من زمن طويل، وربما لفتاة أخرى.

قال: «بمجرد انتهاء الحفل بالأمس، اعتقدتُ أن الأمور فيما بيننا ستتغير. فبعد أن اعترف كلانا بمشاعره للآخر، توقعتُ أن تكوني بجواري. لكن لم يكد ينقضي يوم واحد، حتى أجدكِ مشغولة، ولا يمكنكِ الرد على هاتفك».

- مايسون...

ماذا يمكن قوله الآن؟ لديها وعد للكابا، للحفاظ على السرية. إنه أمر لا يعنيها وحدها. إن سلامة أخواتها تتوقف على هذا الوعد.

همست: «آسفة».

جفل ثم أغمض عينيه، كما لو أنها لكمته على وجهه. ربما فعلت بشكل ما. تتمنى لو تستدرك أسفها، لو أنها تشرح له، وتخبره كل شيء. لكن التمني لن يغير الأمر شيئًا، دون سحرها.

عندما عاد يبادلها نظراتها المحدقة، بدا أكبر سنًا، بطريقة ما، ومنهكًا: «لا يمكنني الاستمرار على هذا النحو. انتهت علاقتنا (ثم لوَّح بيده تجاه الكابا هاوس، مغادرًا الشرفة) آمُل أن تدركي سبب افتراقنا».

حبست أنفاسها، تراقبه مبتعدًا. مهما بلغت رغبتها في إيقافه، لن تفعل.

الفصل الحادي والعشرون



سكارليت

سرحت سكارليت بذكريات طفولتها، وتذكرت حلقة من مسلسلها المفضل، وهي تتأمل الصفحة التي تطالعها جيس وهازيل من موسوعة *كسر اللعنات وإزالتها*، وحاولت أن تولي نصف تركيزها على همهماتهما، في نفس الوقت. كانت شخصيات الحلقة ساحرات، سلبت سحرهن ساحرة شريرة من خلال تعويذةٍ ما. استطاعت الساحرات، بعد ذلك، عكس تأثير التعويذة، وعقاب الساحرة الشريرة، قبل الفاصل الإعلانيِّ الأخير. اعتادت مِيني إثارة غيظها لمتابعتها هذا المسلسل، فإنه لا يقارن بممارسة السحر الحقيقيِّ. لم تكن التعاويذ دقيقة، وأضيفت المؤثرات الكرتونية الخاصة، مثل الدخان الأرجواني العملاق الذي يظهر ما إن تُلقى التعاويذ. قالت لها ميني، في إحدى المرات: «*أتعلمين، إلقاء السحر الحقيقيِّ ليس سهلًا أبدًا*».

تعرف سكارليت ذلك، كما أنه غير مريح. لكنها تتوق إليه الآن، في الوقت الذي تستغرق فيه المعضلات ساعات لتُحل.

سألت هازيل جيس: «ماذا عن هذه؟».

هزت جيس رأسها: «إنها تعويذة لإزالة العنكبوت».

وجهت سكارليت نظرها بعيدًا عن أخواتها، وتطلعت للخارج عبر النافذة. هذا ليس برنامجًا تلفزيونيًّا، هذه هي الحياة الواقعية. بغض النظر عن الوقت الذي سيستغرقه الأمر، عليهن إصلاحه بأنفسهن.

أخذت نفسًا عميقًا. بدأ الأمر بالحفل المختلط، يليه نوبة بايلي المفاجئة، ثم تعويذة الحب التي تسيطر على جاكسون، وأخيرًا، كارثة الليلة الماضية. هل هناك ترابط بينهم؟ هل حقًّا هناك من يتآمر ضدنا؟ لم تفعل شيئًا خلال هذا الفصل الدراسيّ، غير أنها قادت أخواتها من حال سيئ إلى أسوأ. وبات جميعهن بلا أي قوى دفاعية. شعرت بوخز في صدرها. يجب عليها أن توقِف خطط أيٍّ من يريد بهن سوءًا، حتى لو كان أكثر أعدائهن غموضًا ورعبًا.

فزعت عندما لمس أحد ما كتفها. لم تجد سوى إيتا، التي حملت بين يديها كوبًا يتصاعد منه البخار. كادت تسألها عن نوع المشروب، قبل أن تقول لها إيتا متنهدة: «إنه شاي، و.. أعتذر عما قلته سابقًا بشأن داليا».

تناولت منها الكوب، ونفخت في السائل الساخن، متأملةً الغرفة العامة مرة أخرى، قائلة: «لا بأس. أتفهم ذلك بالتأكيد».

لمحت فتاتين تحدقان تجاهها، وعندما أدركتا أنها رأتهما، التفتا لعملهما، فيما عدا ريجان، التي توجه لها نظرات حانقة.

سألت سكارليت بصوت خافت: «هل أنا رئيسة متسلطة؟».

همهمت إيتا لبرهة، ثم ردت: «حسنًا، أتفهم السبب».

فقالت سكارليت متأوهة بسخط: «ليس لدي خيار آخر. إذا أخبرنا مجلس الخريجات بما حدث، فسيضيقن الخناق علينا، خاصة، بعد خسارتنا فرصة إقامة حفل الربيع، وكدنا نفضح سحرنا في الحفل المختلط. حتى لو استعدنا قوانا، سيفرضن علينا العقوبات، ولن يُترك لنا مجال للتصرف بحرية مجددًا».

هزت إيتا كتفيها، ناظرة إليها في استهجان حاد: «قلتُ إنني أتفهم. لكن لا تتظاهري أنه من أجلنا بالكامل. نعلم كلتانا أنكِ أول من سيُضحى بها، إذا افتُضح الأمر».

قبل أن تتمكن من الرد، استدارت إيتا لتوزع الشاي على باقي الفتيات. سقط قلبها. لم تستطع التفكير إلا فيما قاله لها زافيير في الحانة تلك المرة. هل تبذل جهدها لتثبت لأمها أنها قادرة ولتتفاخر أمام أختها؟ هل كانت لتقبل بهذا المنصب، لو لم تسبقاها إلى تحمُّل تلك المسؤولية؟ كزَّت على أسنانها في حيرة من أمرها.

لا يمكنها تجاهل الهمهمات والتحديقات من وراء ظهرها، وكأن عناكب تزحف على جلدها. تحتاج الانفراد بنفسها. شدت قامتها وهربت إلى الحديقة الخلفية، على عجل. تشعر أنها خاوية مُعدمة دون سحرها. من يمكنها أن تكون غير ساحرة؟ لا تذكر إذا ما عُرفت بهوية أخرى غير قواها السحرية من قبل. تعلمت كيف تصبح ساحرة أفضل، وتتقن إلقاء التعاويذ على نحو مثاليٍّ. لم يخطر ببالها قط أن تتصور حياتها دون السحر.

أمالت رأسها للخلف تتأمل السماء. ماذا قد تعتقد مِيني بها لو أنها تراقبها من هناك الآن؟ تسللت إليها بعض المرارة، حين اجتاحها تحرُّق عميق لدفن نفسها بين ذراعَي مِيني.

ربما تطلب مني أن أتوقف عن الأسف على حالي، وأواصل العمل.

جعلتها هذه الخاطرة تنفض إحساس الشفقة على نفسها. يجب أن تعرف حقيقة ما حدث، من أجل أخواتها، من أجل مِيني، إنها تدين لهن بتلك المعرفة. عليها أن تحزم أمرها. لا بد أن كتاب السحر هذا، قد ذُكر فيه شيء عن السبب. يبدو أن هناك خطأً بالتعويذة التي استُخدمت، فقد واجهتهن قوة كبيرة، لم يقدرن على احتوائها. همس صوت بعقلها، جعلها ترتجف: *هل هو سحر مظلم؟*

لا يمكن أن تجد بكتاب السحر أي شرح لكارثة الحفلة الأولى، أو لهياج بايلي على المروج، أو حتى للشجارات العنيفة الغريبة التي انتشرت بأرجاء الحرم الجامعيِّ.

لو أن أحدهم يتعمد إحداث تلك الفوضى...

خطرت كايت ببالها. إنها الوحيدة بالحرم الجامعيِّ، التي عرفت أنها استخدمت سحرًا قويًّا مؤخرًا. لكن إلقاء تعويذة حب، لا يمكن أن تضاهي قدرة إلقاء لعنة، تسلب أقوى رابطة سحرية بالبلاد، كل قواها. الاختلاف بينهما واضح تمامًا.

من لديه قوى سحرية في الحرم الجامعيِّ أيضًا؟ محتمل أن تكون ساحرة تعرفها، أو ساحرة من الكابا... لكنها منعت نفسها من التفكير بالأمر. لا تحتمل الكابا خيانة أخرى خلال عام واحد. عليها أن تعتبر تلك المسألة آخر احتمال يمكن أن تفكر فيه.

لعله شخص جديد بويسترلي، قد تقرَّب من الكابا مؤخرًا. اعتدلت في جلستها. هذه هي أول مرة منذ ليلة كاملة، تخطر بذهنها نظرة زافيير المباشرة إلى عينيها خلال خطابها بالحفل. بدا واعيًا ومنتبهًا بطريقة ما، بدلًا من أن يتشتت مثل باقي الحضور من غير السحرة. حتى في تلك المرة، التي حاولت فيها قراءة أفكاره، اصطدمت بجدار أصم. اعتقدت وقتها أنها فشلت في تفعيل تعويذة سحر السيوف، لكن ربما لم تفشل حقًّا. ربما لدى زافيير قوى سحرية كافية لحماية نفسه.

محتمل...

دلفت فيفي إلى الحديقة، قاطعة على سكارليت أحلام يقظتها: «مرحبًا، هل يمكنني التحدث معك؟».

بنظرة إلى وجهها الصغير، قطبت سكارليت وجهها في قلق: «بالطبع».

لم تر فيفي هكذا من قبل: قابضة الكفين، مضجرة الوجه، وقد شابَ عينيها الصافيتين خطوط عنكبوتية حمراء، من أثر البكاء أو قتال ما أو ربما كليهما.

تراجعت سكارليت للوراء في ذهول: «هل أنتِ...».

لا حاجة لذلك. بالطبع، لا تبدو فيفي بخير. لا تبدو أيٌّ منهما بخير. لكن ربما تواجه فيفي صعوبة أكبر لتقبل فقدان سحرها خلاف البقية.

ضغطت فيفي عينيها تغلقهما: «انفصل مايسون عني لتوه».

ارتفع حاجبا سكارليت. لقد رأتهما على خير ما يرام، بل في حالة رائعة. رأتهما يرقصان معًا الليلة الماضية، في سعادة لا تعتقد أنهما عاشا مثلها في أي وقت مضى. رغم أنه اعتراها شعور بالغرابة أن ترى صديقها السابق يرافق أختها الصغرى، فإنها اعتادت الأمر وتقبلته مع مرور الوقت. حتى فكرة انفصالهما عن بعضهما بعضًا لم تخطر لها قط.

- ماذا حدث؟

حدقت فيفي إلى الغابة من وراء سكارليت، وضاقت عيناها.

رغم أن اليوم جميل، مشمس ودافئ، ويعبق برائحة رقيقة لأزهار الربيع، لم يتأثر مزاج سكارليت العكر. بل زاد من حدته، معتقدةً أن العالم يسخر منها، ويستمتع بانهيار قوى الغربان.

بعد برهة، تنحنحت قائلة: «إذا كنتِ لا تريدين الحديث عما حدث...».

هزت فيفي رأسها، والتفت ببصرها تجاه الكابا هاوس: «لا، لا بأس. لقد أدركتُ أنه أمر لا يهم في الواقع، بالمقارنة بما نحن فيه».

طرفت سكارليت بعينيها: «تعلمين، لكِ حقٌّ في الانزعاج من كل ما حدث. ويمكنكِ التحدث معي حتى بأمر مايسون إن شئت».

عقدت فيفي ذراعيها: «لم آتِ إلى هنا للحديث عن الفتيان (ثم وجهت نظرها نحو سكارليت، وحدقت بحدة) أريد... أن أخبركِ بأمرٍ ما».

- ما هو؟

طال صمت متوتر بينهما. استطاعت سكارليت أن ترى في تعبيرات فيفي ملامح معركة داخلية. لكن مهما كانت شدتها، لا يبدو أن تلك المعركة يمكن أن تُضعفها.

أخذت فيفي نفسًا عميقًا: «لقد رأيت.. رؤية أخرى في حفل أمس. انفردتُ بنفسي بالقرب من المرآة الوهمية عند المدخل، وقد تغيرت كليًّا. لقد رأيتُ نفسي أولًا أرتدي قلادة طلسم هينوسيس».

كاد قلب سكارليت يتوقف.

تابعت: «وبعدها، رأيتُ منزل مزرعة قديمة على تل مرتفع تحيط به الغربان. بدت الصورة مألوفة جدًّا...».

تجهم وجه سكارليت: «هل تعتقدين أن أحدهم حاول العبث برأسك؟».

لا يمكن لإحدى الغربان المزاح معها على هذا النحو. يعلم جميعهن مدى خطورة طلسم هينوسيس. لكن لا عِلم لأحدٍ غيرهن بأمر الطلسم.

هزت فيفي رأسها: «في الواقع، شعرتُ أن أحدهم يحاول إخباري بشيءٍ ما. أراد أن يسحبني إلى داخل المرآة. كم كان الأمر مرعبًا... لكن لم يكن خبيثًا».

قالت سكارليت متجهمة: «تصعب معرفة ما إذا كان شخص أو شيء ما خبيثًا. للقوى المظلمة قدرة خادعة».

ثم نظرت إلى الغابة، كابحة رغبة جسدها في الارتجاف، مردفةً: «إذن، ماذا تقترحين، يا فيفي؟ أن نحاول العثور على المنزل الذي رأيتِه؟ حتى لو

أردنا ذلك، هل تعرفين عدد المنازل الريفية القديمة الموجودة في جورجيا فقط؟».

أخذت فيفي نفسًا عميقًا: «كانت هناك لافتة مكتوب عليها مزرعة الصفصافة المنعزلة. لقد بحثت عنها، ووجدتها في مكان قريب من هنا، نحو عشرين دقيقة بالسيارة. تتطابق صورها على الإنترنت مع ما رأيتُه في المرآة».

ترددت سكارليت. يمكنهما الذهاب بالفعل. لن يستغرق الأمر وقتًا طويلًا للذهاب والعودة، حتى لو اضطرتا للدخول. لكن لا يزال...

- لو أنها رسالة ممن سلب قوتنا، ألن يتعمد جرَّنا إلى مزرعة مخيفة؟ أيمكن أن تُعد فكرة أن نوقِع أنفسنا في شَرَكِه دون سحرنا جيدة؟

أجابت فيفي بوضوح: «لا، لكن هل يمكننا تجاهل الدليل المحتمل الوحيد بأيدينا؟».

زمَّت سكارليت شفتيها معًا، تفكر بتمعن: «لدينا بالفعل دليل آخر، بل اثنان».

- من؟

ردت بامتعاض: «إنه زافيير. محتمل أنه كان واعيًا عندما عرضنا كتاب التعاويذ في حفل لمِّ الشمل. كما ألقت كايت بتعويذة حب على جاكسون».

فتحت فيفي ثغرها في ذهول: «إذن، يا سكارليت، هذا هو السبب أنه... أوه، يا إلهي. ولهذا ابتعدتِ عن زافيير أيضًا، أليس كذلك؟ إنني في غاية الأسف».

اقتربت منها خطوة وربتت على ذراعها. فابتلعت سكارليت ريقها بألم، ثم أطلقت ضحكة مُرة: «نعم. يبدو أنه أمر جيد بالنسبة إليَّ، بالنهاية».

عبس وجه فيفي متنهدة: «أكره الفتيان! لكن لا، لستُ كذلك حقًّا».

تلاعبت سكارليت بخصلات شعرها المربوط لأعلى: «أنا فقط... أشعر أنني المخطئة. لو لم أمحُ ذاكرة جاكسون.. لو أنه لا يزال يعلم عن وجود السحرة، لما وقع في فخها».

- لا، لقد اضطررتِ إلى ذلك، فعليكِ حماية الكابا. لم يكن لديكِ خيار آخر. كما أن هذا خطأ كايت؛ هي التي استخدمت السحر للعبث بعقله، والتحكم به.

للمحة خاطفة، ومض تعبير شاحب بوجه فيفي، ربما الشك أو الخوف. ثم عاد تعبيرها إلى الغضب مجددًا: «علينا أن نوقِفها».

بسطت سكارليت يديها إلى جانبيها: «لكن كيف؟ لم يعد لدينا سحر. لو أن كايت هي من فعلت ذلك... أعني، ماذا لو أنها حصلت على كل القوى السحرية للغربان بين يديها؟».

عضَّت فيفي شفتها السفلى، متسائلة: «هل هناك أي شيء يمكننا فعله لمساعدة جاكسون؟».

ردت على الرغم منها: «ليس قبل أن نستعيد سحرنا».

إنها لا تحتمل فكرة ترك جاكسون محبوسًا لوقت أطول. لكن ليس لديها خيار آخر، ليس بعد.

شدت فيفي قامتها، وضمت قبضتيها: «دعينا نتحقق من المزرعة أولًا. إذا اكتشفنا أنه فخ، فعلى الأقل، قد علمنا عدونا. أما لو أنه لا شيء، إذن فقد تأكدنا بأنفسنا».

أومأت برأسها: «حسنًا. لنأخذ السيارة، ونخبر إحدى الفتيات بوجهتنا من باب الاحتياط. قابليني أمام المنزل...».

توقفت فجأةً، واستنشقت بعمق. شمَّت رائحة دخان، كما لو أنها...

صرخت ريجان من الشرفة الأمامية: «اندلعت النار!».

تبادلت سكارليت وفيفي نظرة خاطفة، ثم ركضتا حول الجهة الأخرى من المنزل. ما إن وصلتا، حتى وجدتا إيتا وهازيل تهرولان تجاه خرطوم المياه بالدفيئة. التهم اللهب نباتات الهوجويد عند حافة باحة المنزل. إنها النباتات ذاتها التي حرصت إيتا على زراعتها بعناية فائقة كونها تعويذة حماية للكابا.

سرعان ما استطعن إخماد النار. وبينما تحدق سكارليت إلى الرماد، وبقايا الأغصان المفحمة، لم تستطع إلا الاعتراف بمرارة: أن دفاعًا سحريًّا آخر للغربان قد اختفى.



الفصل الثاني والعشرون

فيفي

ساد الصمت بين فيفي وسكارليت طوال الطريق، بينما سرحت كلٌّ منهما في أفكارها الخاصة. يتضح من تعبيرات سكارليت الجادة، أنها على استعداد لمواجهة هذه الكارثة بكل قوتها.

تمنت فيفي أن تصبح هي الأخرى مستعدة حقًّا لمواجهة هذه الكارثة. فكل ساعة تمر، تزيد من حدة اضطرابها ورجفتها، كما لو تعاني أعراض الانسحاب لافتقادها للسحر. تشعر بحكة على أطراف أصابعها التي تتوق لذبذبته، لكن مهما حاولت الهمس لنفسها بأي تعويذة، لا تعود تلك الذبذبات.

لا يزال من المحتمل أنهما في طريقهما للوقوع بفخٍّ ما، في صورة استدعاء مجهول للحضور إلى مزرعة الصفصافة المنعزلة. لكن تشك أن لديهما تفسيرًا آخر غير هذا.

سألتها سكارليت، ملقيةً عليها نظرة خاطفة، قبل أن تعيد انتباهها على الطريق ثانية: «هل أنتِ بخير؟».

لقد خرجتا لتوهما من الطريق السريعة، ودلفتا إلى طريق مُظللة ومحفوفة بأشجار بلوط كبيرة. على طول الطريق، هناك منازل أكبر حجمًا بكثير من مثيلتها في المدينة، لها شرفات دائرية وباحات خضراء شاسعة.

ردت فيفي سريعًا: «أنا بخير، أو أيٌّ ما تعنيه الكلمة، نظرًا للكارثة التي نواجهها».

- سنكتشف الأمر. أعدكِ.

لم تجد فيفي ما يُريحها في كلمات سكارليت الواثقة. لكنهما بالفعل في طريقهما لاكتشاف حقيقة الأمر. قالت آملةً أن تبعث كلماتها بعض الراحة، التي لم تشعر بها في كلمات أختها الكبرى: «أعرف ذلك».

اقتربتا مع اتساع الطريق من المناطق الريفية، فبدلًا من الضواحي الحديثة الجذابة، انتشرت المنازل الريفية على مسافات متباعدة. وبعد عدة أميال أخرى، أبطأت سكارليت سرعة السيارة، وبدأت تحدق إلى أرقام صناديق البريد. قالت وهي تنقل بصرها بين نظام تحديد المواقع على هاتفها والمنازل التي تمرَّان عليها: «يجب أن يكون أحد هذه المنازل...».

انحنت فيفي للأمام تقرأ الأرقام: «تسعة وأربعون؟».

ثم أشارت إلى درب ترابيٍّ مُسيَّج بين عمودين من الطوب. لم تستطع أيٌّ منهما أن ترى أبعد من ذلك، إلا شجرة وارفة على جانب الدرب، لها أغصان طويلة تكاد تلمس الأرض.

وجدتا البوابة مفتوحة على مصراعيها. فتبادلتا نظرات قلقة.

قالت سكارليت: «هكذا تبدأ أفلام الرعب».

قالت فيفي بضجر: «هل تريدين استرجاع سحرنا أم لا؟».

التفتت سكارليت بالسيارة تجاه الدرب الترابيِّ، وأحكمت قبضتها على عجلة القيادة: «لم أقل إنني لن أذهب. لكن إن متنا هنا، فتذكَّري أنني حذرتك».

- إذا متنا هنا، سأحرص أن أتذكر.

انحرف بهما الدرب إلى باحة مشجرة في غير تهذيب. كما ارتفع العشب بطول نصف ساق أو أطول، وانتشرت الأعشاب الضارة على طول الدرب، المتشقق في بعض الأجزاء. حينها ظهر المنزل تمامًا، كما رأته في المرآة: منزل مزرعة ضخم على الطراز الفيكتوريِّ. يعلوه ما يشبه القبعة -أو ربما تاجًا- فيما يقع على تل شديد الانحدار. ارتجفت فيفي قليلًا، وتمنت لو أنها تعرف من -أو ماذا- استدعاها إلى هنا، ولأي سبب.

قالت سكارليت بخفة: «إن فيلم الرعب يزداد حدة».

يوحي تعليقها كما لو أنها اعتادت القيادة لوقت طويل إلى منازل مهجورة، سبقت رؤيتها في مرآة. ربما فعلت بالفعل. فقد نشأت بين السحرة والسحر. لذا تختلف فكرتها عما هو «مرعب»، عما تعتاده فيفي.

أوقفت سكارليت السيارة، وبعد لحظة تردد، تبادلت فيها الفتاتان النظرات، ترجَّلتا منها. ما إن اقتربتا من الشرفة، حتى توقفت فيفي، وأمسكت بذراع سكارليت: «لستُ متأكدة من أنها فكرة جيدة».

سألتها سكارليت بانزعاج: «أتدركين ذلك الآن فقط؟».

ردت: «قولي لي، من فضلك، إنكِ تعرفين الجيو جيتسو أو المصارعة اليابانية، أو شيئًا من هذا القبيل».

حاولت أن تُكسِب صوتها نبرة مازحة، لكنهما، في الواقع، دون السحر يسهل تعرضهما للخطر، بشكل لا يُصدَّق.

تنهدت سكارليت: «لا. لا أعرف الجيو جيتسو. التحقت بمصارعة الكراف ماغا، منذ بضع سنوات، عندما كنت أصغر سنًا. إن والديَّ من أكبر المشجعين لقدرة النساء على الدفاع عن أنفسهن، بالسحر أو دونه».

تمكنت فيفي من الابتسام، رغم خوفها المتزايد. بالطبع، يجب أن تتعلم سكارليت الكراف ماغا.

اتجهتا إلى الشرفة الأمامية، وصعدتا درجاتها الخشبية غير المستوية، التي تُصدر صريرًا كالأنَّات المخنوقة مع ثقل أقدامهما. مما جعل فيفي تتحرك من جهة إلى أخرى، لتتجنب الضغط الزائد على الألواح الخشبية فتتكسر على الفور. بينما أزاحت سكارليت بعضًا من خيوط العنكبوت عن جرس الباب، ثم قرعته بلا تردد. جاءهما صوت الجرس، من مكان ما داخل المنزل، طرقًا خافتًا عميقًا، كأنه يُقرَع بإحدى الكنائس.

قالت فيفي بتجهم: «لا يبعث على التشاؤم على الإطلاق».

- هلَّا هدأتِ؟ لا يوجد سبب للخوف إلا إذا...

حبست سكارليت نفَسها، بينما انفتح باب المنزل من تلقاء نفسه، في صرير حاد. طال تبادل النظرات القلقة هذه المرة. قالت سكارليت، متكلفة نبرة واثقة: «يبدو أن أحدهم يتوقع حضورنا. هلَّا دخلنا؟».

خطت إلى الداخل، وتبعتها فيفي، التي تكاد تُسمَع دقات قلبها، رغم صرير الألواح الأرضية تحت قدميها. كان البهو معتمًا، ويسبح في الظلال، مع أن الوقت ما زال في منتصف الظهيرة بالخارج. استغرقت فيفي بضع لحظات لتعتاد الظلام. لمحت ورق الحائط المقشر والبالي، لا بد أنه كان جميلًا فيما مضى: زهور شاي وردية شاحبة، على خلفية رمادية فاتحة، ورف نحاسي لحمل معطف ومظلة، يعبر عن الذوق الراقي لصاحب المنزل في الماضي. لا يتشابه مع المنازل التقليدية المسكونة بالأشباح، فرغم الهواء الثقيل، والدخان المتراكم، من جراء استخدام السحر لعقود، فإنه يفتقر إلى رائحة الصديد المعدنيِّ، التي تعتقد فيفي أنها رائحة السحر المظلم.

همست سكارليت: «انظري إلى هذا».

إنها لوحة زيتية صغيرة، تصور غرابًا جاثمًا أعلى قمة كنيسة. وقفت فيفي بجانبها، وانحنت لتلقي نظرة أقرب. يتموج الريش الأسود اللامع للغراب، كما لو أن هناك نسيمًا يحركه بلطف. أهذه مصادفة؟

انتقلتا بهدوء من البهو إلى ردهة مكسوة بألواح خشبية داكنة. حيث المزيد من اللوحات المصطفة على الجدران، معظمها لوحات لنساء، لديهن إطلالات مبجلة في أزياء تاريخية مختلفة. تعرفت فيفي على بعض اللوحات التي رأتها بالكابا هاوس من قبل. من ضمنهن، سيدة سمراء، ترتدي مجوهرات ذهبية، وتضع على رأسها وشاحًا ملفوفًا زمرديَّ اللون، وسيدة أخرى بيضاء، في رداء هولنديٍّ من القرن السابع عشر. وكما لوحة الغراب المسحورة، ظهرت بعض اللمسات السحرية بتلك اللوحات، مثل بريق المجوهرات أو تمايل الأشجار في الخلفية.

أكملتا الطريق إلى القاعة الرئيسية، ومع كل خطوة، تتطور إطلالات النساء إلى الطراز العصريِّ. قالت سكارليت، بينما توقفت لتحدق إلى لوحة بالحجم الطبيعيِّ، لسيدة جميلة في فستان ورديٍّ منفوش: «يا إلهي. إنها أمي. أعتقد أنها ارتدت هذا الفستان في حفل العودة، في العام الذي تقلدت فيه رئاسة الكابا».

- هل تعتقدين أن هذا المنزل يعود للكابا؟

- أو يعود لشخص مهووس بنا على نحو مريب.

ردت فيفي بنبرة ساخرة: «ليس الجميع مهووسًا بكِ يا سكارليت».

قالت سكارليت، وهي تومئ برأسها تجاه لوحة بنهاية القاعة: «حقًّا؟ إذن، كيف تفسرين هذا؟».

وجهت فيفي إليها نظرة فضولية، ثم تقدمت من اللوحة في تساؤل. لكنها قفزت للوراء في لهاث حاد. حيث تُظهِر اللوحة فتاتين تقفان أمام المزرعة الفيكتورية الرمادية، ترتدي الفتاة السمراء رداءً فاتحًا، أما الفتاة البيضاء فترتدي الجينز وسترة صوفية رمادية اللون.

إنهما هي وسكارليت.

تأملت فيفي سترتها الصوفية الرمادية، وارتجفت: «كيف يمكن لشخص أن يرسمنا في خمس دقائق؟ حتى إن الألوان ليست رطبة».

قفزت إلى الجانب بفزع، ما إن صاحت سكارليت فجأةً: «أهلًا؟ مرحبًا؟ هل من أحد هنا؟».

تردد صدى صوتها للحظة، ثم ساد الصمت. لكنه لم يكن صمتًا بالمعنى الدقيق، بل تزييقًا ذا إيقاع خافت آتيًا من الجدران، كما لو أنها تتمدد وتتقلص. يكاد المنزل يتنفس. أو ربما تتخيل، لكن فيفي أمكنها أن تشعر بطرقات هادئة من وراء ألواح الأرضية. تذكرت على الرغم منها القصة القصيرة المفضلة لدى دافني، «حكاية القلب الواشي».

صاحت سكارليت مرة أخرى: «مرحبًا؟ هل من أحد هنا؟».

قالت فيفي، مشيرةً لسكارليت أن تتبعها لعبور باب مفتوح لما يبدو غرفة معيشة واسعة: «دعينا نستمر في تفقُّد المكان».

امتد درج دائريٌّ ضخم في منتصف الغرفة، وتغطَّى الدرابزين بخيوط العنكبوت. وجدتا لوحة أخرى معلقة على الجدار البعيد، أكبر من التي رأتاها في الردهة. إنها لوحة زيتية لامرأة بيضاء مسنة، ذات نظرة صارمة ووجه عابس في استهجان واضح، ترتدي فستانًا أسود عالي الرقبة، ذا ياقة مرتفعة مزينة بشريط من الدانتيل. تغطَّى معظم الأثاث بملاءات بيضاء، فيما عدا القليل، الذي بقي مكشوفًا، تكسوه طبقة سمكية من الغبار.

قالت سكارليت، وقد تجعد أنفها: «يبدو أن المنزل لم يسكنه أحد لأعوام».

ردت فيفي، مشيرةً إلى صينية فضية فوق طاولة مستديرة منخفضة، مُعدَّة لتناول الشاي: «لست متأكدة من ذلك».

تصاعد البخار من إبريق للشاي، الذي وُضع بجواره طبق معجنات مخبوزة حديثًا.

عقدت سكارليت ذراعيها، وجالت بنظرها فيما حولها: «حسنًا، ما الذي يحدث؟ ليس لدي وقت لهراء الجميلة والوحش هذا».

نظفت حلقها، ثم صاحت بنبرة عالية: «إلى من أحضر هذا الشاي إلى هنا، منذ خمس دقائق، هلَّا عُدت رجاءً؟».

مرت برهة طويلة من الصمت، قبل أن يعلو صدى ضحكات خافتة، من زاوية قريبة. قفزت الفتاتان من مكانهما. قالت سكارليت، وهي تحرك رأسها من جهة إلى أخرى بسرعة: «إذن، هناك شخص ما هنا».

جاءتهما الضحكة ذاتها مرة أخرى، لكن من زاوية مختلفة تمامًا. انتصبت شعيرات عند مؤخرة عنق فيفي، وهي تتبع الصوت، لتجد نفسها تواجه صورة السيدة العجوز ثانيةً. هذه المرة لم تكن متجهمة عابسة، بل ابتسمت في تكلف.

تقدمت سكارليت لفحص اللافتة الذهبية المغبرة أسفل اللوحة المؤطرة بالذهب، قائلة: «من هي برأيك؟».

قرأت: «أجاثا تمبلتون. هذا الاسم يبدو مألوفًا، لكن لا أتذكره».

قالت فيفي بصوت خافت: «أعتقد أنها من كانت تضحك».

تعالت الطرقات التي سمعتها فيفي من مكان ما أسفل الألواح الأرضية. لكنها انتقلت إلى ما وراء الجدران الآن. ثم سألت: «هل تشعرين بذلك؟».

- أشعر بماذا؟

- لست.. متأكدة بالضبط. كما لو أنه...

لم تستطع أن تكمل جملتها بصوت عالٍ.

كما لو أنه قلبٌ ينبض.

تقدمت فيفي بضع خطوات، وتتبعت النبضات تجاه مكتب خشبيٍّ فخم مخصص للكتابة عند الجدار البعيد. كلما اقتربت خطوة، تتعالى النبضات، حتى بدت أنها تتصاعد من داخلها.

وُضع على المكتب كتاب جلديٌّ كبير. يبدو مثل موسوعة سنوية قديمة، مفتوحة على خريطة لمدينة سافانا، عندما لم تكن سوى مدينة ذات ميناء صغير راكد، منذ عدة عقود. انحنت فيفي ورأت كتابة في الركن الأسفل على يمينها، لقطة مقربة مفصلة لحرم جامعة ويسترلي. تظهر بالخريطة عدة مبانٍ بالجامعة: ساحة الكليات، مكتبة هيويت، ردهة تايلور، لكنها لم تتعرف على المباني الأخرى. كما كانت هناك مساحات شاسعة من المروج الخضراء، حيث توجد اليوم مساكن الطلاب الجدد وجناح العلوم.

قالت سكارليت، وهي تشير إلى إحدى الزوايا بالخريطة: «إنها ويسترلي في عام 1858، بعد عام من تأسيسها. انظري إلى الغابة».

أشارت إلى غابة كثيفة تحيط بالحرم الجامعيِّ. إنها أكبر مما هي عليه الآن، مجرد عدة أشجار كثيفة تقبع خلف الكابا هاوس. أما في الماضي، بدت غابة ضخمة حقيقية. ما بين أشجار البلوط العريضة، وأشجار الصفصاف الوارفة، رسم أحدهم دائرة زرقاء داكنة، في مركزها نجمة حمراء ذات سبعة رؤوس.

إنه الرمز نفسه الذي رُسم على طلسم هينوسيس.

اجتاحت فيفي قشعريرة، فيما لاحظت شيئًا مكتوبًا بخط دقيق تحت الرمز. أمسكت المكبر الزجاجيَّ الأنيق بجانب الكتاب، لتلقي نظرة فاحصة. قرأت: «مكتوب بوابة الجحيم. ماذا تعتقدين أنه يعني؟».

حدقت سكارليت في ذهول: «هل أنتِ متأكدة؟».

ناولتها فيفي المكبر الزجاجيَّ: «انظري بنفسك».

ترددت سكارليت، وبدت مرتعبة لأول مرة منذ وصولهما: «إنها كلمة قديمة تطلق على الحجاب ما بين عالمنا وعالم الهلاك».

- ما الذي تتحدثين عنه؟ أي عالم آخر؟

ألقت عليها سكارليت نظرة فزعة: «من أين ينشأ السحر في تصورك؟ إن التعاويذ التي نعلمها لا تتعدى مقدار نقطة في بحر السحر الهادر فيما وراء الحجاب».

بعثت كلمات «فيما وراء الحجاب» بصرخة رعب، كتمتها فيفي بيدها. إنها ليست فيفي نفسها، التي اعتبرت دافني، فيما مضى، مشعوذة، وعملاءها الراغبين في معرفة الطالع، مجرد بؤساء يائسين. لم تعد فيفي التي كانت لتسخر من عبارة مماثلة، قبل أن تعلم فيما بعد أن السحر حقيقي، عندما شهدت بنفسها القوة المرعبة للسحر المظلم. وبذلك لم يعد هناك شيء يستحيل عليها تصديقه.

- حسنًا، ما علاقة هذا بنا؟

- لستُ متأكدة. لطالما سمعتُ شائعات أن بوابة الجحيم تكمن في ويسترلي. لهذا يوجد الكثير من السحر في سافانا. لكن هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها دليلًا على ذلك.

- لكن يحتمل أن هذا الأمر ليس سيئًا، صحيح؟ إنه مجرد منبع للسحر؟

أجابتها سكارليت متجهمة: «إن السحر ليس الشيء الوحيد الذي يعبر من هذه البوابة».

قالت فيفي مشيرةً إلى النجمة: «يبدو أن هذه البوابة لم تكن في منتصف الغابة في عام 1858، كما أن جزءًا كبيرًا من الغابة لم يعد موجودًا اليوم».

انحنت تتفحصها مرة أخرى عن قرب، ثم حدقت إلى سكارليت: «هل تعتقدين...؟».

- أن هذه هي الغابة الموجودة خلف الحرم اليونانيِّ؟ نعم، أعتقد هذا.

- إذن، هذا يعني أن هذه البوابة قريبة من الكابا هاوس.

سمعتا قرقعة من خلفهما، فاستدارت الفتاتان. وجدتا محتويات صينية الشاي الفضية تُقرَع، كما لو أن يدًا غير مرئية تحركها. بعد برهة، ارتفع إبريق الشاي في الهواء، وبقي محلقًا بضع ثوانٍ، ثم مال وصبَّ سائلًا يتصاعد منه البخار في أحد الفناجين الصينية الأنيقة.

قالت سكارليت هامسة: «هذا متوقع بالطبع».

بحركة هادئة معتادة، سارت تجاه الصينية، وحملت الفنجان ما إن امتلأ. بينما حذت فيفي حذوها، تقاوم إحساسًا مفاجئًا بالدوار، وارتجافة بذراعها، وهي تحمل الفنجان المملوء بالشاي عن آخره، بثبات ما أمكنها. ثم سألت: «ماذا الآن؟ لن تشربي هذا حقًّا، أليس كذلك؟».

- لن أغادر حتى أكتشف ما حدث لسحرنا. وإذا كانت هذه هي اللعبة التي يجب أن أشارك بها، فليكن إذن. لو أراد هذا الشخص إيذاءنا، لَما ضَيَّفنا.

تناولت رشفة من الشاي، توقفت لبرهة، ثم زفرت: «طعمه جيد. اشربي».

راقبتها فيفي تتجرع الشاي بسرعة، يمكن أن تصيب مارجوري ونتر بالذهول، ثم فعلت مثلها متجاهلةً سخونته الشديدة. عندما انتهت سكارليت، رفعت فنجانها وألقت عليه نظرة متفحصة: «كنت أعرف. علينا أن نقرأ أوراق الشاي».

نظرت إليها فيفي متشككة، لكنها عادت تصب اهتمامها على الفنجان. أرجعت رأسها للوراء مدهوشةً. فقد رأت رمزًا واضحًا في قاع فنجانها. همست: «هل ترين ما أرى؟».

- لست متأكدة. هل هذا...

أنهت فيفي جملتها: «طلسم هينوسيس».

رغم أن الرمز محاط بأوراق الشاي الرطبة، فإن مرآه بعث بقشعريرة بمؤخرة عنقها. أوشكت على إعادة الفنجان إلى مكانه، قبل أن ترى الطلسم، وكأنه ينفجر، فيما دارت أوراق الشاي البُنية الداكنة، لتشكل صورة جديدة. في البداية، ظننتها وجهًا لرجل، لكن ما إن سكنت الأوراق، حتى ظهرت تفاصيل أخرى. خرجت من رأسه قرون، انفرج فمه عن صرخة رهيبة، وكشف تباعد شفتيه عن أنياب أفعى، بدلًا من الأسنان.

تراجعت فيفي للوراء: «ما هذا؟».

قالت سكارليت بنبرة خافتة، ناظرةً في عينَي فيفي: «إنه شيطان. يا إلهي، عندما دمرنا الطلسم...».

- عندما فعلنا ماذا؟

تعالى صوت نبضات الجدران، وأخذ يتصاعد بقوة، حتى أصبح صاخبًا. بالكاد استطاعت فيفي أن تسمع أفكارها: «ماذا حدث عندما دمرنا الطلسم، يا سكارليت؟».

تجاهلتها سكارليت، واستدارت لمواجهة السيدة باللوحة، صائحةً بها: «هل سجنتِ شيطانًا في طلسم هينوسيس؟».

أومأت لها السيدة العجوز، التي اختفت ابتسامتها، لتحل محلها شفتان مزمومتان، وقد اتسعت عيناها في خوف. استطردت سكارليت بصوت مرتجف، بعد أن ابتلعت ريقها بصعوبة، مغمضة عينيها لفترة وجيزة: «وهل حررناه مجددًا؟».

همست فيفي: «لا. لا، هذا مستحيل».

وفيما تتحدث، تغيرت اللوحة مرة أخرى. أغلقت السيدة عينيها بشدة، فتحت فمها، وانفرجت شفتاها في صرخة مرعبة صامتة.

ترنحت سكارليت، وتهاوت على الأريكة، دافنةً رأسها بين يديها. بينما جمدت فيفي مكانها، وتردد صدى الحقيقة الرهيبة بداخلها. لقد أطلقت هي وسكارليت العنان لشيطان ملعون قادم من أجلهن.

ودون سحرهن، حُكم عليهن بالهلاك.



الفصل الثالث والعشرون

سكارليت

قالت سكارليت، وهي تقلب صفحة الكتاب الذي وضعته على حجرها، لتتمكن فيفي من قراءتها أيضًا: «هناك شيء مذكور هنا».

غادرتا المنزل الغريب على عجل، وتوجهتا مباشرةً نحو المكتبة بالكابا هاوس. إذا كان عدوهن شيطانًا حقًّا، هذا يعني أن لدى سكارليت قائمة طويلة من الكتب لتقرأها. فقبل أي شيء، من المفترض أن الشياطين ينتمون إلى الماضي، الذي شهد سحرة يفوقونها قوة. في صغرها، اعتادت أوجيني أن تقرأ بصوت عالٍ، كتيبات إرشادية من القرن الثامن عشر، عن كيفية اصطياد الشياطين، لإثارة فزعها. فتركض باكية إلى غرفة مِيني، التي تتركها تنام متكورة على نفسها بجانبها. وهذا ما تتمنى فعله الآن، أكثر من أي شيء أو أي وقت مضى.

أشارت إلى الفقرة الأولى التي يُذكر فيها كلمة «شيطان»: «أصابت الشياطين السحرة باللعنات لعدة قرون دون معرفة السبب».

تعجبت كعادتها، من الطريقة المحبطة التي استخدمها أجدادها من السحرة للكتابة عن التهديدات التي تعرضوا لها. لم يهتموا عند تسجيل هذه الإخفاقات بترك أي معلومة مهمة أخرى: ما الذي شعروا به عند وقوعهم في قبضة الشياطين؟ هل كانوا أكثر شجاعة منها وأخواتها، أم أن الفزع شعور مألوف في مثل تلك المواقف؟

انحنت فيفي لتقرأ: «تحتاج الشياطين إلى مضيف لتعبر الحجاب إلى العالم البشريِّ. يمكنهم التشكل في هيئة بشرية، لكن الجسد المقدم طواعية هو الأفضل...».

نظرت فيفي للأعلى بعينين واسعتين، مستطردة: «انتظري. هل هذا يعني ما أعتقده بالفعل؟».

ازدادت حدة تجهم وجه سكارليت: «هذا يعني أن الشيطان هنا بالحرم الجامعيِّ، ويتخفى بهيئة بشرية».

ضغطت فيفي على شفتها السفلى: «يمكن أن يكون أي أحد؟ كيف نتعرف عليه؟».

دققت سكارليت النظر في باقي الصفحة والصفحة الجانبية، ثم راجعت الفهرس. لم تجد ذكرًا للشياطين إلا في تلك الفقرة. تأوهت وأسندت رأسها للوراء على ظهر الأريكة، محدقةً إلى السقف: «لا أعرف. حتى أمي لم ترَ أحدهم من قبل، على ما أذكر، ولا أيٌّ من الخريجات الأحياء».

أخذت فيفي نفسًا حادًّا بجوارها، فنظرت إليها: «ماذا؟».

ترددت أختها الصغرى: «حسنًا... لن يعجبكِ الأمر».

تأوهت ثانيةً: «لا يعجبني أيٌّ مما يحدث بالفعل. ماذا لديكِ من الأخبار السيئة أيضًا؟».

- ما زال بإمكاننا الاتصال بوالدتك.

اعتدلت سكارليت في جلستها: «لقد أخبرتكِ يا فيفي...».

- أعلم، أعلم. لو ذهبنا إلى المجلس، سيفزعن ويضعن علينا جميع أنواع العقوبات الصارمة... لكن بعد الفصل الدراسيِّ الماضي، وبعد ما حدث مع تيفاني، هل تتذكرين حال مارجوري؟ وكذلك أمي. لقد أرادتا المساعدة.

قالت سكارليت في تذمر: «إذن، لنتصل بوالدتك».

مرت لحظة من الصمت، قطعتها فيفي: «يمكننا الاتصال بدافني، لكنني لستُ متأكدة ما إذا لديها خبرة بهذا المجال. إنها تركت الكابا قبل التخرج،

أتذكرين؟ لقد أمضت قرابة الأعوام العشرين، هاربةً من تاريخ الغربان. لستُ متأكدة أنها أفضل مصدر لنا».

تنهدت ببطء. رغم مقدار كرهها للاعتراف بذلك، فإن لدى فيفي حقًّا فيما قالت. إنهما ليستا بحاجة لإخبار المجلس، بل مارجوري فقط. جعلتها فكرة الاعتراف لأمها بمدى سوء الأمر، تشعر بالغثيان. لكن عليها التغاضي عن كبريائها من أجل حماية الكابا وأخواتها. ليس لديها خيار آخر.

أردفت أخيرًا: «حسنًا. لكنني بحاجة إلى دعم معنويٍّ لفعل ذلك».

مالت فيفي لتضغط على يدها: «لن أذهب إلى أي مكان، يا أختي الكبرى».

ردت مارجوري على الهاتف من المحاولة الأولى، كأنها توقعت استقبال مكالمة، قائلة: «سكارليت، آمل أن لديكِ أخبارًا جيدة هذه المرة».

تبادلت مع فيفي نظرات عابسة، ثم تنحنحت: «ليس تمامًا. أتساءل إذا أمكنني أن أطلب منكِ المزيد من التفاصيل حول... طلسم هينوسيس».

إذا صحَّت قراءتها لأوراق الشاي، فقد أُطلِق سراح ذلك الشيطان، لحظة تدمير الطلسم. ربما لو عرفتا من صنع هذا الطلسم، وكيف صُنع، يمكنهما حبسه مجددًا.

قالت مارجوري بامتعاض: «قلت لكِ كل ما أردتِ معرفته عن ذلك الطلسم الملعون في العام الماضي. أم أنكِ لا تذكرين؟».

- لا، أتذكر. قلتِ إنه سيطر على صديقة لكِ وجعلها تهاجمك. لكن هل تعلمين من أين أتى هذا الطلسم؟ ومن صنعه؟

- اعتقدتُ أننا تركنا كل الذكريات البغيضة وراءنا. لديكِ أمور أكثر أهمية لتنتبهي لها، يا سكارليت. لا يمكن للرئيسة أن تقضي معظم وقتها تتذكر أخطاء الماضي، يجب أن تتطلعي نحو المستقبل.

اتسعت عينا فيفي، بينما وجهت سكارليت إليها ابتسامة امتنان صغيرة. فالتعامل مع عائلتها يصبح يسيرًا بوجود صديقة بجوارها.

- لو لديكِ ما تخبرينني به عن الطلسم أو عن بوابة الجحيم...

انخفضت نبرة مارجوري فجأةً، وقالت بخوف: «ماذا قلتِ للتو؟».

جفلت سكارليت: «بوابة الجحيم، التي يُشاع أنها في مكان ما بويسترلي...».

- لا أريدكِ بالقرب من هذا الشيء أبدًا، أتفهمينني؟ توجد قوى متقدمة جدًّا بذلك المكان، لا يمكن لفتيات الكابا الاقتراب منه.

اضطرب قلب سكارليت: «إنكِ تعلمين مكانها».

أغلقت عينيها لتتذكر الخريطة التي رأتاها. لقد كانت في منتصف الغابة، وأصبحت الآن على أطراف الحرم اليونانيِّ. باغتها شك رهيب.

- هل هو في الكابا هاوس يا أمي؟ لهذا السبب يتمتع المنزل بكم هائل من القوى السحرية؟

- ما الذي تقولينه؟ هذا سخيف. لقد أعطيتكِ أمرًا. ابتعدي عنه.

تسمرت مكانها. لقد أجرت هذه المكالمة لسبب. ثم ذكَّرت نفسها: *تغاضي عن كبريائك.*

- هذا جِدِّيٌّ، يا أمي. أعتقد أن هناك أمرًا خاطئًا يحدث بالحرم الجامعيِّ. الغربان في ورطة.

ساد صمت طويل. استنشقت مارجوري أخيرًا: «لقد قلتُ لكِ بالفعل كل ما أعرفه عن تلك البوابة الملعونة. لكن إذا أردتِ، يمكنني التحدث إلى الملوك حول التدخل بالأمر، وإجراء تحقيق شامل في المشكلة المطروحة، بما في ذلك... فترة رئاستك. فقد يرى المجلس أنه من الضروريِّ إيجاد بديلة مناسبة لقيادة الكابا. هل هذا ما تريدين؟».

جاء صوت سكارليت خافتًا: «لا، يا سيدتي».

- جيد جدًّا.

ثم أغلقت الخط.

حدقت إلى الشاشة بذهول: «أمرٌ لا يُصدَّق».

ضغطت فيفي على كتفها: «آسفة. كان ذلك... اللعنة!».

تصورت أن علاقتها مع مارجوري تحسنت بعد ما حدث العام الماضي. ألم يكن بإمكانها أن تساعدها على أقل تقدير، وهي في أمس الحاجة لذلك. لكن مارجوري وينتر أوضحت الأمر بما يكفي: أن الغربان بمفردهن كليًّا.

شدت قبضتها حول الهاتف، ناظرة إلى فيفي: «حسنًا. على الأقل، علمنا شيئًا واحدًا. بناءً على معرفتي بأمي، فإن بوابة الجحيم موجودة في هذا المنزل».



وجب على سكارليت أن تدرك من قبل. وقفت هي وفيفي أعلى درج القبو، وحدقتا إلى الظلام.

باتت الأمور أكثر منطقية. إن الكابا هاوس لديه الكثير من السحر، حتى الغرف وردهات المنزل، جميعها تُسحَر من تلقاء نفسها لتتماشى مع المزاج العام لساكنيه. تذكرت كذلك المرجل وموجات الحرارة التي شعرت بها، في المرة الأخيرة التي نزلت فيها إلى هنا، لإصلاح المياه التي انفجرت بالمطبخ. لفت انتباهها آن ذاك، الهمسات الغريبة التي لا يمكن تفسيرها على أنها مجرد صوت قرقعة المياه، التي سُدت بالأنبوب.

لقد كانت بوابة الجحيم تحت أنوفهن طوال الوقت. لا بد أن الخريجات السابقات يعلمن أيضًا، لكن لم تحاول أيٌّ منهن إخبار عضوات الكابا الحاليات. ضغطت قبضتيها بشدة.

لدينا المزيد من الأسرار التي عادت لتطاردنا مثل كل مرة.

سألت فيفي، محدقة إلى وجهها في ترقب: «هل سننزل معًا؟».

حافظت على هدوء تعبيراتها: «نعم، معًا».

ثم أشعلت ضوء القبو، الذي أعاد له الحياة، مُلقيًا بظلال صفراء باهتة على الدرج. نزلتا الدرج على مهل. ومع كل درجة، تتسارع أنفاسها، وتعتاد عيناها الضوء. تهيأت لاستقبال موجة حارة، وسماع الهمسات مرة أخرى.

لكن حتى الآن، بدا كل شيء طبيعيًّا: مرجل بإحدى الزوايا، وغسالات الملابس، التي نادرًا ما تستخدم في زاوية أخرى. إلى أن يستعدن السحر، تعتقد أنهن بحاجة لمعرفة الطرق العادية لغسل الملابس. *يا إلهي*. لم تحتج إلى غسل ملابسها منذ... بل مطلقًا؟

سألتها فيفي: «إذن... هل سنتحدث عن ذلك الشيطان الذي يتجول بالحرم الجامعيِّ في صورة أحد ما؟».

ترددت سكارليت قبل أن تنزل الدرجة الأخيرة: «حسنًا دعينا نفكر. على ما أذكر -من خلال قصص الأطفال، التي لا يمكن أن تُعد مصدرًا موثوقًا- تحب الشياطين نشر النزاعات والفوضى أينما وُجدت، فهم يتغذون عليها. علاوةً على ذلك، لديهم قوى سحرية كالساحرات تمامًا. ما زال لدينا احتمال أن ذلك الشيطان هو زافيير أو كايت. هل نشك بأحدٍ آخر؟».

نظرت إليها فيفي بجانب عينيها: «كايت؟ أتعتقدين حقًّا أن شيطانًا قد يلقي بتعويذة حب؟».

تجهمت سكارليت. تحاول التفكير في الأمر: «ربما لا، لكنها تستخدم السحر بمهارة لم تعتدها من قبل. لا يمكننا تجاهل هذا. كما تتصرف الثيتا على نحو غريب منذ بداية هذا الفصل الدراسيِّ. رغم أن هذه الألاعيب تناسب أحدًا مثل ماريا تمامًا».

قالت فيفي: «لا أعلم. يستمر تِيم بالقول إن لدى ماريا قلبًا كالذهب. لكن لا يبدو أن الشيطان قد يواجه مشقة ليتخذ هيئة صديقة رائعة».

أمالت سكارليت رأسها: «انتظري. ألم ترَكِ إحدى فتيات الثيتا، وأنت تتدربين على السحر؟».

جفلت فيفي: «إنها روز، الطالبة الجديدة».

- لذا فهي وافدة جديدة إلى الحرم الجامعيِّ أيضًا. هذا مريب.

بدت أختها الصغرى حائرة: «ومع ذلك، أجدها لطيفة. ألا يجب أن يكون الشيطان... لا أعرف. شريرًا؟».

انتبهت سكارليت إلى خطواتها عبر القبو، تجاه المرجل: «ليس بالضرورة، إذا أراد إيقاع الناس في فخه، أو شيء من هذا القبيل».

يجب أن يعرفن ما الذي يريده ذلك الشيطان. ما الذي يسعى له في الحرم الجامعيِّ. لا يمكن أن يتوقف الأمر عن حد سلب الغربان سحرهن، وإثارة بعض الشجارات بالأيدي. لا بد أن لديه هدفًا أبعد من ذلك.

ما إن تقترب خطوة من المرجل، حتى تزداد الحرارة، وكثافة الهواء.

سألت فيفي فجأةً: «هل تسمعين هذا؟».

كل ما سمعته سكارليت، في البداية، هو التنقيط المستمر للماء من مسافة بعيدة. ربما تتسرب من الأنبوب في الركن. *نقطة، نقطة، نقطة*. وفي رد فعلٍ تلقائيٍّ، جفلت ناظرة للأعلى، تخاف أن ينفجر الأنبوب ويغرقها بمياه كريهة مرة أخرى. لكنها لم تسمع قرقعة أو بقبقة مثل تلك المرة. كما لا تزال المصابيح تلقي بضوء أصفر بغيض.

- هل عليَّ الاتصال بالسباك؟

هزت فيفي رأسها: «لم أقصد هذا، بل الصوت الآخر».

اضطرت سكارليت أن تحبس أنفاسها، أن تحبس حركة جسدها بالكامل، لتركز سمعها. عندها تهادى دوي خفيف بعيد يشبه الرعد، مع ذبذبة خافتة، ذات وتيرة ثابتة، في الخلفية. إلا أنه بدا في هذه اللحظة... هل يتصاعد الصوت؟

شهقت فيفي بجانبها، وقفزت للوراء، مبتعدة عن المرجل.

- ماذا حدث؟

أشارت فيفي بيدها: «إنها الحرارة».

استطاعت سكارليت أن ترى سحابة بيضاء شاحبة بين فيفي والمرجل، كموجة ساخنة بالطريق في يوم صيفيٍّ حار. شعرت بدفء على أطراف أصابعها، ثم أخذت تزداد الحرارة تدريجيًّا، حتى وكأنها تلمس موقدًا مشتعلًا. جفلت وهي تنزع يدها بعيدًا: «يجب أن نعود».

في تلك اللحظة، اهتزت الأرض من تحت أقدامهما. صرخت فيفي وتمسكت بذراع سكارليت، التي مدت يدها بتلقائية لتستخدم سحر الكؤوس. بالطبع، لم تستجب لها أي قوى بداخلها.

تزايدت حدة القرقعة، حتى كادت تصم الآذان. بينما بعثت بوخزات مؤلمة من رأسها حتى أخمص قدميها. تصدَّعت الأرض بصوت صاخب، وانفرج شق عميق فصل بينهما. دفعت فيفي نفسها للوراء، ولم تستطع سكارليت الحراك بالقرب من الحافة. أحكم شيء ما قبضته على كاحليها، ثبتها مكانها. صرخت، تحاول التشبث بشيء.. أي شيء.

قبضت فيفي معصميها وشدتها بقوة. نظرت سكارليت للأسفل ويا ليتها ما فعلت. التفَّت نفثات بركانية غليظة حول ساقيها، تشبه كعوبها جذورًا داكنة لشجرة بباطن الأرض. تتلوى ممتدة على طول ساقيها، تكاد تعتصرها. شدت نفسها نحو فيفي، التي تصرخ صارَّة على أسنانها. دفعتا جسديهما للخلف بكل طاقتهما، حتى خلَّصت سكارليت نفسها أخيرًا، وارتمت على أختها الصغرى، لتصطدم كلتاهما بالأرض.

ما إن استقرتا تغيرت ملامح الغرفة. تغطت الأرضية بوحل سميك داكن، واخترقت السقف فروع تشبه التي حاولت تضييق الخناق حول سكارليت. أحاطت بهما أغصان ملتوية متشابكة من كل اتجاه، كأنهما في غابة خامدة لا حياة فيها. تقبع فيما وراءها سماء حالكة، حتى ظنت سكارليت أنها لو اقتربت منها، ستضيع للأبد.



أغمضت عينيها، فيما قرقعت الأرض مرة، مرتين. وعندما فتحت عينيها ثانيةً، اختفى كل شيء. أظلم القبو، ولا تزال فيفي مستلقية بجوارها على الأرض، لاهثة. جاهدت سكارليت لتنهض، ثم مدت يدها تساعد فيفي.

استدارت الفتاتان تحدقان إلى المرجل. ظهر بجانبه صدع كبير يمتد من الأرضية الأسمنتية، وتسرب منه خيط رفيع متموج من الدخان، تجاه السقف، ليتبدد في الهواء.

تبادلتا نظرة خاطفة، ثم هرعتا نحو الدرج. لم تتحدثا حتى الطابق العلويِّ، وبعد أن أحكمتا غلق الباب وراءهما. سألت فيفي بصوت مرتجف، مستندة بظهرها على الباب: «هل رأيتِ ذلك أيضًا؟ الجذور والسماء السوداء؟».

اكتفت سكارليت بالإيماء برأسها، فقد اشتد حلقها. استطردت فيفي، من بين أنفاسها المتلاحقة: «لقد رأيته من قبل في حانة الطالب العَطِش، بعد توقف الشجار. في لحظة، تغيرت الحانة بأكملها، وكأنني انتقلت إلى عالم آخر، ميت وهامد».

تجهم وجه سكارليت، وتذكرت الهمسات التي سمعتها، كنداءات من مكان بعيد: «ربما هو عالم ميت حقًّا. يقع بالجانب الآخر من الحجاب. إنه العالم الذي يريد الشيطان أن يخلقه هنا».

ابتلعت فيفي ريقها بصعوبة: «ماذا نفعل الآن؟».

شدت سكارليت قامتها. حاولت أن تسترد وجه الرئيسة الجامد. ثم نظرت في عينَي فيفي: «الآن؟ يجب أن نجد هذا الشيطان. لدينا ثلاثة أشخاص مشتبه بهم: اثنان من الثيتا وفتى غامض...».

تابعت، وقد خطرت لها فكرة: «ألا تريدين التقرب من الثيتا، يا فيفي؟».

الفصل الرابع والعشرون

فيفي

أجبرت فيفي نفسها على احتساء فنجان القهوة بهدوء، بينما تستمع إلى تِيم يخبرها عن تمرينه المبكر القاسي هذا الصباح. لم تستطع التوقف عن الارتجاف منذ مغادرتها القبو، ولم تعبأ بتناول أيٍّ من مشروبات مِمي المهدئة للأعصاب. كما أن جميع أعشاب الغربان السحرية قد ذبلت على أي حال، بعد ساعات قليلة من فقدان قواهن. ليست متأكدة ما إذا لدى الثيتا يد في فقدان الكابا للسحر، لكنها تيقنت أن الجحيم وراء كل سوء أصابهن. دعت بالفعل روز لتناول الكعك معها في المدينة، إلا أنها لن تلتقيها حتى الخامسة من هذا اليوم. لذا لا تشعر في ظل ارتباكها وتوترها، بأي قدرة على إنجاز أي شيء آخر، حتى الدراسة. فضّلت أن تراسل تِيم لترى إذا ما ناسبه أن يتناولا القهوة معًا في مقهى جريند. وصل لتوه بعدما أنهى تمرينه، تفوح منه رائحة العرق، ممتنًا لكوب اللاتيه المثلج بنكهة الفانيليا، الذي طلبته من أجله فيما تنتظره.

سقطت من النادل صينية معدنية فيما وراء حاجز استقبال الطلبات، مما أحدَث قرقعة عالية. جفلت فيفي واهتز فنجانها بين يديها. سألها تِيم، متطلعًا إليها في عبوس: «هل أنتِ بخير؟ تبدين مضطربة بشكل ما».

ردت، كابحة ضحكة مُرة: «أنا على ما يرام».

إنها بالتأكيد ليست على ما يرام، ومحاولة شرح ذلك لتِيم ستعقد الأمور أكثر مما هي عليه. لأول مرة منذ انضمامها إلى الكابا، تتساءل كيف قد تختلف حياتها، لو لم تلتحق بعالم سريٍّ من السحرة والسحر. تخيلت عالمها، حيث

تواجه مشكلات تتعلق بزميلات فوضويات في السكن، أو بفصل دراسيٍّ صعب، بدلًا من شياطين تريد الانتقام، وبوابات لعوالم أخرى.

- هل بقيتِ تدرسين لوقت متأخر أمس؟

- نعم، شيء من هذا القبيل.

تحتاج أن تغير الموضوع. وكأنما استُجيب لرغبتها، ظهر عند طاولتهما رجل أسمر ذو شعر رماديٍّ، يرتدي سترة من التويد.

قال تِيم، وقد نهض على قدميه لمصافحة الرجل: «بروفيسور مور. كيف حالك؟».

رد البروفيسور مبتسمًا: «سأكون أفضل حالًا عندما تغلبون فريق أثينا التقني نهاية هذا الأسبوع. ما مدى جودة خط الدفاع لديكم؟».

- هذا أفضل خط دفاع لدينا منذ سنوات.

- إنني سعيد لسماع ذلك. سأكون ضمن مشجعيك.

أومأ تيم برأسه: «أشكرك يا سيدي».

ما إن ابتعد البروفيسور، هزت فيفي رأسها في غير تصديق: «هذا هو ثالث شخص يأتيك منذ حضرتَ إلى هنا. ألا يرهقك أن تكون متاحًا للجميع طوال الوقت؟ كما لو أنك من المشاهير».

- أحيانًا، على ما أعتقد. لكن بعدها أفكر أنني قد لا يتذكرني أحد بعد تخرجي، أجد أنه لمن السخف أن أشتكي الآن.

- هل لديك خطط للاحتراف؟

هز كتفيه: «لقد مر وقت طويل، منذ أن استطاع لاعب بويسترلي أن يلتحق باتحاد كرة القدم الأميركية. ألعب بمهارة، لكن ليس لدرجة حيازة موهبة لا تتكرر إلا مرة في الجيل. وصدقًا، لا أحب هذه اللعبة كثيرًا. تعلمين، أعتقد أنه ربما حان الوقت لتجربة أمر جديد. في الواقع...».

توقف ليرتشف جرعة كبيرة من مشروبه المثلج، ثم استطرد: «أشعر بالغيرة منكِ قليلًا. فرغم أنكِ طالبة جديدة، لديكِ الكثير من الوقت لتجربة واكتشاف ما تريدينه حقًّا».

- أظن ذلك.

إنه محق من الناحية النظرية. لكن حتى هذه اللحظة، لا تترك لها مواجهة سحرة يمارسون سحرًا مظلمًا، ولا تعقب شياطين ترغب في الانتقام، أيَّ وقتٍ لتجربة أي شيء، عدا تجنب الهلاك. ومع ذلك، تظل فكرة لطيفة، إذا ما تخيلت أنها تعيش حياة جامعية عادية في ويسترلي.

قال تِيم في تصميم: «إنني جاد. يمكنكِ الالتحاق بأغرب الصفوف الدراسية التي قد تجدين».

- التحقت بالفعل بصف للتاريخ، حيث ندرس الإله والشيطان في أمريكا الإمبريالية. وصلنا حتى الآن إلى دراسة عدد من محاولات الإجلاء في القرن السابع عشر. إنها دراسة مثيرة للاهتمام حقًّا...

قاطعها تِيم ناظرًا إلى هاتفه: «آسف. لقد تأخر الوقت. قلتِ لي متى ستقابلين روز؟».

أجابته بعد برهة من الصمت: «في الخامسة. أعتقد أنني يجب أن أذهب. هل تعتقد أن الأمر غريب؟ أن أتسكع مع فتاة من الثيتا؟».

ابتسم: «لا على الإطلاق! إنني سعيد بتعرفكِ على بعضهن، ومتحمس جدًا لقضائكِ بعض الوقت مع ماريا. أعتقد أنكِ ستتفاجئين بمدى توافقكما».



عند انسدال الغسق، وصلت فيفي إلى متجر بيع المخبوزات. انعكس ضوء متوهج على الواجهة الزجاجية، مما أكسب المتجر جوًّا دافئًا مريحًا. رأت روز جالسة على طاولة بالداخل، تطبع كتابة ما على هاتفها، بينما تهز إحدى قدميها من فرط العصبية أو ربما الإثارة.

جرى أمر دعوة روز لتناول القهوة على نحوٍ مدهش. كل ما فعلته، هي وسكارليت، هو افتعال مشاجرة صاخبة بينهما في مطعم الجامعة. ثم غادرت فيفي مباشرةً، بعد أن ألقت نظرة محدقة تجاه طاولة الثيتا. أسرعت ماريا بلكز روز، فقفزت الأخيرة من فورها تتبع فيفي وتسألها عما إذا كان كل شيء

على ما يرام. هزت فيفي رأسها بضجر سائلة روز عما إذا يمكن أن تقابلها في وقت لاحق، قائلة: «أريد أن أستشيركِ بشأن أمر ما».

طلبتا الكعك، وأجرتا محادثة قصيرة في أثناء انتظار النادل لإحضار طلبهما. على عكس ما توقعت، وجدت فيفي أنه يسهل التحدث إلى روز، حيث ناقشتا تخصصات كلٍّ منهما والصفوف الدراسية التي تفضلانها مثل تاريخ الفن، والتي تبغضانها كعلم الإحصاء. لكن لم يغِب عن بالها سبب مجيئها إلى هنا، وبما أنه لم يسبق لها التمثيل الجيد، فقد حان الوقت لتقديم أفضل أداء تمثيليٍّ في حياتها.

تنهدت فيفي قائلة، بعدما أدارت الحوار حول سكارليت: «هذا ليس عدلًا. تضع سكارليت الكثير من الضغوط عليَّ. ما زلت طالبة جديدة بعد، ولدي العديد من الأمور التي أريد الاهتمام بها في حياتي، أتفهمينني؟».

أومأت روز برأسها في تعاطف، بينما تتناول شايًا لطيفًا، ذا نكهات حلوة الرائحة: «إذن، ماذا يضايقكِ أيضًا؟».

شعرت بقليل من الذنب، أنها تستغل روز بهذه الطريقة. لكن لو أنها من سلبت الكابا سحرهن، لم تكن لتشعر بالسوء حيال خداعها قليلًا من أجل استعادة ما فقدته. قالت مترددة من مقدار ما قد تكشفه من الحقيقة: «حسنًا... انفصلتُ عن صديقي».

مدت روز يدها عبر الطاولة لتضغط على يد فيفي: «يا إلهي، هذا مؤسف».

يمكن للطف، الذي سمعته بصوتها، أن يخترق خطوطها الدفاعية بسهولة. لقد ذكرت الانفصال كحجة للتقرب منها، كأسلوب لخلق ترابط معها. لكن جرحها لم يخمد بعد، ما زال حديثًا بالنسبة إليها، لتستغله على هذا النحو. لم تحتج أكثر من لمسة يد، لتطلق سراح وخزة ألم جديدة.

طرفت بعينيها عدة مرات حتى تستعيد رباطة جأشها، إنه ليس الوقت المناسب للانهيار. قالت، وهي تجاهد كي لا تنحشر الكلمات بحقها: «على أي حال، أتمنى فقط أن تفهمني سكارليت وتقدر شعوري».

سألتها روز: «أليس لديكِ من تتحدثين إليها في الكابا؟».

هزت فيفي رأسها: «لا يمكنني الوثوق بإحداهن لأحادِثَها».

تشعرها تلك الكذبة أنها تخون أخواتها الرائعات، اللاتي لن تتخلى إحداهن عنها، عند حاجتها للمساعدة. لكن لدى الكابا مشكلات أكبر منها بكثير للتعامل معها في الوقت الحاليِّ. دعت سكارليت الجميع بالكابا لحضور اجتماع هذه الليلة، لتُطلِع بقية الفتيات بإيجاز عن الشيطان الذي هرب من بوابة الجحيم.

خلاف كل ذلك، لا تزال فيفي حائرة بشأن كتاب السحر. لقد بدأت منذ وقت قريب في فهم كيفية إلقاء التعاويذ. حيث يحتوي الكتاب على قوى سحرية كبيرة، قد تغير عالم السحر الذي تعرفه. كما أمدها بما يكفي لتفعل تعاويذ قوية، دون الاحتياج لأي مساعدة من إحدى أخواتها. بتلك القوة بقبضتها، عاودها الشعور بالأمان. رغم أن سكارليت منعتها من استخدام الكتاب، فإنها لم تَكُف عن التساؤل، ماذا لو أنها وجدت فيه الحل لاسترجاع سحرهن.

عبس وجه روز للحظة، ثم أشرق من جديد: «إنني آسفة لما تمرين به. لدي فكرة قد تسعدكِ، إذا كنتِ مهتمة؟».

أمالت فيفي رأسها متحيرة: «ما هي؟».

انحنت روز للأمام، مستندةً على مرفقيها، بحماس مُعدٍ، رغم مزاج فيفي العكر: «حسنًا. استغرقت الثيتا أسابيع للتخطيط لحفلها المختلط مع أخوية الدلتا. ستكون الحفلة الأفضل خلال هذا العام. ما رأيكِ أن تحضري؟ إذا سمحت لكِ الكابا، بالطبع، أن تذهبي لحفل تستضيفه أخوية أخرى».

ترددت فيفي. رغم أن سكارليت تريدها أن تقترب من الثيتا وتكشف أسرارها، فإنها نبهتها مرارًا وتكرارًا، أن تحافظ على حذرها، فهي لم تعد تتمتع بأي سحر. إنها تشعر بالفعل بالفراغ وقلة الحيلة، وسهولة تعرضها للخطر دونه. حتى لو وجدت ذلك الشيطان، لن تنفع أي خطة لهزيمته دون سحرهن. انقبض قلبها، وداهمها ضغط تألفه بقفصها الصدريِّ، يعيدها لذكرى تيفاني، الغابة، السكين. إن حفل الثيتا هذا، ربما هو فرصتها المثالية لتعرف ما يخططن له، وربما هو أكثر خطورة مما تعتقد.

كأنما استشعرت روز بترددها، لوَّحت بيدها: «لا داعي للقلق، إذا لن تقدري. لم يصح أن أعرض عليكِ الحضور. فلديكن في الكابا الكثير من القواعد، التي لا أعرف كيف تتعاملين معها. اعتقد الجميع أن أخويتنا هي الأكثر تعقيدًا».

ضحكت ضحكة جوفاء قليلًا هذه المرة، فيما رسمت فيفي على وجهها ابتسامة واسعة. كلما احتفظت بابتسامتها لفترة أطول، ستصبح قابلة للتصديق: «أتمزحين؟ أود الحضور حقًّا. ربما هذا بالضبط ما أحتاجه: راحة من الحياة الواقعية».

وفرصة لمعرفة ما إذا كنتِ أو إحدى أخواتكِ من نظن.

على خلاف فيفي، أشرق وجه روز بابتسامة واسعة براقة، في مزيج من الاستمتاع والاندهاش في آنٍ واحد: «أوه رائع! سيكون حدثًا عظيمًا».

على الرغم منها، تأمل أن تثبت براءة روز من الظن بها سوءًا. إنها تبدو كفتاة يمكن مصادقتها حقًّا في سياق آخر، وليس شخصًا اتحد مع شيطان من الماضي، يسعى لإحداث الفوضى وسلب سحر الكابا. كما لو أنها متورطة بالأمر، فقد تحاول التأثير في فيفي بالسحر، لتجعلها تعجب بها، وتوليها ثقتها.

لفت انتباهها جسم مألوف عند مدخل المتجر، جعل قلبها يرتجف ويخفق بعنف. دخل مايسون المتجر باحثًا عن مقعد فارغ. تتدلى حقيبة دفاتره الجلدية على كتفه، حيث تظهر أطراف مبعثرة من الأوراق عند الحواف. فيما عدا هذه الحقيبة، لم تعهده على هذه الهيئة من قبل. نمت شعيرات صغيرة داكنة على ذقنه، في حين اعتادته حليقًا. كما ظهرت ظلال خفيفة تحت عينيه. وحركته ووقفته تغيرتا تمامًا. لم يكن هو نفسه مايسون بخطواته النشطة الواثقة، مهما حدث، ومهما ازداد حمل الكتب على كتفيه، اللتين تراهما مرتخيتين الآن، بينما يقترب بضع خطوات ليلقي نظرة فاحصة على المقاعد المتاحة. بدت حركته بطيئة ومجهدة، من ثقل الأعباء الملقاة على كاهله، ولا يراها أحد.

تجمدت مكانها، ممزقةً بين رغبتها في الانزلاق بمقعدها والاختباء منه، وبين النهوض والارتماء عليه لتضمه بين ذراعيها. ثم التقت نظراتهما، تصلب جسده، وتجعدت تعبيرات وجه في ألم. يصوب تجاهها سهامًا من الخزي والذنب. كم تكره رؤيته يتألم، لكن ليس في يديها ما تفعله لتجعله يرتاح من عذاباته، خاصة أن الذنب يقع عليها.

سألتها روز متطلعة بها بفضول: «هل أنتِ بخير؟ كأنكِ اختفيتِ لثانية».

ردت بنبرة مرحة بشكل مبالغ فيه، تحاول تركيز انتباهها على روز: «أنا بخير! إذن، متى موعد الحفل؟».

ابتسمت روز: «مساء الغد، في التاسعة مساءً. لكن الجميع يتأخر في العادة لنصف ساعة على الأقل، لذا ليس عليكِ الحضور في الموعد».

ممتاز! تود فيفي لو تلقي عليها تعويذة الآن، وتعرف ماذا يدور برأسها.

يا إلهي، كم أفتقد السحر.

كما لو أنها تكاد تختنق لفقدان أحد أقربائها.

إذا تطلَّب الأمر الذهاب لحفل الثيتا، لتقترب خطوة في سبيل استعادة سحرها، فثمة إجابة واحدة محتملة.

قالت، ومعدتها تتلوى من الإحساس بالذنب والألم، في حين ترى روز تتمايل في ابتهاج على مقعدها: «عظيم. هل هناك قواعد للباس؟».

لوَّحت روز بيدها: «لا توجد قواعد للباس. أنتِ تحاولين ألا تتصرفي مثل الكابا بعد اليوم. هذا ما تريدينه، أليس كذلك؟ حياة مختلفة؟».

في تلك اللحظة، تكاد تقسم إنها شمَّت رائحة السحر، تطوف بينهما، نفحة عطر تعرفها. فكرة أنها في مرمى السحر، جعلت أنفاسها تتسارع، وكل عصب بجسدها يشتعل. لا بد أن روز متورطة في الأمر. إنها أكيدة من ذلك. مهما تطلَّب الأمر، ستكتشف الحقيقة. ابتسمت، متجاهلةً الألم الذي اعتراها عندما تذكرت أخواتها: «يبدو مثاليًّا. هذه هي الحياة المختلفة التي أريدها بالضبط».

انشغلت روز بالنظر إلى هاتفها أسفل الطاولة، فانتهزت لحظة تشتتها لتنظر إلى مايسون ثانيةً. لكنه قد ذهب بالفعل.



الفصل الخامس والعشرون

سكارليت

دلفت سكارليت إلى غرفة المعيشة في الكابا هاوس. توقعت أن تجد أخواتها في حالة يُرثى لها، حدادًا على خسارتهن. لكنها تفاجأت بجاكسون يقف بانتظارها. مررت يدها خلال شعرها في حيرة. تعتقد أن هناك خطبًا ما، لكن ليس لديها ما تفعله. لم تعد تهتم. ها هو أمام ناظريها الآن.

سألت: «ما الذي تفعله هنا؟».

لم يتفوه بكلمة. جذبها إليه، وضغط شفتيه على شفتيها. تركت نفسها تذوب مع قُبلته. لقد عاد جاكسون لها من جديد، وانكسرت لعنته.

هنالك شيء خاطئ. لم تعتد شفتاه جافتين باردتين. دفعت نفسها للخلف، فيما ضحك بخفوت بجانب فمه. بدأ وجهه بالتلاشي. بدلًا من بشرته البُنية الجميلة، رأت جمجمة تجري بها الدماء. ثم بدأت بشرته في النماء مجددًا. لكنها شاحبة. إنها ليست ملامحه إنه... زافيير.

- أردتُ أن أرى بنفسي... كيف أصبحتِ فتاة عادية عاجزة. لستِ مميزة دون سحرك. أنتِ لا شيء دونه.

فاتحًا فمه، أخذ وجهه يتحول إلى جلد منسلخ، أعصاب، عظام...

صرخت سكارليت مستفيقة. أخذ صدرها يعلو ويهبط بشدة في أنفاس مضطربة. جاهدت لتنهض جالسة على شراشف مبللة، مسحت عرقها. جالت ببصرها، لا تزال بغرفتها.

هذا مجرد كابوس.

رفرفت الستائر مع النسيم الخافت، حيث تركت باب شرفتها نصف مفتوح لرطوبة الهواء بالمساء. اعتقدت أن القيلولة قد تُشعِرها بتحسن، لكن العكس تمامًا هو ما حدث.

تذكرت ذلك الشيء الذي قبض عليها في القبو، والصدع الذي أصاب الأرضية، التي اهتزت تحت قدميها، كما لو أن العالم كله يتفكك وينهار. ظنت دائمًا أنها تفهم العالم، وعلاقتها به كونها ساحرة. تربَّت على السحر، وصدَّقت بوجوده، وبأنها واحدة من القِلة المختارة لامتلاكه وممارسته.

لكن شياطين، وبوابات لعوالم أخرى، إن كل ذلك يتجاوز حدود قدراتها، حتى في وجود السحر. لم يعد يهمها شيء، بعد أن فهمت أنها مجرد اختيار عشوائيٍّ من بين حشد من الناس. وهي الآن، بلا سحر، بلا حماية، بلا قوة، بلا شيء.

حدقت إلى يديها العاديتين. تقشَّرت أجزاء من طلاء أظافرها، وامتد خدش رفيع بطول إبهامها. انتزعت زوائد وهمية بأظافرها، تاركةً قروحًا صغيرة حمراء مؤلمة، إنها عادة سيئة تجنبتها لفترة طويلة، لا بد أنها عاودتها في أثناء نومها. ليس لديها سحر، لتُخفي الآثار.

حتى المنزل يمتلىء بفتيات عاديات مثلها، لكن لا يفصلهن الكثير عن هاوية الجحيم. كونها رئيسة لهن، كيف تحميهن وتُخرِجهن من هذه الورطة؟

تفاقم التقلق المزعج، الذي لازمها طوال أسبوع بجوف معدتها، حتى وصل إلى حلقها، وتذوقت مرارته.

لستُ قادرة على الاحتمال.

لا تعرف كيف تصلح ما فعلته، كيف تتعقب هذا الشيطان، وتهزمه. لكنها تعرف شيئًا واحدًا، أنها تدين لأخواتها بالحقيقة. طبعت على جروب الرسائل الذي يشمل كل فتيات الكابا: «*تنذكرة باجتماع الكابا الموسع بالغرفة العامة خلال 15 دقيقة من الآن*».

ثم نهضت من سريرها للاستعداد، الذي يستغرق جهدًا هذه الأيام عن ذي قبل. تتحرق شوقًا ولو لقدر ضئيل من قدراتها السابقة، لتعويذة صغيرة

تخفي بها الانتفاخات تحت عينيها. بدلًا من ذلك، لجأت إلى طرقها القديمة لإخفاء آثار كوابيسها. وضعت طبقة كثيفة من مستحضر إخفاء عيوب البشرة.

عندما وصلت إلى الطابق السفليِّ، وجدت جميع الفتيات بانتظارها بالفعل. ساد الصمت بمجرد أن خطت إلى داخل الغرفة العامة. تقدمت نحو مكان شاغر على الأريكة إلى جانب مِي. في مقابلها، تشاركت ريجان وسونالي مقعدًا وثيرًا، فيما جلست أريانا على الأرض إلى جوارهما. اتكأت إيتا على إطار الباب حاملةً كوبًا يتصاعد منه البخار، وتمددت جولييت وجيس على البساط، بينما انهمكت هازيل في تضفير شعر بايلي الجالسة بجوارها. حضر جميعهن ما عدا فيفي، لا بد أنها لا تزال مع روز.

جالت ببصرها في أرجاء الغرفة قائلة: «أشكركن جميعًا على الحضور».

تراوحت تعبيرات أخواتها من الإنهاك، وبخاصة ريجان، إلى الغضب. فيما تفاجأت بهازيل ترمقها بشراسة.

نظرت بعيدًا.

لديهن حق فيما يشعرن به تجاهي. لقد خذلتهن.

لن يطول انزعاجهن، بمجرد أن تعرف كيفية الخروج من هذا المأزق.

تابعت: «لقد دعوتكن هنا، لأنني وفيفي علمنا شيئًا مزعجًا.. إلى حد كبير. ومن حققكن أن تعلمنه أيضًا».

مدت مِي يدها إليها، فضغطت سكارليت على يدها ممتنة: «أولًا.. أفترض أن منكن من سمعت من قبل عن بوابة الجحيم؟».

تبادلت الفتيات نظرات مضطربة.

قاطعتها ريجان: «اعتقدتُ أنها شائعة».

ردت سكارليت في وهن: «وأنا كذلك. حتى وجدتها مع فيفي في القبو».

اعتدلت جيس: «انتظري. لو أن ما تقولينه حقيقيٌّ، لأخبرتني أمي قبل أن تتركني هنا».

غمغمت سونالي فيما تحدق إلى الأرضية، كأنما ترى البوابة من خلالها: «وأمي كذلك».

تنهدت سكارليت: «لستِ وحدك. لا أعرف إذا ما تعلم كل الخريجات عن بوابة الجحيم، يبدو أن المؤسِّسات فقط علمن عنها. على الأقل، عند إنشاء هذا المنزل. لكن مهما كان سبب ذلك، آثرن الاحتفاظ بتلك المعرفة لأنفسهن».

سألت ريجان بنبرة ساخرة: «لذا فقد تعثرتِ صدفةً بأمر مخفيٍّ منذ عقود يرجع لتأسيس هذه الأخوية؟».

قاومت رغبة مُلِحة في الانهيار أو الانفجار. أخذت نفسًا عميقًا، قائلة: «لم أقل ذلك. هناك المزيد: إن البوابة تتهاوى، كما حاول شخص بالحرم الجامعيِّ فتحها».

سألت جيس: «من قد يفعل ذلك؟ لو عرفت ساحرة خبيثة طريقة فتح البوابة، ستسعى لتدمير الحرم الجامعيِّ كله».

أضافت جولييت: «بل وربما المدينة بأكملها».

استطردت سكارليت، وهي تحك جانب أظافرها بعصبية: «يقودني ذلك للكشف عن أمر إضافيٍّ. في الفصل الدراسيِّ الماضي، عندما دمرنا طلسم هينوسيس، أطلقنا.. سراح شيطان».

شهقت فتاتان من الطالبات الأقدم. بينما لمحت سكارليت أن جولييت طوَّقت ذراعيها حول جيس لحمايتها. أومأت الفتيات الأخريات، كما لو أن ما قالته قد فسَّر ما حدث لهن.

تمتمت مِي: «لاحظتُ العديد من الأمور الغريبة في الحرم الجامعيِّ مؤخرًا. رأينا مجموعة من أفضل الطلاب يتقاتلون...».

بهت وجه إيتا: «وتلك النار أيضًا، التي اشتعلت بشجيرات الهجويد الخاصة بي. إذا أراد هذا الشيطان المرور من باحة المنزل، فسيحتاج أولًا، إلى تدمير جميع أنظمة الكابا هاوس الدفاعية».

أومأت سكارليت: «وبالطبع خطوته المدهشة الاستباقية هي سلب الغربان سحرهن».

شدت ريجان قامتها: «ما هي خطتكِ إذن؟ كيف سنوقِفه؟».

ترددت، فهذا هو الجزء الذي تكره الاعتراف به. لكن الرؤساء الجديرين يضعون رعاياهم نصب أعينهم، متجاهلين كبرياءهم، أليس كذلك؟

- أنا... ليس لدي خطة بعد.

هزت ريجان رأسها: «بالطبع، ليس لديك».

سألتها بايلي: «هل تعرفين من هو؟».

ردت سكارليت، مُفصحة بما تعرفه: «لدينا بعض المشتبه بهم. لكن لا نعرف كيف نستعيد قوتنا أو كيف نهزمه إذا عرفنا من هو. كل البحث الذي أجريناه جميعًا لنعرف طريقة لاستعادة السحر المفقود...».

قاطعتها ريجان: «لن تُجدي قراءة مجموعة من كتب التاريخ نفعًا. نحتاج أن نفعل شيئًا».

بسطت سكارليت يديها قائلة: «إذا كانت لديكِ أي اقتراحات، فكُلي آذان مصغية».

انحنت سونالي للأمام، وقد جسدت هالتها السوداء صورة مثالية لفتاة على وشك الانهيار: «ليس لديكِ أي أفكار؟».

قالت جولييت: «ربما ينفع طقس إضافيٌّ لحماية المنزل».

تمتمت هازيل: «وهل لدينا سحر؟».

رفعت بايلي يدها، كما لو تجلس في صف دراسيٍّ ما. أومأت لها سكارليت بالتحدث: «إذن... هل يمكننا طلب المساعدة من الخريجات الآن؟».

تردد بذهنها صدى كلمات مارجوري مرة أخرى: «لقد تحدثتُ إلى أمي. ولم يسرِ الأمر على نحو جيد. أخبرتني مارجوري أن علينا حل المشكلة بأنفسنا».

شدت ريجان قامتها ثانيةً: «انتظري. أيعني هذا أنكِ تأمريننا جميعًا بالتزام الصمت، وألا نتحدث إلى أمهاتنا، وعندها تفعلين أيًّا ما تريدين؟ هذا نموذجي».

- أنا لم آمركن بشيءٍ قط...

نهضت ريجان على قدميها بعنف، مستندةً على كتف سونالي: «هذا يكفي. طفح الكيل. لقد انضممتُ إلى الكابا لأتعلم منكن جميعًا، لأصبح ساحرة أقوى وأفضل. لكن إذا كنا سنعرِّض أنفسنا للخطر والموت، سأرحل».

حدقت إليها سكارليت: «لا يمكن أن تكوني جادة فيما تقولين».

عقد ريجان ذراعيها: «إذا فشلت هذه الأخوية في إمدادنا بما نحتاجه، ما زالت هناك خيارات أخرى في الحرم الجامعيِّ».

ضحكت سكارليت: «أتعتقدين أن الأخويات الأخرى يمكنها مساعدتك؟ الكابا هي الرابطة الوحيدة بويسترلي التي...».

ردت ريجان في هجوم: «كنا رابطة ساحرات. أما الآن لا أعرف من نحن. أشكركِ للتذكرة».

أحدثت كلماتها ألمًا عميقًا. ربما.لأنها الكلمات نفسها التيِ طاردتها طوال الأيام السابقة. نهضت ضاغطةً على قبضتيها تكورهما بعنف: «إذا كانت طريقتي في إدارة الأمور لا تعجبكِ، يا ريجان، حسنًا، تعرفين أين يوجد الباب. طوال هذا الفصل الدراسيِّ، لم تفعلي شيئًا سوى التذمر والاعتراض عليَّ...».

اندفعت إيتا تقاطعها: «لم تكن لتفعل ذلك، ما دام لديكِ خطة».

أطاح ذلك بكل الغضب الذي اجتاح سكارليت. تراخت كتفاها. لا تحتمل اعتراض إيتا أيضًا. فهي بعامها الأخير هنا، ولطالما اعتبرتها بمنزلة أخت كبرى لها بعد داليا، متطلعة إليها دائمًا، في إعجاب. لم تتضايق إيتا منها لأنها أصبحت رئيسة الكابا، رغم أنها الأقدم والأمهر في استخدام السحر، حتى إنها فاقت داليا نفسها. لكن منصب الرئيسة كان مُعدًّا لداليا، وتولَّت سكارليت من بعدها. ومن ثم، أرادت أن تصحح الأمر، لو لم تشعر أنها ستضيع على نفسها فرصة كبيرة، إن تركت مكانها لإيتا.

رفعت إيتا ذقنها: «آسفة. لكن ريجان على حق. لقد تغيرت الأمور. في وجود سحرنا، أمكننا الدفاع عن أنفسنا، لكن دونه كيف نفعل ذلك؟ (هزت رأسها مستطردة) نحتاج لاسترجاع قوتنا. ولستُ متأكدة أنكِ من تستطيعين فعل ذلك».

لا تذهبي.

أرادت أن تقول ذلك، لو لم تتقلص الكلمات بحلقها. كأنما سُحِرت رئتاها حاجزتين الهواء بداخلهما، فتحجَّر حلقها.

أومأت ريجان إلى إيتا، ثم نظرت إلى سونالي: «هل من أحد آخر؟».

غالبًا، ما تبعت سونالي صديقتها في كل الأمور، لذا شعرت سكارليت بالراحة، عندما هزت رأسها. لكنها راحة قصيرة الأجل. شاهدت برعب متزايد كلًّا من بايلي وهازيل تنضمان إلى ريجان، وتتبعانها حتى الردهة. على حد علمها، لم يحدث أمر كهذا في الكابا من قبل. لم ترحل الغربان عن منزلها قط. لطالما تاقت الساحرات للانضمام إلى الكابا هاوس، وليس للخروج منه.

قالت إيتا، آخر من ودعتها من الفتيات المغادرات: «حظًّا سعيدًا. أعتقد أنكِ في أمس الحاجة إليه».

ثم ذهبت.

حدقت سكارليت إلى ظهورهن حتى أوصدن الباب الأماميَّ خلفهن. حينها التفتت تتأمل وجوه الفتيات الباقيات. ثم عادت لمجلسها بوهن، واضعةً رأسها بين يديها، قائلةً بصوت مكتوم: «إذا أرادت إحداكن المغادرة، فلن ألومها».

ربتت مِي على ظهرها: «مستحيل. سأبقى».

تبادلت جيس وجولييت نظرات جانبية، فقالت جيس: «ونحن أيضًا».

أضافت بنبرة حازمة، ناظرة لصديقتها: «لكن لديهن وجهة نظر. هل... هل أنتِ متأكدة من قدرتكِ على إصلاح هذا حقًّا؟».

جالت ببصرها في الغرفة. رحلت نصف أخواتها في غضون دقائق. إنه كابوس آخر، لن تستطيع الاستيقاظ منه هذه المرة. جفت شفتاها، ومنعتهما بكلتا يديها من الارتعاش.

أنتِ سكارليت وينتر. تصرفي وفقًا لذلك.

رفعت رأسها، شدت قامتها. قالت بأغلظ نبرة لديها، ما أمكنها: «ينبغي لنا إصلاحه، سواء عرفنا الطريقة، أم لم نعرفها بعد. ويسترلي كلها معرضة للخطر. إذا لم نتصدَ له بأنفسنا، لن يفعل أحد».



الفصل السادس والعشرون

فيفي

تثاقلت خطوات فيفي صاعدةً الدرج الأماميَّ للكابا هاوس. لا يشغل تفكيرها غير احتياجها الشديد لقيلولة طويلة في سريرها، بعد الرحلة المزعجة إلى مزرعة الصفصافة المنعزلة، والاستكشاف المرعب بالقبو، والأداء التمثيلي المضني في متجر المخبوزات. لا تتذكر أنها أُرهقت بهذا الشكل من قبل. انتظرت عند الباب كعادتها، حتى يشعر بحضورها، ويُفتح من تلقاء نفسه، لكن بالطبع، لم يتزحزح من مكانه. لقد فقد المنزل سحره، كما جفَّ بالكامل من عروق الغربان. بحثت عن مفاتيحها متنهدة، وفتحته بيد مرتعشة لم تعتد فتح أقفال الأبواب.

ما إن خطت إلى الداخل، حتى لاحظت أن أمرًا خطيرًا يحدث. كأنها دخلت إلى قبر. لم يغطِ الغبار النباتات فقط، بل كل سطح بالمنزل، مُضفيًا على أرجائه مزاجًا حزينًا كئيبًا. اختلست النظر إلى غرفة المعيشة، حيث تقضي بعض الفتيات معظم وقتهن، مسترخيات على الأرائك، للدراسة أو الدردشة، أو للتدرب على السحر. لكن هذه المساء، لم تلمح حياة بالغرفة.

دلفت إلى المطبخ، ووجدت مِي جالسة حيث تركتها هذا الصباح، باختلاف ملابسها. سألت فيفي: «ماذا يحدث؟ أين الجميع؟».

قالت مِي بنبرة غامضة: «لستُ متأكدة أنني أعرف من أين أبدأ».

دخلت سونالي لتوها، وهي تفرك عينيها قائلة: «سأبدأ أنا. من الواضح أن سكارليت ليس لديها خطة حول كيفية التعامل مع هذا الشيطان، وعند محاولة جعلها تعترف بذلك، هاجت مدافعة عن موقفها. لذلك غادرت بعض الفتيات».

سألت فيفي: «ماذا تقصدين بـ «غادرت»؟».

- أعلنت ريجان عن سأمها من الاستجابة لأوامر ساحرة فاشلة، وقالت إنها اكتفت. ثم غادرت، وذهبت معها بايلي وهازيل وإيتا.

- أتعني أن نذهب معًا إلى مكان ما؟

هزت مِي رأسها: «لا، بل لا تريد إحداهن أن تكون جزءًا من الكابا بعد الآن».

نقلت بصرها بين مِي وسونالي غير مصدقة: «ماذا؟ هذا أمر لا يُعقل على الإطلاق. إذا استأن من خسارة قواهن، لمَ يغادرن الكابا؟ كأنهن واثقات من عدم عودة السحر للأبد».

هزت مِي كتفيها وهي تقلب الشاي بفتور: «أعرف أنه رد فعل طائش، لكنهن خائفات ومحبطات مثل الباقيات منا».

ثار غضبها وتضرجت وجنتاها. هؤلاء الفتيات ليست لديهن فكرة عما تفعله سكارليت من أجلهن. تكاد تحرك السماء والأرض حرفيًّا لاستعادة سحرهن. كيف تتخلى ريجان والفتيات الأخريات عنها بهذه السرعة؟ خيانتهن لها بهذا الشكل صادم للغاية.

- بالكاد مرَّ يوم واحد علينا. كيف يمكنهن ترك الكابا هكذا؟ هذا أمر غير منطقيٍّ. كيف سيساعدنا ذلك في استعادة السحر؟ أم لعلهن سيتخلين أيضًا عن هويتهن، كونهن ساحرات؟

هزت سونالي كتفيها في استهجان: «ربما يشكلن رابطة خاصة بهن. لا أقول إنني أتفق معهن بالطبع، لكن عليكِ الاعتراف أن سكارليت لا تستطيع إلهامنا الثقة بأنفسنا في الوقت الحاليِّ. تدَّعي فقط أنها قادرة على التعامل مع الأمر، بينما تأبى أن تخبرنا بأي شيء. لذلك فهي إما تكذب وإما لا تثق بنا. وفي هذه الحالة، لا يمكن عدُّها رئيسة، بل متسلطة».

قالت فيفي وهي تحك صدغيها: «أعرف كيف يمكن أن يبدو الوضع. إلا أن هذا لا ينفي أننا نحتاج للاستمرار فيما كنا نفعله، والبحث في كتب السحر يمكن أن يساعدنا. هناك الكثير من المعرفة في هذا المنزل، في مكتبتنا. بالتأكيد، سنجد الإجابة في مكان ما هنا».

تفحصت سونالي وجه فيفي لبرهة طويلة: «إذن، انضمي إلينا في المكتبة. نبحث عن أي ذِكر لحالات مماثلة من فقدان السحر».

قالت فيفي: «سألتحق بكن بعد قليل. أحتاج الاستحمام أولًا».

هرولت خارجةً من المطبخ، وصعدت الدرج بحيوية، تدفعها قوة تفوق ضغط إرهاقها العنيف. شعرت بحكة بأصابعها طوال اليوم، زادت من تحرُّقها لمطالعة كتاب السحر. لا تعتقد أن الكتاب يحتوي الإجابة التي يبحثن عنها فقط، بل كل الإجابات لأيٍّ مما يتعلق بالسحر تقريبًا.

فتحت باب غرفتها، أشعلت الضوء، فصدمها ما رأت. لم تترك غرفتها إلا هذا الصباح، لكنها بدت كأنما هجرتها لسنوات. غطت أنسجة العنكبوت النافذة، حاجبةً ضياء المساء الباهت، وكسا الغبار سطح مكتبها وخزانة الملابس. تقدمت بدقات قلب مضطربة تجاه المزهرية، وقد ذبلت الورود التي اقتطفتها من الحديقة بالأمس. ما إن مررت أصابعها على البتلات البالية، تحولت إلى تراب بين يديها. لقد اختفى كل سحر الكابا هاوس، الذي حافظ لعقود على بهائه ونظافته، بمجرد اختفاء سحر الغربان. إنهن هالكات.

تجولت عبر غرفتها في ذهول، تتحسر على ملجئها الآمن، غرفة النوم الوحيدة بحياتها، التي شعرت فيها للمرة الأولى أنها بموطنها. التقطت فرشاة شعرها، ثم صاحت وطرحتها جانبًا، عندما رأت شيئًا يزحف بين شعيراتها. بدت وكأنها تتجول بقبرها وليس بغرفة نومها، لدرجة أنها لن تنصدم إذا وجدت أشلاء جافة منها على مقعدها الوثير.

نفضت الغبار عن سطح بطاقات التارو التي تركتها على الخزانة. لم تعد سوى أوراق لعب عادية الآن. عند انضمامها إلى الكابا، فتنتها تلك البطاقات الغامضة، التي تتحول لمفاتيح للسحر بين أصابعها. لكنها باتت تعلم بعد ذلك أنه يوجد سحر أكثر فعالية. تعلمت أن هناك تعاويذ لا تتطلب كلمات

ولا بطاقات، ولا حتى أعشابًا لتفعيلها. تحتاج فقط إرادة حرة قوية، وبعض الدماء.

شعرت بوخز على أطراف أصابعها. كادت تقسم إنها تشم الرائحة نفسها مرة أخرى، مثلما حدث عند لقائها بروز. رفعت لحافها بسرعة، فتطايرت سحابة مغبرة على وجهها. امتدت يدها نحو كتاب السحر، فتحته بلهفة، واختارت صفحة عشوائية. لا تهمها تعويذة بعينها؛ تريد معرفة ما إذا ما زال سحرها يعمل.

حينها تذكرت مقدمة الكتاب التي قرأتها سابقًا، والصمت الهانئ الذي أذْهَبَ كل الأصوات المضطربة الهائجة بعقلها، فيما بقي صوت واحد يرن برأسها كجرس كنيسة في ليلة ثلجية هادئة. غمرها إحساس مفاجئ بالسكينة، وقلبت الصفحات بهدوء حتى عثرت على الصفحة التي تعرض شرحًا بخط اليد: «*في كثير من الأحيان، نُضيِّع على أنفسنا وقتًا ثمينًا وطاقة مهدرة في البحث عن إجابات تكمن بالأصل بداخلنا. لا توجد حقيقة أعظم من السحر الذي يتوق للتدفق بين يدَي ساحرة قوية. لكن أولًا، يجب علينا التخلص من كل معوقات المعرفة. يجب أن نقف أمام الخوف، ونزيل الشك، ونترفع عن العجرفة، التي تحجب الحكمة الحقيقية. السحر حولنا في كل مكان، لكن عليك أن تكون مستعدًا للسماح له بالعبور من خلالك*».

السحر حولنا في كل مكان.

هذا يعني أنه في متناول يدها، وقريب منها حتى تكاد تلمسه. التقطت الخنجر الفضيَّ. وضعته على مكتبها تذكرةً لرمز سحر السيوف. لكنها تشعر الآن أن نصله الحاد يستدعيها. يمكن لهذا الكتاب أن ينقذهن. يمكن أن يقودهن لسر استعادة السحر.

أحكمت مسكتها لمقبض السكين. لم يُتعبها حمله، كما لو صُنع ليناسب راحة يدها. تضاءل شعورها بالعجز والوهن، كلما ضمته بقوة أكبر. باتت الرائحة أزكى وأقرب. صار الهواء من حولها يتوهج ويطنطن. إذا فتحت فمها، يمكنها تذوق القوة.

دون أن تفكر، غرزت النصل بباطن ذراعها. شهقت بألم، مع اندفاع الدم الحار على جلدها. أسقطت السكين، ورفعت يديها المرتعشتين، ومدت

أصابعها أمام ناظريها، متجاهلةً الدماء المتدفقة على ذراعها، التي تلتقي في نقطة عند طرف مرفقها، ثم تتساقط في قطرات متعاقبة على السجادة.

ليست متأكدة ما إذا فكرت في ذلك، أم قالته بصوت مسموع: «*أرِني ما أريد أن أراه*».

في تلك اللحظة، غرقت غرفة نومها فيما بين الحقيقة والوهم. وأصبحت رؤيتها كنسيج رقيق، يمكنها أن تلمسه، وتشقه نصفين بين يديها. كما لو العالم قد تحول إلى حجاب أو ورقة رفيعة، لها أن تمزقها، إن أرادت.

«*نعم!*».

بدأت تسمع همسات خافتة. تشبه صرير الأشجار المحتكة بزجاج النافذة بالخارج، أو حفيف الأوراق المبعثرة بالغرفة. تصاعدت الهمسات، اقتربت. بدت صادرة من المرآة. التفتت ببطء نحو المرآة القابعة فوق خزانة ملابسها. على سطحها المغبر، رأت فيفي أخرى غيرها منعكسة، ترتدي فستانًا أبيض طويلًا يحوم حول كعبيها، وعلى رأسها تاج ذهبي سميك. بدت أشبه بتمثال لربَّة من أحد الأساطير اليونانية القديمة.

قالت فيفي التي بالمرآة، بمزيج جمع بين نبرة صوتها، وصوت أحد آخر، ينطقان معًا بلسانها: «العالم يحتضر من حولك. لكنكِ لن تحتضري معه بالضرورة».

شابكت صورتها كفيها معًا، فشعرت فيفي بموجة عاتية من السحر، تكاد تطيرها. ثم أرتها شبيهتها بالمرآة مشهدًا جميلًا لمنزل شاهق على تل يطل على المحيط. بعدها، انتقلت بها لشرفة الكابا هاوس، حيث لمعت أشعة الشمس على بشرة مايسون الذهبية، صاعدًا الدرجات الأمامية. أخفى الظل عينيه وهو يناديها.

تقدمت منه شبيهتها وطوَّقت ذراعيها حول خصره، فيما أشرقت ابتسامة مايسون الودودة، التي لم ترها لعدة أسابيع. ما إن انحنى ليقبِّلها، أدارت شبيهتها نظرها بعيدًا، لتنظر في عينَي فيفي. تمايلت الأشجار حول صورتها، وتموجت على نحو غير طبيعيٍّ. تغيرت الفروع وشابهت أذرعًا ممدودة، في محاولة للإمساك بشيء ما. أخذ الصرير يتصاعد، حتى أصبح صاخبًا يضج

بأذنيها. سقطت على الأرض لاهثة. عادت غرفتها بشكلها المعتاد، فيما عدا البقع الدامية المقززة إلى جانبها على السجادة.

أطاحت بالسكين بعيدًا: «تبًّا. ماذا كان هذا؟».

بوابة الجحيم... *وشياطين أخرى تريد الخروج.*

رغم أنها شعرت بالسحر، رأته، تذوقته. لو حاولت تجربة الأمر مرة أخرى باستخدام كتاب السحر، بعيدًا عن بوابة الجحيم، ربما...

طُرق الباب: «فيفي؟».

إنها سكارليت.

دفعت نفسها لتنهض على قدميها، وركلت السكين الملطخ بالدماء أسفل السرير. جلبت لحافًا وألقته على البقعة الدامية على الأرض، راكضةً نحو الحمام.

صاحت: «دقيقة واحدة!».

فتحت صنبور الحوض، وفركت ساعدها بالمياه.

- هل أنتِ بخير؟

قفزت فزعة، لترى سكارليت واقفة في الغرفة، وتحدق إليها في قلق.

ردت بأنفاس متقطعة: «نعم، بخير. أغسل يدي من بعض الغبار. هل غرفتكِ هكذا أيضًا؟».

قالت سكارليت: «ربما، لكن ليس بهذا السوء. يمكنني مساعدتكِ في تنظيفها، إذا شئت».

- أعتقد أنكِ مررتِ بما يكفي ليوم واحد. لا أصدق أن ريجان والأخريات قد غادرن الكابا.

أمالت سكارليت رأسها على كفيها، كما لو تحاول حبس دموعها: «لم يكن أيٌّ من هذا ليحدث لو أن داليا هنا. ماذا لو لم نستعِد سحرنا قط؟ ماذا سيحدث لو أصبحتُ المُلامة على انهيار الكابا للأبد؟».

- لم يمر إلا يوم واحد بعد، ولدينا بالفعل قائمة بالمشتبه فيهم. سنكتشف الأمر معًا، أعدك.

لخصت لها لقاءها مع روز، وأخبرتها عن دعوتها لحفل الثيتا. ثم تابعت: «سأنتبه لأي أمر غريب، مع أنني بدأت أظن أن روز ليست المشتبه الرئيسيَّ لدينا. من علينا الانتباه له كذلك؟ ماذا عن صديقكِ زافيير؟».

رفعت سكارليت رأسها، وقد ظهر تعبير غامض على وجهها، لم تستطع فيفي أن تقرأه: «لا أعتقد... أعني... نعم، أنتِ محقة. سأرى ما يمكنني اكتشافه».

قالت فيفي، وهي تلكز حذاء سكارليت بطرف حذائها: «لقد واجهنا ما هو أسوأ. تستطيع فتيات الكابا التعامل مع أي شيء».

حتى بداخلها، لم تُحدِث هذه الكلمات تأثيرًا يُذكر.



الفصل السابع والعشرون

سكارليت

زافيير.

في صباح اليوم التالي، وضعت سكارليت طبقة سميكة من المكياج على وجهها، وارتدت ملابس من تصميم أحد مشاهير الموضة. إذا تطلَّب الأمر سبر أغوار زافيير، فيجب عليها أن تتسلح بكل ما تبقى لها من قوة. تفترض أن الشياطين تجتذب فريستها، كما تفعل فتيات الجامعة اللاتي يتسكعن أمام الفتيان بفساتين ضيقة. حتى إذا ثبت عدم صحة هذا الافتراض، لن يسبب تألقها أي ضرر على أي حال.

بينما تستعد للقائه، بحثت عن معلومات عنه على الإنترنت. لم يثمر بحثها إلا عن حسابين شخصيَين على مواقع التواصل الاجتماعيِّ. بالكاد، وجدت نشاطًا عليهما، فيما عدا صورة قديمة التُقطت له في نيويورك، حيث أشار في المنشور نفسه إلى عدد من أصدقائه، لم تتعرف على أيٍّ منهم.

كيف لشاب في مثل عمرها أن يندر استخدامه للإنترنت؟ كذلك لم تستطع العثور على أي ذِكرٍ له على موقع جامعة فاندربيلت، مما يثير الريبة. لا بد أن تتوفر أي سجلات عن التحاقه بالجامعة، على الأقل، أليس كذلك؟

كلما أبكرت في التحدث إليه، استطاعت أن تكشف عما إذا كان هو المشتبه فيه الرئيسي، الذي يبحثن عنه. لو تأكدت أنه من يقف وراء كل ذلك، لن تتراجع حتى تهزمه، وتستعيد سحرهن، مع أو دون أخواتها. عليها أولًا العثور

على مكانه، فرغم أن سكارليت حصلت من الفتاة التي تعمل بمكتب الاستقبال على جدول صفوفه، مقابل خدمة قديمة تدين بها لها، لم يسجل في أي صف دراسيٍّ حتى الآن.

تفقدت حسابه على التواصل الاجتماعيِّ مرة أخرى، حتى وقفت عند آخر منشور رفعه منذ أسبوع. وجدت سبعة تعليقات في آخر تحديثٍ له. تعود خمسة منها إلى فتاة من أخوية الجاما، التي لا تزال تحتفظ برقم هاتفها منذ آخر حفل مختلط بين الكابا والجاما، قبل عامين. جذبت هذه الفتاة أنظار فتيان الجامعة بما يكفي، لتصادق العديد منهم، وتسحق البعض الآخر بلا اكتراث.

راسلتها على الفور: «*أهلًا. هل لديكِ فكرة عن مكان وجود زافيير؟ لدي بعض الفروض الدراسية لتسليمه إياها*».

اهتزت مكانة الكابا بالحرم الجامعيِّ مؤخرًا، لكن لن تستمر على هذا المنوال. بعد دقائق قليلة، جاءها الرد: «*عادةً ما يوجد بهذا الوقت بمنطقة المروج مع عدد من أصدقائه الفتيان، قبل التوجه لصف علم التفاضل لاحقًا*».

معلومة مقلقة للغاية، لكنها لا تزال مفيدة. لذا عليها الاستفادة منها.

للمرة الأخيرة، تفحصت نفسها بمرآة غرفة نومها، من خلال الخطوط المروعة التي امتدت على سطحها. لم تستطع إزالتها مهما بذلت من جهد في تنظيفها. مع ذلك، بدت زينتها جيدة كما توقعت دون استخدام السحر. تنهدت ثم توجهت للخارج. بعثت كل خطوة تخطوها بكعب حذائها العالي، برجَّة ألم بجسدها.

ليست لديها فكرة عن الوقت الذي قضته بحياتها في استخدام السحر يومًا بعد يوم، حتى خسرته كله في ليلة واحدة. كيف أمكنها أن تعلم من قبل أن الكعب العالي مؤلم إلى هذه الدرجة؟ لكنها لن تترك شيئًا كهذا يُضعفها. من خلال النظرات المحدقة إلى عدد من فتيان الأخويات التي مرت بها، تأكدت أن إطلالتها قد استحقت كل الجهد الذي بذلته.

لكن عندما وصلت إلى منطقة المروج، تعثرت بشيءٍ ما، وجمدت مكانها. هالها ما ألمَّ بها من وخز مؤلم، عند رؤية ما لم تتوقعه. وجدت زافيير ممددًا

في تراخٍ في منتصف الحديقة الرئيسية، محاطًا بفتيان البيكا في ما يشبه حلقة المذاكرة، التي يجلس في مركزها... *جاكسون*.

لم تره منذ حفل لمِّ الشمل، عندما نهرها غاضبًا، لمجرد لمسها للقلادة اللامعة حول رقبته. تعلم أنها ردة فعل لتعويذة الحب، فقد رأت في المرآة التي سحرتها فيفي، تلك الصرخة المرتعبة على وجهه. اشتد الوخز بصدرها. أخبرته أنها ستنقذه، بل وعدته. وما الذي تفعله الآن؟ تجهزت لمغازلة شاب آخر أمام ناظريه؟ دعت ألا يستفيق جاكسون الحقيقي بداخله، وإلا ازداد الأمر سوءًا.

أتمنى أن يبقى على غفلة من أمره.

عندما هدأت ضربات قلبها بما يكفي، أكملت طريقها عبر المروج، وساقاها تلمعان تحت ضوء الشمس. رغم أنها أصاغت حديثًا مدروسًا بالكامل لتجذب إليها انتباه زافيير، فإن وجود جاكسون ضرب بكل تحضيرها عُرض الحائط.

عند اقترابها من حلقة الفتيان، لمحت وجهًا مألوفًا بينهم، خلاف زافيير وجاكسون: تِيم.

لم تعهد أن تراه يتسكع بالحرم الجامعيِّ دون ماريا. قبل أن يتواعدا في عامهما الأول بالجامعة، كانت لديه حياة اجتماعية خاصة به. لكن علاقتهما توطدت للغاية في الآونة الأخيرة، وباتا لا يفترقان. أما الآن، تراه أكثر استرخاءً وسعادةً من ذي قبل. يميل برأسه للوراء ضاحكًا ملء شدقيه في انبساط مُعدٍ.

في أثناء حركته، لمحت شيئًا يلمع تحت قميصه ذا قصة V عند الرقبة. إنها سلسلة أخرى مماثلة للتي يرتديها جاكسون. تعثرت على ربوة عشبية. هل ألقت كل فتيات الثيتا تعاويذ حب على أصدقائهن من الفتيان، إذن؟

- أوه. سكارليت.

كان زافيير أول من انتبه لوجودها. ضاقت عيناه وهو يرفع وجهه إليها متطلعًا بها. لا يمكنها القول إن نظرته تحمل أي قدر من الود، فيما يحدق إليها، من رأسها حتى أخمص قدميها. لكنها عرفت على الأقل، أن مظهرها الخادع قد أتى بثماره.

سألها ببرود: «هل تحتاجين لمساعدة منا؟».

في مقابله، جاهد جاكسون لينهض على قدميه: «في الواقع... لقد تأخرتُ على الصف (ثم لوَّح لتِيم، دون أي اعتبار لوجودها) أراك لاحقًا يا رفيق؟».

ابتسم له تِيم، فيما بادله الضحك: «أراك بالحفل. أفترض أن كايت لن تترك لك أي فرصة إضافية لتقول لي مرحبًا على الأقل».

حتى ضحكته لا تشبه جاكسون الذي تعرفه كليًّا. إن هذه الضحكة تحمل نبرة متكلفة متوترة. كيف لم تدرك أنه سُحِر في وقت أبكر؟ لم تره على طبيعته منذ آخر مرة التقته من أجل موعدهما. كم تؤلمها رؤيته على هذا الوضع. لكنها بحاجة للاستمرار في مهمتها والتركيز عليها. عليها استعادة السحر، وإنقاذ أخواتها. تراءى لها ثانيةً تعبير وجهه المتألم في المرآة.

قالت لزافيير، مبتعدة: «معذرة».

ثم تعقبت جاكسون، وكل غريزة بها تصرخ للتراجع وتُنهي مهمتها.

يجب أن أطمئن عليه أولًا.

لو أنه لا يزال واعيًا بالداخل، لا يمكنها تركه محبوسًا، دون أمل يتشبث به. أسرع جاكسون من خطواته، مما أصبح من المستحيل أن تلحقه بكعبها العالي. بعد لحظة من التردد، مدت يدها وخلعت حذاءها. لم تركض سكارليت وينتر حافية القدمين في حياتها قط، لكن ها هي ذي الآن تلحق به راكضة على العشب، حاملةً حذاءها بإحدى يديها.

وأخيرًا، اقتربت منه بما يكفي لتقبض على مرفقه حتى يتوقف: «جاكسون. انتظر».

توقف على مضض، ولوى جانب شفتيه في سخرية: «لم أحتج إلى النظر، لأعرف أنكِ من يطاردني، يا ونتر».

- لستَ من يتحدث، أعلم ذلك.

ألقت نظرة خاطفة نحو المروج، حيث وجدت الفتيان قد انهمك كلٌّ منهم في الدراسة بكتبهم أو في أحاديث جانبية، يستمتعون بوقت مشمس دافئ من بعد الظهيرة. ومع ذلك، خفضت صوتها دون وعي، وقالت متعجلة: «أعرف ما الذي فعلته كايت بك. لذا أعمل على إبطال سحرها، حسنًا؟».

اتسعت عيناه: «كل ما فعلته كايت بي، أنها أرتني ما هو الحب الحقيقي، أفهمتِ يا سكارليت؟ ليس كما تظنين. إن كايت لا تكذب».

تسمرت سكارليت، وارتج قلبها في صدرها. هل لا يزال يذكر؟ لكن...

- لم أكذب عليك يومًا يا جاكسون. لم أملك فقط خيارًا آخر. هناك قوى تجري هنا أكبر من قدرتي وقدرتك...

التوت شفتاه: «تدركين أنكِ تهذين، صحيح؟».

- أحاول أن أخبرك بشيء هنا. مهما كان تأثيرها فيك، فهو ليس حقيقيًّا. توجد طريقة لإبطال ذلك. إنني بحاجة لمعرفة ما الذي تخطط له الثيتا، كيف حصلن على قوة هائلة كهذه فجأةً.

أدار ذراعه قابضًا على معصمها: «ما هي مشكلتكِ مع الثيتا، هاه؟ دائمًا ما تتحدثين عنهن بالسوء، وتقللين من شأن رفيقتي. بالنسبة إليَّ، هذه مجرد غيرة تقليدية سخيفة».

ضحكت بسخرية، فيما تابع: «تعتقدن، أنتن الكابا، أن لديكن قوة وشأنًا عاليًا، وأن هذه الجامعة تدور حولكن. حسنًا، اسمعي هذا الخبر. أصبح للجامعة زعيم جديد».

لمعت عيناه وضاقتا فجأةً، في حدة. مما بعث برجفة خوف أسفل عمودها الفقريِّ. تعرف جاكسون عندما ينظر في عينيها. لكن هذه النظرة ليست له. هل يمكن لتعويذة حب صغيرة أن تصنع هذا الكم من الكراهية؟ أم أنه يتحدث بصوت الشيطان؟

همس لها مستطردًا، بينما حبست سكارليت أنفاسها. تخاف أن تتحرك، تخاف مما ستسمعه، رغم أنها لا تريد أن تفوت كلماته: «أما بالنسبة إلى الثيتا، ستعرفكن أيها الغربان قدركن الحقيقيَّ. أنتن لا شيء».

دفعها بقوة للخلف فكادت تتعثر. لكنها لم تحرك ساكنًا. لم تستطع سماع أفكارها في ظل نبضاتها المتسارعة. يجب عليها إصلاح كل شيء *الآن*؛ إذا انتظرت لوقت أطول، قد يختفي جاكسون الذي تحبه للأبد.



الفصل الثامن والعشرون

فيفي

ضج منزل الثيتا بموسيقى صاخبة، استطاعت فيفي سماعها على بُعد عدة منازل. استغرق الطريق من الكابا هاوس وقتًا أطول من المتوقع، لقد نسيت كم هو متعب أن تمشي في الكعب العالي لمسافة طويلة دون سحر. إن كل ما ترتديه بنطال الجينز الأسود الضيق، وقميص جلد النمر القصير، الذي وجدته في كومة الملابس القديمة في غرفة الغسيل بالكابا، لا يُشعِرها بالراحة. فضلت ألا تستعير أحد الأزياء من أخواتها، وإلا أثارت شكهن. ورغم أنها لا تعرف الكثير عن الموضة، لن تحتاج لهذه الليلة قطعة ملابس من تصاميم مِي الساحرة، أو فستانًا لأحد مشاهير الموضة من سكارليت. يجب أن تبدو ملابسها كفتاة عادية تسوقت بمركز تجاريٍّ، وليس بخزانة جماعة من الساحرات.

اضطرت أن تقصِّر طرف قميصها بطريقة يدوية، بعد أن اعتادت استخدام السحر لتعديل الملابس على مقاسها، دون ترك غرز غير مريحة، تحتك ببشرتها. كيف يعيش الناس دون سحر؟ كيف يمكنها أن تعود لحياتها العادية بعد كل ما خبرته في عالم السحر؟ كأنها خرجت من عالم مصور بالألوان إلى آخر رماديٍّ كئيب، أو بعد سماع السيمفونية التاسعة لبيتهوفن، تسمع 'قصيدة الفرح' بعزف طالب بالصف الرابع على بيانو لعبة. باتت حياتها باهتة، عديمة اللون، ومملة بفظاعة، دون سحر.

عندما وصلت أخيرًا، إلى البوابة الأمامية، رفعت رأسها تحدق إلى منزل الثيتا، الذي يختلف عن بقية المنازل بالحرم الجامعيِّ. فبدلًا من شرفة عريضة عند مقدمة المنزل، يحيط ممر حجريٌّ محدب بالطابق الأول، بينما يقود درج حجريٌّ كبير إلى باب المنزل بالطابق الثاني. يكاد المنزل يشبه قلعة من القرون الوسطى، وليس قصرًا ذا طراز يونانيٍّ كمعظم القصور التي أُعيد إحياؤها، والمباني السكنية بالمدينة.

كان الحفل يجري على قدم وساق. من خلال نوافذ الطابق العلويِّ، رصدت بعض الضيوف متكئين على الحواجز، حاملين أكواب الشراب الحمراء. كما تفرق عدد مدهش من الأحبة في الحديقة، حيث رأت بعضهم منغمسين في أحضان غرامية علنًا، على غير ما توقعت.

خطت إلى الداخل بحذر، وشقت طريقها عبر الحديقة، والرقع الجيرية البيضاء، المتراصة على مسافات متقاربة، يحفها بعض العشب والطين. تزين الباب الأماميُّ الخشبيُّ الضخم بإكسسوارت من الحديد، ظننت أنه يُفضي إلى رواق تراثيٍّ ذي أعمدة، لكن بمجرد دخولها، فوجئت بصالة رئيسية عادية، تتماشى مع مقر نادٍ نسائيٍّ نموذجيٍّ. طُليت الصالة بدرجات تتدرج ما بين الأبيض والأصفر الشاحب، وقد انتشرت العديد من الأرائك والمقاعد العصرية المريحة حول مدفأة ضخمة. جفلت لدى مرأى الوسائد الملونة بمزيج من الأخضر الفاتح والوردي، والمكتوب عليها: عِشْ، أَحِب، اِضْحَكْ.

وُضع حاجز المشروبات بالقرب من المدفأة، تديرها إحدى فتيات الثيتا، تذكرتها بالكاد من الحفل المختلط الكارثي. اسمها سبنسر، ربما؟ كما لو مر عمر طويل، منذ اعتبرت أن إخفاق تعويذة بسيطة بذلك الحفل، أسوأ ما يمكن أن يحدث لها على الإطلاق.

تكفي جروح يديها دليلًا على ما بذلته من جهد تجاوز توقعاتها. شُفيت تلك الجروح منذ لمِّ شمل الخريجات، فيما عدا الجرح العميق الحديث على ساعدها. أفاقت من شرودها بالماضي، عندما أشارت لها سبنسر قائلة: «مرحبًا. أخبرتنا روز أنكِ ستحضرين. ستجدينها في استقبالك، إذا انتظرتِ هنا قليلًا».

حملت نفسها على الابتسام، آملة ألا تستشعر هذه الفتاة ما يدور بخلدها: «بالطبع».

تصاعد صوت الموسيقى في كل طابق، حتى شعرت أن أجراس المعابد تطن بأذنيها في وقت واحد. لمحت في الغرف القريبة، حشدًا من الضيوف يترنحون في مراحل متفاوتة من السُكْر.

ما إن غادرت سبنسر، أُتيحت لفيفي فرصة أن تتسلل وتستطلع المنزل، بحثًا عن أي علامات لسحرهن المسروق، قبل أن تعلم روز بوصولها. نظرت تجاه الدرج، فجمدت مكانها. وجدت ماريا تنزل الدرج مرتديةً تنورة قصيرة سوداء من الجلد اللامع، مع حذاء ورديٍّ زاهٍ ذي كعب عالٍ، يتبعها تِيم على بُعد خطوات قليلة، ملصقًا عينيه بهاتفه.

قالت ماريا مبتسمة، وهي تقفز الدرجة الأخيرة، وتجذب فيفي لتعانقها: «فيفي! أخبرتنا روز أنكِ قد تحضرين حفلنا. إنني سعيدة بمجيئك».

احتفظت بيديها على ظهر فيفي، واستدارت نحو تِيم: «تذكر فيفي من حفل الكابا يا عزيزي، أليس كذلك؟».

بُهت تِيم، وارتبكت تعبيرات وجهه. لكن عندما أدرك أنها تقصد فيفي. ابتسم لها وعانقها بجانبه: «أهلًا أهلًا! إنني سعيد بحضوركِ، يا فيفي!».

ابتسمت له فيفي وعانقته، موجهةً حديثها لماريا: «أشكركِ على دعوتي. هذا الحفل مختلف حقًّا».

لم تتعرف على نوع هذه الموسيقى الصاخبة، فهي ليست كالجاز أو الموسيقى الكلاسيكية، التي اعتادتها في حفلات الكابا الأنيقة، أو في الحفلات الموسيقية التي حضرتها في النوادي الليلية بسافانا، بل نوع آخر يحمل نغمات عميقة، يقطعها قرعٌ إلكترونيٌّ حاد، تهتز له الجدران. حتى باتت تسمعها كدقات قلب تنبض بالهواء من حولها.

إنه نوعٌ من الموسيقى التي تُذهِب العقل.

هكذا فكرت، ورجَّحت أنها مقصودة. فما الذي يعيقها عن إسكات ثورة عقلها، إن لم تكن موسيقى مستمرة بلا انقطاع، تضج برأسها.

مدت ماريا يدها لتتأبط ذراع تِيم: «هذا بالضبط ما نهدف إليه، الاختلاف. وهو وراء انجذابنا إليكِ أيضًا، يا فيفي. نرى أنكِ مختلفة».

رفعت فيفي ذقنها قليلًا، هل عليها بذل جهد أكبر لتشابه فتيات الكابا: هدوء، ورزانة، وترفُّع.

- أوه! تقصدين بأي طريقة؟

- تعرفين ما الذي تريدينه، وتبذلين أقصى جهدكِ من أجله. ولا تمانعين كسر بعض القواعد لنيل ما ترغبين به.

خفق قلبها بعنف. *هل تتحدث عن استخدامها للسحر؟*

- لا أعتقد أنني فهمتُ ما تقصدين.

ضحكت ماريا، وألقت تجاه تِيم نظرة لم تفهمها: «عرفتُ منذ أول مرة قابلتكِ فيها، أنكِ لست كأخواتكِ بالكابا، يا فيفي».

ثم رفعت إحدى يديها لتمتنع فيفي من الاعتراض، ونقلت يدها الأخرى من ذراع تِيم، لتستقر على مؤخرة عنقه. لمحت فيفي وميضًا لامعًا بين ثنايا ياقته، فضاق صدرها خوفًا. اجتاحتها مشاعر أخت تريد حماية أخيها. هل هذه هي قلادة تعويذة الحب التي ذكرتها سكارليت؟ أيعني هذا أن الثيتا حصلت بطريقة ما على السحر المسروق؟ بالنظر بأرجاء الغرفة حولها، فإنها تفتقر إلى مظاهر مميزة، سوى عدد هائل من أكواب الشراب الحمراء. يصعب تصديق أن لدى الثيتا أي قوى تحت تصرفهن أبعد من توفير عضوية دائمة بنادي سام الليلي.

استطردت ماريا: «لا أطلق عليكِ أحكامًا. بل على العكس، فنحن هنا بالثيتا، نتفهم جيدًا أنه لو أردتِ الحصول على شيء ما، لا يمكننا إنكاره عليك».

حدقت فيفي إليها، متسائلة عن مدى ما تعرفه ماريا، أو ربما أصابت التخمين عن غير قصد. لا يتطلب الأمر دراسة متعمقة في علم النفس لمعرفة أن حياة الكابا ليست خالية من الهموم خلال فترة رئاسة سكارليت ونتر. لعل ماريا تشير إلى قواعد اللباس، أو حظر التجول خارج منزل الأخوية، وليس قرار سكارليت بمنع فيفي من استخدام كتاب السحر. حتى الغرباء، يمكنهم فهم أن سكارليت لا تحب أن ينافسها أحد.

هدأت أنفاسها، عندما استدارت ماريا، دافعةً تِيم إلى جانبها، تجاه غرفة المعيشة التي اكتظت بالحضور.

- استمتعي بالحفل الليلة، يا فيفي.

ثم أشارت لسبنسر من ورائها لتتبعها.

رأتهم فيفي يختفون بين الحشد، فجالت ببصرها فيما حولها، لتقرر من أين تبدأ البحث. لا يمكنك التجول في الكابا هاوس، دون الاحتكاك بآثار للسحر، فقد عاش به السحرة لأكثر من قرن من الزمن. لكن كيف تقتفي أثر السحر هنا؟ هل لديهن مكتبة لكتب السحر مثلهن؟ أو أعشاب سحرية تغلي في إناء بالمطبخ؟ وماذا لو قُبض عليها تتلصص بالأرجاء؟

كنتُ أبحث عن حمام السيدات.

أم أنها حجة مبتذلة، لكن يمكنها استخدامها على أي حال...

- فيفي!

كادت تقفز من مكانها، قبل أن تستدير في الوقت المناسب لتجد روز، تحيطها بذراعيها.

- لقد جئتِ!

بعثت بهجة روز الصادقة، بوخزة بجوفها لشعورها بالذنب. قالت فيفي ضاحكة: «قلت لكِ إنني سأفعل!».

أمسكت روز بيدها، وشدتها متحمسة نحو قاعة الحفل الرئيسية: «هيا، سآخذكِ بجولة بالمكان».

بعيدًا عن غرفة المعيشة الحديثة، أدهشها أن بقية منزل الثيتا، يتماشى مع مظهره الخارجيّ كقلعة تراثية. حيث تغطَّت الأرضية الحجرية بسجاد فارسيٍّ سميك، وعُلقت على الجدران لوحات منسوجة للتدفئة. رغم الحشد الكبير بالمنزل، بدت القاعة مترامية الأطراف، ولا تزال باردة ورطبة بعض الشيء، كجانب طبيعيٍّ للقصور الحجرية. مرت بطريقها بأكثر من مدفأة ضخمة الحجم، تتصاعد بداخلها ألسنة اللهب.

قادتها روز من غرفة إلى أخرى، تحدثها عن مؤسسي منزل الثيتا منذ أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر، وكيف أنشئ ليماثل القلاع القديمة بألمانيا.

بذلت فيفي قصارى جهدها لتُظهِر اهتمامها وإعجابها، فيما شغلتها رائحة خفيفة مميزة، تعبق بأرجاء القلعة. تشعر أنها مألوفة لديها. لكن ما هي؟ أزعجها أنها لم تتعرف عليها؛ إنها تشبه عطر الصنوبر، ممزوجًا برائحة نبات آخر، يشبه إحدى نباتات إيتا المميزة في المطبخ. لم تستطع تذكُّر اسمها أو الغرض منها.

فيما تتجول مع روز، رصدت جاكسون يرقص مع كايت بإحدى الغرف، التي أُخليت من الأثاث، وإضاءتها بمصابيح خضراء زاهية، موجهة نحو الأرضية، مما أضفى على الأشخاص بالداخل مظهرًا شبحيًا. راقبتهما، وكايت تطوق ذراعيها حول رقبته، وتجذبه إليها بقوة لتقبِّله، مما جعل فيفي تجفل بشدة.

يا لجاكسون المسكين!

تعرف فيفي شعور من يُتحكَّم به من خلال سحر أحد آخر. تداهمها موجة من الغثيان، كلما تذكرت الشعور نفسه عندما وقعت بفخ تيفاني. ربما لاحظت روز عدم الارتياح على وجهها، حين أمسكت بذراعها قائلة: «دعينا نحضر لكِ بعض الشراب».

تبعتها فيفي طوعًا، قبل أن توقفت فجأةً عندما جذب وميض أحمر انتباهها. استدارت لتجدها ريجان، تتمايل بانسجام مع خفقات الموسيقى الراقصة، بين مجموعة من فتيات الثيتا، ويتطاير شعرها الأحمر الطويل بكل اتجاه. بدت سعيدة ومنطلقة أكثر من أي وقت آخر، خلال هذا الفصل الدراسيِّ. بينما تحدق إلى وجهها، أرهقها التفكير في سبب آخر غير خيانتها للكابا. محتمل أن حضورها لحفل الثيتا يرجع لهدف وجيه، مثل هدفها. ومع هذا، لا يرقى إليها شك، أنها لا تبدو كشخص تسلل إلى منزل الثيتا ليحقق في أمر سحر الكابا المفقود.

قالت روز مبتسمة بغرابة، وهي تتبع وجهة نظر فيفي: «أوه، نعم. اعتقدتُ أنكِ تعرفين. تسعى ريجان، وبايلي، وهازيل، وإيتا للانضمام إلى الثيتا».

صاحت فيفي، غير قادرة على إخفاء صدمتها: «ماذا؟».

جفلت روز قليلًا، فاستجمعت شتات نفسها: «آسفة، لم أقصد. لقد.. تفاجأت».

هذا أمر لا يُعقل. تتفهم أنهن غاضبات من سكارليت، لكن كيف يخُنَّ بقية الأخوات، بل ويعرقلن مساعيهن لاستعادة السحر؟ إلا إذا علمن أمرًا لا تزال تجهله، أو لديهن شك بأحد ما، مثلها وسكارليت...

- لا بأس، أتفهم ذلك. أعلم أن الأمور تحدث بسرعة. لكن دائمًا ما تقول ماريا: «وقتكِ في الجامعة لن يتكرر، لذا استمتعي به كما يجب».

أردفت فيفي في نبرة ساخرة، لم تستطع أن تواريها: «يا له من كلام عميق».

لحسن الحظ، لم تلحظ روز نبرتها، وأشارت لها لتتبعها إلى المطبخ. إنها غرفة كبيرة ذات جدران حجرية، كأنها اقتُطعت من مكان خياليٍّ، ووُضعت بها أجهزة حديثة أنيقة من الفولاذ المقاوم للصدأ. انتاب فيفي الفضول لفحص المكان بعينيها، بحثًا عن أي إشارة لصنع جرعات سحرية، أو أي دليل على استخدام السحر. لم يلفت انتباهها شيء غريب بين زجاجات الشراب والأكواب البلاستيكية، التي تغطي الأسطح.

ناولتها روز كوبًا مملوءًا بشراب أرجوانيٍّ فاتح: «تفضلي!».

نظرت فيفي إلى السائل بريبة، تعتقد أنه مزيج من شراب الفودكا وهاواي بانش. أخذت رشفة صغيرة لتتذوقه، ثم ابتسمت بارتياح. لم يكن سوى عصير حلو المذاق، في مزيج من التوت الطازج والنعناع.

قالت لها روز بانبساط: «طعمه جيد، صحيح؟».

ارتشفت فيفي جرعة أكبر، وأجابت: «إنه مذهل. ماذا يوجد به؟».

غمزت روز: «هذا سر، لا أستطيع إخبارك إلا إذا انتهى بكِ المطاف معنا بالثيتا (تضرجت وجنتاها، وتراجعت بسمتها، وهي تضيف) أعني. لا أقصد الضغط عليكِ، أو شيئًا كهذا. إنني فقط... تبًّا! أخبرتها أنني لا أريد إجبارك».

- أخبرتِ من؟

مالت روز من جانب إلى جانب، عابثةً بخصلة من شعرها: «ماريا. إنها تستقبل فتيات جديدات هذه الأيام، فهي تريد أن تضم عضوات أكثر للأخوية. لكنني أخبرتها أنكِ صديقتي، ولا أريد أن أحرضكِ على الانضمام، رغم أنني أود لو تفعلين حقًّا».

ثم أشرق وجهها من جديد، وأضافت: «لدينا الكثير لنستمتع به معًا كوننا أخوات!».

لوت فيفي شفتيها في ابتسامة حاقدة، وأسرَّت في نفسها: *لدي أخواتٌ بالفعل.*

ولهذا أتت إلى هنا، لتكسر أي تعويذة أو لعنة تسببت في سلب سحر الكابا، وتستعيد قوتهن.

- يبدو أن لديكن الكثير من المرح هنا. هل يمكنني معرفة المزيد عن المنزل؟

قفزت روز في مكانها مبتهجة: «بالطبع!».

قادتها روز إلى الطابق العلويِّ، ثم توقفت عند الدرجة الأخيرة، واستدارت تواجهها: «يُسمح باستخدام معظم الغرف العامة هنا، لكن لا يمكنكِ الدخول إلى ممر غرف النوم، حسنًا؟».

ردت فيفي بابتسامة خجلة، بعد أن دخلتا إحدى الغرف العامة: «بالتأكيد».

تفقدت أرفف الكتب بالغرفة، معظمها كتب عن التنمية الذاتية ومذكرات بعض المشاهير. لم تجد من بينها كتبًا أخرى، للسحر مثلًا.

- هل هناك حمام يمكنني استخدامه؟

- بالطبع. ها هو ذا هناك. سأنتظركِ هنا.

أشارت روز إلى باب في آخر الردهة، بالقرب من الرواق الذي يؤدي إلى غرف النوم بالطابق الثاني. دلفت فيفي إلى الحمام، وانتظرت لدقيقة، ثم واربت الباب مختلسة النظر من خلاله. التقطت روز هاتفها موجهةً تركيزها بالكامل على شاشته. بسرعة وبهدوء قدر المستطاع، تسللت فيفي إلى الردهة، ومنها إلى الرواق بنبضات متسارعة.

لو أن لدى الثيتا سحرًا بالفعل، فهل تسلُّلها فكرة جيدة؟ إذا فُضح أمرها تتجول في مكان لا تنتمي إليه، فليس لديها ما تدافع به عن نفسها. يمكنهن إلقاء تعويذة عليها، أو يتحكمن بها كالدمية مثلما فعلن بتِيم وجاكسون. *أو ربما أسوأ.*

لكن دون العثور على طريقة لاستعادة سحر الكابا، ستقضي بقية حياتها ضعيفة وعُرضة للخطر. لذلك بعد اختلاس نظرة خاطفة أخيرة، أسرعت الخطى نحو الممر المظلم، حيث غرف النوم.

تصميم بهو الغرف أكثر تعقيدًا مما عليه في الكابا هاوس؛ تدور الممرات وتلتف حول بعضها بعضًا في متاهات مستمرة. بعد بضعة أبواب مغلقة، لفت انتباهها شيءٌ ما. رأت من خلال الضوء الوحيد الصادر من هاتفها، في زاوية تغوص في ظلام دامس، أحد الأبواب الخشبية، زُين بشرائط وردية زاهية، وبجواره بالون صغير كُتب عليه «روز» بخط أحمر لامع.

نظرت مرة أخرى تجاه البهو المظلم. ليست متأكدة إذا ما طال الوقت الذي من المفترض أن تستغرقه في الحمام. ماذا ستفعل إذا جاءت روز للبحث عنها؟ أو أسوأ، إذا وجدتها إحدى الفتيات في طريقهن إلى الغرف تتلصص بالأرجاء؟

ألصقت أذنها على الباب، وحبست أنفاسها، لتسمع أي إشارة لحركة بالداخل، فقد يكون لدى روز رفيقة بالغرفة، أو اضطرت إحدى الفتيات إلى دخول غرفتها لأي سبب. بعد برهة، تأكدت أنه لم يصدر أي صوت، فمدت يدها إلى مقبض الباب وأدارته. *مُغلق.*

ألقت نظرة فيما وراءها، ثم سحبت مشبكًا من شعرها، ودنت لتعمل على حل القفل. لقد فعلتها للعديد من المرات، حيث اعتادت دافني ديفيرو أن تُحكِم إغلاق الباب، عن غير قصد، قبل عودة فيفي للمنزل، لذا احتاجت إلى إتقان مهارة حل القفل ودخول المنزل عنوة في سن مبكرة.

استجاب قفل الباب بسهولة إلى مهاراتها الطفولية. دفعت المزلاج بنقرات خفيفة، فتأرجح إلى الداخل في صرير حاد. جفلت، ومن ثم دفعت الباب ناظرة من ورائها ثانيةً، تتمنى أن تظل بقية الغرف شاغرة، إلى أن تفرغ من بحثها.

أضاءت المصباح. انتظرت بضع ثوانٍ حتى تتكيف عيناها، رغم ضوء غرفة روز الخافت، والمغطى بقماش أزرق رقيق، ألقى بظلال مخيفة على سريرها ذي الأعمدة الأربعة. بطول الجدار البعيد، استندت مرآة ضخمة، كما

بالقصص الخيالية، تتعلق بأركانها أكاليل لبلاب متموجة. استدارت لتتفقد أرفف الكتب، عندها تجمدت مكانها.

لقد وُضعت عدة أشياء على حافة النافذة: وعاء خشبي محفور عليه نجمة خماسية، سكين فضي، كومة من الأعشاب المسحوقة. تبدو هذه الأغراض كآثار لاستخدام قريب للسحر. ثارت الرغبة بكل أعصابها وجسدها. إنها تريده. يمكنها من مكانها أن تتذوقه، أن تستنشقه بعمق. تتوق لمعرفة أي تعويذة ألقتها روز، وما هي نتائجها.

هذا هو بالضبط الدليل الذي تبحث عنه: لقد حصلت الثيتا على السحر. بالتأكيد توصلت ريجان وإيتا وبايلي إلى اكتشاف هذا الأمر بطريقة ما. لا تستطيع أن تغفر خيانتهن بعد، لكن على الأقل، ترى الآن أن تصرفهن معقول.

وجهت هاتفها نحو مذبح السحر هذا، وبدأت في التقاط الصور بأقصى سرعة ممكنة. يكاد يجعلها كل طنين وصخب بالمنزل تفقد أعصابها.

لقد حصلتِ على ما أتيتِ من أجله. يا فيفي. تحركي.

لم تقدر أن تنظر بعيدًا. يقبع السحر أمام ناظريها هنا. لن تحتاج أكثر من خطوة للأمام. غاب عقلها إلا من صراخ خافت: *اخرجي من هنا.*

لكن جسدها أراد شيئًا آخر. جثت على ركبتيها بجوار المذبح، ثم مدت ذراعها، حتى لمست يدها طرف السكين. أخبرها حدسها، أنها إذا حاولت أداء تعويذة هنا الآن، في هذا المنزل، *ستعمل بالفعل.* التقطت السكين. لا تزال الموسيقى بالأسفل تتهادى إلى سمعها، لكنها في هذه اللحظة، بدت بعيدة جدًّا. في غرفة النوم الغريبة هذه، لا يهمها شيء سوى تلك القوة النابضة، التي تدور حولها كالضباب. قرَّبت السكين من ساعدها وأراحت نصلها البارد على بشرتها. ضغطة واحدة، ووخزة ألم واحدة، تكفي لتسترجع السحر، ملكها الخاص.

ستأتي روز للبحث عنكِ. ستأتي في أي لحظة.

يمكنها مواجهة ذلك، يمكنها مواجهة أي شيء. لقد عرفت الطريقة للتو.

كل ما تحتاجه هو قليل من الدماء وبعض الألم و...

سمعت قعقعة خلفها، فحبست أنفاسها.

تبًّا! مزلاج الباب.

أسقطت السكين واستدارت في الوقت المناسب لترى الباب يُفتح، ويظهر ظل فتاة عاقدةً ذراعيها، وتميل برأسها للجانب. قفزت فيفي على قدميها. قائلة بانفعال: «آسف للغاية. لقد... لقد تُهت، ورأيت الباب مفتوحًا فظننتُ...».

عضّت الفتاة لسانها. إنها ليست روز. *بل ماريا.*

ابتسمت رئيسة الثيتا بتكلف: «لا تتعبي نفسكِ بالأعذار يا فيفيان. كنت أراقبكِ طوال الوقت».

ابتلعت فيفي ريقها بصعوبة، وكررت بنبرة أهدأ: «آسفة للغاية. لا تحكمي عليَّ من فضلك، شعرت ببعض الفضول فقط».

حدقت إلى ما وراء ظهر فيفي، حتى استقر نظرها عند المذبح: «لا عيب في الفضول. في الحقيقة، أقدِّره. كما ترين، ليست الكابا الأخوية الوحيدة المميزة في الحرم الجامعيِّ. وهنا في الثيتا، نكافئ أمثالك من الفتيات اللاتي يأخذن بزمام المبادرة، ويقاتلن من أجل حقهن».

ثم بسطت كفًّا تجاهها: «انضمي إلينا، يا فيفيان. يمكننا أن نقدم لكِ ما تريدين».

امتلأت غرفة نوم روز بطاقة جذابة، طاقة ماريا. هذه هي المرة الأولى التي تشعر فيها بنشوة السحر، منذ أن فقدته. في تلك اللحظة، لا تريد إلا أن يجري السحر بعروقها مجددًا. حدقت إلى يد ماريا الممدودة. يصرخ كل جزء بها توقًا للاستجابة لعرضها، للإمساك بيدها.

تلعثمت، بينما يصرخ عقلها: «أنا... أنا لستُ...».

قولي إنكِ موافقة. قوليها.

لكن لسانها التصق بسقف حلقها، رافضًا النطق لسبب ما. ربما لأنها تضع ولاءها في غير محله. فكرت بأخواتها، وهن بانتظار عودتها للكابا هاوس. لقد جاءت إلى هنا من أجلهن.

لا يزال بإمكانكِ، إذا انضممتِ إلى الثيتا.

لا يمكنها الخضوع، لا تريد أن تصبح خائنة مثل ريجان. نظرت تجاه الباب: «آسفة. ما كان يجب أن آتي إلى هنا».

مدت ماريا ذراعها تسد عليها الطريق، وانزلقت فيفي للجانب، مستعدة للهجوم. تستطيع الإفلات، تعرف أنه يمكنها. رغم أن ماريا قد ترغمها على فعل عكس ما تريد، في أي لحظة. لانت تعبيرات ماريا فجأةً. أرخت ذراعها، وتحركت جانبًا لتسمح لها بالمرور. ثم قالت ماريا بلطف، بينما تندفع نحو الخارج: «لا تتعجلي في اتخاذ القرار».

هرعت نحو الدرج. لكن ليس بسرعة كافية للهروب. طاردتها كلمات ماريا الأخيرة، وتردد صداها عند وصولها للردهة: «عندما تقررين العودة، سنكون بانتظارك».



الفصل التاسع والعشرون

سكارليت

بعد محاولتها الكارثية للتقرب من زافيير بمنطقة المروج، قررت أن ترفع من مستوى لعبتها. تحتاج لجذبه بعيدًا عن التشتت بأصدقائه. ولهذا أعدَّت خطة مُحكمة هذه المرة.

علَّمتها مِيني أن السحر يترك أثرًا خلفه. حتى من لديهم قدر ضئيل من السحر يمكنهم تعقُّب آثاره، إذا عرفوا أين يبحثون وكيف. يوجد مكان مثاليٌّ لهذا هنا في الحرم الجامعيِّ، لاستدراج زافيير إلى فخها. ما دامت تستطيع أن تستميل جانبه الجيد إليها ثانيةً.

بعد حصولها على جدول صفوفه بسهولة من الفتاة المسؤولة عن مكتب التسجيل، شعرت ببعض الارتياح. لا تزال الكابا في قمة الحياة الاجتماعية بويسترلي، رغم أنها لم تستعِد مكانتها كونها أفضل أخوية بلا منازع بعد. كما لم يعد لدى سكارليت أي قوى سحرية تحت تصرفها.

الجزء الأصعب من الخطة هو الإمساك بـ«زافيير» حاضرًا بأحد الصفوف. فغالبًا ما يتخطى صفوفه، على قدر علمها. استغرق الأمر منها وقتًا طويلًا قبل أن تجده أخيرًا في ردهة تايلور هذه المرة. التقت أعينهما ثانيةً، فتسمر مكانه، وقد تصلبت تعبيرات وجهه.

بسحرها أم دونه، ستظل من الغربان. تعرف كيف تحصل على ما تريد. اقتربت منه، ورسمت ابتسامة خجلة ملتوية على جانبَي شفتيها المطلية بلون أحمر زاهٍ: «إنك رجل يصعب العثور عليه، يا زافيير».

ضاقت عيناه قليلًا: «أذكر أنكِ لم تريدي رؤيتي في آخر مرة».

اقتربت منه خطوة أخرى، أطالت النظر، قبل أن يتمالك نفسه. قالت له بصدق: «اسمعني. لم أقصد إزعاجك في أثناء رقصنا معًا. لم أواعد أحدًا منذ فترة، تحديدًا منذ انفصالي عن صديقي السابق العام الماضي».

- رأيتكِ تطاردينه بلهفة.

- أطارد من؟

- تعرفين من أقصد.

أخذت نفسًا عميقًا. ليس لديها سوى طريقة وحيدة لإقناعه بكذبتها، أن تخبره بعض الحقيقة: «نعم فعلت. لكنني أردتُ التأكد من تمام انفصالنا، وإخباره أن لدي خطة جديدة، خطة لا تشمله».

- لكن تشملني؟

- نعم، أنت فقط.

لانت تعبيرات وجهه، واتسعت عيناه، كأنه يريد تصديقها. تمكنت منه.

- لديكِ طريقة غريبة لعرض الأمر.

- لم أقابل مثلك من قبل. يرهب معظم الفتيان التقرب مني. بينما لديك أنت قوة جاذبة. أعتقد أنني...

خفضت أهدابها ناظرة للأسفل في دهاء. وعندما رفعت رأسها ثانيةً، تظاهرت بالضعف: «أشعر بالتوتر».

إنها كذلك، في الواقع، لكن ليس بالمعنى الذي يفترض.

أشعر بالتوتر لأنك قد تكون الشيطان الذي يثير الرعب بحرم جامعتنا.

تفحص وجهها. ويبدو أن ما رآه جعله يقتنع، فأرخى كتفيه قليلًا. قال متجهمًا: «لم أقصد أن أنفعل عليكِ. عندما قلتِ أن نصبح صديقين فقط، صُدمت. لا أحب أن يُتلاعَب بي. يكفيني التلاعب بحياتي من قِبل عائلتي».

زمَّت شفتيها: «آسفة لأنني جعلتك تشعر بهذه الطريقة. أعرف شعور أن تُجبَر على اللعب. لا أحب ذلك أيضًا».

نظرت بعيدًا تجاه الباب الجانبيّ للمبنى. ثم جعلت تعبيرات وجهها تتهلل فرحًا، كما لو أتتها فكرة للتو. بسطت يدها إليه: «هيا. ألا تريد أن تتعرف على جانب حقيقيٍّ مني؟ تعال، سأريك شيئًا».

تردد زافيير. استطاعت أن ترى العواطف المتصارعة على وجهه، تتأرجح ما بين الفضول والعناد. أبقت يدها ممدودة، وانتظرت بصبر حتى تم ما توقعته. انتصر فضوله وأخذ يدها. عند ملامستها راحة كفه، شعرت أنها جرحت أصابعها، وتجاهلت شرارة خافتة سرت إليها من خلال عروقه، حيث امتزج الحماس بمشاعر الخوف.

ربما هو الشخص الذي نبحث عنه.

وربما هو مجرد شخص لطيف يُدعى زافيير، وصل للحرم الجامعيِّ في الوقت الخطأ، وأوقِع به في فوضى لا يمكنه فهمها.

هناك طريقة واحدة فقط لمعرفة ذلك.

تذمَّر زافيير وهي تقوده تجاه الحافة الغربية للحرم الجامعيِّ، عند امتداد المقبرة القديمة: «إذا كان هذا نوعًا من المزاح الخاص بالأخويات، فأقسم...».

احتفظت سكارليت بيدها ملفوفة بإحكام حولِ يده، رغم الابتسامة المرحة على شفتيها. قالت له من وراء ظهرها، حتى لا يحاول أن ينتزع يده: «ثق بي».

تعرف طريقها عبر المقبرة عن ظهر قلب. لقد قادت ما يكفي من طقوس الغربان هنا. حتى قبل بدء الدراسة في ويسترلي، اعتادت أن تأتي مع مِيني. إن مِيني هي أول من أحضرتها إلى القبر، الذي يتوجهان إليه الآن. قالت لها مِيني وقتها: «هذا هو المكان الذي بدأ منه كل شيء».

حُفرت أحرف اسم بيرل جونسون على شاهد القبر الجرانيتي الأسود، في خط قوطيٍّ مهيب. يسهل عليها قراءته في ثوانٍ.

سألتها سكارليت: «أتقصدين الغربان؟».

تعلم من هي بيرل جونسون. إنها من أسست رابطة فتيات الكابا، الرابطة التي ساعدت أمها لتتقن استخدام السحر، وانضمت إليها من بعدها سكارليت

وأختها الكبرى، أوجيني، لتتعلما السحر في سن مبكرة، حيث تؤمن مارجوري ونتر أنها أفضل سن للتعلم.

ضحكت مِيني: «لا. أرادت بيرل أن يُبنى قبرها هنا، لكن هذا الموقع سبق وجود الغربان، ووجود هذه البلاد، وحتى سبق عدة حضارات سابقة».

ركعت مِيني، ثم ضغطت يدها على شاهد القبر. أشارت إليها لتقترب، وقالت مبتسمة: «اشعري به. إنه يسمى خط لاي».

أطاعتها، ومدت يدها تلمس الحجر. كانت هذه هي المرة الأولى التي شعرت فيها بالسحر يتدفق بعروقها. وامتدت موجات متوهجة من الطاقة أشعلتها من الداخل، حتى لهثت، وسحبت يدها. ضحكت، ومن ثم لمسته مرة أخرى، تتذوق هذا السحر. حينها علمت ماذا تريد: أن تنضج مثل أمها وأوجيني. وتصبح قوية مثلهما ومِيني.

تذكرت المشهد كله بوضوح، حتى ترقرق الدمع بعينيها، بينما تمر بشواهد قبور طلاب سافانا، الأقدم والأجدر، بين شواهد هؤلاء الأقل حظًا.

تردد زافيير: «هل هذه فكرتكِ عن أفضل مكان للمواعدة؟».

توقفت وواجهته: «أردتَ أن تعرفني أكثر. توجد هنا أولى ذكرياتي مع مِيني».

ذهب التردد عن ملامح وجهه: «من هي مِيني؟».

- إنها مربيتي، التي نشأتُ على يديها. صدقًا، كانت أمًا بالنسبة إليَّ، غير أمي الحقيقية.

احتكَّت بالدرب المُغطى بالحصى تحت قدميها.

يقع قبر بيرل في نهاية المقبرة، بالقرب من الغابة. عليهما السير عبر الأعشاب الرطبة للوصول إليه. لا يزال ضوء النهار صحوًا، لكن هذا الجزء من المقبرة مظلل وقاتم.

نظرت إلى الطريق من ورائها مبتسمة: «لقد علمتني مِيني الكثير عن أصولي، وعن التقاليد القديمة أيضًا، مثل هذا المكان هنا».

أزاحت جانبًا كومة من الأعشاب الرطبة لتكشف عن شاهد بيرل. بادلها زافيير الابتسام: «أعتقدُ أنكِ وعدتني أن هذا ليس جزءًا من مزحة تقليدية».

- إنها ليست مزحة، ما دامت تحتمل جانبًا جيدًا، صحيح؟

يُعتبر الجزء العلوي من القبر تمثالًا. اعتقدت في البداية، أنه تمثال مُفترض لملاك، لكن الجناحين تآكلا من زمن بعيد، وبالت معالم الوجه. كل ما يمكن رؤيته هو خطوط خارجية لامرأة غامضة يسترها حجاب، شابكت يديها، وأحنت رأسها للأسفل.

حدق إلى الاسم والتاريخ المذكور: «ومن كانت؟».

اتسعت ابتسامتها: «أعتقد أنكَ ذكرتَ سابقًا أنك بحث في تاريخ الكابا. ألم تقرأ عمن أسسها؟».

أتتخيل؟ أم أنه أجبر نفسه على الابتسام فجأةً؟

- أوه، صحيح. بالطبع. أظن أنني نسيت اسمها.

شحب وجهه على غير العادة، وصار فمه رفيعًا ومزمومًا.

تقدمت خطوة للأمام، وأراحت كفها على حافة القبر. لم تشعر كآخر مرة حضرت فيها إلى هنا. لم تندفع أي طاقة إلى عروقها، ولم يتدفق أي سحر. لكنها شعرت بشيء ما. اجتاحتها رجفة خفيفة، كأنها مررت يدها على سجادة صوفية، ثم لمست بعدها مقبضًا معدنيًّا لأحد الأبواب. كانت ميني محقة؛ حتى غير السحرة يمكنهم الشعور بالسحر عند خط لاي. مما يعني...

أردفت: «تقول القصة إن بيرل لم تتزوج قط. لم تكن من هذا النوع. رغم أنها اتخذت العديد من الأصدقاء رفقاء لها طوال حياتها».

استدارت وضبطته متمعنًا بها، فاتسعت ابتسامتها ثانيةً: «كل من صادقها لفترة من حياته، حقق نجاحات رائعة، حتى بعد انتهاء علاقتهم. وهناك شائعة أنه إذا تقرب أي شخص من فتاة كابا، يمكن أن يحظى بحظ جيد. كل ما عليه فعله هو لمس هذا الحجر».

رفع حاجبه: «هل أحضرتكِ مربيتكِ إلى هنا، لتخبركِ كيف تُغرين أصدقاءكِ المقربين في المستقبل؟».

توردت وجنتاها: «ليس الأمر كما تعتقد».

أخفى كلتا يديه بجيوبه. حينها تصاعدت نغمة مرحة، لا تتناسب وهدوء المقبرة تمامًا. أخرج زافيير هاتفه، نظر إليه، وأسكت الصوت دون أن يجيب.

استطردت سكارليت، تستحثه: «إذن؟ ألا تريد معرفة ما إذا كانت هذه الشائعة صحيحة؟».

لو أنه لمس الحجر في نفس الوقت الذي تلمسه فيه، واتضح أنه يمتلك أي قوى سحرية، ستشعر للتو بالتدفق نفسه، كأول مرة أتت فيها إلى هنا.

تحرك زافيير من جانب إلى جانب، ثم فحص هاتفه ثانيةً: «لا أؤمن بالخرافات».

حاولت أن تُبقي نبرتها خافتة ومثيرة، لكنها لم تستطع أن تخفي نبرة اليأس، الذي بدأ يتسلل إليها: «أوه تعال. قليلٌ من الحظ لا يضر على أي حال، أليس كذلك؟».

أجاب بملامح تحمل بعض التردد: «لا أؤمن بالحظ. ولا ينبغي لفتاة ذكية مثلكِ أيضًا».

ما سبب تردده؟ هل لديه شيء ليخفيه حقًّا؟ ربما شعر بطاقة خط لاي لمجرد وجوده هنا. ربما يعرف ما الذي تسعى إليه.

أسقطت يدها عن الحجر: «إنه مجرد تقليد ماتع، لا أكثر».

- لا أحب التقاليد أيضًا. اكتفيتُ من الأمور التي أُجبر عليها.

تراجعَ للوراء مبتعدًا. إنها تخسر فرصتها. تقدمت تجاهه، وعقدت ذراعيها، موجهةً إليه أفضل ابتسامة متكلفة مثيرة قد يراها: «ماذا حدث لك؟ هل تخاف من قبر صغير كهذا؟».

ضحك بحدة فجأةً: «من فضلكِ، لا يمكنكِ إخافتي بتلك السهولة، يا سكارليت».

حدق إليها بتحدٍّ هذه المرة.

أعرف ما الذي تحاولين فعله، ولن أتركَكِ تنجحين في تحقيقه.

اشتدت عروقها النابضة عند صدغيها. ترغب في الإمساك بيده، وإجباره على لمس الحجر. لكن إن تجرأت وفعلت ذلك، هل سيستخدم السحر للدفاع عن نفسه؟ هل سيكشف عن هويته وعن كل ما ينتوي فعله في لحظة؟

تراجعت رغمًا عنها. لم تتأكد من أمره بعد. ربما هو زافيير نفسه، كما تراه: شابٌّ مغرورٌ يستخف بالتقاليد.

قالت: «أردتَ أن ترى جزءًا حقيقيًّا من حياتي، يا زافيير».

أشار للقبر باستهجان: «بالضبط. وبالتأكيد لم أقصد هذا الشيء. هذه لعبة تلعبينها عليَّ. لا أريد أن أصبح طرفًا بها».

عندها استدار عائدًا حتى اختفى وراء الأعشاب الرطبة المتمايلة.



لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى عثرت على زافيير. تستطيع التعرف على مشيته في أي مكان، ولو من على بُعد بضعة أمتار. إنه يُبطن أكثر مما يُظهِر، كان واضحًا من الطريقة التي تراجع بها بإصرار عن القبر. وماذا قال؟

«هذه لعبة تلعبينها عليَّ».

على الرغم من أنها لا تعرف، سواء هو الشيطان نفسه، أو يعمل مع من سرق سحر الكابا، باتت متأكدة أنه لم يعد بصفها. تبعته طوال طريق العودة للحرم اليونانيِّ. حافظت على مكانها بجانب الطريق، وعلى مسافة آمنة منه، فإذا التفت فجأةً، لا يراها. ومع ذلك لم يلتفت قط. يتسارع نبضها مع كل خطوة. هل تعقبه بمفردها فكرة جيدة؟

لا تصبو قصص الرعب، التي اعتادت أن تقرأها أوجيني لها لإخافتها في طفولتها، لمستوى ما تعايشه الآن: مثل حكايات بعض الشياطين التي تتغذى على الألم والبؤس، وبعضها الآخر تستمتع مع فرائسها من البشر، بصنع الخدع والتلاعب بالعقل. فيما عدا شيطانًا واحدًا على وجه الخصوص، أغوى ساحرة صغيرة في بلدة مقفرة بويستشستر، برؤى مرعبة لجحيم ولهيب. فانتهى بها الأمر معترفةً باستخدامها السحر، وأفشت سر أخواتها الساحرات.

ارتجفت بشدة. أوشكا الآن على الوصول.

يمكنكِ التكهن بوجهته.

على الأرجح، سيذهب إلى منزل البيكا، ويحكي لإخوته أنه ذهب مع سكارليت في أغرب موعد بالعالم.

توقفت لثوانٍ قبل أن تتبعه ثانيةً. فعندما وصل عند منزل البيكا، تخطاه. تباطأت خطواتها نصف مختبئة في ظل شجيرات منزل الجاما، تفكر في عذر إذا ما التفت عائدًا للمنزل.

لكنه استمر بطريقه، حتى صعد درجًا حجريًّا مألوفًا: منزل *الثيتا*. شاهدته عن بُعد، يطرق على الباب. فتح له ظل رفيع قصير. لا بد أنها فتاة من الثيتا، لكنها بعيدة جدًّا لتتعرف عليها. جذبته إليها في عناق حميميٍّ، ثم اختفى كلاهما داخل المنزل.

راقبتهما في غير تصديق، وعقلها يتأرجح بين الاحتمالات.



الفصل الثلاثون

فيفي

تهاوت فيفي على الأريكة في غرفة معيشة الكابا. لا يمكنها أن تقضي الليل بأكمله وحدها في غرفة نومها الموحشة، كما لو أنها نصبٌ مغبر وُضع ليذكّرها بسحرها المفقود. عانت أخواتها كذلك من اختفاء بهجة السحر بغرفهن. لكن لم تصبُ إحداها للوضع الدراميِّ الذي آلت إليه غرفتها. رغم أنها وجدت الأريكة هنا مريحة، وتحتضنها بلطف، تقلبت في نومها طوال الليل. لم يغمض لها جفن، وصدى كلمات ماريا يهمس بأذنيها: «*انضمي إلينا. يا فيفيان. يمكننا أن نقدم لكِ ما تريدين*». «*عندما تقررين العودة، سنكون بانتظارك*».

تشير ماريا بوضوح أن الكابا لم تعد المكان الوحيد بويسترلي الذي تعيش به ساحرات. لا يُعقل أن الثيتا تتمتع بالسحر منذ وقت طويل، ولم تشعر الغربان بوجود قوى سحرية أخرى بالحرم الجامعيِّ، دائمًا ما يترك السحر آثارًا. كما أن سكارليت أخبرتها أن ماريا فشلت في إضاءة الشعلة في حفل تعارف الكابا. مما يعني أن ماريا لم تملك سحرًا من قبل.

ارتجفت متذكرةً ما فعلته تيفاني لسرقة سحر أخواتها. تذكُر العنف والألم وإراقة الدماء. هل فعلت ماريا أعمالًا وحشية مماثلة؟ لو أن شيطانًا قد سُجن بالفعل في طلسم هينوسيس، هل استخدمت تيفاني سحره بإرادتها؟ وماذا تطلَّب لتمرير قوته إليها من خلال الطلسم؟

ارتعشت أوصالها، فجلست القرفصاء، مختبئةً تحت لحافها. دون التعاويذ الواقية للمنزل، أصبح مهترئًا، وتتخلله الريح الباردة من ثقوب بأركانه. على الرغم من أنها تعلم حقيقة أن درجة الحرارة بالخارج لا تقل عن عشر درجات مئوية، تشعر أن عظامها ترتعد، ولن يلفها الدفء أبدًا.

تتوق إلى ذبذبة السحر الذي استشعرته من ماريا. لكن لا يجب عليها الوثوق برئيسة الثيتا. تعرف ذلك جيدًا. ومع هذا، فمجرد التفكير في استعادة سحرها، وقدرتها على تطويع العناصر مرة أخرى، كفيلٌ للتصدي لليأس والإرهاق اللذين ينهشانها من الداخل. لكن لا يمكن مقارنة ذلك بانتفاضة الحماس التي تغمرها عند تخيُّلها لحظة استعادة السحر من أجل أخواتها. إنها تكره رؤية الغربان يتجولن بالمنزل كأشباح هائمة على وجوهها.

فكرت جيس في التخلي عن منصبها القياديٍّ بصحيفة ويسترلي الطلابية، وهي مسؤولية لا تتطلب أي سحر، لكنها لا تستطيع الاحتمال في ظل ما تعانيه من الإرهاق الشديد والتخاذل. أما مِي، فبدأ الملايين من متابعيها يفقدون الاهتمام بصفحتها، لتوقفها عن مشاركة أي محتوى جديد. وكلما لمحت فيفي نظرة الرعب بعينَي سونالي، يتألم قلبها بشدة.

جادلها صوت آخر بعقلها: *إذا استعدتِ قوتكِ، يمكنكِ مساعدتهن حينها.*

بدأت حدة هذا الصوت تتصاعد تدريجيًّا في الآونة الأخيرة. يمكنها إنقاذ الغربان. يمكنها إثبات جدارتها لسكارليت وأخواتها، ولو لمرة بالدهر كله، أنها من استطاعت تحرير سحرهن من قبضة الثيتا.

بما أن سكارليت هي من طلبت منها أن تتقرب من الثيتا. أليست الخطوة التالية المنطقية أن تنضم إليهن؟ أن تتجسس عليهن، وتصبح عينًا للكابا. فهي لا تزال من الغربان، مما يعني أن عليها اتخاذ كل ما يلزم لإنقاذ أخواتها الباقيات، وحماية ريجان وإيتا وهازيل وبايلي من التوغل في الشَرَك أكثر من اللازم.

مع تسلل أشعة شمس الصباح من خلال النوافذ المتربة، تنهدت فيفي بعمق، ومدت يدها تلتقط هاتفها. تفاجأت باستقبالها رسالة جديدة. لربما من مايسون، فغالبًا ما يبعث لها برسائل لطيفة، إذا بقي لساعة متأخرة من الليل للدراسة.

جرحها نصل الواقع المؤلم. لا، بالطبع، ليست من مايسون. جفلت عند تذكُّرها آخر نظرة على وجه مايسون قبل أن يبتعد. لم تعرف عنه سوى اللطف والصبر والتفهم. وفي المرة الوحيدة التي احتاج فيها إلى دعمها، لم تكن بجانبه.

أريانا هي من أرسلتها. طلبت من فيفي مقابلتها لتناول الإفطار في الدفيئة عندما تستيقظ. ابتسمت رغم تعبها. دائمًا ما يجعلها التسكع مع أريانا تشعر بالتحسن، بغض النظر عما يحدث. لم تهتم بتغيير ملابس النوم، خرجت للردهة على أطراف أصابعها، حتى لا تصدر الأرضية صريرًا يوقِظ الفتيات بالأعلى.

لدهشتها، لم تكن أريانا تنتظرها وحدها. وُضعت الطاولة الصغيرة ذات السطح الزجاجيِّ في وسط فناء الدفيئة، وأضيفت ثلاثة كراسي عند أحد جانبيها، في مقابل واحد عند الجانب الآخر. بدا التنظيم أشبه بمقابلة عمل. جلست أريانا وسونالي وجيس متجاورات على الكراسي الثلاث، تحيط بهن أشجار السرخس الكثيفة الوارفة، التي زرعتها العضوات الأقدم.

لم تلمح أي أثر لطعام. لم تجد سوى صينية شاي وكوب يتصاعد منه البخار، بانتظارها بجانب الكرسي الفردي. سألت بصوت أجش من أثر النوم المضطرب: «ماذا يحدث؟».

قالت جيس بلا مقدمات: «إنه تطفل».

حدقت إليهن في ذهول: «ماذا؟».

بدت سونالي منزعجة للغاية، وقد جلست مشدودة القامة في تحدٍ. بينما جلست أريانا مستكينةً بفم مزموم. قالت أريانا: «لا تتصرفين كما نعرفكِ منذ فترة. نشعر بالقلق بشأنك».

اندفعت فيفي: «بالطبع، لا أتصرف كما عهدتموني، ولا إحدانا كذلك. كيف نبقى على طبيعتنا، وجزء منا قد سُرق؟».

قالت سونالي: «نحن منزعجات مثلكِ تمامًا. لكن لم تتسلل إحدانا للتسكع مع نادٍ نسائيٍّ منافس، في ظل ما نواجهه».

تقلصت عضلات معدتها: «هذا ليس ما حدث».

تأوهت جيس ورفعت هاتفها: «حقًّا؟ إذن، كيف تفسرين ذلك؟».

على حساب إحدى فتيات الثيتا على الإنستجرام، نُشرت صورة لها مع روز في مطبخ الثيتا، تحمل في يدها كوب شراب، وتضحك كلتاهما.

قالت سونالي: «نحبس أنفسنا في المكتبة طوال الليل والنهار، ونفعل ما تأمرنا به أختكِ الكبرى -التي لا نتفق معها مهما فعلتْ- بينما أنتِ تحتفلين؟».

ناشدت أريانا سونالي التريث بنظرة مستعطفة، كأنما نوقِش الأمر فيما بينهن سابقًا، واتُّفق على إعطاء فيفي فرصة للدفاع عن نفسها: «إنني على يقين أن هناك تفسيرًا».

أجابت فيفي ببرود: «نعم، هناك تفسير. ذهبتُ للبحث عن أدلة هناك. لم أفعل شيئًا خاطئًا!».

سألتها جيس بنبرة استقصاء صحفيٍّ: «ولماذا لم تخبري إحدانا قبل أن تذهبي؟ إذا كان لديكِ شك في الثيتا، أمَا وجب عليكِ إخبارنا؟».

اجتاح فيفي شعور بالسخط ممزوج بالشك: «ماذا سيفرق؟».

قالتها بطريقة مُنفِّرة، رغم أنها حاولت إضافة نبرة مازحة. تابعت: «كنت أحاول المساعدة، لكنكِ تتحدثين وكأنني خائنة. ماذا عن ريجان وإيتا والأخريات إذن؟ تعرفن من هن الخائنات».

جفلت جيس قليلًا. لا تزال مصدومة منذ رؤيتها إيتا تغادر. لكنها تمالكت نفسها، واستكملت تحقيقها: «لم تُخفِ إحداهن شيئًا. نعلم أنهن غادرن الكابا. أما تكتُّمكِ فأرى أنه مثير للقلق، يا فيفي».

هذا الافتراء أكثر من قدرتها على الاحتمال. في حين أنها من تعمل على حل المعضلة. هل يعتقدن أن المكوث في المكتبة عمل مضنٍ؟

حاوِلن إذن التجول في عرين خصمتكن الساحرة والخروج بلا أذى.

لقد وقفتْ أمام مذبح روز. رأت السحر، وشعرت به. لا تفهم أخواتها كيف كان الوضع.

قالت، وهي تدفع كرسيها للخلف وتنهض على قدميها: «لا تفهمن الأمر».

توسلت إليها أريانا: «إذن اشرحي لنا».

سخرت سونالي: «لن تعترف بشيء. إنها متدربة سكارليت الصغرى. لا ترى أنها مضطرة إلى توضيح نفسها لوصيفة مثلنا».

قالت فيفي: «سأذهب من هنا».

ليس لديها المزيد من الوقت لتضيعه في غير عمل فعليٍّ، يساعد في إيجاد طريقة لاستعادة سحرهن.

سدَّت سونالي الطريق أمام فيفي، التي سألتها: «ماذا تفعلين بحق الجحيم؟ ابتعدي!».

نهضت جيس عن كرسيها، لتنضم إلى سونالي.

- ابتعِدن عن طريقي.

حاولت فيفي أن تتخطاهما، قبل أن تتعلق أريانا بذراعها: «من فضلكِ، نريد مساعدتكِ يا فيفي».

- تساعدنني؟ ماذا تعنين؟

ردت أريانا بلطف، مقتربة منها: «في الفصل الدراسيِّ الماضي، لم أدرك أن خطبًا وقع بأختي الكبرى. لذلك لا أريد أن أرتكب الخطأ نفسه مرة أخرى».

شعرت فيفي بالاختناق. لم تعطها الفتيات مساحة للتنفس. نفضت ذراعها بقوة أكبر مما قصدت: «ماذا تقولين بحق الجحيم؟ استخدمت تيفاني سحرًا مظلمًا لقتل أخواتها الساحرات. أما أنا فأحاول المساعدة لاستعادة قوانا مجددًا».

لم ترُد أريانا. اكتفت بالتحديق بعينين واسعتين. فيما وراء تأهبها وتظاهرها بالشجاعة، أدركت فيفي أن صديقتها خائفة.

أخائفة عليَّ؟ أم مني؟

قالت أريانا بما يشبه الهمس: «تحدثي معنا من فضلكِ. لا تتصرفي كما نعرفكِ. أعلم أن هناك شيئًا ما يحدث لكِ».

نقلت فيفي نظرها من أريانا إلى جيس وسونالي، اللتين احتفظتا بأذرعهما ممدودة، وأكفهما مبسوطة في وجهها. وقفتا على استعداد غريزيٍّ لإلقاء تعويذة واقية ضدها، باستخدام سحر لم يعد في حوزتهما.

كلهن خائفات مني.

قالت فيفي بصوت نمت إليه بعض الرجفة: «لا، يجب أن تخبرنني بما يحدث حقًّا. دعوتموني إلى هنا لتوقعنني في الفخ، أليس كذلك؟ هل تعتقدن أنني سأصبح مثل تيفاني وأسعى لقتلكن جميعًا لسرقة قواكن؟».

وجهت سونالي نظرة قلقة إلى جيس، ثم عادت تنظر إلى فيفي: «لا نقول إن ما حدث خطؤكِ. لكنكِ وسكارليت لم تعرفا ما قد يحدث قبل أن تحطما الطلسم. إذا تسبب ذلك بضرر جسيم، فنحن هنا للمساعدة، لنتأكد ألا ينتهي بكِ الأمر بإيذاء أي أحد... أو حتى نفسك».

حدقت فيفي إلى وجهها في غير استيعاب، مطقطقةً بفمها. ثم أطلقت سراح ضحكة مُرة حادة، تردد صداها في أرجاء الدفيئة: «أتعتقدن أنني الشيطان؟ يا إلهي...».

دارت حول نفسها، وهي تهز رأسها. لم تفعل أي شيء حتى اللحظة إلا من أجل هؤلاء الفتيات، اللاتي تطلق عليهن أخوات. أرادت مساعدتهن، حمايتهن. لقد خاطرت بحياتها، وذهبت بمفردها لمقر أخوية منافسة، بات لديها سحر قوي، فقط من أجل الغربان. هل هكذا يعبِّرن عن امتنانهن؟ بإيقاعها في كمين، واتهامها بأن شرًّا يكمن داخلها.

قالت أريانا: «اسمعي يا فيفي...».

قاطعتها فيفي: «لا تقلقن. ليس عليكن الخوف مني، لأنني سأرحل من هنا».

قبل أن تحاول إحداهن إيقافها، فتحت باب الدفيئة وأغلقته وراءها بقوة رجَّت الألواح الزجاجية.

لا يهم ماذا يعتقدن بشأنها. ستكمل خطتها لاستعادة سحرهن، عندها سيتوسلن لها على ركبهن، من أجل مغفرة، لا يستحققنها.



أمطرت السماء في اللحظة التي خطت فيها للخارج. رفعت فيفي يدها بتلقائية، لتلقي تعويذة تحميها من التبلل بالمطر، قبل أن تتذكر. دون سحرها الخماسيِّ، لن تتمكن من تطويع العناصر. *ليس بعد*. ستستعيد قوتها في أقرب وقت ممكن.

أحكمت سترتها حول رقبتها، وهرولت خارجة إلى الطريق، مارة بمنازل الأخويات الأخرى، التي أغرق المطر جوانبها الخشبية، حتى بالت أطراف لافتتها. وصلت إلى اللافتة الوحيدة التي تستحق الوقوف عندها. وجدت منزل الثيتا أضخم مما تتذكر. في وضح النهار، بدت الأبراج شاهقة في السماء، والدرج الحجري أكثر انحدارًا، وأصبح زلقًا لدى هطول المطر. وضعت في اعتبارها ما قد تواجهه هنا، لكنها قررت المضي في خطتها على أي حال.

قبل أن تصل إلى الباب الأماميِّ، انفتح من تلقاء نفسه. في وضع مماثل قد تضطرب أو تندهش، على الأقل. لكن، بدلًا من ذلك، اعتبرته تأكيدًا على اختيارها الصحيح.

خطت إلى الداخل، وتردد صدى خطواتها على الأرضية الرخامية، وارتد عبر السقف الحجريِّ المرتفع. توقفت لبرهة، لا تعرف ما الذي عليها فعله والماء يتساقط من طرف بنطالها الجينز المبلل. اتسعت عيناها، ما إن رأت بقع المياه تجف من تلقاء نفسها أيضًا. بالكاد مر يوم واحد، منذ جاءت إلى هذا المنزل. من الواضح أن هؤلاء الساحرات الجدد قد رفعن من مستوى لعبتهن.

وجدت بجانب الباب الأماميِّ رف معاطف، لم تُعلق عليه سوى منشفة رقيقة بيضاء. نظرت للبهو الفارغ حولها، ثم هزت كتفيها وتناولت المنشفة، تربت على شعرها وكتفيها. جففت وجهها، وشمَّت رائحة الخزامى والعسل. رغم أنها لم تلمح أي شخص في الجوار، رأت نار المدفأة تطقطق في غرفة المعيشة، والدفء المتصاعد منها يجذبها للاقتراب.

لم تجد أي أثر لحفل الليلة الماضية، لا أكواب شراب، ولا بقعًا على وسائد الأريكة. رغم أن هذا يمكن عده دليلًا ظاهرًا على السحر، فإن فيفي لم تر أي علاقة لأغطية الأرائك المبالغ في زخرفتها، والوسائد السخيفة المتناثرة، بالسحر.

تنحنحت إحداهن من خلفها. استدارت لتجد ماريا ترقبها بنصف ابتسامة مربكة. كانت محقة عندما قالت لفيفي إنها ربما تعود. مدت فيفي يدها ببطء لتعيد المنشفة إلى مكانها على رف المعاطف، بينما أبقت عينيها محدقتين إلى ماريا. ثم شدت قامتها لمواجهتها، سائلة: «كيف تفعلين ذلك إذن؟».

ردت ماريا بخجل خادع: «أفعل ماذا؟».

عقدت فيفي ذراعيها. مع أن تصرف ماريا يوحي بأنها تعرف كل شيء عن الكابا والسحر، منعتها عِزتها من توضيح ما تقصد بصوت عالٍ. تريد أن تُفصح ماريا عن ذلك أولًا.

استطردت ماريا: «لستُ بحاجة للعب معكِ. لستُ بحاجة لإثبات شيء لكِ. فلدي كل ما تبحثين عنه».

قالت بنبرة حازمة لم تألفها إلا بعد قضاء بعض الوقت مع سكارليت: «إذا كان هذا هو الحال، فأنت تجيدين إخفاءه حقًّا. إنها وسائد لطيفة بالمناسبة. يبدو أنكِ من تريدين انضمامي بشدة إلى الثيتا. كيف أتأكد أنكِ ستعطينني ما أبحث عنه».

تهكمت ماريا: «حسنًا إذن. لكن احذري فيما تطلبين».

فرقعت أصابعها، فاشتعلت النيران في الأريكة. كادت فيفي تتراجع فزعة خطوة للوراء، لكنها تمالكت نفسها في الوقت المناسب. لا يجب أن تُظهِر أي ضعف أمام ماريا، ولا أي علامة اندهاش أو رهبة تجاه قدراتها السحرية التي امتلكتها حديثًا. تستطيع كل ساحرة في الكابا أن تؤدي حيلة كهذه في أثناء نومها. لكن الرائحة مختلفة، فيما وراء الدخان ورائحة احتراق القماش، انبعثت رائحة نفاذة لشيء لاذع مثل فاكهة فاسدة، أو مثل.. السحر المسروق؟

تصاعدت ألسنة النيران واستعرت. سرعان ما تجهم وجه ماريا، كما لو تجاهد بكل قوتها لتمنع النار من التهام بقية المنزل. استشرت حرارة اللهيب على بشرة فيفي، ودمعت عيناها من الدخان. ارتفعت الوسائد المحترقة ببطء في الهواء، حلَّقت للحظة، ثم انفجرت مثل كرات من الرماد. لكنها لم تسقط على الأرض، بل تشكلت مرة أخرى في صورة وسائد سوداء، هذه المرة، بدلًا من الوردي والأخضر، كما تغيرت كلمات: «عِشْ، أحِب، اِضْحَكْ»، إلى كلمات أخرى مكتوبة بحروف منمقة: «اِسْحَر، اِنْحُسْ، اِلْعَنْ».

ضحكت فيفي رُغمًا عنها، قائلة: «أقنعتِني».

اندفعت ماريا: «إذن، هل ستنضمين إلينا؟».

طقطقت بأصابعها مجددًا، فاختفت ألسنة اللهب، بينما بقيت آثارها على الأريكة. ربما تُعلمها فيفي طريقة أفضل لإلقاء هذه التعويذة.

- نعم.

الفصل الحادي والثلاثون

سكارليت

اختبأت سكارليت بين الشجيرات المجاورة لمنزل البيكا، كالمتطفلين. لكن ماذا بيدها غير تلك الطريقة لتعرف؟ لن تفشي لها إحدى فتيات الثيتا سرًّا عن زافيير. حاولت بالفعل التربص بإحداهن: سبنسر، في قاعة الطعام هذا الصباح، لتعرف منها، فصدتها هذه الأخيرة بغلظة.

أرسلت إلى فيفي العديد من الرسائل النصية منذ الصباح، لتتناقشا حول تطورات الخطة. لكن لم ترُد فيفي على أيٍّ منها. لا بد أنها منشغلة بمهمتها الاستكشافية هناك. بعد حفل الثيتا، تلقت منها سكارليت رسالة نصية غامضة مقتضبة: *«تقدُّمٌ في المسار السليم. أُطلعكِ على المزيد غدًا»*.

مهما كانت التحديات التي تواجهها فيفي في مهمتها، تتمنى فقط أنها أيسر مما لديها هنا. تململت في مكانها تنقل ثقلها من ساق إلى أخرى. تعرف بقعة اختبائها هذه جيدًا. تسللت إلى هنا مع مايسون عدة مرات، في الماضي، كلما ناشدا بعض الخصوصية خلال حفلات البيكا. يصعب أن يراهما أي شخص في هذه الفجوة الضيقة، حيث يمكن اختلاس النظر إلى الشرفة الأمامية.

حتى الآن، مر من أمامها نصف فتيان البيكا، منهم العائدون إلى المنزل، ومنهم الذين خرجوا تجاه المدينة لقضاء الليل هناك. بالحكم على شعر معظمهم المصفف للخلف بعناية، والعطر الذي يفوح في أعقابهم، يبدو أن

لديهم خططًا بأحد المقاهي في وسط المدينة، أو بإحدى الحفلات المُقامة بأرجاء الحرم الجامعيِّ.

أصبحت الثيتا بالطبع، أولى الوجهات الرئيسية بويسترلي. تزعجها هذه الحقيقة بقدر انزعاجها من الطين الذي تنزلق فيه ببطء. حركت إحدى قدميها، تنتزعها في إحباط، واستندت على جدار المنزل الخارجيِّ. حتى هذه اللحظة، لا يوجد أثر لزافيير. *لا بد أنه لا يزال بالداخل.* ليس لديه صفوف اليوم. تأكدت بنفسها من خلال سؤال عابر لأحد فتيان البيكا، وعرفت أن زافيير عاد للمنزل. ومنذ حينها، وهي عالقة هنا في انتظار خروجه.

سمعت اثنين يتجادلان في الشارع، ومن مكان ما داخل البيكا، لعن أحدهم. زادت حمى التوتر في الحرم الجامعيِّ، وكأن بارودًا نُشر بالأرجاء جاهز للانفجار. ذهب فكرها إلى بوابة الجحيم. هل هي سبب كل هذا القلق والاحتقان؟ يسعى سحرها بين الجميع تحرض بعضهم ضد بعض؟

ارتجفت قدماها عند المفاصل. تتمنى لو تستخدم تعويذة صغيرة، لتُرغم زافيير على الخروج هنا، أو حتى لتشفي البثور الناتجة عن احتكاكها بالطين المقزز. حبست أنفاسها عندما فُتح باب المنزل الأمامي مرة أخرى. استعدت لخيبة أمل جديدة، أن تجد أحدًا آخر من البيكا، يُسرع الخطى لوجهته بالخارج كما فعل إخوته. لكن بعد برهة، لمحت كتفَي زافيير المميزتين المتراخيتين للأسفل.

أخيرًا.

راقبته يعبر الطريق، ثم تلفَّت للوراء. خفق قلبها بشدة، وتفادت على الفور مجال نظره، لكنها ظنت أنه رآها. عندما تجرأت للنظر من خلال الشجيرات ثانيةً، رأته يمشي بعيدًا تجاه الحرم الجامعيِّ، ومعه حقيبة معلقة على إحدى كتفيه. هل هو ذاهب للمكتبة من أجل الدراسة؟ *أم ليوقِع المزيد من الطلاب في شَرَكه؟* إنها في طريقها لتعرف.

تحركت من مكانها، وهرولت صاعدةً الدرجات الأمامية لمنزل البيكا، متجهة لغرفة زافيير. تعرف طريقها عن ظهر قلب، فلا بد أنها غرفة مايسون التي تركها الفصل الدراسيَّ الماضي، الغرفة نفسها التي تسللت إليها مرارًا، في أثناء علاقتهما.

تشعر بطريقة ما أن عمرًا قد مضى، رغم انفصالهما في بداية هذا العام. كما لم تعد هي سكارليت نفسها، *التي لديها سحر بين يديها*. تعلمت الكثير خلال الفصل الدراسيِّ الماضي، واكتشفت أشكالًا أخرى للقوة. عليها أن تتذكر ذلك.

صعدت الدرج درجتين في المرة. لا يوجد لديها عذر مقنع لوجودها، لكنها تُراهن على إمكانية غض البصر عن تطفلها بصفتها رئيسة للكابا، إذا قبض عليها أحد من البيكا. وحتى إذا عاد زافيير سريعًا، على غير المتوقع، لن تأخذ وقتًا طويلًا في البحث على أي حال.

تركت ذاكرتها تقودها إلى باب الغرفة الثالثة في الطابق الثاني. *مُغلق*. لحسن الحظ، استخدمت حلًّا بديلًا لدخول الغرفة في العام الدراسيِّ الثاني، عندما استمر مايسون في نسيان مفتاح غرفته. ركعت بالأسفل، وتحسست بثقة الفراغ الضيق ما بين إطار الباب وألواح الأرضية.

وجدت الجزء المرجو من الإطار الخشبيِّ، والتقطت من تجويفه المفتاح الاحتياطيَّ الذي صنعته. حاولت الحد من غرورها، وهي تضع المفتاح في القفل، فلربما غُيِّر عندما انتقل زافيير إلى هنا. لكن المفتاح دار بالقفل في سلاسة، فتنهدت بارتياح. خطت للداخل بسرعة، مغلقةً الباب من خلفها.

للوهلة الأولى، بدت مثل أي غرفة نوم عادية، فيما عدا نظافتها الشديدة المثيرة للريبة. حيث شُدت ملاءة السرير بعناية، وظهر المكتب كخلفية أنيقة لشاشة التطبيقات على الهاتف، كما نُسقت الكتب، التي رأتها على رف الكتب، في ترتيب أبجديٍّ.

بالتأكيد، يختلف زافيير عن إخوته في البيكا، فحتى مايسون الذي يهتم لهندامه، عادةً ما رأت عددًا من كتبه مفتوحة وملقاة على وجهها في أنحاء الغرفة، جاهزة لتُنتزع متى احتاج إليها. ومع ذلك، لم يلفت انتباهها أمر مريب بعينه في الغرفة. بدأت بفحص رف الكتب من كثب. لم تر إلا كتبًا دراسية لصفوف تعرفها: الاقتصاد، الإحصاء. في الواقع، بدا الرف عاديًّا، بلا حواف مُعنونة على الكتب الدراسية، ولا روايات أو قصص خيال علمي، للاستمتاع بين أوقات الدراسة. مما بدا غريبًا. من الطالب الذي تظل كتبه الدراسية على حالها، كما لو أنها لا تزال على رفوف مكتبة لبيع الكتب؟

على المكتب، وجدت حاسوبه، وقد تركه على وضع السكون. نقرت لتضيء الشاشة فظهر تبويب كلمة المرور. مجددًا، لو أن لديها سحرًا لاستطاعت فعل أي شيء، لأمكنها جعل بصمة أصابعها تماثل بصمة زافيير، وتفتح جهازه بسهولة.

بدلًا من ذلك، نقَّبت في أدراج مكتبه. لديها شعور أن شخصًا منظمًا ودقيقًا مثله، لن يحتفظ بأي أمر يشير بوضوح إلى أي كلمة مرور خاصة به. لكن لعلها تنجح في إيجاد شيء آخر. وجدت دفتر مخططه اليومي. تصعب قراءة خطه، حتى المكتوب به ليس سوى بضعة أحرف لا تكمل كلمات واضحة. حدقت إلى الكتابة لدقيقة كاملة، قبل أن تطقطق بفمها. سبق لها أن رأت مثلها؛ تشبه ملاحظات مكتب المحاماة التابع لوالدتها.

الكتابة بالاختزال. تعلمت مارجوري تلك الطريقة في أثناء الدراسة في الماضي. لكن في وجود الحاسوب والأجهزة الحديثة، لا يحتاج أحد لتعلمها في الوقت الحاضر (لا تترك مارجوري مناسبة إلا وتشتكي من هذا الأمر).

لمَ يحتاج شاب في مثل عمر زافيير إلى الكتابة بالاختزال، وإلى مخطط ورقي لتسجيل دراسته؟

دققت النظر في محاولة لفك الحروف. تصفحت بضع صفحات للخلف، وتوقفت عند تاريخ حفل لمِّ شمل خريجات الكابا. حيث كتب 'Scrt'. هل يقصدها هي؟ سكارليت؟ لم تستطع أن تكمل القراءة، فمعظم الحروف رُسمت كخطوط تشير في اتجاهات مختلفة.

التقطت صورة للصفحة. تابعت البحث في الصفحات الأخرى بالدفتر، لكنها لم تستطع العثور على أي شيء يشبه كلمة مرور للحاسوب. بينما تعيد الدفتر إلى مكانه في الدرج، جذب نظرها كاميرا موضوعة بجواره.

ألقت نظرة خاطفة من وراء ظهرها تجاه الباب. لا يزال المنزل هادئًا. أخرجت الكاميرا وشغَّلتها. أول ما رأته على الشاشة صورة لها. ضاق نفسها، وكادت تسقط الكاميرا من يدها. التُقطت لها في ذلك اليوم، الذي أرادت فيه التحدث إلى زافيير في منطقة المروج. في الصورة رأت نفسها واقفة أمام جاكسون، تتجادل معه. كان جاكسون متجهم الوجه، يتراجع للوراء، بينما تحاول التعلق بذراعه. إذن، فقد راقبها زافيير طوال الوقت، هو الآخر.

تسارعت دقات قلبها. ففجأةً أدركت أن الصمت المخيم على منزل البيكا يدعو للقلق. إذا عاد زافيير وضبطها بغرفته، هل يمكنها الصراخ؟ هل هناك أحد آخر بالمنزل؟ هل سيسمعها أيٌّ من الفتيان ويأتي لنجدتها؟ ابتلعت ريقها بصعوبة.

لا تجزعي، *لقد رأيته يغادر.*

كما أنه قضى وقتًا طويلًا بالغرفة. لا يمكن أن يعود سريعًا. ومع ذلك، أجبرت نفسها على وضع قلقها جانبًا، والاستمرار في فحص باقي الصور بالكاميرا. وجدت صورًا لجميع الغربان: صورة لِمي تأخذ حمامًا شمسيًّا على العشب بالحديقة الخلفية للكابا هاوس، ولإيتا خارجة من متجر بوسط المدينة، تحمل حقائب على ذراعها. أما جولييت وجيس، فلهما صورة معًا بأحد مطاعم المدينة. وكذلك لهازيل تجري بمفردها بمحاذاة النهر، قبل شروق الشمس.

التُقطت صورة لفيفي في أثناء لقائها بروز في المخبز، وصورة أخرى من حفل لمِّ الشمل، لا تبدو فيفي بها على ما يرام. لكنها رأتها على ما تذكر سعيدة ومفعمة بالحيوية في ذلك اليوم، بينما في هذه الصورة.. ترى ذراعها تنزف.

متى جرحت فيفي نفسها في حفل لمِّ الشمل؟ لا تذكر سكارليت ذلك. إذا كان هناك شيء واحد تؤكده هذه الصور-إلى جانب أن زافيير ليس عضوًا عاديًّا بأخوية من الفتيان- أن سكارليت فاتها الانتباه إلى كثير مما يدور حولها. عليها إضافة ذلك إلى كومة إخفاقاتها المتزايدة كونها رئيسة للكابا.

سمعت صريرًا على ألواح الأرضية بالخارج. لهثت، ودسَّت الكاميرا مكانها، ثم دفعت الدرج تغلقه. تسمرت في منتصف الغرفة، كاتمة أنفاسها، رغم خفقات قلبها المضطربة. سمعت صريرًا آخر، وضحكة شاب من مسافة بعيدة. إنه مجرد أحد فتيان البيكا في غرفة أخرى. أرخت كتفيها.

أسرعي!

لا تزال بحاجة لمزيد من الأدلة. رغم الإزعاج الذي تسببه هذه الصور، تشير إلى احتمال أنه مجرد مترصد عاديٍّ، وليس بالضرورة شيطانًا. تحتاج

لدليل أكثر جدية من الصور، دليل على أن زافيير يستخدم سحرًا مظلمًا، دليل على أنه يعلم بأمر بوابة الجحيم، وطلسم هينوسيس.

شدت قامتها وتفحصت الغرفة. من الواضح أنها لن تستطيع فتح حاسوبه، كما لا يمكنها اختراقه، تعلم حدود قدراتها جيدًا. فتحت خزانة ملابسه أولًا. رُتبت الخزانة ترتيبًا أنيقًا مثل المكتب ورف الكتب. عُلقت كل الملابس في صفوف منظمة: لديه نحو عشرة قمصان متماثلة، وبنطالان فقط من الجينز، أحدهما داكن، والآخر فاتح. عند أحد جانبَي الخزانة، وُضعت حقيبة جلدية. خفق قلبها بشدة، إذ لم تجد بها سوى أقلام وعلبة علكة.

هل تمضغ الشياطين العلك؟

هزت رأسها، أعادت الحقيبة، وأغلقت الخزانة. اتجهت نحو السرير. أزاحت الأغطية، وبحثت تحتها. تفحصت السجادة بجواره، بالتأكيد ينظفها بالبخار، لتبقى سجادة غرفته نظيفة وخالية من البقع هكذا، ثم ركعت على ركبتيها لتنظر تحته.

وجدت صندوقين للتخزين من البلاستيك. مدت يدها وأخرجت صندوقًا منهما، فجمدت مكانها. من خلال الغطاء البلاستيكيِّ، تمكنت من رؤية كومة من الكتب. لكنها تختلف عن تلك الموجودة على الرف. إنها أقدم، وأغلفتها الجلدية فارغة ولا تحمل اسمًا.

رفعت الغطاء وسحبت الكتاب العلويَّ من الصندوق. فتحت الغلاف البالي، فكاد ينفصل عن الكتاب. نُقش العنوان بخط قديم الطراز، وبأحرف منمقة، لكن يسهل قراءتها: «*ترصُد آثار الساحرة*».

شعرت بمرارة بحلقها. تريد الخروج من هنا سريعًا، لكنها تحتاج إلى دليل إضافيٍّ على ماهية زافيير، وماذا يفعل بالضبط. أخرجت هاتفها والتقطت صورة لصفحة العنوان، ثم انتقلت إلى فهرس الكتاب: *مبادئ السحر المظلم. أصناف الساحرات ونقاط الضعف*. وفي آخر الصفحة: *منهجيات القضاء على ساحرة*.

التقطت صورة أخرى للفهرس، ثم انتقلت للكتاب التالي. كل الكتب الأخرى بهذه الكومة على هذا النحو. لا يوجد من بينها كتاب واحد لاستخدام

السحر. لا يحتاج شيطان لتعلُّم السحر، لكن ربما يريد معرفة كيفية العثور على الساحرات وسرقة قواهن؟ أم القضاء عليهن؟

جف حلقها، وتعرقت يداها. ما إن أوشكت على إعادة جميع الكتب للصندوق، اكتشفت شيئًا آخر تحت السرير. إنه خنجر له نصل طويل ورفيع. تدفق الأدرينالين بعروقها. وجدت كتابة منقوشة على طول النصل وحول المقبض. لقد تعلمت من أمها قراءة الأحرف الرونية قبل حتى أن تقرأ بالإنجليزية. كان هذا درسها الأول في ذات اليوم، الذي عرفت فيه أنها ساحرة مثلها.

خطر بذهنها صوت مارجوري، تهمس لها بكلمات تتذكرها بوضوح كما لو أنها قيلت بالأمس: «*إذا رأيتِ هذه العلامات في أي مكان، اهربي*».

قفزت سكارليت على قدميها، دون أن تكلف نفسها عناء إغلاق الصندوق. اهتزت رؤيتها للغرفة، ما إن تملكها الذعر. لم يكن زافيير شيطانًا. في تلك اللحظة، فهمت السبب المفزع وراء حيازته لهذه الكتب. تفصح الطريقة التي يصور بها الغربان في أثناء ملاحقتهن جميعًا، أنه صائد ساحرات.

لم تهتم بإخفاء آثار وجودها بالغرفة. لن تدعها غريزتها تفعل وإن أرادت، ولا عقلها الذي يصرخ: *اخرجي من هنا، انطلقي، انطلقي، انطلقي*.

اندفعت نحو الباب وفتحته. أظلمت الردهة، واهتزت أضواء خافتة فوق رأسها. هل كانت الردهة قاتمة هكذا عندما صعدت الدرج؟ أو قد تغير شيء ما؟

خطت للخارج مسرعة، فصدر صرير حاد من ألواح الأرضية تحت قدميها. جمدت، ونظرت حولها. كل أبواب غرف النوم الأخرى مغلقة. لا يُسمع صوت أي أحد بالطابق العلويِّ، ولا توجد أصوات غمغمات بعيدة أو ضحكات بين بعض الفتيان.

طمأنت نفسها: *أنتِ بخير. لم يبقَ سوى الدرج*.

وبعدها ستصبح بالمنزل. لا يبعد الكابا هاوس إلا مسافة عبور الشجيرات. فقط ستركض لتخبر أخواتها. سيبحثن ويجدن حلًّا لهذا معًا. أولًا، عليها التحرك. التصقت بجانب الردهة، حيث يقل ضجيج الأرضية. هرولت على

رؤوس أصابعها نحو الدرج. وبعد كل عدة خطوات، تنظر خلفها. ما زال المنزل معتمًا وفارغًا إلا من وميض خافت.

رن هاتفها. إنها مارجوري. أغلقت الهاتف.

وأخيرًا، وصلت للدرج، وقفزت درجتين في المرة كما صعدت. لن تهتم إذا رآها أحد من البيكا، وتساءل عن وجودها. يعنيها الهروب فقط. تريد العودة في الهواء الطلق، حيث يمكنها تهدئة ذهنها. اصطدمت قدمها بالطابق الأرضيِّ وركضت نحو الباب الأماميِّ. فتحته، واستعدت لتطلق ساقيها تجاه المنزل، تجاه حريتها.

لكنها لم تكن تركض إلا تجاه صائد الساحرات نفسه.



الفصل الثاني والثلاثون

فيفي

ظهر أن فيفي ستنضم إلى الثيتا على الفور. بعدما أخبرت ماريا أنها موافقة، قادتها رئيستها الجديدة إلى الطابق العلويِّ، حيث تنتظرها باقي الأخوات. بينما تصعد الدرجات الحجرية، ابتسمت، واستنشقت بعمق الرائحة الدخانية الخفيفة التي تألفها، مما بعثت بوخز بكل عصب في جسدها، وكأنها عادت للحياة من جديد، بكامل وعيها ونشاطها للمرة الأولى منذ أيام.

قادتها ماريا عبر الغرفة العامة، واستقبلتها فتيات الثيتا بالهتاف والتصفيق الحار، وأعلاهن ريجان وبايلي ترحيبًا بها. اجتاح صدر فيفي دفء، لم تشعر به قبلًا، حتى في الليلة الأولى لاستقبالها في الكابا. حيث يجب عليها بذل أقصى جهدها لتثبت أنها ساحرة قادرة لسكارليت والفتيات الأقدم، مرارًا وتكرارًا.

ومع ذلك، لم تستطع أن تتجاهل الإحساس بأن شيئًا ما يبدو غريبًا. جالت ببصرها حول الغرفة التي شابهت غرفة معيشة الكابا، لكن في مرآة هزلية بمدينة ألعاب. لا يمكن إنكار أن الغرفة مسحورة، إلا أنها بالكاد تعلو عن المستوى المقبول. عندما ركضت سبنسر ناحيتها لتعانقها، لفت انتباهها إلى تغير لون شعرها الأشقر الطويل، إلى آخر داكن قصير قليلًا، مثلما تفعل مِي بشعرها أحيانًا. لكن على عكس خصلات شعرها الناعم واللامع، بدا شعر سبنسر متموجًا متقصفًا بشدة -أشبه بالقنوات التلفزيونية المشوشة قديمًا- تتخلله خصلات شقراء، لم تتأثر بالتعويذة المستخدمة.

لا يزال الأمر منطقيًّا، فلم يفُت وقت طويل منذ أن تعرفت فتيات الثيتا على السحر، وبإمكانها مساعدتهن. لم يسبق لها أن كانت الأمهر والأكثر خبرة بين الجميع.

قالت ماريا: «سوف يستغرق الأمر منا بعض الوقت لتنظيم طقس إعدادك للانضمام. لمَ لا ترتاحين في هذه الأثناء؟ سترشدكِ روز إلى غرفتك».

قفزت روز فعليًّا، وأمسكت بيد فيفي وجذبتها نحو الدرج، بطاقتها الحماسية نفسها، التي جعلت فيفي تشعر بالذنب حيال تصرفاتها بالحفل.

- أهلًا، آسفة حقًّا لأنني اختفيت الليلة الماضية. لم يحق لي دخول غرفتكِ دون إذن...

قاطعتها روز مبتسمة: «لا داعي للاعتذار. شرحت لي ماريا كل شيء. إذا تطلَّب الأمر ذلك لإقناعكِ بالانضمام إلينا، فإنني سعيدة بما فعلت».

قادتها روز إلى ممر غرف جميل، تغلَّفت جدرانه بورق حائط عليه زهور زرقاء داكنة. لوَّحت بيدها، وانفتح باب بنهاية الممر. لمحت على وجه روز الفخر بما فعلت للتو، وهي تقول: «هذه غرفتك».

اتسعت ابتسامة فيفي: «هذا لطيف».

لكنها لم تستطع أن تخفف من وطأة الحقد الذي يتلوى كالثعبان ببطنها. وكأنها أُجبرت على مشاهدة مسابقة لأكل الكعك، وهي على شفا المجاعة. تنهش داخلها رغبة مؤلمة لإلقاء السحر. هذا ما تحتاجه لتسترد ماهيتها ثانيةً، لتحمي نفسها من القوى المظلمة التي لم تعد بعيدة عنها.

قالت لها روز بنبرة مشجعة، قبل أن تتركها، وتغلق الباب خلفها: «ادخلي واستريحي. سنتصل بكِ عندما يحين الوقت».

خصصت ماريا لها غرفة في أحد الأبراج الأربعة التي ترتفع فوق المنزل. تمتاز الغرفة بمدفأة وشرفة حجرية، أكبر من شرفة جولييت بالكابا، ولها سقف مرتفع، ذو عوارض خشبية، بالكاد تظهر التفاصيل من خلال الإضاءة الخافتة.

كما أنها أكثر برودة من غرفتها الخاصة بالكابا، كأن الجدران الحجرية قد امتصت كل الدفء، رغم أنه من المفترض أن المدفأة وُضعت لهذا الغرض.

يمكنها إصلاح ذلك بفرقعة صغيرة من أصابعها، بمجرد أن تستعيد سحرها. لكن ما إن جلست على السرير، حتى فاجأها ألم الحنين لغرفتها. لا تريد حقًا استخدام سحرها المسترد في إصلاح هذه الغرفة، بل تريد كسر اللعنة التي خيمت على الكابا هاوس، وإعادة قوى أخواتها، لتعود كل الأمور إلى طبيعتها السابقة، حسنًا، ليس كما السابق، بالضبط. إذا استطاعت أن تكون أول من تستعيد سحرها، واستخدمته لمساعدة باقي أخواتها من الكابا، فلن تقلل إحداهن من شأنها أو تشكك في قدراتها مجددًا.

تعرف أنه يجب عليها الحذر الشديد حتى تقنع الثيتا بالتخلي عن المماطلة ويعدن إليها السحر. ومع ذلك، تريد الوثوق بهن. أرسلتها سكارليت في طريق خطرة بمفردها، لكن بدلًا من الخطر، وجدت بين فتيات الأخوية هنا لطفًا وترحيبًا. لم تتصرف إحداهن كما لو أنها أقل شأنًا، لأنها لا تعرف كيف يعمل السحر.

في الحمام الملحق بالغرفة، وجدت مناشف ناعمة فاخرة، ومجموعة من منتجات الاستحمام لإحدى الماركات التجارية المشهورة، لها روائح تُذكِّرها بالعبوات المركزة من: الزهور الشوكية، الورد، الحبق، الخزامى. قضت وقتًا أطول من المعتاد في الاستحمام، مستمتعة بالدفء المشبع بالبخار.

لا تعمل شبكة المياه بالكابا هاوس بكفاءتها في الأيام القليلة الماضية، وبالكاد يحصلن على ماء ساخن. عندما عادت للغرفة، لاحظت بعض الملابس على المقعد الوثير: بنطال جينز أسود ضيق، عليه طبقة من الفينيل اللامعة، مع قميص تي شيرت أسود. لم يكن أسلوبها المعتاد في الملبس. لكنها جاءت إلى هنا على وجه الخصوص، لأنها تريد أن تغير من نفسها. أن تصبح فتاة أخرى، قوية، ولا تخشى شيئًا.

ارتدت البنطال الجينز، الذي حدد انحناءات جسدها، كما لو فُصِّل على مقاسها بالذات، لينزلق بانسيابية تحت التيشيرت الأسود المشدود على صدرها. بدت في المرآة كفتاة بوند، خطيرة وغامضة. تعرفت على نفسها بالكاد. لكن أُعجبت بزيها الجديد.

تخيلت ردة فعل مايسون، إذا رآها في هذه الملابس. هل سيدرك مدى الخطأ الذي ارتكبه عندما جعل فتاة مثلها تذهب من يده؟ ماذا قد يفعل لو

رآها ترقص مع أخواتها الجدد في حفل، تتمايل بجسدها، ورأسها للوراء، منسجمة مع موسيقى صاخبة؟ هل سيغلب عليه اشتياقه إليها، ويمنحها فرصة ثانية؟ لا يرتاد مايسون الحفلات الصاخبة. إذا أرادت أن يراها في هذا الزي، فعليها الذهاب للمكتبة، في التاسعة من مساء يوم الجمعة، وقت مايسون المميز «لبذل قصارى جهده في الدراسة».

داهمها حزن مؤلم. تذكرت كل الأوقات التي أُتيحت لها، لتمرر له القهوة والحلوى خلسةً إلى غرفة الكتب النادرة، وكيف ينور وجهه كلما رآها، حتى لو بضع ساعات. كيف يمكنها أن تستعيد تلك الذكرى؟ كيف ستصلح كل ما دمرته بينهما؟

بعد دقائق قليلة، جاءت إيتا وبايلي للغرفة لإحضارها إلى الغرفة العامة. سألت إيتا، عند خروجهن من الغرفة: «هل أنتِ متحمسة؟ تأكدي أنكِ اتخذتِ القرار الصحيح».

تمايلت إيتا في مشيتها، كأنها ترقص على مشط قدميها، وتتصرف بطيش على نحو غير معهود.

ردت فيفي: «نعم، بالتأكيد. إذن، كم استغرقتِ من الوقت لتستعيدي سحرك؟».

تبادلت إيتا وبايلي الابتسامات، ثم قالت بايلي: «ليس من المفترض أن نتحدث عن ذلك حتى تمام انضمامك».

لم تعتد بايلي التحدث بهذه النبرة الهادئة المطمئنة، فحتى في مزاجها الجيد، دائمًا ما بدا صوتها كأنين خافت من أثر جرح ما.

أمسكت إيتا يدها، قائلة: «ستكونين سعيدة حقًّا. جميع الفتيات هنا لطيفات للغاية ومرحبات. أشعر أنني واحدة من الثيتا منذ زمن بعيد».

أومأت بايلي مؤيدة بقوة: «وماريا هي الأفضل. ستحبينها. كما أنها تحب أن تُقدَّم لها النصائح. تقول دائمًا إن أفضل الأفكار تأتي من أماكن غير متوقعة».

قالت فيفي: «هذا يبدو رائعًا».

يشغل تفكيرها مدى الاختلاف بين الآن، وبين ما شعرت به عند انضمامها إلى الكابا، وأحكامها الخاصة واستنتاجاتها السابقة، بدايةً من تسلُّمها دعوة دون بطاقة، مرورًا بالشعلات التي تشتعل فقط لمن لديها السحر. كل ما تعلمته في الكابا يصب في فكرة يسهل توقعها، أنه لا يحق لمن لم تولد ساحرة بالانضمام: فالسحر يُمنح ولا يُكتسب. لكن ماذا لو هناك طريقة أفضل؟ ألا ينبغي أن يُتاح السحر لمن ترغب جديًّا في استخدامه من أجل الخير؟ قد تعد فتيات الثيتا مبتدئات في التعامل مع السحر، لكن لديهن من الحماسة لاكتشاف القوى التي اكتسبنها حديثًا، ما يكفي، لجعلها ترتاح لانضمامها إليهن.

لكن بينما تتبعهما على الدرج، أدركت أنها لربما قد قللت من تقدير قوة الثيتا. منذ أن غادرت الطابق الأرضيَّ قبل ساعة أو نحو ذلك، عادت لتجده قد تغير تمامًا. اختفى البهو الذي دخلته في وقت سابق اليوم، وتحول إلى أدغال. اصطفت الأشجار على الجانبين، وامتد عشب ناعم زمرديٌّ كبساط تحت الأقدام. وما بين الأعشاب وجذوع الأشجار، لمحت نباتات الفطر والأُشْنَة، وزهورًا صغيرة تتفتح ليلًا، تكاد تتوهج تحت الإضاءة الخافتة.

داعب نسيم رقيق بارد مؤخرة عنقها، فارتجفت، وفركت ذراعيها، بينما تزفر أنفاسًا ضبابية. ظهر بجانبها فجأةً شخص يرتدي القناع، فقفزت فزعة. لا يمكنها أن ترى عينَي هذا الشخص من خلال القناع، لكنها لمحت شفاهًا وردية بارزة. تظن أنها روز، أو ربما فتاة أخرى من الثيتا.

سألتها الفتاة المقنَّعة بابتسامة، وهي تُخرِج وردة زهرية اللون من ردائها، وأعطتها لها: «هل أنتِ مستعدة، أيتها المستجدة؟».

شدت فيفي قامتها. لن تدع المسرحية التي تحاكيها الثيتا ترهبها: «أنا مستعدة».

شعرت بالفخر بمدى تطور قدرتها على الحفاظ على نبرة واثقة.

- اتبعيني.

تخلف عن عباءة روز السوداء كالليل الحالك حفيف عن احتكاكها بالأرضية العشبية. بينما تتبعها فيفي إلى الردهة، لم تستطع أن تكبح رغبتها في لمس جذوع الأشجار التي تمر بجوارها. يبدو كل شيء حقيقيًا: العشب، والجذوع،

وحتى رائحة الأرض الرطبة، كأنها في غابة حقيقية. مما جعل توقها يزداد بحدة للسحر الخماسيِّ الخاص بها، لدرجة أن معدتها بدأت تقرقر جوعًا. لا ليس جوعًا، بل حاجة تحتاج لتلبيتها. لقد اقتربت كثيرًا من قوتها الآن، وفي أقرب وقت ستحصل على ما فقدته مرة أخرى. *الأمان*.

اتسع أمام روز الرواق الذي تحول إلى غابة، لتظهر في وسطه مساحة دائرية، تحيطها نباتات فطر كبيرة، تعكس ضوءًا فضيًّا خافتًا، كقطع من القمر سقطت على العشب. أمالت رأسها للأعلى، فلم تر سقفًا ولا أثرًا لمنزل الثيتا. رأت فقط سماءً صافية وقمرًا بدرًا. تضمهما ملايين النجوم في دِثَار فضائيٍّ سميك.

جاهدت لتُبعد عينيها عن السقف الساحر. وجدت المزيد من الوجوه المقنعة بانتظارها. حضرت كل فتيات الثيتا من أجلها، ووقفن في دائرة، ورؤوسهن محنية للأسفل. تباعدت الفتيات، وانضمت روز إليهن. ثم أشارت لها أطول الفتيات، والوحيدة التي تميزت عن البقية بتاج من الأعشاب الشائكة، لتتقدم لمركز الدائرة.

لا يمكنها التعرف عليها، لذا افترضت أنها ماريا، طالما تحمل تاجًا فوق رأسها. لكن لا تهمها أيٌّ من هذه التفاصيل الآن، في أقرب ما يمكن للحصول على ما تريده بشدة. تكاد تشعر بالسحر يتدفق في عروقها مجددًا. فدون السحر، ليست مجرد فتاة عادية، بلا منزل، ولا هدف، ولا قدرة على حماية نفسها. تجرفها الحياة كيفما يتراءى لها، حتى أوصلتها إلى ويسترلي. لن يحميها ممن يضمر شرًّا مثل تيفاني، سوى السحر، أو حتى من الشياطين التي تتلاعب باستقرار الحرم الجامعيِّ.

فكرت في بوابة الجحيم القابعة تحت الكابا هاوس، وبالطريقة التي ارتجت فيها الأرض وانشقت، في محاولة لجذب سكارليت داخلها. ليست لديها قدرة لقتال شيء كهذا دون قواها. كما لا ينفي أنه سواء غضبت الغربان منها، أم لا، أنهن بخطر. لا يمكنها تركهن دون حماية. بفضل قوة الثيتا، يمكنها إنقاذ الكابا، والتصدي لمحاولات الشيطان الذي يعتزم تدميرهن.

تقدمت للأمام في شموخ. وبمجرد أن وصلت لمركز الدائرة، ضيقت الفتيات المساحة حولها. سمعت صوتًا آخر. تعتقد أنه ماريا هذه المرة، لكن

عندما نقلت بصرها بين الأقنعة من حولها بحثًا عن الشفاه التي تتحدث، بدا أن الصوت يأتيها من كل مكان، ومن لا مكان في الوقت نفسه.

- أيتها المستجدة، انضمامكِ إلينا اليوم، يعني أنكِ تعهدين نفسكِ -عقلكِ وجسدكِ وروحكِ- أمام هذه الدائرة. منذ الليلة، ستكون قوتنا هي قوتكِ، وقوتكِ هي قوتنا. نحن كيان واحد.

كررت الأخريات: «*نحن كيان واحد*».

كما لو أن الدائرة نفسها تتحدث بنفس واحد، تتردد ذبذبات الهتاف بصدرها في نغمة واحدة.

«*نحن كيان واحد. نحن كيان واحد*».

أضافت: «إذا وافقتِ على شروطنا، ارتدي عباءتك. أتِمِّي عهودك، كما أتمَّتها جميع الحاضرات هنا قبلك».

أمالت الفتاة المتوجة رأسها، فنظرت فيفي في الاتجاه الذي تشير إليه، لتجد رداءً داكنًا مُلقىً على الأرض. مكثت مكانها للحظة، ثم توجهت إليه لتلتقطه، تاركةً الوردة مكانه. ألقت العباءة ذات القماش السميك على كتفيها، وأطلقت تنهيدة ارتياح خافتة، مستشعرةً الدفء الذي اجتاحها بعد برد قارس.

- كرري من بعدي.

طلبت منها فتاة الثيتا المتوجة ذلك، باستثناء، إدراكها أن تاجها ليس مصنوعًا من الأشواك، بل من العظام، أو قرون مخلوق ضخم، كالغزال، لكن من فصيلة منقرضة. وقد خُطت قاعدته بلون أحمر باهت.

تابعت الفتاة: «قوتي هي قوتك».

كررت فيفي: «قوتي هي قوتك».

- جسدي هو جسدك. إرادتي، هي إرادتك.

تدفقت الكلمات من فمها بوتيرة أسرع: «جسدي هو جسدك. إرادتي هي إرادتك».

- بالدم سنوثق هذه المعاهدة، وجميع العهود التي سبقتكِ، يا فيفيان ديفيرو.

أخرجت الفتاة المتوجة كأسًا فضيًّا منطفئًا ونصلًا، بينما تشاهد فيفي فتاة تلو الأخرى من الثيتا، تتقدم خطوة للأمام، وتشهر عن إصبع، لتغرزها الفتاة المتوجة، ثم تميل بذراعها لتسقط نقطة دم في الكأس.

وخزت أخيرًا إصبع فيفي، وأضافت نقطة أخرى للكأس. سرعان ما بدأت الدماء الداكنة بالتوهج، كما لو أضيئت بواسطة نجم يحتضر. مدت فيفي ذراعها وتناولت الكأس، تتوقع أن تداعب أنفها رائحة الدم المعتادة. لكن عندما شمَّته عن قرب، لم تجد رائحة نحاسية صدئة، بل رائحة حلوة.

أمرتها الفتاة المتوجة: «اشربي. وعودي لطبيعتكِ الكاملة مرة أخرى، كونك ساحرة».

ارتعش قلبها مع سماع تلك الكلمة: *ساحرة*. رفعت الكأس إلى شفتيها، ودون تردد شربت السائل. انتظرت ذبذبة مألوفة لتسري بجسدها، لكن لم يحدث شيء.

قالت فيفي، في خشية وخيبة أمل، في حين تتلوى معدتها: «لا... لا أعتقد أنها تعمل».

تكلفت ماريا الابتسام ومدت ذراعها، ثم بسطت يدها. بعد برهة، ظهرت شعلة صغيرة تتراقص على راحة يدها. قالت ماريا: «جربي».

ترددت فيفي، متسائلةً عما إذا عليها تجربة تعويذة سحر خماسيٍّ أولًا. كما اعتادت بالكابا: «ابدئي بالتعويذة التي تتقنين أداءها، وتعمل معك».

لكنها ليست بالكابا. كما لا توجد معها بطاقات التارو الخاصة بها، ولم تُمنح أي تعاويذ لتحفظها، ولا تمارين معينة لفعلها. مدت ماريا يدها، حيث حملت بين أطراف أصابعها، إبرة رفيعة لامعة: «أعتقد أنكِ تعرفين بالفعل كيف يعمل هذا السحر. كل ما تحتاجينه قليل من الألم، تضحيةً من أجل ما تريدين».

غمزت لها ماريا: «من تعتقدين أنه دفع بكتاب السحر الصغير ذاك من أجلك؟».

ماريا هي من منحتني الكتاب؟ كيف يُعقل هذا الأمر؟

سرعان ما خمدت نيران الشك بداخلها، إنها بأمس الحاجة لاستخدام السحر. طغى هذا الدافع لديها على ما سواه. أخذت الإبرة وأغلقت عينيها. فكرت في الشعلة الراقصة على كف ماريا. تريد هذه القوة، هذه الحرارة.

قطبت جبينها، كزَّت على أسنانها، وغرزت الإبرة في مركز إبهامها. انطلق لهب حار من أطراف أصابعها، تجاه السقف مباشرةً. تصاعد للأعلى بحدة، حتى قفزت بعض الفتيات للوراء في ذعر، وضحكت الأخريات.

لوَّحت بأصابعها، فطارت ألسنة اللهب ترقص بالهواء. شعرت بحرارته بالقرب من وجهها، فاحمرت وجنتاها. بابتسامة طائشة، قبضت كفها، فاختفى اللهب دفعة واحدة.

قالت ماريا مبتهجة: «مرحبًا بكِ في الثيتا. صرتِ واحدة منا الآن».





الفصل الثالث والثلاثون

سكارليت

تسمرت مكانها دون حراك. طوَّق زافيير يده حول معصمها، ولو أنه لم يحكم قبضته. إنما هي أقرب لمحاولة تثبيتها دون ضغط. رغم استطاعته أن يلوي ذراعها بعنف، حتى يلتصق ظهرها بالحائط. بالإضافة إلى طوله وقوته بالنسبة إليها، في حين أنها لن تقوى على مواجهته دون سحرها.

سد المخرج أمامها بكتفيه، وبصره ينتقل من وجهها إلى الدرج المظلم من خلفها. تسارع نبضها. حاولت أن تتحدث بنبرة عادية: «أوه! زافيير».

لكن صوتها اهتز. *اللعنة!*

تابعت، وهي تحاول تحرير معصمها: «كنتُ في طريقي للخارج».

قال كمن يجري محادثة عادية، إلى حدٍ ما: «لقد تلقيتُ تنبيهًا أمنيًّا بدخول أحدهم إلى غرفة نومي».

تبًّا! وجب عليها أن تعرف. يحتاج صائد ساحرات إلى أجهزة إنذار أمنية، بالطبع، فلديه كل ما يجب إخفاؤه.

ردت متفاديةً مواجهته: «إنه... حظ عاثر».

أظلمت عيناه، ولم تستطع قراءة تعبيراته: «نعم. وأجدكِ الآن هنا، تركضين خارجةً من منزل البيكا».

أخذت سكارليت نفسًا عميقًا. ثم صرخت. لكنه كان أسرع منها. وضع يده على فمها، فخرج صراخها مكتومًا. دفعته ليطلق سراحها، فأدارها حول

نفسها، وشد ظهرها إلى صدره. سألها بنبرة خافتة خطرة، لا تحمل أي مزاح: «ماذا كنتِ تفعلين؟».

المخرج على مقربة منها. يمكنها ركل إطار الباب. ربما يسمعها أحد إخوة البيكا، ويأتي لنجدتها. شعرت بحرارة أنفاسه الدافئة بالمقارنة براحة يده. دفعته ثانيةً، فأفلتها هذه المرة. لكنه لم يتزحزح عن المدخل. على الرغم من جسده النحيل، فإنه سد طريق الخروج أمامها بسهولة، مادًّا ذراعيه إلى جانبيه، مستندًا بيديه على جانبَي الباب.

قالت بنبرة أرادت أن تبدو صارمة، لكن صوتها تصدَّع وارتجف: «دعني أذهب».

أردف مشيرًا تجاه المنزل: «أنتِ من اقتحم غرفة نومي. إذا لدى أحدنا حق في إصدار الأوامر هنا، فأعتقد أنه أنا».

ترددت: «إذا لم تدعني أذهب، فسوف...».

جفلت، فرفع حاجبه متهكمًا: «فسوف ماذا، تلقين عليَّ لعنة؟ أود أن أراكِ تحاولين، لكنني على يقين من عدم قدرتكِ على إضاءة شعلة الآن، حتى لو توقفتْ حياتكِ عليها».

لم تتضرج وجنتاها بالحمرة فقط، بل وجسدها كله. كيف عرف بأمر الشعلات؟ اللعنة، كيف عرف أي شيء عن الغربان؟ لقد شاهدت الصور التي التقطها لأخواتها بأرجاء المدينة، وفي المروج، لكنهن دائمًا ما توخين الحذر وكتمن السر. وهكذا الحال لعدة أجيال في الماضي.

حتى *أتيت أنتَ وأفسدتَ كل شيء.*

تمتم صوت ما بعقلها، يشبه تأنيب أمها لها. لم يسبق أن واجهت عدوًّا غريبًا وخطرًا من قبل. كل غريزة تصرخ لتفعل ما تعلمته طوال حياتها: *انكري، انكري، انكري.*

قالت بصوت مبحوح: «لا أعرف عمَّ تتحدث».

انفجر زافيير ضاحكًا، وتقدم نحو المنزل، تجاهها: «أعتقد أننا تجاوزنا ذلك، يا سكارليت».

أخذت تتراجع للوراء، حتى اصطدمت بدرابزين الدرج.

أين الجميع بحق الجحيم؟ لمَ اختار أكثر منزل أخوية نشطًا الليلة على التحديد ليفرغ من ساكنيه؟

سألت بصوت مبحوح: «إذن... ماذا سيحدث الآن؟».

أومأ برأسه نحو الدرج: «لنتحدث بغرفتي».

عقدت ذراعيها: «لن أذهب معك إلى أي مكان، يا صائد الساحرات».

تأوه زافيير ونظر حوله، كما لو يخاف أن يسمعهما أحد. اقترب خطوة أخرى، فشدت قبضتيها استعدادًا. رغم مهاراتها في الدفاع عن النفس تراجعت مع الوقت، فإنها ترفض الخضوع دون قتال. قبل أن تتمكن من التحرك، مد زافيير يديه إلى جانبيه مرة أخرى، باسطًا راحتيه في وجهها، كما لو يعمل على تهدئة حصان خائف: «لستُ صائد ساحرات، يا سكارليت».

- هراء. لقد رأيت الخنجر. أعرف معنى تلك الرموز.

أعلمتها أمها بوجود رجال مثله، ممن يحتقرون الساحرات، ويرون أنهن لا يستحققن هذه المكانة. يحملون خناجر، سُحرت أنصالها لاختراق دفاعات الساحرات، وقتل النساء مثلها، وعائلتها من السحرة.

بعد برهة، قال زافيير بهدوء: «جئتُ لقتل الشيطان».



جلست سكارليت على حافة سرير زافيير، في وضعية الاستعداد للركض نحو الباب في أي لحظة. لا يمكنها الوثوق به بعد. ربما يخدعها، ليسهل له تخطي دفاعاتها. راقبته وهو يمسك بمقبض الباب، متمتمًا بشيءٍ ما. بعد برهة، توهج المقبض بلون أزرق باهت.

التفت إليها، بينما تقول: «إذن، من منا تلاعبَ بالآخر؟ يا لي من حمقاء... لم يكن أيٌّ مما حدث حقيقيًّا. حتى تقربك مني، وكل الهراء الذي قلتَه عن عائلتك».

قال بصوت خفيض: «تتحدثين عن أمرَين متضادَين تمامًا. كنت أتلاعب بكِ، لكن هذا لا يعني أن الأمر لم يعجبني، أو أنني لم أستلطفك».

التقت أعينهما، وتصاعد شعور ما بداخلها، لكنها دفعته جانبًا.

أضاف بسرعة: «لم تكن أمامي طريقة أخرى، يا سكارليت».

ألقت نظرة مرة أخرى إلى مقبض الباب المتوهج، الذي بدأ في التلاشي. ثم علَّقت بجانب فمها، وهي تنقل بصرها إلى الخنجر، الذي لا يزال ملقىً على الأرض، حيث تركته، قبل هروبها فزعة منذ قليل: «لم أعلم أن صائدي الساحرات يستخدمون السحر (أدار ظهره لها، فأسرعت تمد ساقها لتقرب الخنجر منها، وتجعله في متناول يدها، متى احتاجته) اعتقدتُ أن أمثالك يعتبرون استخدام السحر إثمًا لا يُغتفر، وصمة عار للنظام الطبيعيِّ».

حدقت إلى ظهره حتى استدار أخيرًا. بدا منهكًا، وتغزو وجهه هالات عميقة تحت عينيه، التي خطتها حمرة دامية، تمامًا كما شاب عينيها. لم يجلس مثلها، اكتفى بالوقوف مستندًا بظهره على الحائط بجانب مكتبه، ورُفعت إحدى رجليه خلفه: «لقد أخبرتكِ، يا سكارليت. لستُ من تعتقدين».

انتبه للخنجر الساكن تحت حذائها الرياضيِّ، فهز رأسه: «احتفظي به في الوقت الحاليِّ، إذا أردت. ما دام يجعلكِ تشعرين ببعض الأمان».

أبقت عينيها محدقتين إلى عينيه، بينما تنحني لتحمله بين يديها. وجهت النصل لأعلى فأضيئت الأحرف الرونية: «تبطل هذه الرموز مفعول السحر. لا تؤثر التعاويذ في هذا النصل. لماذا قد تحصل على واحد، إذا كنتَ لا تنوي مطاردة الساحرات؟».

على الرغم من أنها مَن تحمله بيدها، شعرت أن الخنجر يبعث برجفة عبر جسدها. مع العلم بحقيقة أنها لم تعد تملك سحرًا، إلا أن الخوف المتعمق بداخلها، منذ علمتها أمها في وقت مبكر أن تتجنب الوجود حول هذا الخنجر، يؤرقها.

انحنى للأمام، وظهرت هالات عينيه داكنة أكثر من المعتاد: «إنه يعمل على أي سحر، يا سكارليت. وليس ما يخص الساحرات فقط. نحن نتعقب أثر الشيطان الذي أطلقتِ سراحه عند كسر طلسم هينوسيس. اسمه تايفوس، على الرغم من أنني أشك أنه يستخدم اسمه هذه الأيام».

ارتجفت سكارليت، متخيلةً العديد من صائدي الساحرات مثله. فشددت قبضتها على النصل: «نحن؟ كيف تعلم عن الطلسم؟ أو أيٍّ مما تقول؟

رأيتُ الصور على الكاميرا الخاصة بك. ظللتَ تراقبني، وأخواتي في الكابا الأخريات...».

أغمض عينيه، وضغط بأصابعه بين حاجبيه للحظة: «أعرف ما قد يدور ببالكِ. لكنكِ لست الوحيدة التي تنحدر من عائلة عريقة، يا سكارليت (عندما فتح عينيه، بدا أكبر سنًّا بطريقة ما، وأكثر رُشدًا) عائلتي هم الحراس المكلفون بالتصدي لمحاولات فتح بوابة الجحيم، وإطلاق عنان الجحيم ليسود الأرض، بأي وسيلة ممكنة».

نقلت نظرها بين زافيير والنصل. يجول بخاطرها كل ما أخبرتها به أمها عن صائدي الساحرات، الذين لديهم خناجر كهذه، ويسعون لإيقاع الساحرات في الفخ، وسلب دفاعاتهن. في حين أنها رأت زافيير يلقي تلك التعويذة على مقبض الباب، لحماية نفسيهما بالداخل. يبدو أن صائدي الساحرات قد يتعرضون لخطر الموت دون استخدام السحر بدورهم. مما يعني أنه ربما يقول الحقيقة.

قالت ببطء: «افترض أنني أصدقك. لماذا ظللت تراقبني وأخواتي، إذا كنت تبحث عن... تايفوس هذا؟».

تجهم وجهه: «أنا متأكد من أنكِ تعلمين أن الشياطين تتخذ هيئة البشر على هذا الجانب من البوابة. ويقدرون على استخدام السحر أيضًا. لذلك عندما علمت عن ماهية الكابا الحقيقية...».

تهكمت: «هل تعتقد أنه واحدة منا؟ هذا مستحيل. أعرف هؤلاء الفتيات منذ وقت طويل، قبل تحطم طلسم هينوسيس».

زادت تجاعيد جبهته: «تايفوس ليس مجرد شيطان عاديٍّ. إنه متخصص في التلاعب بالذاكرة. يمكن له العبث بعقلكِ، وزرع نفسه في ذاكرتك. يجعلك تعتقدين أنكِ تعرفينه منذ زمن بعيد».

ارتعشت قائلة: «حتى أقوى ساحرة سيوف بيننا لا تستطيع أن تجعل الحرم الجامعيَّ بأكمله يتذكر شخصًا لم يكن موجودًا بالفعل من قبل».

- مما يمنحك لمحة صغيرة عن مدى خطورة تايفوس. والأسوأ أنه يريد فتح بوابة الجحيم، فهي مصدر قوته، التي لم نر منها حتى اللحظة

سوى قطرة. تخيلي ما يمكن أن يفعله إذا حصل على فيض من قوته. ناهيكِ ببقية الشياطين التي سيطلق سراحها.

عقدت ذراعيها: «حسنًا، أنت الحارس. أفترض أنك تعلم كيف توقِفه؟».

جفل زافيير. لأول مرة منذ أن دخلا الغرفة، لا يبدو واثقًا من نفسه: «يعتقد الجميع أن مصدر القوة هو ما لديكِ، السحر، ورابطة الساحرات. لكن هناك قوة أخرى معاكسة، قوة الاحتياج...».

- ماذا تقصد؟

- أن هناك قوة أخرى تنبع من الرغبة، من التعطش للسحر. وهذا هو مصدر قوة الشيطان. يتغذى على إشباع رغباته، والحرم الجامعيُّ أمثل مكان بالنسبة إليه. حيث يتغذى على كل خيبة أمل وشعور بألم يتعرض له فتى أو فتاة، فقد أو فقدت صديقًا مقربًا أو مكانة اجتماعية. وعندما يمتص كل ذلك، يصبح جاهزًا بما يكفي ليسعى وراء القوة الحقيقية التي تملكينها وأخواتك، ويستحوذ عليها. إذا استمر هذا الوضع لفترة أطول، أخشى أنه ستزيد قوته، ووقتها لن يصبح بمقدور أحد إيقافه.مكتبة سُر مَن قرأ

سألت، رغم تألمها للاعتماد على صائد ساحرات من أجل نجاة أخواتها من براثن الشيطان: «إذن، ماذا نفعل؟».

- لدي فكرة، أو نظرية بمعنى أدق. لم يذهب أحد من عائلتي لمواجهة شيطان منذ أكثر من قرن. كما أن الطرق التي استخدمها جد جدي الأكبر قديمة بعض الشيء بالنسبة إلى عصر حديث.

عبس كلاهما في حين استطرد زافيير: «الأمر الوحيد الذي يعمل لصالحنا هو أنه لا يمكنه فتح البوابة بمفرده. يحتاج إلى دم من غلق البوابة في المرة الأخيرة، بالإضافة إلى رابطة من السحرة، تعمل تحت لوائه».

سارعت سكارليت بالقول: «حسنًا، لحسن حظنا، كيفما تحققت آخر مرة، لا توجد رابطة ساحرات بالحرم الجامعيِّ في الوقت الحاليِّ».

حدق زافيير إلى السقف، ثم نقل بصره إلى نوافذ شرفته، متحاشيًا النظر بعينيها: «هذا.. ليس دقيقًا تمامًا».

انحت للأمام، مستندةً بمرفقيها على ركبتيها: «تعلم ما حدث لقوى الغربان، أليس كذلك؟».

لم تقصد أن تسأل حقًّا. نهضت عن السرير، والخنجر لا يزال بيدها. بينما لم يرف جفن لزافيير.

- أعتقد أن تايفوس أعطى سحركن للثيتا. إذا كنت محقًّا في اعتقادي، فقد فعل ذلك مكافأةً مقابل العمل تحت إمرته.

ألجمتها الكلمات. بالطبع، جال بخاطرها هذا الظن، لكن سماعه بنبرة تأكيد منه، الذي يعني أنه لُعن جاكسون وتِيم المسكين، باستخدام سحرها. بالإضافة لعدد لا يحصى من الأشخاص الآخرين المحتملين، إذا استمرت الثيتا على هذا النهج.

- ليفتحن بوابة الجحيم.

أومأ برأسه: «إذا صحَّت نظريتي، فسوف يظهر تايفوس في هيئة شخصية رفيعة في التسلسل الهرميٍّ بالثيتا، أو حتى على قمته».

ماريا.

تضرج وجه سكارليت بالحمرة. تعرف ماريا منذ سنوات. لكن *تايفوس ليس مجرد شيطان عاديٍّ. إنه متخصص في التلاعب بالذاكرة.*

شدت قبضتيها. تذكرت تيفاني والطريقة الخبيثة التي حاولت بها سرقة قوى السحر. ثم قالت على مهل: «لا أستطيع أن أصدق هذا. لا يمكن أن يُحدِث سحرنا المسروق التأثير نفسه. لم يقتل أحدًا من الغربان؛ لا يمكنه نقل قوى رابطة كاملة للثيتا، وامتلاكها إلا لفترة مؤقتة».

تردد معلقًا: «نعم. لكن بعد انضمام عدد قليل من الكابا إلى صفوف الثيتا، فإن قوتهن ستكون أكثر من كافية له».

جفلت وفكرت في ريجان وبقية الساحرات. لا تزال خيانتهن تؤلمها. لكن لو أنهن تحت سيطرة هذا الشيطان أيضًا...

تجهمت في وجه في زافيير ثانيةً: «لذلك ظللتَ تطاردني طوال ذلك الوقت، وتحاول التودد إليَّ. لقد كنت مجرد بوابة بالنسبة إليك، للتقرب من

الكابا، أليس كذلك؟ ولهذا السبب، تخليت عن مطاردتك لي، لتتسكع مع الثيتا، ما إن علمت بفقداننا للسحر».

حدق إلى الأرضية هذه المرة، واحمر وجهه: «هذه ليست كل القصة...».

- أوه. إذن، ماذا عليَّ أن أضيف؟ إنك بالحقيقة تعرف السبب وراء خسارتي لقوتي، ولم تكلف نفسك عناء تحذيري؟ الكابا بأكملها بخطر!

- لم أكن قد تأكدتُ بعد، إذا وُضعتِ تحت تأثير تعويذة أم لا! اللعنة. لم أكن أعرف، ظننتُ أنكِ الشيطان.

اقترب خطوة نحوها. يفوقها طولًا، لكنها من تحمل الخنجر. ومع ذلك، لا تزال تشعر بالضعف أمامه. لا تبعدهما سوى خطوة واحدة، وكلاهما يتنفس بصعوبة. تابع: «إن كل ما فعلته حقيقيٌّ، يا سكارليت. كل ما قلته لكِ عني حقيقيٌّ. وكل ما أخبرتكِ به عن عائلتي حقيقيٌّ أيضًا».

- باستثناء حقيقة أن عائلتك تتصيد عائلتي لقرون.

- نحن لا نصطاد أحدًا. نحن نحافظ على التوازن بين الطبيعة، وما هو خارق لها. وعندما تتعدى الأمور الحدود نتدخل على الفور. لستِ أنتِ وأخواتكِ المشكلة. كما لستُ هنا من أجلك. أنت فقط...

- آثار جانبية؟

تنهد: «هذا هو ما تفعله عائلتي دائمًا لقرون. ولطالما سعدتُ بهذا الدور. عندما التقيتكِ، تساءلت ماذا قد أصبح، لو لم أكن محاصرًا بين الحياة والموت طوال الوقت. أردتُ فقط أن أتصور الحياة التي قد أعيشها».

- زافيير...

تحشرجت الكلمات بحلقها. تساءلت مثله عن نوع الحياة التي قد يعيشها. أصبح العيش على حافة الحياة والموت، سمة حياتها مؤخرًا. لكن يجب أن يوضَع حد لهذا الوضع. عليها أن تفعل شيئًا لاستعادة سحرها.

نظر تجاه النافذة: «هناك المزيد. قبل أن تقتحمي هذه الغرفة، كنت أراقب الثيتا. حيث أدت الفتيات هذه الليلة طقسًا كبيرًا، قويًّا بما يكفي لأشعر به».

تقلصت معدتها في خوف: «من أجل ماذا؟».

نظر بعينيها: «لا أعرف. لكنني رأيت شخصًا يدخل قبل أن يشرعن بالبدء... إنها فيفي».

كتمت أنفاسها. لا. لقد أمرت أختها الصغرى ألا تذهب للثيتا دون علمها. طلبت منها أن تتقرب إليهن لتعرف ماذا يخططن فقط. يبدو أنها أرسلتها إلى هناك، عن غير وعي، وحيدة، بلا دعم معها ولا سحر. تسلل إليها همس بغيض. *تمامًا مثل المرة الماضية.* عندما سمحت لتيفاني باصطحاب فيفي معها. كادت فيفي أن تُقتل بسبب جهلها بما تنوي عليه صديقتها.

متى وصلتها آخر رسالة نصية من فيفي؟ حاولت سكارليت التواصل معها، لكنها لم تتلقَ جوابًا، منذ رسالتها النصية الأخيرة بعد حفل الثيتا، لتُعلِمها بعودتها للمنزل. فتشت في جيوبها عن الهاتف بذعر. راقبها زافيير: «سكارليت، أنا...».

لم يكمل جملته. ارتجت الأرضية من تحت قدميهما، فارتمت سكارليت تجاه الحائط، واصطدم زافيير بإطار السرير. سمعا صرخات تتصاعد بكل اتجاه بالخارج، وعندما ركضا نحو النافذة، وجدا الحرم اليونانيَّ، وقد أُضيء بنور باهر.

استمرت الأرض بالارتجاج. سمعت سكارليت عن بُعد صوت تحطُّم مرعبًا خافتًا، قادمًا من منزل الثيتا. نظرت تجاه الكابا هاوس، في اللحظة التي اندفعت فيها الغربان تحلق بعيدًا عن سطح المنزل على الفور، وتنعق عاليًا في صوت حاد، بعث بقشعريرة بجسدها. هناك خطب ما.

أخواتي في خطر.

دفعت بالخنجر بيد زافيير. سواء ما تفعله صوابًا أم لا، لن تحسن استخدامه أفضل منه: «يجب أن نذهب. الآن».



الفصل الرابع والثلاثون

فيفي

- اتبعنني يا فتيات.

نادت ماريا، بينما تقود جماعتها نحو الدرج المؤدي للقبو بمنزل الثيتا. قالت إنهن سيذهبن معًا في مغامرة، ولم تهتم فيفي بطرح الأسئلة. فقد شغلتها القوة التي عادت تسري من جديد في عروقها. يغمرها شعور أفضل من نشوة الشراب، ولهفة لقاء صديق قديم. كما لو أن ساقًا مبتورة نمت بأعجوبة، وعادت أقوى مما كانت.

تكاد تُسكرها السعادة الممزوجة بالسحر. لم تستطِع التوقف لبضع دقائق دون أداء أي تعويذة. الآن وبعد أن استعادت سحرها، باتت تتشبث به في شراسة. فرقعت أصابعها، فبدأت أناملها تتوهج. تأملتها بإعجاب للحظة، ثم حركتها في الهواء، حتى خرج منها ضوء يتلوى حول معصميها وذراعيها. هزت ذراعيها، فنما الضوء وتفرعت منه أوراق ترفرف بعيدًا عن بشرتها.

نظرت لها روز بإعجاب، وهي تنزل الدرج بجوارها. مدت يدها تلمس إحدى الأوراق، فإذا بها يرقات، سرعان ما تحولت إلى فراشات، طارت مجتمعةً في سحابة من الأجنحة المرفرفة. قهقهت روز، وهي تتبع الفراشات بعينيها. ثم صاحت بمرح عندما أصبحت الفراشات أكبر حجمًا، ونمت لها أنياب حادة، وآذان مدببة ومزغبة: «هيا بنا».

قبضت روز على يدها، فتركت فيفي صديقتها الجديدة تسحبها وراءها تجاه القبو. عند منتصف الدرج، توقفت فيفي وأفلتت يدها. هناك أمر من المفترض أن عليها فعله، أليس كذلك؟ أمر أتت من أجله. لكن يصعب عليها التذكر. تشعر أن عقلها مشوش، ولا تقدر على التفكير في أي شيء، فيما عدا السحر.

ضغطت روز على ذراعها: «ما خطبكِ؟».

- أعتقد أنني فقدت شيئًا ما، كنت أبحث عنه.

- لا تكوني حمقاء. كل ما تحتاجينه موجود بين يديكِ الآن.

إنها على حق. تابعت نزول الدرج، سائلة: «إلى أين نتجه؟».

همست روز: «إنه مفاجأة. ثقي بنا».

علّقت سبنسر من خلفها، قبل أن تسبقها مهرولة لتلحق بماريا، في مقدمة المسير: «هذا هو الجزء الأفضل».

لا يشبه قبو الثيتا مثيله في الكابا. لا يوجد سخان مياه ضخم، ولا أرضية متصدعة، ولا بوابة مروعة تهتز تحت الأقدام. جُهِّز القبو بفرش كامل، حيث عُلقت أبسطة مزخرفة على الجدران، وامتدت أرضية حجرية، مثل الطوابق العليا، وتردد صدى خطوات ماريا بكعبها العالي. لم تبدِ إحداهن توترًا بشأن الوجهة التي تقودهن ماريا إليها. كما لم يراودهن شك. كانت جميع الفتيات في غاية السعادة، لخوض هذه المغامرة معًا. يا له من شعور جميل، أن تصبح جزءًا من أمر أعظم منها، واحدة من الكل.

خالجني هذا الشعور من قبل، لكن متى؟ ومع من؟

لا يمكنها التفكير على نحو سليم. كما لو أنها ثملة، إلا أن الغرفة لا تدور بها. كما تلازمها حالة من الفرح والمرح، ولا شيء آخر. لمحت خصلات من شعر ريجان القاني، ورأت إيتا وماريا تتحدثان. قالت لنفسها: «*أرأيتِ؟ أخواتكِ هنا أيضًا*».

همس صوت بعقلها: «لقد عرفن مثلكِ أن الثيتا على حق بالنهاية».

هذا صحيح. ومن تلك الفتاة؟ ربما هي كايت؟ أو ماريا؟ لم تستطع تمييزها. لا يهمها على أي حال.

تابع الصوت: «*هذه أخويتكِ الحقيقية. لا حاجة للقتال، لا حاجة للقلق...*».

أومأت فيفي برأسها. تحب سماع تلك الكلمات، ووجود أصوات عدة تحدِّثها بعقلها. يُشعرها ذلك بالأمان، ويقيها الوحدة، التي عانت منها في الكابا، بسبب الأسرار التي عليها إخفاؤها عن أخواتها.

أخواتي...

ضغطت روز على يدها، قائلة بصوت عالٍ، ظنته همسًا آخر بعقلها: «نحن أخواتكِ الآن».

كأنها فقدت كامل ذاكرتها فجأةً. تخلصت من أفكارها تلك على الفور، واندمجت في المزاج العام الاحتفاليِّ مع أخواتها.

أزاحت ماريا بساطًا معلقًا، لتكشف من ورائه عن مدخل لنفق مظلم ضيق، متسخة جدرانه. من حولها ضحكت فتيات الثيتا، وهمسن لبعضهن بعضًا في حماس. سمعت إحداهن تسأل: «إلى أين يقود في ظنك؟».

تعتقد فيفي أنها رأت هذا النفق في مكان ما من قبل.

مدخل *مباشر للكابا.*

هذا النفق جزء من شبكة الأنفاق التي تمتد أسفل سافانا كلها. اعتادت استخدامه، هي وعضوات الكابا الجدد، للعودة من مقبرة بونافنتور إلى الكابا هاوس.

همست لها روز: «هل تعرفين إلى أين نتجه؟».

هزت كتفيها، ودفعت فيفي أمامها نحو النفق المظلم: «سنعرف عندما تكشف لنا ماريا عن ذلك».

جفلت فيفي، وتوقعت أن تشعل إحداهن ضوءًا، لكن الفتيات تابعن المضي قدمًا، واكتفين بالضحك كلما تعثرن، وبالتمسك ببعضهن بعضًا. تفرع النفق وانحنى عدة مرات، حتى فقدت الإحساس بالاتجاه. لا يهمها شيء، ما دامت تعرف ما الذي تريده، وهي تتبع ماريا أينما قادتها.

كما ليست لديها رغبة في السؤال. لا حاجة لذلك. هذا ما يجب أن تكون عليه الأخوية، أن تسود الألفة والثقة بينهن، أن يتحدن حول هدف واحد. لم

تشعر بذلك في الكابا قط. حيث فُرِّق بين الفتيات، لدى كلٍّ منهن رأي مختلف، ودائمًا ما يتجادلن.

لم تُثِر الفتيات تساؤلًا واحدًا. فقط يتبادلن الابتسام، ويواصلن التقدم. لا خلاف أن الحياة أبسط بكثير بهذه الطريقة. كل ما أرادته فيفي هو أن تنال السحر ثانيةً، لتستعيد سعادتها.

بسطت راحتَي يديها وأغمضت عينيها لتركز. بدأت الأرض تهتز قليلًا، وبعدها بلحظة، برزت من جدران النفق استجابة لأمرها، نتوءات لجذوع. مدت أصابعها، فطالت الجذوع، ونمت منها أغصان، تشبه أيادي عَظْمية، تمتد إليها في اشتياق. كما لو تتوق الأرض لمحادثتها، وتذكرتها بمن هي بالحقيقة، بكونها ساحرة خماسية. لا، لم تعد كذلك. تلك هي نسختها القديمة، وقواها المحدودة. أما الآن، فلديها القوة بأكملها بين يديها.

سارعت الخطى لاهثة لتلحق بروز. تعثرت، وكادت تسقط. عندما نظرت إلى الأسفل، رأت جذورًا متشابكة حول كاحلها، وتقبض عليها بإحكام كالمخالب. أمسكت روز بمرفقها لتسندها، ثم نظرت بالأسفل ضاحكة. عقصت أصابعها، فخففت الجذور قبضتها، مما سمح لفيفي بتحرير كاحلها.

استرعى ما حدث بعض اهتمامها. *هذا* غريب. اختفى ذلك الشعور سريعًا، وتشتت انتباهها.

همس صوت بعقلها ثانيةً. يشبه هذه المرة صوتها، أو ربما لا: «*لا تنتبهي إلى شيء سوانا*».

تهادى صوت ماريا الواثق من مقدمة المسير: «أوشكنا على الوصول».

تبادلت الفتيات من حولها الابتسام، بما فيهن الغربان السابقات: كايت، وسبنسر، وديلين، وروز، بالإضافة لفتيات أخريات، لم يسبق لها أن تعرفت عليهن. لكنها تشعر أنها تعرفهن جيدًا. فقد تشاركت معهن الدماء والقوة بالفعل.

توقفت ماريا أمام جدار صلد. يبدو أنهن اتخذن منعطفًا خاطئًا، أوصلهن إلى طريق مسدودة. عندها رفعت ماريا يدها، وفي تناغم، فعلت الفتيات من ورائها المثل. بدأ الجدار في التصدع، وتطايرت الأوساخ في كل اتجاه. رفعت

فيفي ذراعها حمايةً لوجهها، بينما اهتزت الأرض من تحت قدميها. للحظة، ساورها قلق أن النفق ينهار. قبل أن تلاحظ أن الأوساخ المتطايرة قد تشكلت إلى أعمدة. وتحول النفق المظلم الموحش ليشابه كهفًا ضخمًا واسعًا، مدعومًا بأعمدة على مسافات متباعدة.

ذكَّرها المنظر بحملات التنقيب عن الآثار القديمة، مثل التي تجري بالمواقع الأثرية بروما واليونان. لهذا السبب استغرقت وقتًا طويلًا لتتعرف على تفاصيل المكان، كالمرجل القابع في نهاية الكهف المُعاد بناؤه حديثًا. تعرفت كذلك على الشق العميق في الأرض، الذي يتوهج من داخله ضوءٌ كهرمانيٌّ. تعلم أنها رأته من قبل، لكن متى؟

تداعى جدار من الوهم بعقلها، كما لو انهمر فوق رأسها ماء مثلج دفعة واحدة، أزاح سحابة ضبابية عن عينيها. وفجأةً عرفت أين هي.

لماذا أَتيْن إلى هنا.

إنهن في الكابا هاوس، في القبو نفسه، الذي نزلت إليه مع سكارليت منذ فترة طويلة، للتحقق من أمر بوابة الجحيم. أرادتا وقتها التأكد إذا ما كانت البوابة حقيقة أم أسطورة، حتى انشقت الأرضية وخرجت منها فروع دخانية سوداء، حاولت سحب سكارليت بقوة للأسفل.

تسارعت نبضاتها، بينما تتذكر ما تلا ذلك: الأرض الموحلة، أغصان مرعبة لشجرة محترقة، وفراغ أسود يحيط بهما. انمحت تلك الصورة من ذهنها سريعًا، واحتجبت. جفلت، تحاول تبديد الضباب الذي ينسدل على ذاكرتها، وعادت تصب انتباهها للقبو. رأت الشق يتسع، وتظهر منه حمم نارية تتدفق. حذرها شخص ما سابقًا من الاقتراب، لكنها لا تتذكر أي تفاصيل أخرى. بدت أجواء القبو دافئة ومُغرية للغاية.

قال صوت عميق بهدوء: «مرحبًا سيداتي».

خرج شخص من الظلال. حدقت فيفي إليه في ذهول. تعرف هذا الوجه، أو هكذا اعتقدت. وجدت بعض ملامحه مألوفة: شعر داكن، فك حاد، عينان غائرتان بُنيتا اللون. لكنها لم تميز تعبيراته. اعتادت أن ترى ابتسامة ودودة على شفتيه، بدلًا من تلك الجانبية الساخرة. كما اختفى الدفء بعينيه، وأصبحتا باردتين، كجمر خمدت نارها وصارت كومة من الرماد.

إنه تِيم.

ما الذي جاء به إلى هنا؟ ولماذا يبدو غريبًا؟ أرادت أن تسأله، ولسبب ما، يرهبها مجرد التفكير أن أعينهما قد تلتقي. ثم لاحظت القلادة ظاهرة من ياقة قميصه بينما يتحرك. انتابتها موجة أخرى من الخوف.

إنه طلسم هينوسيس.

هذا مستحيل، لقد دمرته هي وسكارليت. لكن بغض النظر، كيف بحق الجحيم وصلت القلادة إلى عنق أخيها؟ هذا التناقض مريب بما فيه الكفاية لحثها على الكلام.

- تِيم؟ ما الذي تفعله هنا؟

اتسعت ابتسامته: «إنني سعيد للغاية لأنكِ استطعتِ الانضمام إلينا الليلة، يا فيفي. أنتِ الضيف المميز الذي كنتُ بحاجة إليه. ألستُ محظوظًا؟».

ردت جميع فتيات الثيتا معًا: «محظوظ جدًّا».

قفزت فيفي للوراء، ثم نظرت حولها في محاولة لجذب نظر إحدى أخواتها الجدد. كُنَّ جميعًا يحدقن إلى الأمام مباشرةً في تِيم، وتعابيرات وجوههن جامدة.

هناك شيء خاطئ. دار رأسها، وانتصب الشعر في مؤخرة عنقها، ولا تعرف لذلك سببًا. ما كان يجب أن يأتوا إلى هنا. هاجم سكارليت شيء عجيب بالشق في المرة الأخيرة التي نزلت فيها للقبو. يقف تِيم على بُعد خطوات قليلة منه الآن.

ترجَّت أخاها: «ابتعد عنه يا تِيم. سوف تتأذى».

حدث ما تخشى. اهتزت الأرضية، وجدران القبو. لكن لم يبدُ زلزالًا، بل أقرب لقهقهة عالية يتردد صداها بالأرجاء.

اهربي يا فيفي.

ارتجت غريزة بأعماق نفسها، تفوق السحر قوة، سواء سحر الثيتا أو الكابا. لم تقدر على الحراك، وضاقت أنفاسها.

قال تِيم، بينما يتقدم نحوها: «أوه، لستُ الشخص الذي يجب عليكِ القلق عليه. لقد سمعتُ الكثير عن قوتكِ. لكن لم يشعر أحد بالألم الذي تعانينه،

يا فيفي المسكينة الوحيدة. ما دمتِ تمنيتِ أن تحصلي على عائلة. ما دمتِ تمنيتِ أن تكوني فتاة عادية. كم سهل عليَّ أن أتظاهر بأنني أخوكِ المفقود منذ زمن طويل، لأجعلكِ تثقين بي».

صدمتها كلماته، حتى كادت تنقطع أنفاسها.

«أتظاهر بأنني أخوكِ المفقود منذ زمن طويل».

قالت بصوت أجش: «لم... لم أفهم. من أنت؟».

هزت رأسها من جانب إلى آخر في ذهول. تحاول باستماتة الوقوف على تفسير منطقيٍّ، فيما تسمرت فتيات الثيتا مكانهن كالتماثيل، يحدقن إليه.

كرر وراءها باستمتاع: «من أنا؟ لا يوجد برأسك الصغير الجميل ما يكفي من الكلمات لفهم من أنا. إنني أقدم من الزمن نفسه، ودومًا ما أولَد من جديد. أنا صرخة العذاب التي لا يقابلها إلا صمت مطبق. أنا حسرة الموت وحيدًا. أنا الندم، وأنا الحقد والخوف. أنا الرعب الذي ينهش في الأحشاء».

بينما ترقبه، اتسعت حدقتاه، ذهب بياض عينيه، وتسلل إليهما سواد قاتم. تأسرها عيناه. يصعب عليها النظر بعيدًا، رغم شعورها بشيء يسعى ليؤذيها.

قالت فيفي: «لن أسمح لك بقتلي».

لن تسقط هذه المرة دون قتال. لديها فيض من السحر في متناول يدها، يمكنها إطلاقه. اشتعلت أطراف أصابعها بألسنة لهبٍ تضاهي قوة ساحرة صولجان مثل ريجان.

ضحك تِيم، واقترب منها حتى صارت تشعر بأنفاسه على بشرتها: «أقتلكِ؟ لا. أريدكِ أن تنضمي إليَّ. إذا ظننتِ أن شعلة السحر هذه أقوى مما استخدمتِه طوال حياتك، يا فيفيان، تخيلي ما يكمن وراء هذه البوابة».

خرجت ذراع دخانية ملتوية من الشق بالأرض، وعندما عادت أنفاسها ثانيةً، اشتمت رائحة نفاذة لشيء يحترق، قوى منبثقة من باطن الأرض، لم تشعر بمثلها من قبل. إنه نوع وحشيٌّ عميق من السحر، كامن بالأسفل لقرون مديدة، يتحدى الموت، ويتجاوز حدود الزمان والمكان.

اندفع هواء، وطار شعرها للوراء. تذوقت طعم نحاس مُرًّا بحلقها، طعم يشبه دماء أخواتها، أو ربما دماءها. تعرف أنه يكفي أن تمد ذراعًا لتحقق ما تريد. لكن لم تفعل أي شيء على الإطلاق.

- تشعرين به، أليس كذلك؟

همس لها تِيم، أو الكائن الذي يشبهه. أخذت ملامحه بالتغير. نما له قرنان، خرجا من جمجمته، كجذرين يتمددان، لهما حافتان داميتان. كما برزت أشواك ناتئة على جبهته وتخللت شعر رأسه، بينما استطال وجهه. أصبحت له طلة بشعة ومثيرة في آن واحد. يريد جزء منها الفرار، والجزء الآخر لا يرغب في النظر بعيدًا.

تردد صوت بداخلها، في عقلها وصدرها، وكل جسدها: «*تعلمين ما يمكننا فعله، معًا*».

ارتجفت فتيات الثيتا بجوارها، لا بد أنهن يسمعن ذلك أيضًا.

همست أم لعلها حاولت: «نعم».

لم تحرك شفتيها قط، رغم أنها سمعت صوتها ينطق.

ابتسم، فظهرت له أسنان حادة ومدببة: «إذن، ساعديني على السماح لهم بالخروج».

هُمْ.

ما إن نطق بالكلمة، حتى بدأت أصوات تغمغم بخفوت من داخل البوابة خلف ظهره. علت الأصوات كأن آلاف الأصوات تهمس دفعة واحدة. ثم صارت أعلى وأكثر حدة. استطاعت فيفي تمييز ما يقولونه من خلال الصراخ والصياح الفوضويِّ. تطالب كلها الأمر نفسه: «*حرِّرْنا. حرِّرْنا*».

- سُجن إخوتي هنا لفترة طويلة. تفهمن جميعًا ما الذي يعنيه ذلك، أيتها الأخوات. تعرفن كيف يبدو الأمر عند تجاهلكن وطرحكن جانبًا. تشعرن وقتها ألا قيمة لكُنَّ في العالم كله.

سرت همهمة في القبو تُصدِّق على كلامه. لحقتها نظرات الثيتا المحدقة إلى السقف، يخترقن النظر بأعين داكنة، للكابا هاوس الجاثم فوق الرؤوس. يمكن لفيفي أن تتفهم استياءهن، وتتعاطف معهن كذلك. فقد فرضت أخوية

الكابا سيطرتها على مكانة قوية بويسترلي لعقود بعيدة. ووضعت شروطًا متشددة فيما يخص الانضمام إلى صفوف الغربان. حيث احتُكرت القوة كلها من أجلهن فقط. لكن الثيتا لم تفعل المثل، بل رحبت بانضمامها بسهولة. لم يُطلب منها أن تثبت أحقيتها. كما لم تحاول الثيتا استخدام طرق ملتوية لتكسب مكانة لا تستحقها.

طالما تصرفت سكارليت بتعالٍ وعجرفة، عندما كان لديها سحر بين يديها. حتى فيفي -وعليها الاعتراف بذلك- كانت فيما مضى، وحتى اللحظة، تتألم من أجل التحرر من قيود الكابا. لقد ضحت بكل شيء في سبيل الانضمام إلى هذا النادي النسائيِّ، فقط من أجل ماذا؟ لتثبت أنها ساحرة قوية؟

يمكنها أن تمارس السحر وتحصل عليه في أي وقت، وفي أي مكان، مثلما تقول لها أمها دائمًا. هناك طرق عدة إذا أرادت أن تصبح ساحرة. تعرف في هذه اللحظة طرقًا مختلفة، يمكنها طرقها بجرأة، إن رغبت.

قال الشيطان الذي ظنته أخاها من قبل: «ساعديني على إطلاق سراح إخوتي وأخواتي هذه الليلة. ستنالين مكافأة أكبر من الأخريات. لأنكِ الأفضل بينهن جميعًا. لن تظلي العازف الاحتياطيَّ بعد الليلة، ولن تحتاجي لمزيد من القتال والتضحية، لتحصلي على ما تريدين. تستطيعين إخضاع كل شيء بالسحر الذي منحته لك».

فرقع بأصابع يده، فرفعت كل فتاة بالقبو يدها عاليًا، وفعلن مثله. تردد صدى الطقطقات في جميع الأنحاء. انضمت إليهن فيفي كذلك، ورفعت يدها. اجتاح جسدها شرارة دافئة، امتدت من أطراف أصابعها حتى أخمص قدميها.

نقل بصره بين أعين الفتيات، واحدة تلو الأخرى: «أحتاج لقوى كلٍّ منكن لفتح بوابة الجحيم».

- اتحادكن مهم، وقوتكن ضرورية.

ثم استقرت عيناه على فيفي. وشعرت أنه يتوجه إليها بالحديث، على وجه الخصوص، حين استطرد: «هل ستساعدنني؟».

لم يكن طلبًا، بل أقرب للاستجداء. استشعرت يأسه، واشتياقه الشديد للاتحاد من جديد مع إخوته وأخواته، المحاصرين بعالم رهيب فيما وراء بوابة

الجحيم تلك. فكرت بشعورها حينما اكتشفت أن لها أخًا غير شقيق. حتى لو كان مخادعًا، فلهفته، كلما تقابلا، بدت حقيقية جدًّا، تمامًا مثل رجائه الآن.

إن طلبه بسيط للغاية. لا يريد سوى الالتقاء بإخوته. يحتاج قوتهم وترابطهم معه. فقط لتعزيز قوته بزيادة عدد أفراد جماعته من الإخوة والأخوات. أليس هذا ما تهتم به الأخويات؟ أليست هذه هي الطريقة التي تعمل بها الثيتا والكابا؟ لمَ تريد فيفي أن تحرمه من تحقيق حلمه البريء؟

كرر طلبه، بصوت تردد صداه بأنحاء جسدها: «*أحتاجكِ، يا فيفيان*».

أصاب اختيار المفتاح المضبوط لفتح قفلها. من الجيد أن تكون مرغوبة دائمًا ويُطلب منها المساعدة. وجهت للشيطان ابتسامة عذبة، وهمست بنبرة مطمئنة: «أخبِرني ما الذي عليَّ فعله».

ارتجت الأرض بعنف تحت الأقدام. كما لو أنه تصفيق مدوٍّ.



الفصل الخامس والثلاثون

سكارليت

لا تذكر سكارليت إلا زلزالًا واحدًا حدث بوسط مدينة سافانا منذ فترة، لكن بالكاد شعر به أحد وقتها، فيما عدا العاملين بالمباني الإدارية الشاهقة. أما هذا... هذا ليس زلزالًا.

انطلقت مع زافيير بمحاذاة الشجيرات المجاورة للبيكا. وجدا الجميع بالحرم الجامعيِّ متجمهرين، متلاصقين، يغمغمون في اضطراب وقلق. على مسافة قريبة، تعالت صفارات سيارات الإطفاء. لم تُعِر سكارليت انتباهها لأيٍّ من ذلك.

صاحت: «إنهم عند البوابة».

مما يؤكد أن تايفوس قد وصل بالفعل للمرحلة الأخيرة من خطته. لديه رابطة السحرة التي أرادها، والآن...

فيفي. لا بد أنها هناك.

هرولت سكارليت وإلى جانبها زافيير يتقدم بخطوات واسعة. قفزا معًا درج الشرفة الأمامية للكابا، درجتين في كل مرة، ودفعا الباب بقوة حتى اصطدم بالحائط. لا صوت لأحد يسأل ولا صراخ. سقط قلبها بين ضلوعها. ينبض الذعر بكل جوانحها. ركضت بالبهو، تلاحقها أعين رئيسات الكابا السابقات من خلال صورهن المعلقة على الجدار. شعرت بهن جميعًا يحملقن

بها في تأنيب. تكاد تسمع همسهن: «*لقد خذلتِنا. قُدتِ أخواتكِ مباشرةً نحو الهلاك*».

وصلت إلى باب القبو وتسمرت في تردد. تسللت سحابة دخانية داكنة من تحت عقب الباب، ومن فتحة القفل. صار مقبض الباب متوهجًا من شدة الحرارة، حتى إنه يمكنها من مكانها، أن تبصر ضبابًا ساخنًا يحيط به. رغم أنها لفت قبضة يدها في قميصها لتفتح الباب، حرق المعدن الساخن باطن يدها تاركًا علامة حمراء تشتعل غضبًا على أطراف أصابعها. تجاهلت الألم وحدقت بدرج القبو. حلقت هناك سحب كثيفة من الدخان في الهواء، لدرجة أنها حجبت رؤية ما ينتظرهما بالأسفل.

ربت زافيير على كتفها: «دعيني أنزل أولًا».

سبقها تاركًا الخنجر بين يديها. أخذت سكارليت نفسًا عميقًا من الهواء النقي للمرة الأخيرة، قبل أن تبتلعها السحب الدخانية. في اللحظة التي خطا فيها إلى داخل السحب، اجتاحتها موجة مؤلمة من المشاعر تنهش داخلها، مثل غضب عاصف حار.

إنها غاضبة من كل ما أُجبرت على تحمله، ومن كل ما مرت به خلال هذا الفصل الدراسيّ. تمقت الوضع الذي آلت إليه الأمور ودفعت بأخواتها لمقاتلة بعضهن بعضًا الآن، في الوقت الذي تحتاج لهن للقتال جنبًا إلى جنب. تشعر بكُره جامح تجاه الثيتا، تايفوس، الجحيم، وحتى تجاه زافيير وفيفي. ما كان يجب أن تضطر إلى التعامل مع معضلة كبرى لهذه الدرجة. أرادت فقط قيادة الكابا خلال سنة دراسية عادية، كما حدث مع كل من سبقتها في رئاسة الأخوية. هذا ليس عادلًا.

أخرجتها من أفكارها يد زافيير التي امتدت لتمسك بيدها من وسط الدخان. ذكَّرتها لمسته بالسبب الذي من أجله أتت إلى هنا. واصلت نزول الدرج، تستند بإحدى يديها على الدرابزين. عند الدرجات الأولى لم تستطع أن ترى شيئًا حتى دمعت عيناها، واختنقت رئتاها تضرعًا للهواء. بعدئذٍ سقطت قدماها في وحل قذر، ووضحت رؤيتها قليلًا. رصدت من خلال عينيها الدامعتين ضوءًا متوهجًا من مسافة بعيدة، وتهادى إلى سمعها بعض الهمهمات. *ترنيمة ما*.

وقف زافيير أمامها بلا حراك. جمدت مكانها هي الأخرى، ووجهت نظرها تجاه الزاوية التي يحدق إليها، وتبعته للاختباء خلف نتوء صخريٍّ. أبصرت على الجانب الآخر من القبو، الشق نفسه الذي حاول ابتلاعها. لقد اتسع، وصار أعمق، منذ آخر مرة نزلت فيها إلى هنا. لم تستطِع رؤية القاع من زاويتها خلف زافيير، لكنها بإمكانها سماع عواء وحشيٍّ مروع.

إن الوهج الصادر عن الشق، هو مصدر الضوء الوحيد الذي مكَّنها من رصد فتيات الثيتا المتحلقات في دائرة حوله. لا تبدو ملامح بشرية على وجه ماريا والأخريات. نمت لهن أسنان طويلة حادة، وباتت أعينهن مظلمة ومخيفة. اختفى بياض العين تمامًا، وغلب عليها سواد قاتم. ما إن وقع نظرها على ريجان وهازيل، انقبض قلبها.

وفي جانب بعيد من الدائرة، رأت إحداهن تحرك فمها وتترنم مع البقية بلغة قديمة، يستحيل عليها فك رموزها... *إنها فيفي.*

لهثت بشدة. لا تستطيع سكارليت كتم أنفاسها. مما جعل الكائن المُقنَّع في وسط الدائرة يحرك رأسه لأعلى ويتشمم رائحة ما تجاهها. لا بد أن هذا هو تايفوس. لمحت تاجًا من عظام مسننة على رأسه، وشيئًا آخر بإحدى يديه، يبدو كسكين ملطخ بدمائه. وجدت عينيه مسودتين مثل الآخرين. وما رأته من تحت قناعه جعلها تجمد.

لعن زافيير، وشهقت سكارليت: «تِيم!».

على الرغم من أن وجهه لم يكن كما تألفه، بل صار مشوهًا وفظيعًا، فإنها تمكنت من التعرف عليه. تتذكر تفاصيل اللقاء الأول بين ماريا وتِيم منذ عامين. اللعنة، تتذكر أيضًا كل المواعيد المزدوجة التي ذهبت إليها ومايسون معهما، قبل أن يُرفض طلب ماريا للانضمام إلى الكابا.

- كان يجب أن أعرف.

تمتم زافيير نفسه الذي رأته يتسكع مع الفتيان في المروج، ويتجاذب معهم أطراف الحديث بارتياح. في حين، يبدو أن تايفوس ظل في الجوار بين الجميع لوقت طويل، يغزل ذكريات جديدة بالعقول.

- *أكاذيب. كانت كلها أكاذيب.*

- حقًا؟

لم يكن هذا صوتها الذي يهمس بداخلها، بل.. *تايفوس*.

ركز نظراته تجاهها من الطرف الآخر للقبو. جذب زافيير معصمها، يحاول سحبها للاختباء خلف بضعة صناديق في الزاوية. لكنها نهضت على قدميها. لا داعي للمزيد من التذمر والاختباء. سمعت زافيير، وكأنه يلعن ثانيةً من مكان بعيد وراء ظهرها. اختفى فجأةً من جانبها كالهواء، ولم تعد تشعر بوجوده. لا يعنيها سوى هذا الوحش الواقف أمامها.

صاحت به سكارليت: «لقد اختطفت أخواتي».

قطع صوتها انتباه فتيات الثيتا، ورأت رؤوسهن تلتف ناحيتها في تناغم تام، كما لو يحدق إليها وحش ذو رؤوس متعددة. ارتعشت أوصالها. لكن تكفيها نظرة واحدة إلى فيفي، لتتذكر السبب الذي من أجله جاءت إلى هنا.

قهقه تايفوس، وبدا صوته كعدة أشخاص تداخلت ضحكاتهم العالية. ثم قال بنبرة خشنة: «جاءت أخواتكِ إليَّ عن تراضٍ. أليس كذلك، يا فيفيان؟».

أشار بيده، فتقدمت فيفي خطوة للأمام، تضغط قبضتيها إلى جنبيها: «إنه محق. أردتُ ذلك، يا سكارليت. أنا واحدة من الثيتا الآن. نحن الأقوى بلا منازع. وليس بيديكِ فعل شيء لإيقافنا».

همس تايفوس: «اثبتي لها يا فيفيان. واجهي أخواتكِ السابقات. برهِني على إخلاصكِ لنا».

صرخت سكارليت: «لا تفعلي يا فيفي».

رفعت فيفي يدها، فاهتزت الأرض تحت قدمَي سكارليت. مدت يدها تحاول التشبث بنتوء صخريٍّ آخر، صرخت ما إن لمسته، فقد تحول إلى سطح قشريٍّ رطب. خرجت ثعابين والتفَّت حول معصميها، وكاحليها. صرخت وزحفت للوراء مرتجفة.

ضحكت فيفي، وانضمت إليها الأخريات، وتردد صدى ضحكهن المرح عاليًا. قالت فيفي: «هل اعتقدتِ أن الكابا هي الأقوى، أيتها الأخت الكبرى؟ ليس لديكِ فكرة عما أقدر على فعله في هذه اللحظة».

بمجرد أن انتهت، أحكمت أختها الصغرى قبضتها، فصرخت سكارليت ما إن غرز الثعبان الملتف حول معصميها أنيابه بساعدها. حاولت أن تركض، لكنها تعثرت ووقعت على ركبتيها. لا تزال في قبضة هذه الثعابين، التي تعتصر كاحليها وتضيِّق الخناق حولها أكثر فأكثر.

بدأت تفقد الإحساس بأصابع قدميها، وتخدَّر الوخز بساقيها، بينما تحرقها ذراعاها. تشعر بسم الثعبان يجري في عروقها، ليشق طريقه نحو قلبها. التقت عيناها بعينَي فيفي من خلال الضباب القاتم: «يكفي، يا فيفي. هذا ليس ما تريدين».

صاحت هذه النسخة المخيفة المشوهة من فيفي قائلة: «لا تعرفين ما الذي أريده. أنتِ لا تعرفينني، يا سكارليت. لطالما اعتبرتِني مجرد إضافة أخرى لجيشك الصغير».

ردت، وهي تكزُّ على أسنانها: «هذا ليس صحيحًا، وأنتِ تعرفين ذلك».

ثم صرخت ما إن شعرت بلسعة أخرى من الألم، حيث تلقت عضة ثانية من الثعبان نفسه: «تذكَّري تيفاني؟ تذكَّري كيف قاتلناها معًا؟ يمكننا فعلها مرة أخرى معًا».

اهتزت رؤيتها، وصارت ضبابية عند الحواف. إنه السم. جاهدت لترفع رأسها، لكن يصعب عليها التركيز. أخذت حدقتاها تتسعان وتضيقان، كما نظرتها، مثل عدسة كاميرا معطوبة. تظن أنها رأت شيئًا، ظلًّا مُقنعًا. تايفوس. عبست تجاهه من خلال رؤيتها المشوشة.

اتخذت فيفي خطوة للأمام، فنقلت سكارليت نظرها بعيدًا عن ذلك الظل المقنع، لتنظر لأختها الصغرى.

- أوه، أتذكر. أتذكر كم كنتُ عاجزة. وكيف كادت تدمرني. لن أعود لتلك الحالة ثانيةً. لن أُستضعف مجددًا.

استفزتها سكارليت، ورئتاها تحترقان، وصدرها يرتجف مع كل نفس: «أثبِتي ما تقولين. أثبِتي قوتكِ الآن. *أوقفيه*».

قفز تايفوس للوراء مع آخر كلماتها. لمحت وميضًا لشيء معدنيٍّ لامع. *زافيير*. أدركت قربه، في اللحظة التي أدرك فيها الشيطان نفسه. بالكاد

تستطيع إبقاء رأسها مرفوعًا، بينما غرز زافيير الخنجر بظهر تايفوس. أو حاول على الأقل.

تحرك تايفوس أسرع من البرق، أسرع مما قد تتخيل سكارليت. كان بالقرب منها في بقعة مثالية لمهاجمته، وفي لحظة اختفى. لا، لم يختفِ، إنه خلف زافيير. ضرب زافيير الهواء بخنجره. أدار رأسه ذهابًا وإيابًا، باحثًا عن الشيطان. لا يعرف أين هو، لا يستطيع إيجاده.

- زافيير.

حاولت تحذيره، لكن انحشر صوتها. لم تخرج منها إلا أنَّات مكتومة. أخيرًا، نظر زافيير إليها، في اللحظة التي قبض فيها الشيطان على جانبَي رأسه، وكسر رقبته.

صرخت سكارليت.

تدحرج جسد زافيير على الأرض، وطار الخنجر عديم الفائدة بعيدًا، وأحدث قرقعة عالية، عندما سقط على بُعد خطوات قليلة من بوابة الجحيم.

تزايدت فتحة الشق، وتمكنت من رؤية أشياء تتخبط عند الأطراف. لم تكن سوى أيادٍ متسخة تتحس طريقها لتصعد للقبو. تابعت الثيتا الترانيم بصوت أعلى هذه المرة. ومن ورائهن يضحك تايفوس في شماتة. لم تستطع معرفة ما إذا يتحدث بصوت عالٍ، أم داخل عقلها فقط، عندما قال هامسًا: «تأخرتِ أيتها الساحرة الصغيرة. انتهى عهد سيطرتك ورابطة أخواتكِ على الحرم الجامعيِّ. أشكركِ على أي حال».

التقطت سكارليت أنفاسها بصعوبة، وجاهدت لاهثةً لترفع رأسها مرة أخرى، لتنظر إليه باعتداد على الأقل. تريد أن تتحرك، أو تتدحرج تجاه الدائرة. لكنها لا تستطيع نقل أطراف جسدها الثقيلة كما لو تحولت إلى رصاص، أو تجذرت في الأرض.

تابع: «لقد جعلتِ مهمتي أسهل بالنسبة إليَّ. لديكِ الكثير من الأعداء بالحرم الجامعيِّ بالفعل».

مد يده في اعتزاز ليعبث بشعر ماريا، الواقفة إلى جواره. ثم سحب يده للخلف ببطء، بينما سالت قطرة دم من أظافره على خد ماريا، يبدو أنه

قد خدش وجهها. أضاف: «بالكاد فعلتُ شيئًا. خضعت لي الثيتا، وتعهدن بحياتهن من أجلي. وعدتهن فقط بتذوق سحر الكابا. والآن لدي ما يكفي من القوة لفتح البوابة، والسماحِ لإخوتي وأخواتي بالانطلاق بحرية في عالمكِ الصغير المثير للشفقة».

لا تعرف سكارليت إذا ما زالت أختها الصغرى تسمعها، أو حتى تميز صوتها الهامس من ركنها البعيد. كافحت لتحدثها من خلال الضباب الدمويِّ الذي يقترب، لكن خرج صوتها ضعيفًا: «أنتِ أقوى منه، يا فيفي. قاتلي...».

لم تعد تقدر على رؤية أختها أو الثيتا، ولا حتى فتحة البوابة. باتت تسمعهن ينشدن. تسمع قهقهات الشيطان. حتى أحاطها الظلام، فتركته يضمها إليه.



الفصل السادس والثلاثون

فيفي

سقطت سكارليت عن عرشها، ركعت على ركبتيها مذلولة مقهورة. تحدق إلى الثعابين الملتفة حول ذراعيها برعب وتقزز. تحاول التخلص منها صارخة بيأس. فيستعر الغضب، ويتعالى فحيح الثعابين، وتشتد قبضتها.

لم يسبق لفيفي أن رأت أختها الكبرى بهذا الضعف. مجرد تصورها بهذا الوضع يكفي لجعلها تضحك بتلذذ. استردت سحرها، وأخيرًا ستنتقم. لن يجرؤ أحد على الشك بقوتها مرة أخرى.

قلَّدت سكارليت متهكمة: «*فعلتِ ما يكفي لليلة واحدة* (لا تزال تذكر تعبيراتها الفاترة لتنحيتها جانبًا في تلك الليلة من حفل أليس في بلاد العجائب) صدقيني، يا سكارليت، أنتِ لم ترِ شيئًا بعد».

شهقت سكارليت واتسعت عيناها في خوف وألم: «لماذا تفعلين هذا، يا فيفي؟».

همس صوت بعقلها: «*تستحق ذلك بعد كل ما فعلته بكِ، وكل ما سببته لكِ من ألم*».

لكن بينما تشاهدها فيفي تكافح لرفع رأسها، اندفع بداخلها همس آخر: «*إنها تقاتل من أجلك*».

في الغابة، عندما أوشكت تيفاني أن تطعنها في قلبها بالسكين، وصلت سكارليت في الوقت المناسب لتحميها من صديقتها المقربة. لقد خاطرت

بحياتها عن وعي بقوة تيفاني الجديدة المرعبة، التي ماتت من أجلها. وها هي ذي هنا لتفعل الأمر نفسه مجددًا. لقد جاءت بلا قوة ولا سلاح بين يديها، دون أدنى قدر من السحر لتحمي نفسها. لماذا؟

من أجلي.

يتلاشى التشوش أمام الغضب المتدفق بعروقها. لا يوجد شعور أسهل من الغضب، ولا أبسط منه. كل ما عليك فعله هو أن تدعه يتخللك، يملأ عقلك، ويوجه قبضتك. لكن فيما وراء الغضب، تكمن مشاعر أخرى. إذا نظرت لما فعلت، ستحاصر بين الخوف والشعور بالذنب، ومشاعر أخرى مؤلمة، لا تريد فيفي الخوض فيها.

لفت نظرها الفتى الذي اصطحب أختها الكبرى، والجاثم على الأرض بجوارها: زافيير، أو بالأحرى، الذي كان زافيير. من الواضح أنه ميت، برقبته المائلة بزاوية مرعبة، وعينيه المفتوحتين الجامدتين. يلمع على الأرض الخنجر الذي حمله بين يديه، على بُعد قليل من الشق. تكفي هزة واحدة، ليسقط فيه ويختفي للأبد.

بينما تركز بصرها على الخنجر، توهج النصل في ضوء أزرق فاتح. يكاد يُلحظ من بين الضباب الأحمر والكهرمانيّ. في هذه اللحظة، توقف نضال سكارليت لرفع رأسها. لا بد أن السم يتوغل بجسدها، وسرعان ما ستشعر بالبرد وتسكن مثل زافيير. ليصبحا جثتين مثاليتين لملك وملكة حفل راقص للموتى. رأتها تغمض عينيها، بعد أن حركت فمها بكلمات لم تسمعها. ربما تتمتم بطقس ما، أو بعبارة وداع لعائلتها، التي لن تراها ثانيةً.

عندها سمعت برأسها صوت سكارليت، بنبرة عالية يستحيل أن تهمس بها فتاة تحتضر: «*أنتِ قوية. أنتِ أقوى منه. تذكَّري من أنت*».

قال تايفوس بنبرة هادئة مغرية: «أحسنتِ، يا فيفي. والآن، أتِمِّي عملك».

اجتاحت ذراعي فيفي موجة قوية من السحر، يطقطق بين يديها، لكنها لم تستدعِ هذا الكم من سحرها، يمكنها أن تشعر بسحر الشيطان يتدفق داخلها أنهارًا. بدأ جسدها يرتجف، كما لو أصبحت عظامها البشرية هشة ولا تقوى على احتواء الطاقة التي تهزها بشدة. يمكنها فعل أي شيء بهذه القوة. يمكنها اقتلاع شجرة ضخمة من جذورها. يمكنها أن تحول مبنى

شاهق إلى تراب. إنها العاصفة. إنها الموت والهلاك والإحياء. لكن يظل هذا سحر الشيطان. عليها إطاعة أوامره وإلا يحرمها من سحرها إلى الأبد. كيف تعود فتاة عادية من لحم ودم بعد أن تذوقت قوة السحر القديم؟ دون قواها، ستُستضعف مجددًا، ستكون مجرد ضحية أخرى تنتظر مصيرها. يمكن لأي أحد أن يؤذيها.

كرر: «أتِمِّي عملك. *اقضي عليها*».

ركعت على ركبتيها، وضغطت كفيها على الأرض، تستعد لتلعن سكارليت مرة أخرى. ثم أحكمت قبضتها حول مقبض خنجر زافيير. اتضحت رؤيتها في اللحظة التي لمست فيها المقبض.

«تذكَّري أخواتك».

ارتفع ثقل عن صدرها لم تدركه قبلًا. شهقت واستنشقت أول أنفاسها من الهواء النقيِّ أخيرًا بعد أيام. عندما رفعت رأسها، بدا القبو أكثر إشراقًا ووضوحًا. تستطيع رؤية الأمور على حقيقتها الآن.

«تذكَّري الغربان».

لا تزال سكارليت جاثية على الأرض، وتحيط بها فتيات الثيتا، اللاتي استدرن ببطء لينظرن بسخط تجاه فيفي، بينما يغمغمن بكلمات يلقيها عليهن الشيطان.

هذا ليس صحيحًا مطلقًا. ليس هذا هو السحر الذي أرادته.

رفع تِيم ذراعيه للأعلى ليُنهي تعويذته. لم يعد ينظر إليها أو لإحداهن، بل يحدق إلى الأرض، في الشق الواسع بالأسفل. حيث امتدت مخالب من الأعماق، أصابع عديدة سوداء محروقة، موصولة بأذرع طويلة، أبعد ما يمكن أن توصف بالبشرية. كما لها أظهر منحنية بزوايا مروعة، ومفاصل أكثر من أي حيوان رأته بحياتها.

للحظة، تسرب الرعب إلى أوصالها. يصرخ صوت بعقلها لتهرب من هذا المكان للنجاة بحياتها. لكنها رأت سكارليت تنهار على الأرض، وأطرافها سكنت بعد رعشة أخيرة.

لا.

اندفعت الكلمة بداخلها كحيوان بريٍّ تحرر من قفصه. يجب عليها أن تفعل شيئًا. يجب أن توقِف هذا.

ببطء، كما لو تنتزع نفسها من مادة لزجة، رفعت ذراعها، ولمع النصل بين يدها. يصعب عليها التحرك، وقوى خفية تشد أطرافها، وأصوات برأسها تصرخ لتوقفها، وتحثها على متابعة الترانيم مع الثيتا.

يهمسن بفحيح حاد: «*اقتربنا كثيرًا، لا يمكننا التوقف الآن*».

أجبرت فيفي نفسها على التفكير في سكارليت، تنزل الدرج باحثة عنها، لتنقذها، رغم الصعاب المستحيلة. فكرت في أخواتها الأخريات بالكابا في الطابق الأعلى، وجهلهن بالخطر القادم. فكرت حتى في الثيتا المتحلقات حولها، وبالكاد تعرَّفن، لكنها تشاركت معهن الدماء، ووقعن مثلها في شَرك قوة لا يستوعبنها. لم يدركن تحولهن لجيش من الوحوش تحت إمرة شيطان دون موافقتهن.

نهضت بترنح، وخطت خطوة مؤلمة بصعوبة للأمام. تصاعدت موجة حارة من الشق، لفحت جلدها وآلمت عينيها. كزَّت على أسنانها وشددت قبضتها حول الخنجر. نادت عليه صائحة في تحدٍّ: «تِيم».

التفت الشيطان على صوتها. بالكاد ترى جانبًا بشريًّا بوجهه. اهترأت وسقطت ملامح أخرى لِتيم، لتظهر محلها حدقتا قِط مخيف وفم واسع كبير. مع ذلك، لمحت جزءًا إنسانيًّا في نظرته المدهوشة، بينما تستجمع ما لديها من قوة، وتدفع بالنصل في قلبه.

ظل تعبير الاندهاش الساخر على وجهه. نقل نظره مرارًا بين الخنجر بصدره وفيفي، فيما يلعن بلغة لم تتعرف عليها. ارتجت الأرض فجأةً، وارتمت فيفي جانبًا، لتصطدم بروز، بينما ترنحت الفتيات وسقطن جميعهن أرضًا.

فحَّ صوت الشيطان وأخذ يواصل اللعنات. يتحسس جسده بحثًا عن مقبض الخنجر المنغرز بصدره. في اللحظة التي لمس فيها المقبض، احترقت يداه، وانتشرت بالقبو رائحة كريهة لشعر يشيط، وجلد يحترق. فتح فمه، وأطلق صرخة عالية تصم الآذان. تراجعت فيفي في رعب لمرأى يديه تذوبان. تتساقط قطرات لزجة كشمع سائل من يديه وذراعيه على الأرض. فتح فمه ليصرخ ثانيةً، لكن هذه المرة خرجت منه قرقرة مفزعة، قبل أن

يسقط وجهه. تهاوى جسده ببطء، شبرًا في كل مرة، حتى لم تبقَ منه إلا بركة موحلة، يتصاعد منها دخان أسود.

صرخت إحداهن بحرقة. أدارت فيفي رأسها في الوقت المناسب لترى رئيسة الثيتا تتقدم للأمام نحو البِركة: «لا!».

أمسكت بذراع ماريا قبل أن تلمس يدها آخر ما تبقى من رفيقها. هاجمتها ماريا صارخة، تخدش وجهها بأظافرها. ومن حولها استطاعت فيفي أن ترى الفتيات الأخريات يستيقظن من تأثير السحر. يرتجفن وينفضن رؤوسهن، ومن ثم يشهقن من الصدمة لمرأى المشهد المفزع من حولهن.

صاحت بأعلى صوتها، بينما تجذبها أخواتها من الثيتا للخلف: «ما الذي فعلتِه؟».

أحكمت روز ذراعيها حول خصر ماريا هامسة: «لا بأس... أنتِ بخير».

بمجرد أن تحررت من قبضة ماريا، دارت فيفي حول نفسها لتواجه بوابة الجحيم، وتتأكد إذا ما زاد اتساع فتحتها. لكن لا يمكنها القلق بشأنها، قبل أن تطمئن على سكارليت. اندفعت مهرولة إلى حيث ترقد أختها الكبرى على الأرض. وجدت ريجان تحتضن رأسها في حجرها، بينما تتمتم إيتا وبايلي تعويذة ما، والدموع تنهمر على وجهيهما.

جاهدت فيفي لتتنفس، على الرغم من أن أنفاسها بدت ثقيلة ومتقطعة. لا يزال صدر سكارليت يصعد ويهبط، لكنها ترتجف مع كل نفس. لعنت بسرها بينما ترقب الثيتا من وراء ظهرها، يركضن بعيدًا عن حافة الهاوية التي باتت تزحف تجاههن. كما رأت جسد زافيير يتدحرج عن الحافة، ويختفي بالأعماق.

صاحت بهن فيفي: «نحتاج للجميع! نحتاج كل الغربان في الحال!».

أومأت ريجان واضعةً رأس سكارليت برفق على الأرض، وهرعت على الدرج مع إيتا، تندفعان بين فتيات الثيتا الغارقات في الرعب.

استدعت فيفي سحرها. لكنها لا تقدر على استخدام القوة التي تدفقت بداخلها منذ قليل. لقد اختفت كلها مع الشيطان، حتى قواها السحرية البسيطة التي استمدتها من الثيتا فُقدت. أغمضت عينيها وركزت بأعماقها.

يمكنها أن تشعر بقوة الأرض تحت ركبتيها، وبالجذور والديدان والحياة التي تمتد من تحتها.

حينها سمعت سحرها يناديها. سمعت حفيف أوراق الشجر يأتيها من الغابة خلف الكابا. شعرت ببرودة الصخور المجاورة للجدول، حيث تنساب مياهه بسلاسة دون توقف. شمَّت رائحة الطين الرطبة بعد هطول أمطار غزيرة. رأت النباتات تنبت من جوف الأرض. رغم المسافة التي تبعدها في هذه اللحظة، عن الغابة وكل ما فيها، لا تزال بأعماقها ساحرة خماسية.

وضعت كفيها على صدر سكارليت أعلى قلبها بقليل. لم تلقِ تعويذة كهذه منذ وقت طويل، كما أنها تركت بطاقات التارو خاصتها في مكان ما بالطابق العلويِّ، وسط الفوضى التي تعم الكابا هاوس.

لا يهم. إن السحر بداخلك.

أغمضت عينيها ثانيةً. ثم قالت بنبرة واثقة قوية: «أدعو ملكة الأرض. أظهِري لنا قوتكِ المهيمنة على الموت والبعث».

سمعت قرقعة بالقرب منها، فلم تجرؤ على فتح عينيها للتحقق. كررت بصوت أعلى: «أدعو ملكة الأرض. أظهِري لنا قوتكِ المهيمنة على الموت والبعث».

استشعرت سحر الأرض يتخلل جسدها عابرًا إلى سكارليت مباشرةً. بطريقة ما، ترى بعقلها الأشجار خلف الكابا تتمايل، والنباتات بالحديقة تزدهر بالألوان، ثم تجف وتذبل، في تضحية بحيويتها، لتمد ساحرة الخماسي بالطاقة الشافية التي تحتاجها. لكن مهما بذلت من جهد، لا يصبح كافيًا لإنقاذها من السم، الذي أتم عمله كاملًا.

قالت والدموع تترقرق في عينيها: «لا، يا سكارليت. لا، أرجوكِ».

لماذا لا تستطيع فعلها؟ لماذا لا تكفي قواها؟

عندها سمعت همهمات من جانبها. قبل أن تستدير للتحقق، شمَّت رائحة تعرفها، رائحة سحر آخر.

لقد حضرت الكابا جميعهن.

فتحت عينيها لتجد إيتا وهازيل وبايلي واقفات بجانب سكارليت، بينما تركض ريجان نازلةً الدرج، ومن ورائها باقي الفتيات. لفت مِي يدها حول يد فيفي، فيما أمسكت أريانا بيدها اليسرى. ركعت كل أخواتها بجوارها، واحدة تلو الأخرى، حتى شكلن حلقة حول سكارليت. قرقعت البوابة من خلفهن، مما ينذر بسوء. ومع هذا، لم تلتفت إحداهن، فلن يرف لهن جفن، وأختهن الكبرى في خطر. كما يفعلن دائمًا لنجدة أي أختٍ منهن.

شددت فيفي قبضتها على يدَي مِي وأريانا. وتابعت هتافها، برفقة أخواتها هذه المرة: «*أدعو ملكة الأرض. أظهِري لنا قوتكِ المهيمنة على الموت والبعث*».

ارتفعت أصواتهن، وترددت في أرجاء القبو، وحتى حافة الهاوية. سكن صدر سكارليت، ومرت عليهن لحظة طويلة من الصمت. حبست فيفي أنفاسها، وشعرت أن أخواتها من حولها فعلن الشيء نفسه. ركزن أعينهن الواسعة على أختهن، قائدتهن الراقدة بلا حراك.

توسلتها فيفي بصمت: «*هيا، يا سكارليت. استيقظي*».



الفصل السابع والثلاثون

سكارليت

ارتدت سكارليت فستانًا أبيض طويلًا يغطي كاحليها. وقفت على حافة مسطح مائيٍّ واسع، يداعب أطراف قدميها، مرسلًا رائحة مالحة قوية، يمكنها تذوقها. السماء من فوقها تتراوح ما بين الليل والنهار. إنه الشفق الذي أضفى على أمواج المحيط أمامها صبغة بيضاء وديعة.

هناك قارب وسط المياه، كان له جسم خشبيٌّ داكن. لم تقدر على قراءة اسمه المرسوم على جانبه. اتخذت خطوة نحوها، حتى غطت المياه ساقيها، تدغدغ ركبتيها من الخلف.

- سكارليت.

هذا الصوت جعل صدرها ينقبض. لم تسمع صوتها عاليًا منذ أشهر، ومع ذلك، يمكنها التعرف عليه في أي مكان.

- مِيني.

تلفتت، وطاف ثوبها على الأمواج الرقيقة، كزبد بحر جرفته الريح. تقف المرأة التي تفردت بتربيتها حافية القدمين على الشاطئ الرمليِّ. ترتدي فستانًا تذكُره جيدًا. دومًا ما ارتدته مِيني عند الذهاب للكنيسة في عيد الفصح، كونه ملبسًا خاصًّا بهذه المناسبة. عرضت عليها والدة سكارليت أن تشتري لها ثوبًا بديلًا، لكن مِيني أصرَّت على الرفض في كل مرة. كانت تقول بنبرة لوم مستترة: «*هذا الثوب لا يزال يبدو جيدًا*».

عندما تقف مِيني بتلك الطريقة أمام وجه أمها، يزداد إعجاب سكارليت بها. فهي ترى أن المال والقوة والأناقة ليست كل شيء، بغض النظر عما تدَّعيه مارجوري وينتر.

تبدو مِيني التي تنتظرها على الرمال أصغر سنًا عن آخر مرة رأتها. لا تظهر عليها أي علامة للمرض الذي أتلف في سنواتها الأخيرة؛ وجهها النضر، وابتسامتها العريضة الدافئة. حينها أدركت سكارليت الأمر. سألتها: «لقد متُّ، أليس كذلك؟».

رقَّت ابتسامة مِيني. تعرف هذه النظرة التي رأتها العديد من المرات طوال سنين نشأتها. نظرة تقول: «*تعلمين الإجابة بالفعل*».

تمتمت مِيني: «هذا يعتمد عليكِ. يمكنكِ اختيار المسار الذي تريدينه لحياتك».

اضطرب قلبها. إنها تريد البقاء مع مِيني. تريد أن تحتضنها مرة أخرى.

لكن *لدي حياة يجب أن أعيشها*.

لديها عمل عليها إتمامه، وإرث تحافظ عليه، و...

سمعت أصواتًا تنادي باسمها من مكان بعيد. إنها أصوات تألفها: فيفي، مِي، إيتا...

قالت بصوت مسموع: «*أخواتي في انتظاري*».

أو ربما تعتقد أنه مسموع. ليست متأكدة.

فتحت فمها على اتساعه لتحاول مجددًا، و...

شهقت بشدة. إنه يحرقها. شعرت بصدرها ورئتيها وجسمها كله يشتعل كالجحيم. اتسعت عيناها. ذهب كل شيء: مِيني، الشاطئ، الرمال، المحيط. لم تعد ترى إلا أرضًا صلبة تستلقي عليها، ووجوهًا كثيرة تحدق إليها في ذعر.

نظرت لأول وجه ميزته، وقالت بصوت مبحوح: «فيفي».

أطلقت أختها الصغرى صياحًا مكتومًا، ما بين الضحك والنحيب. ثم لفَّت ذراعيها حول كتفَي سكارليت، وعانقتها. تأوهت سكارليت. بينما شهقت فيفي عند رقبتها في غير تصديق: «يا إلهي، ظننتُ أننا فقدناكِ».

استعادت ذاكرتها في صور متقطعة. تكومت جثة زافيير الهامدة على الأرض. الشيطان تايفوس يشير تجاهها، وإلى جانبه فيفي تطيعه، وقد اسودت عيناها. تذكرت كذلك أنياب الثعبان السامة التي انغرست في معصمها.

غمغمت جيس إلى جانبها: «هذا رائع بلا شك. لكن لا تزال لدينا مشكلة كبيرة هنا».

بمساعدة فيفي، شدت نفسها لتقوم على ركبتيها، ثم ترنحت لتقف على قدميها. قالت ببطء تحاول التذكر: «أين الشيطان... أقصد تِيم؟».

هزت فيفي رأسها في ارتياح: «لقد مات، وعاد سحرنا».

أضافت، وهي تتبادل النظرات مع أخواتها: «ولكن...».

نظرت إلى حيث تشير فيفي. لا تزال بوابة الجحيم مفتوحة. ينبض قاعها بلهيب أحمر متوهج. اتسع الشق وابتلع ما يقارب نصف القبو حتى الآن. كما انتُزع المرجل من مكانه، وانسكبت منه جالونات من المياه الكبريتية كريهة الرائحة. كما تصدع الجدار نفسه من ورائه، وتشقق. من فوق رؤوسهن، بدأ الكابا هاوس يصدر صريرًا عاليًا، مع اهتزاز أساساته.

بلعت سكارليت ريقها بصعوبة. وهتفت بحزم: «أيتها الغربان».

وقفت أخواتها، في استقامة بجوارها، خطًا واحدًا في مواجهة الهاوية.

تابعت: «إذا ما زلتن تثقن بي...».

قاطعتها ريجان صائحة: «اللعنة. أخبرينا فقط بما علينا فعله».

تنحنحت إيتا، فيما لكزتها مِي.

التقت عينا سكارليت بعينَي إيتا التي أردفت: «كلنا أخفقنا، حسنًا؟ ما فعلتِه أقل سوءًا من بقيتنا».

تمتمت: «أنا رئيستكِ، وكان يجب عليَّ أن أحسن التصرف».

قالت فيفي برفق، وهي تضغط يد أختها الكبرى: «إذن، افعلي ذلك الآن».

شدت قامتها. حان وقت إنقاذ المنزل، وإنقاذ سافانا والجميع. تردد صدى كلمات مِيني بعقلها. إنها بمنزلة تعويذة سحرية أخرى: *«يمكنكِ فعل ذلك».*

«يمكنكِ اختيار المسار الذي تريدينه لحياتك».

أحكمت قبضتها على أيدي أخواتها. فجأةً قطع تركيزها صوت نعيق حاد، فنظرت إلى الأعلى لترى الغربان التي طارت عن سطح المنزل، قد عادت تجثم على عوارض السقف الخشبية بالقبو. ربما قادها السحر إلى هنا، أو ربما أتت لمساندة الساحرات.

ابتسمت، ثم ركزت انتباهها على بوابة الجحيم مرة أخرى. أنشدت، وكررت الأخوات من ورائها: «أدعو الملكات الأربعة العظيمات. أغلِقن هذه البوابة إلى الأبد».

علا دوي طقطقة سحر الغربان، واندفعت شرارته من بين أيديهن. عندما أخذت سكارليت نفسًا عميقًا، تألمت رئتاها، لكنها اطمأنت لهذا الشعور المألوف.

عاد إليها سحرها. عادت ساحرة مجددًا.

بل أكثر من ذلك. لقد تعلمت أنه حتى بغياب السحر، لا تزال سكارليت وينتر نفسها التي لا تتنازل دون قتال. لا يمكنها الفرار من معركة من أجل إحدى أخواتها، دون اقتناص الفرص للفوز.

ابتسمت ثانيةً. دون سحرها، استطاعت أن تحارب، أليس كذلك؟ لا مجال لبوابة الجحيم أن تنتصر عليها.

صاحت، واستمرت الأخوات في الترديد: «أدعو الملكات الأربعة العظيمات. أغلِقن هذه البوابة إلى الأبد».

تزعزعت الأرض من تحت أقدامهن واضطربت. انثنت الجدران. فرقعت الكهرباء فوق الرؤوس، مرورًا بمواسير المياه المتكسرة ووصلات الطاقة بالمنزل، حتى انفجر شيء ما عند الزاوية. امتزجت مياه المرجل بموجات كهربائية، أدت لإطلاق شرارات نارية، بينما تتسرب المياه إلى أعماق الهاوية. حيث تتصاعد من المياه أبخرة حارة، عند اصطدامها باللهيب. حينها بدأت قطع من الأرض تنفصل من تحت الأقدام، وتسير مع شلال المياه. من مكان ما بالأعلى، تحطم زجاج. سمعت الريح تعوي أسفل الدرج تجاههن، ومن ثم اندفعت نحو البوابة بدورها.

«أدعو الملكات الأربعة العظيمات. أغلِقن هذه البوابة إلى الأبد».

ازدادت حدة تدفق المياه. أدركت ما إن اشتدت الريح، تدفع بشعورهن في الأعين، *أنه سحر الكؤوس*.

كما استجابت الأرض لأمر السحر الخماسيِّ.

حضرت كل العناصر، ووصلت النار أخيرًا. تصاعد لهب من الشق والتف حول نفسه، كثعبان يبتلع ذيله. انحنى بالاتجاه العكسيِّ، وتقوس بطول الهاوية.

ردد الغربان: *«أدعو الملكات الأربعة العظيمات. أغلِقن هذه البوابة إلى الأبد»*.

في رجَّة عنيفة، اتحدت القوى الأربعة: الماء والأرض والهواء والنار، بقلب بوابة الجحيم. اقتربت حافتا أرضية القبو لبعضهما بعضًا قليلًا، ثم اصطدمتا لتلتحما معًا. استمر المنزل في الاهتزاز، وظل الماء الساخن يتدفق من المرجل المحطم، لكن على أرضية منبسطة، بلا صدع ولا شق، وخالية إلا من بِركة ماء تحت الأقدام.

لم تدرك سكارليت أنها تلهث، حتى استقرت يد فيفي على كتفها، تهمس بالقرب من أذنيها: «لا بأس. تمت المهمة».

أُغلقت بوابة الجحيم بلا رجعة.



الفصل الثامن والثلاثون

فيفي

أول ما فعلته الغربان بقواهن التي استعدنها حديثًا هو إصلاح المنزل، بنوافذه المحطمة، وتلف شبكته الكهربائية وكذلك أرضية القبو. جرى العمل بوتيرة بطيئة، فحتى أمهر الساحرات قد يناضلن من أجل فرض السيطرة مجددًا على سحرهن الجامح، مثلما يُروِّض فرس بريٌّ ثائر وصعب المراس، بدلًا من فرس آخر مطيع وقويٍّ.

ضحكت هازيل، وهي تتراجع خطوة للوراء لتفحص الجدار الذي أصلحته للتو: «حسنًا، لا يبدو كما يجب أن يكون».

نجحت تعويذتها على الجدار في إزالة آثار الدخان والتصدع، لكنها شوهته قليلًا، وجردته من طلائه، ليظهر الجص عاريًا. نفضت يديها في الهواء، كما لو تيبست أصابعها من الجهد.

علا صوت أريانا من جانب آخر بغرفة المعيشة، حيث تناضل لتصلح الألواح الزجاجية المكسورة: «على الأقل تعملين عملًا أفضل مما لدي هنا».

اختفت الشروخ بالفعل، ولكن لسببٍ ما تحول الزجاج إلى اللون الأرجوانيِّ الداكن.

قالت لها مِي من أعلى السلم، وهي تغير وحدة إضاءة معطوبة: «يبدو رائعًا. أبقيه بهذا اللون».

في البداية، حاولت مِي أن تحلِّق في الهواء، لكنها ظلت ترتطم بالسقف بعنف. على أي حال، استطاعت أن تجعل شعرها الطويل يتموج في لون كستنائيٍّ داكن، مما رفع من روحها المعنوية، وأعاد لمعان عينيها مجددًا بتأثير لطيف من سحرها.

شعرت فيفي لبعض الوقت بالسعادة في أثناء اندماجها في العمل، رغم أنها لا تقدر على تجاهل القلق الذي ينقبض بمعدتها. لم تتحدث إلى سكارليت بعد، والتوتر بينهما ينمو كل دقيقة. طلبت من بايلي أن تنتبه للسلم الذي تقف عليه مِي، ثم توجهت إلى مكتب سكارليت. وجدت أختها الكبرى هناك، تلقي تعويذة على الزجاج المهشم بالغرفة. بدت متعبة ويتصبب العرق على جبينها. رغم أنها لم تُصَب بأذى منذ الليلة الماضية، لا تكفي رؤيتها تعمل لتتخلص من المشهد المفزع العالق بذهنها. تتذكر التعويذة الرهيبة التي ألقتها عليها، واستجابتها لأوامر الشيطان. كادت تقتلها حقًّا.

قالت فيفي، مترددة في الدخول: «مرحبًا. أتسمحين لي بدقيقة؟».

توقفت سكارليت، ومشطت شعرها للوراء، بعيدًا عن جبهتها المتعرقة: «بالطبع».

ثم أشارت لها لتجلس على مقعد مخمليٍّ أخضر. أومأت فيفي برأسها، ولكن قبل أن تصل إلى المقعد، التفتت لتواجه سكارليت، وقالت باندفاع: «آسفة، آسفة جدًّا. لا أصدق أنني كدت...».

- فيفي...

استندت سكارليت على حافة مكتبها، وفركت جانبَي رأسها.

- ما كان يجب أن أتخلى عن الكابا أبدًا. كان عليَّ التحدث إليكِ قبل أن أذهب وأنضم إلى الثيتا لاستعادة سحري، أنا...

رفعت سكارليت يدها، وقاطعتها: «وما كان يجب أن أطلب منكِ الذهاب إلى هناك أبدًا. وتركتكِ وحدكِ هكذا بلا سحر».

هزت فيفي رأسها، قائلة بكلمات مبهمة: «هذا لا ينفي تلك التعويذة، التي حاولت إلقاءها».

لا تقدر على قولها بصوت عالٍ.

التعويذة التي كدتُ ألقيها لقتلكِ.

- لقد فعلتِ ذلك تحت تأثير تايفوس. رأيتِ بنفسكِ ما فعله بفتيات الثيتا.
- خفتُ كثيرًا من فقدان قوتي، أن أُترك بلا حماية، مثل المرة السابقة...

صمتت سكارليت للحظة، ثم تنهدت وعبرت الغرفة تجاه فيفي، لتضع يدها على كتفها: «ارتكبت كلتانا الأخطاء. دفعتني رغبة أن أصبح أكثر رئيسة مثيرة للإعجاب في تاريخ الكابا، ولم أنتبه عندما احتجتُنَّ جميعًا لمساعدتي».

فكرت فيفي بالعضوات السابقات للكابا، وخصوصًا اللاتي سجنَّ تايفوس في طلسم هينوسيس. قالت بابتسامة شاحبة: «لا أعرف، لكن بالنهاية استطعنا هزيمة الشيطان، بدلًا من إلقاء حِمل التصدي له على الأجيال القادمة».

- لكننا فقدنا حفل الربيع، وكدنا نفضح أمر قوانا للجميع بويسترلي، ثم ضاع منا السحر. أوه، نعم، وتسببنا كذلك في فتح بوابة الجحيم في قبو منزلنا. يا له من رصيد أعمال عظيم.

شدت فيفي قامتها ونظرت لسكارليت بحسم: «إن الكلمة المفتاحية هنا هي «كدنا». لا يتباهى أفضل القادة بإنجازاتهم المسجلة، يا سكارليت. بل أفضل القادة هم الذين يوجدون بين رعاياهم عند الحاجة. يسعون للتضحية بأنفسهم في سبيل حماية رعاياهم. وبغض النظر عن الأخطاء التي حدثت، لقد ظهرتِ وقتما احتجتُ إليك. ركضتِ نحو الهاوية حرفيًّا، بلا سحر، لإنقاذي. هذا هو ما يعنيه أن تكوني قائدة».

بادلتها سكارليت الابتسام أخيرًا: «إذا أردتِ اعتبار ما حدث على هذا النحو...».

زفرت فيفي ببطء: «هذا ما أراه بالفعل. وآسفة حقًّا، لأنني آلمتكِ».

صمتت سكارليت لبرهة، وبدت سارحة في أفكارها: «أقدِّر شعورك. لكنكِ اتخذت القرار الصحيح في النهاية. هذا يتجاوز قدرة معظم الناس».

عندما خيم صمت ثقيل على الأجواء، مدت فيفي خنصرها تجاه سكارليت: «دعينا نتعاهد معًا، من الآن فصاعدًا، أن نطلب المساعدة من بعضنا بعضًا متى احتجنا إليها. لا داعي للمزيد من الخجل، ولا للمزيد من محاولة فعل كل شيء وحدنا لإثبات أنفسنا. فنحن أخوات».

اهتزت زاوية فم سكارليت. ثم رفعت يدها هي الأخرى، ليشتبك الخنصران ببعضهما بعضًا. أومأت مُصدِّقةً على العهد: «نعم، أخوات».

أضافت، رافعةً أحد حاجبيها: «لكنني أختلف معكِ في نقطة واحدة. أفضل القادة يعملون معًا كفريق. ما ردكِ على هذا؟ ستظلين معي، أيتها المسؤولة الاجتماعية؟».

اتسعت ابتسامة فيفي: «دائمًا».



ذهبت سكارليت لمساعدة جيس لإصلاح أنبوب مياه مكسور، بينما اتجهت فيفي إلى الفناء الخارجيِّ للاتصال بأمها. بدأت النباتات الذابلة في الازدهار مجددًا. أخذت نفسًا عميقًا، وانتعشت بعبق الأعشاب السحرية الخاصة بالغربان. عندما شعرت أنها مستعدة بدرجة كافية، ضغطت أزرار الاتصال في هاتفها. رغم عدم مناسبة الوقت، ردت دافني على الفور بصوت يرتجف نوعًا ما: «مرحبا؟ هل كل شيء على ما يرام يا عزيزتي؟».

بمجرد سماع صوتها، ترقرقت الدموع في عينيها، رغم أنها ليست متأكدة تمامًا من سبب تأثرها. يبدو أنه مزيج من الفخر والارتياح، والإرهاق كذلك.

رددت فيفي كلمات أمها بضحكة واهنة: «هل كل شيء على ما يرام؟ لا أعرف حتى من أين أبدأ...».

بذلت قصارى جهدها لتعطيها لمحة عامة عن كل ما حدث. لم يمر وقت طويل منذ أن تخلصن من تايفوس، ومع ذلك، تشعر أن دهرًا قد مضى. كما لو أنها تصف أحداث حلم رهيب، تختفي بعض تفاصيله من ذاكرتها.

قالت دافني بتأثر شديد: «يا إلهي... آسفة حقًّا، يا عزيزتي. يا له من أمر فظيع، اضطركن يا فتيات إلى مواجهته بمفردكن، وخاصة بعد مرور فترة قصيرة على حادث تيفاني».

تقطَّع صوت أمها، فتخيلت الألم الذي قد يبدو على وجهها الآن. تابعت: «لا أصدق أنني خذلتكِ مرة أخرى».

قالت فيفي، وهي تعني ما تقول حقًّا: «لا بأس. استطعنا تدبر أمرنا بالنهاية».

- بالتأكيد فعلتِ، فأنت ساحرة لا مثيل لها. إنني فخور جدًّا بك.

- أشكركِ.

اجتاحتها موجة من الاعتزاز بنفسها، لكنها لم تكفِ لكبح السؤال الذي لا يزال يؤرقها: «لكن لماذا أنا؟ لماذا احتاج تايفوس لدمي بالذات لفتح البوابة؟».

ترددت دافني لبرهة، وازداد قلق فيفي من احتمال هروبها من الإجابة: «إننا ننحدر من سلالة طويلة من السحرة، يا عزيزتي. إذا صحَّ تخميني، فإن مَن فتح هذه البوابة في المرة الأولى، لا بد أنه أحد أسلافنا. ويبدو أنكِ ما زلتِ تحملين دمه».

عادت فيفي بذاكرتها للوحة التي رأتها بمزرعة الصفصافة المنعزلة: «كانت هناك صورة لامرأة، حذرتني وسكارليت من الشيطان والبوابة».

ردت دافني بنبرة تبجيل: «هذا سحر قديم قويٌّ. ينشئ السحر ترابطًا وثيقًا بين الغربان، في حين ترتبط العائلات بالدم، حتى بعد الموت. فلو أن إحدى الأسلاف كانت عضوة بالكابا أيضًا، تكن لديها قدرة خاصة للتواصل تتجاوز حد الموت. لقد جاءت من أجلكِ يا فيفي. إنني سعيدة لأنكِ استمعتِ لتحذيرها».

- وأنا كذلك.

صمتت فيفي لبعض الوقت، حتى تستجمع شجاعتها لتذكر السبب الرئيسي وراء حرصها الشديد لمحادثة دافني: «هناك أمر آخر يشغل تفكيري. لقد قضيتُ وقتًا طويلًا مع تِيم، نتحدث عن والدنا. أحتاج حقًّا أن أعرف: ماذا الذي حدث بينكما في الواقع؟».

يستحيل عليها من خلال الحقائق المتداخلة، وتأثير سحر الشيطان، أن تميز بين الحقيقة والخيال. إذا كان تِيم نفسه كذب، هل هذا يعني أن كل ما قاله كذب أيضًا؟

زفرت دافني بقوة على الطرف الآخر من الهاتف: «حسنًا، يا عزيزتي. لديك كل الحق لتعرفي الحقيقة، بالطبع. لكن ليس هناك الكثير لأخبرك به. درست أنا وفينس في ويسترلي معًا. كان هو نجم كرة قدم مشهور، وقد أعجبت به سرًّا. عندما تركت الدراسة وبدأت أتنقل من مكان إلى آخر. مررت في إحدى المرات بمدينة فانكوفر. اتضح لاحقًا أنه قد انتقل للعيش هناك، حيث التقينا في بار فندق ما، وحسنًا، هكذا جئت».

توقعت فيفي ذلك.

- إذن هو في كندا؟

- لستُ متأكدة تمامًا. انقطعت اتصالاتنا منذ سنوات. ألقيت باللوم عليه، وأقنعت نفسي أنه ليس جادًّا بعلاقتنا. لهذا السبب لم أرغب قط في إخباركِ بأي شيء عنه، لم أُرد أن أراكِ تتألمين. لكن تسبب عدم إخباركِ سابقًا في المزيد من الأذى ووجع القلب بالفعل. إنني في غاية الأسف.

ظلت فيفي صامتة لبرهة طويلة، تتصارع بداخلها الأسئلة، حتى ضاق صدرها. سألت أخيرًا: «هل يعرف بشأني على الأقل؟».

- نعم. أخبرته بكل شيء في آخر مرة تحدثنا فيها. قال حينها إنه يود مقابلة ابنته الوحيدة إذا أرادت ذلك.

أسَرتها هذه الكلمات: *ابنته الوحيدة*.

- هل ستنزعجين إذا أردتُ ذلك؟

قالت دافني: «لا، يا فيفي. عليكِ اتباع الطريق التي تريدينها لنفسك. بالإضافة إلى ذلك، لقد طالعتُ التارو أمس، وظهرت لي بطاقة نداء الكؤوس. ربما هذه هي الإشارة. قد تكون رحلتكِ للقاء والدكِ هي مكافأتك».

ابتسمت فيفي وهزت رأسها: «ربما هي كذلك...».



الفصل التاسع والثلاثون

سكارليت

- ها قد انتهينا. هذا كل ما أتذكره.

أتمَّت مارجوري وينتر مهمة التدوين بخط منمق، ثم مررت الكتاب إلى سكارليت. تأملت الصفحة وخط يد أمها، الذي بدأ يختفي بتأثير التعويذة، ليماثل رسم الخط الموحد بالكتاب ذي الغلاف الجلديّ. بعدما سردت لأمها كل ما وقع من أحداث منذ اكتشاف أمر بوابة الجحيم، اعتذرت لها مارجوري، وذكَّرت أنه اجتاحتها حالة من الذهول خلال الأسابيع الماضية. ربما عبث تايفوس بذاكرة الساحرات جميعًا. ذكرت أيضًا أنها تحدثت إلى جماعة الملوك لتعجل المساهمة في كتاب سكارليت، *تاريخ الغربان*، لضمان مستقبل آمن لمجتمع السحرة.

- هل هذا يعني أنكِ تعترفين أخيرًا بأنني كنت على حق؟

حدقت إليها مارجوري: «سأعترف أنها فكرة جيدة أن يصبح لدينا سجل مشترك عن حياتنا في الكابا، ولا يمكن التلاعب به من قِبل أي قوى خارجية. كما أثبتِّ أنكِ أقوى مما كنتُ عليه في مثل عمركِ، يا سكارليت».

جمدت في مقعدها مذهولة: «أمي...».

- لا أقصد أقوى سحريًّا.

بالطبع.

لم تستطع سكارليت أن تمنع نفسها عن الضحك. في حين اتسعت ابتسامة أمها.

- حسنًا، ربما. لكن لا، أقصد قوة احتمالكِ، ولاءكِ لأخواتكِ، وقدرتكِ على فعل ما يجب فعله، بصرف النظر عن النتائج أو الأهوال التي قد تواجهينها. هذه هي القوة الحقيقية، يا سكارليت. وهي أقوى من أي سحر.

ابتسمت سكارليت، على الرغم من ضيق صدرها.

هذا ليس صحيحًا تمامًا. لا يزال لديها مهمة تجنبتها لوقت طويل. واجبٌ عليها فعله من أجل أخواتها، الذي تمنت ألا تُضطر إلى فعله يومًا.

بعدما غادرت مارجوري، أطالت الجلوس بالغرفة العامة. تأملت مِي وشعرها الذي سحرته حديثًا في خصلات حمراء زاهية، ورفعته في كعكة هائلة، بينما تعطي ريجان نصائح حول تحديد الوجه باستخدام السحر: «هناك خط رفيع بين إظهار جمالك، وأن تبدي كشخصية أنيمي مريبة تعيش في عالم خياليٍّ».

بالقرب منها، تتجول إيتا ما بين نباتات المنزل، لقد تحمست الفتيات بمعاودة اهتماماتهن ما إن استعدن قوى الغربان. لكن يبدو أن إيتا تفرط في اهتمامها بالنباتات، وتغدق عليها بالماء. أما جيس فجلست على السجادة، وتحلَّقت حولها كومة من قصاصات الصحف، لفحصها. إلى جوارها، تطرح سونالي الأسئلة حول الأساليب المختلفة لكتابة التقارير الصحفية.

جعلها مرأى أخواتها يمارسن حياتهن كالمعتاد، تنتعش أكثر من تأثير أي تعويذة. لقد افتقدت هذه الروح، والأحاديث اللطيفة الصاخبة بالكابا هاوس مثل أي يوم عاديٍّ.

صرخت إحداهن، فقفزت سكارليت، لتجد أريانا تركض لتطفئ شمعة أخطأت في إلقاء تعويذة عليها، في إناء إيتا لري النباتات. ذكَّرت نفسها بينما تتفقد الساعة المعلقة فوق الباب: «*حسنًا*. إنها حالة مألوفة، على أي حال. *هؤلاء مَن سأفعل ما يجب من أجلهن*».

إذا أرادت أن تفعل هذا على النحو الصحيح، تحتاج للبت في خطتها في أقرب وقت.

هرولت عبر الحرم الجامعيّ، حتى وصلت للمكتبة، في موعد متأخر بضع ثوانٍ عن منتصف الظهيرة يوم الجمعة الماضي. بعد برهة، لمحت، كما توقعت، شعر جاكسون المجعد من خلال النافذة. تجولت ببطء حول المبنى، في حين أسرع جاكسون خارجًا، ونزل الدرجات الأمامية. اعترضت طريقه عند الدرجة الأخيرة: «جاكسون».

عندما التقت أعينهما، رأت على وجهه عواطف مضطربة، تتراوح ما بين الاندهاش، والغضب. ثم لمحت تعبيرًا آخر لم تستطع قراءته، قبل أن يقطب جبينه، مما جعل وجهه المبتهج بالعادة مكفهرًا: «ونتر».

رائع. بات يناديها باسم العائلة. لكن هذا أفضل من تجاهلها كليًّا، عما كان عليه تحت تأثير لعنة الحب. ما إن بدأ في التحرك تجاه قاعة الطعام، تقدمت سكارليت خطوة إلى جانبه، لتجاري خطواته: «كيف حالك؟».

أطال النظر بعينيها هذه المرة: «في الواقع، لستُ متأكدًا من كيفية الرد على هذا السؤال، أو من السبب الذي جعلكِ تسألينه».

جفلت. ربما تستحق هذا الرد الجاف: «سمعتُ أنك انفصلت عن كايت».

تسمر مكانه، والتفت يواجهها: «تعلمين. لا أعرف ما هو الأسوأ، أن أقع تحت تأثير تعويذة حب، أم أفقد القدرة على اتخاذ القرار بشأن حياتي، أم أن أُخدَع من قِبل الشخص الوحيد الذي عرف بما حدث طوال هذا الوقت».

توقفت سكارليت في منتصف الطريق: «جاكسون...».

انتظر حتى تكمل جملتها. عندما لم تفعل، عقد ذراعيه، واشتد فكه: «نعم. من الواضح أن تعويذة كايت قد زالت. أفترض أنه عليَّ شكركِ على ذلك؟».

ابتلعت ريقها بصعوبة. *إنه يعلم عن تلك التعويذة*. مما يعني...

جاهدت لتصيغ ردًا معقولًا: «آسفة. وجب عليَّ كسرها في وقت أبكر. أردت أن أفعل ذلك، لكن الأمر جرى على غير ما توقعت، و...».

صمتت فجأةً، ثم تابعت: «إلى أي مدى تتذكر يا جاكسون؟».

للحظة، تفحصها بعينيه من رأسها حتى أخمص قدميها. رقت نبرته، وذاب جدار نصبه بينهما: «أتذكر ما يكفي. لا أقدر على التفكير، يا سكارليت. في الفصل الدراسيِّ الماضي، شعرتُ... (ضغط عينيه يغلقهما، وهو يلعن)

شعرتُ بمشاعر تجاهكِ، وما زلتُ أفعل. لكن الذي فعلتِه بي، من سلبي ذكرياتي بهذه الطريقة...».

جالت بنظرها فيمن حولها. رغم أنه لا يبدو أن هناك أحدًا يستمع إليهما، اقتربت منه خطوة تحسبًا: «اضطررتُ إلى ذلك يا جاكسون. إذا تذكرت بالفعل كل ما حدث العام الماضي، فلا بد أنك تتذكر القواعد أيضًا. يجب أن يظل السحر سرًّا، من أجل سلامة الغربان والآخرين».

اشتد فكه أكثر، ناظرًا للسماء. كأنه لا يحتمل التقاء أعينهما. قال بصوت متقطع: «هل تعتقدين أنني لم أدرك؟ بعد ما فعلته كايت...».

عبست سكارليت: «آسفة للغاية. لا يمكنني تصور ما شعرت به حقًّا».

هز رأسه، وابتلع ريقه بقوة: «أن تحاصري بحالة من عدم القدرة على التحكم بجسدكِ وعقلكِ. بالطبع لا. لا يمكنكِ التصور».

بينما تنتظر حتى يكمل حديثه. تأملت السحب البيضاء الرقيقة التي تطوف بالأعلى، ومن ورائها سماء زرقاء صافية. إنه يوم جميل من أيام سافانا. يتعارض كليًّا مع شعورها الآن، الذي يشبه سماء ملبدة بالغيوم تجثم على صدرها، في انتظار العاصفة.

نطق أخيرًا: «لقد أخبرتكِ في الفصل الدراسيِّ الماضي بما أعتقده بشأن خطورة أن يتمتع بعض الأشخاص بهذا القدر الهائل من التحكم في الآخرين. ما زلتُ أعتقد هذا، حتى فيما يخصكِ يا سكارليت».

شبكت أصابع يديها، لتكبح رغبتها المفاجئة في الاقتراب منه. قالت بنبرة خافتة مضطربة: «أتفهم ذلك. ثِق أنني أفعل. لا أعرف ماذا عليَّ فعله يا جاكسون».

نظر إليها بوجه جامد: «ماذا؟ ألستِ هنا لمسح عقلي مرة أخرى؟ ومحو ذكرياتي وحتى هذه اللحظة للأبد؟».

حدجها بعينيه.

- لا أريدُ أن أفعل ذلك.

- لكنكِ ستفعلين على أي حال.

- عليَّ واجبٌ تجاه أخواتي، تجاه الكابا.

إذا تعلمت أمرًا واحدًا خلال هذا العام، فهو ألا تفقد رؤيتها بما يجب فعله. أضافت: «صدقني، لو أن هناك أي طريقة أخرى، لجعلكَ تحتفظ بهذه الذكريات، لفعلت. طوال هذا الفصل الدراسيِّ، كنتُ أُقتل كل يوم لأنك لا تستطيع التذكر. لأنه ليس لديك أدنى فكرة عما مررنا به معًا».

اقترب منها خطوة أخرى، فانقطعت أنفاسها: «إذن اسمحي لي بالتذكر، يا سكارليت».

- هل تتعهد بعدم الكشف عن هويتنا لأي شخص آخر؟ هل ستحتفظ بما علِمته لنفسك، بغض النظر عما رأيته، ومهما حدث في الحرم الجامعيِّ...

قاطعها بلطف، مائلًا بوجهه نحوها: «تعلمين أنني لا أستطيع البوح بأي شيء. حتى لو تكرر ما حدث. حتى لو رأيت الناس بخطر».

وجدت نفسها تميل للأعلى بدورها، مغمضة العينين مثله. هذا هو جاكسون الذي افتقدته. إنه جاكسون نفسه الذي وقعت بحبه بقوة. الشخص الذي لن تقبل برفض طلبه. إنه مَن تحترمه، وتحترم أفكاره وتمسُّكه بمعتقداته. ولهذا السبب تحديدًا، لا يمكنها وضع حياة أخواتها بين يديه.

تذكرت زافيير، والتضحية الكبيرة التي قدمها في سبيل إنقاذهن. لو تعرض جاكسون لموقف مشابه، لن تستطيع التحمل. لا يمكنها التخلي عن الشخص الوحيد الذي يفهمها ويرى معدنها.

همست: «آسفة، يا جاكسون».

فكرت لثانية أن هذه هي اللحظة المثالية ليقبِّلها. لعلهما يتظاهران على الأقل أن كل شيء سيجري ما يرام، وأنهما سيظلان معًا.

ارتجف قلبها عندما تمتم: «لا يهمني السحر. فقط لا أريد أن أنساكِ أيضًا».

اقتربا من بعضهما بعضًا، حتى صارت شفاههما على قيد أنملة.

- أتمنى لو أن هناك طريقة أخرى.

فتح جاكسون عينيه، وتراجع للوراء باضطراب: «هل يمكن أن تمهليني يومًا واحدًا على الأقل؟».

ترك إحدى يديه تتخلل شعره. فعادت تنظر إلى السماء. لا تصدق أنه ابتعد عنها مجددًا. تحشرج صوته، بينما داعبت أشعة الشمس بشرته البُنية اللامعة. تابع: «أحتاج لليلة أخيرة من أجل... أريد توديع هاربر بشكل لائق. وبالغد، لكِ أن تفعلي ما تشائين. رغم أنه لا رأي حقيقي لي في ذلك...».

أخذت نفسًا بطيئًا وحادًّا. لم يخطر على بالها أنه يتذكر حقيقة ما حدث لأخته بالتبني، وصعوبة أن يضطر إلى فقدان هذه الذكرى ثانية.

قالت بهدوء: «أستطيع الانتظار لليلة أخرى».

عادت لهجته لصلابتها: «أراكِ بالغد إذن».

تركها ورحل، قبل أن تطلب منه البقاء.



الفصل الأربعون

فيفي

- هل علينا حقًّا ارتداء هذه الملابس كأنه استُدعينا لمحاكمة؟ لسنا في وضع المذنب.

سألت مِي، بينما تدقق النظر في السترات الرسمية والفساتين القصيرة مُربعة التصميم، بالإضافة للأحذية ذات الكعب العالي. أصرَّت سكارليت أن يرتدين هذه الملابس، بدلًا من الزي الرسميِّ المعتاد لمسؤولي الكابا، من أجل اجتماع مجلس بانهيلينيك المنعقد اليوم.

قالت سكارليت، وهي تسوِّي عقدًا ثلاثيًّا من اللآلئ، ليستقر فوق فستان من الصوف الأسود: «نحتاج إلى إثبات أنه لا يوجد سبب يدعو المجلس لإبقائنا تحت المراقبة».

أردفت ريجان من مجلسها على الأريكة، فيما تطلي أظافرها بلون أسود لامع باستخدام السحر: «أتقصدين، فيما عدا التسبب في فتح بوابة للجحيم، وإشعال الحرائق بالحرم الجامعيِّ».

كانت ريجان هادئة ووديعة بشكل غير معهود خلال الأيام القليلة الماضية. على الرغم من أن فيفي لم تفصح عن ذلك، فإنها سعيدة لعودة صديقتها القديمة لطبيعتها.

انشغلت جولييت بتقويم ياقة سترة جيس، قائلة بمرح: «يمكننا اعتبار ما حدث من باب الخدمة العامة. رغم أنني أقترح طرح الموضوع جانبًا. حاليًّا، يبدو أن الجميع صدَّق قصة الزلزال بالفعل، أليس كذلك؟».

تمتمت سكارليت: «نعم، حاليًّا. لكن لن يتركنا دين ساندرسون في حالنا. كما لو يجاهد لإلقاء اللوم علينا بسبب كارثة طبيعية خارجة عن إرادتنا».

علَّقت ريجان: «تقصدين بسبب عمل شيطانيٍّ».

شاركتها بعض الفتيات الضحك، في حين بالكاد استطاعت فيفي الابتسام. ترى أنه من الحماقة أن تحزن على أخ لم يكن موجودًا في الواقع. لكنها لا تزال تشعر بألم الفقد ممزوجًا بالخزي والغضب، لوقوعها فريسةً سهلةً في شَرَك تايفوس. عندما التقت بتِيم، أرعبتها في البداية فكرة أن لها أخًا غير شقيق، لم تعلم بوجوده لزمن طويل، ثم تمنت أن يكون أخاها حقًّا. وبالطبع، صحَّت مخاوفها التي تجاهلتها سابقًا، لتنتهي بها الأمور على نحو أكثر مأسوية مما قد تتخيل. ومع ذلك، تشعر بالأسى عند تصور ماذا قد يحدث في عالم آخر، لا تعاني فيه من الوحدة. على أي حال، رغم أنها نشأت طفلة وحيدة، لديها الآن منزل كامل مملوء بالأخوات. حيث يجري بعروقها رباط أقوى من الدم: رباط السحر.

بعد مرور ساعة، قادت سكارليت الفتيات عبر قاعة المحاضرات الكبرى، وكعوبهن العالية تقرع في تناغم على أرضية القاعة الرخامية. منعت فيفي نفسها من الابتسام لدى انتباهها لموجة من الهمسات ونظرات الإعجاب تلاحق خطواتهن. لطالما لفتت الكابا الأنظار أينما تجولن في الحرم الجامعيّ بشكلٍ جماعيٍّ. يبدو كما لو أن الإخطار لم يكن كافيًا ليلحق الضرر بطلَّتهن الساحرة.

بجانب عينها، لمحت ماريا تقود الثيتا عبر الممر على الجانب الآخر من القاعة. من الواضح أنها تتجه نحو المقاعد الفارغة في الصف الأماميّ، حيث اعتادت الكابا أن تجلس خلال الاجتماعات. أسرعت ماريا الخطى على نحوٍ مُخجل، وكأنها تتنافس في سباق للجري، مما جعلها تبدو مثيرة للسخرية نوعًا ما، بالمقارنة بسكارليت التي تعبر الممر مرفوعة الرأس بأناقة واتزان.

وصلت ماريا وسكارليت في الوقت نفسه إلى مسرح القاعة. استدارتا في مواجهة المقاعد الأمامية، ثم توقفتا في مواجهة بعضهما بعضًا. هذه هي المرة الأولى التي تلتقيان فيها وجهًا لوجه منذ صراعهما في القبو. اندهشت فيفي من مدى تغير فتيات الثيتا. بدت ماريا شاحبة وهزيلة، وقد رفعت شعرها لأعلى في ذيل حصان مشدود، مما أظهر وجهها نحيفًا، كما لو نفد مخزونها من الطاقة وليس السحر المسروق فقط. حدقتا في صمت إلى بعضهما بعضًا. رغم أن ماريا استرقت النظر للثيتا من جانب إلى آخر، تركزت نظرات سكارليت للأمام مباشرةً، هادئة الملامح، كما لو لديها كل الوقت في العالم. في ظروف أخرى، تستغرق الغربان أنفسهن وقتًا طويلًا قبل أن تتجرأ إحداهن على الوقوف بوجه سكارليت وينتر، حتى من ليس لديهم سحر، يدركون أنها شخصية لا يمكن تجاوزها. من المحتمل أن ماريا لديها روح غزال لا ينوي الإذعان لهيمنة أسد. استدارت أخيرًا، لتجلس في أحد الصفوف التالية، ونادت الثيتا ليتبعنها.

اجتاح فيفي شعور بالتعاطف، وهي ترقب فتيات الثيتا يتبادلن نظرات متوترة. لم تستوعب الثيتا فيما أقحمن أنفسهن عندما أغواهن تايفوس. حتى فيفي الساحرة المدربة التي تعلمت عن السحر المظلم، سقطت تحت تأثير تايفوس. إلى أي مدى قد تسوء حالة مجموعة من الفتيات ليس لديهن أدنى معرفة بالعالم السحريِّ؟

لم تتذكر الثيتا بالطبع أي تفاصيل عما حدث. فقد مُحيت ذاكرتهن، فيما عدا بعض الأمور التي لم تُمحَ بالكامل، مثل الرعب الذي شعرن به جميعًا عند الاستيقاظ بجوار بوابة الجحيم بعد سقوط تايفوس. سمعت فيفي شائعات أن معظمهن تغيبن عن الدراسة خلال هذا الفصل الدراسيِّ.

وصل دين ساندرسون لمسرح القاعة وجلس على مقعد بجانب المنصة. يبدو متقدمًا في العمر منذ اجتماع المجلس الشهر الماضي. لا بد أنه مر عليه هو الآخر شهر صعب، تخلله زلازل غير متوقعة بالحرم الجامعيِّ، أضرت ببعض القطع الأثرية المهمة في مكتبة هيويت، وبعدد من منازل الحرم اليونانيِّ. كما عقد العديد من الاجتماعات الطارئة للمجلس للوقوف على كيفية التعامل مع المخالفات التي تسبب بها كل من تأثر بطاقة تايفوس

السلبية، وليس الكابا والثيتا فقط. بدا العميد مشوشًا، لا يقدر على استيعاب هذه الفوضى. دعا المجلس لبدء الجلسة بصوت أجش، وأخذ جرعات متتالية من تُرمس القهوة، الذي وُضع أمامه، قبل أن يرحب بالحضور، ومن ثم يطلب من رؤساء الأخويات والنوادي النسائية لشغل مقاعدهن بجواره على المسرح.

قبل أن تنهض سكارليت على قدميها وتصعد الدرجات الثلاثة للمسرح، همست لها فيفي: «أتمنى لكِ حظًّا جيدًا».

كان من الواضح أنها لم تكن بحاجة للسحر لتحتمل كعب حذائها، فهي تخطو بثقة كمن تعلمت المشي بكعب عالٍ منذ نعومة أظافرها. جلست وشابكت ساقيها عند الكاحلين، تستمع بتهذيب يشوبه بعض الملل، بينما يلقي العميد الخطبة الافتتاحية. انتقل بعد ذلك لمناقشة حركة جمع التبرعات، تلاها موضوع الزلزال وخطط الإصلاح.

تنحنح دينساندرسون، وقال مراجعًا ملاحظاته: «وأخيرًا، نعاود التحدث بشأن الإخطار الصادر ضد الكابا رو نو».

تمتمت مِي: «أعلم أننا اتفقنا على عدم استخدام السحر للتأثير في أي شخص. لكن عليَّ الاعتراف أنه مغرٍ للغاية حاليًّا».

قالت فيفي وهي تتململ على مقعدها: «صدقيني، أعلم ذلك».

مالت مِي لتقبض على يدها بقوة: «لم يجد المجلس أي تهم أخرى لتوجيهها ضد هذا النادي النسائيِّ، بعد فترة مراقبة لمدة شهر. في ضوء ذلك، تستطيع الكابا مزاولة عملها كالمعتاد، وفقًا للقواعد التي سبق الاتفاق عليها».

نظرت فيفي إلى مِي.

هل هذا يعني...

ارتفعت يد ماريا من مكانها على المسرح. وجَّه لها العميد نظرة استخفاف: «من فضلك يا سيدة جريمالدي انتظري حتى أُنهي قراءة البيان».

وضعت ماريا يدها في حجرها، فيما تهتز بتوتر شديد.

تابع: «في ضوء ما ذكرته السيدة وينتر سابقًا، لم يُرصد أي مخالفات من قبل ضد الكابا رو نو. ونظرًا لسلوك النادي المثاليِّ خلال الشهر الماضي،

قررنا، بعد تصويت المجلس، إعادة كامل امتيازات الكابا لاستضافة حفل الربيع لهذا العام».

أطلقت جيس صيحة فرح صاخبة، وصفق عدد قليل من الحضور بشكل مفاجئ، تصديقًا على قدرة الكابا العالية لاستضافة حفل بتلك الأهمية. أمسكت مِي بكتفَي فيفي، وهزتها بحماس. أما على المسرح، ضغطت سكارليت على زوايا فمها، كأنها تجاهد كي لا تُظهِر ابتسامة عريضة على محياها. من ناحية أخرى، تهاوت ماريا في مقعدها. وعندما تفقدت فيفي باقي الحضور، رأت روز تسند رأسها على كتف سبنسر في تخاذل.

من المفترض أن تشعر بالارتياح لاستعادة هذا الحدث، ولعودة فتيات الكابا لسابق عهدهن، ملكات متوجات على عرش الحرم الجامعيِّ. ومع ذلك، لا يسعها إلا التفكير في مدى السهولة التي استغل بها تايفوس الثيتا، بسبب تصرفات الكابا معهن. لطالما حظيت فتيات الكابا بمكانة خاصة: 'مكانتنا فوق أي اعتبار'. بقدر ما أخطأت الثيتا، لا تستطيع الإنكار أنها أُعجبت بأسلوب ترحيبهن. بغض النظر عما آلت إليه الأمور، لم يُردن سوى مشاركة الجميع في خططهن.

بينما يجري الاجتماع على وتيرته المعتادة، مدت يدها داخل حقيبتها، ولمست بطاقات التارو الخاصة بها، باحثةً عن بطاقة السيوف. ما إن عثرت عليها، صبَّت اهتمامها على سكارليت، وتخاطرت إليها: «*لدي فكرة*».

بعد برهة، أغلقت أختها الكبرى عينيها وأومأت برأسها.

وبمجرد أن فضَّ العميد المجلس، قفزت فيفي من مكانها، كما لو صعقها الكهرباء. نادتها مِي: «مهلًا، لمَ هذا الاندفاع؟».

إن فيفي هي المسؤولة الاجتماعية، وتندرج تلك الأمور ضمن مهامها.

لمحت شعر روز الوردي بين فتيات الثيتا المتجمهرات حول رئيستهن. وصلت إليهن، تمامًا في الوقت الذي تراخت فيه كتفا ماريا في انهزام. سمعتها تقول: «لا بأس. سنعيد المحاولة العام المقبل».

لكنها لم تبدُ على ما يرام، بل في غاية الحزن، وكذلك بقية الفتيات.

تنحنحت فيفي، وكانت روز أول من لاحظتها، فأومأت تجاهها. التفتت الأخريات، في حين جمد تعبير وجه ماريا: «أوه، يا فيفيان. هل أتيتِ لتشمتي بنا؟».

نقلت فيفي نظرها من روز إلى ماريا: «الحقيقة... كوني مسؤولة اجتماعية، أردتُ أن أسألكِ عما إذا لدى الثيتا اهتمام بمشاركة الكابا في استضافة حفل الربيع لهذا العام».

ساد الصمت، ولم تتحدث إحداهن للحظة، قبل أن تسألها روز بابتسامة واسعة: «هل هذا جِديٌّ؟».

قالت ماريا بحذر: «علينا التفكير في الأمر...».

لكن فيفي تستطيع أن تجزم، أنها رأت وجهها يتورد في ابتهاج. قاطعتها فيفي: «أعرف مدى أهمية حفل الربيع بالنسبة إليكم جميعًا. كما أعرف أن الكابا لم تُحسن الترحيب في الماضي. نريد بدء صفحة جديدة في هذا الفصل الدراسيِّ، وأن نتشارك العمل مع باقي الفتيات بالحرم الجامعيِّ، بدلًا من التنافس دائمًا».

حدقت إليها ماريا لبرهة طويلة، ثم ابتسمت: «كنتُ أعرف أن لديكِ جانبًا يُشبهنا، يا فيفيان».

- أوه، إنني أنتمي إلى الغربان كليًّا. لكن إذا سألتِني عن رأيي، أرى أن الكابا والثيتا ليستا مختلفتين كما نعتقد.

اندفعت روز من جوار رئيستها، لتعانق فيفي بشدة: «صحيحٌ تمامًا. أتطلع إلى التخطيط معًا للحفل».

ردت فيفي مبتسمة: «وأنا كذلك».

على عكس الحفلات الأخيرة التي خططت لها، واستنفدت طاقتها العصبية، هذه المرة تجد نفسها متحمسة للغاية حيال مشاركة الثيتا.



عندما خرجت فيفي للانضمام إلى باقي الفتيات، كُنَّ مشغولات بنشر الأخبار السارة عبر هواتفهن.

قالت مِي صارخة: «نحن أحرار!».

ثم قفزت لأعلى عدة مرات. وما إن تأكدت أن لا أحد يراقبهن، هزت رأسها لتطلق سراح شعرها الطويل، وتُحوله لآخر مجعد قصير، بلون ورديٍّ زاهٍ، يتماشي تمامًا مع حذائها الرياضيِّ الخفيف.

قالت سكارليت بابتسامة متكلفة: «أحقًّا، بعد كل ما مررنا به، تخاطرين هكذا بكشف هويتنا من أجل تصفيف شعرك؟».

لكزتها جيس برقة: «أوه، انظرن من تتحدث. ألستِ أنتِ من أضاف جرعة سحرية إلى قهوة دين ساندرسون، في حال لم ينصفنا الاجتماع».

هزت سكارليت كتفيها: «يجب أن تبقى الرئيسة الجيدة على استعداد دائمًا. والآن من تريد الذهاب إلى هذا المخبز اللطيف بالمدينة من أجل تناول الكب كيك على حسابي؟».

في طريق العودة للكابا هاوس، تركتهن فيفي لتتوجه إلى مكتبة الكتب النادرة، حيث جلست على الدرجات الحجرية الأمامية، وتحمل بين يديها كوبين ساخنين من القهوة. يعلوها الشفق، أفضل وقت مفضل لديها من اليوم في الحرم الجامعيِّ. حيث السماء الزرقاء الداكنة، ومصابيح الغاز العتيقة المصطفة بالأركان، التي تدب فيها الحياة ليلًا.

استنشقت بعمق هواء المساء العليل، وحاولت تهدئة أعصابها. لكنها بالكاد أوقفت يديها عن الارتعاش، مما دفع بعض القهوة على سطح الغطاء. لقد تغلبن على تايفوس، واستعدن السحر، لكن لا يزال عليها إصلاح أمرٍ ما قبل أن تتمكن من الاسترخاء حقًّا. بعد بضع دقائق، ظهر مايسون على الدرب القرميديِّ، كما توقعت تمامًا. دائمًا ما يأتي إلى هنا للدراسة قبل تناول العشاء. عندما رآها تسمر في مكانه على الفور. لبرهة، اعتقدت أنه سيلتف ويعود من حيث أتى. بدا وكأنه يستجمع قوته، ثم تقدم للأمام متحاشيًا النظر بعينيها، حتى وصل أمامها مباشرةً.

قالت فيفي: «مرحبًا. آسفة، أعتقد أنه كان يجب أن أراسلك أولًا، لكن لم أعرف ماذا عليَّ أن أقول. لذا فكرتُ... (عندها، رفعت كوب القهوة بابتسامة تفاؤل) اعتقدتُ أنه إذا أحضرت لك قهوة باهظة الثمن، ربما قد تسامح أسوأ صديقة لك في التاريخ. يبدو أنه تبادل مُنصف، أليس كذلك؟».

تطلع بها مايسون، وعلى وجهه تعبير غامض. لم يقل شيئًا. يغمرها شعور بالغربة والوحدة، وهو بعيد عنها. عادةً ما يسهل عليها قراءة تعبيراته، لكن في هذه اللحظة، ليس لديها فكرة عما يدور بعقل من تحب. تحدثت بلطافة: «إنها باهظة الثمن حقًّا. ذهبت إلى ذلك المكان حيث يحضِّرون كوبًا واحدًا فقط في المرة، وينظرون إليك باستخفاف إذا طلبت إضافة سكر».

قال مايسون، حاملًا الكوب من يدها الممدودة: «أشكركِ».

يمكنها الجزم أنه قضى يومًا شاقًّا، فهو يشدد على نطق الحروف عندما يكون متعبًا.

- اسمعني، أعلم أنه ليس لديك سبب لتسامحني. أعلم أنني كنتُ حمقاء، وبعدتُ عنك دون إبداء أي أسباب...

سألها مايسون مقاطعًا: «إذن، هل هذه المرة التي ستقدمين فيها تفسيرًا حقًّا؟».

خفق قلبها لسماع نبرة صوته الحزينة للغاية. هي السبب في ذلك. لقد دفعته بعيدًا عنها، تاركةً للسحر اليد العليا في تحديد علاقتهما. تشعر بالسوء الشديد لعدم قدرتها على البوح له، رغم أنها تريد أن توليه ثقتها بشدة. لكن لا يمكن أن تخبره بأعمق وأهم أسرارها على أي حال. هناك أسرار أخرى يمكنها مشاركته إياها.

- لقد اعتزلتُ الكابا نوعًا ما. بالأحرى، تركتُ الكابا لفترة من الوقت وانضممت إلى الثيتا.

- ماذا؟ هذا غير معقول. إن الكابا تعني لكِ الكثير.

- أعرف. هذا صحيح. لكنني فقدت الرؤية لبعض الوقت. فأول حفلين لنا في الفصل الدراسيِّ الجديد، انتهيا بطريقة كارثية. كما اعتمدت سكارليت عليَّ لإتمام عمل كثير، حتى تشاجرنا جميعًا معًا. أخبرتك

سابقًا أنني لم أُرد أن أطلب منها المساعدة، لكن يظل هذا جزءًا من القصة. كنتُ فقط... (أخذت نفسًا عميقًا) كنتُ مرتعبة.

اختفى الشك من ملامح وجهه، وحل محله تعاطف صادق، مما جعل صدرها ينقبض تأثرًا.

تابعت: «أعلم أنها حماقة مني. لقد نجوت من تلك العاصفة بالفعل. لكن عندما أغلق عيني كل ليلة، أرى نفسي قد عدتُ لقلب العاصفة، وأظن أنني من سيموت محل إحدى الفتيات الأخريات».

- أشعر بالأسف الشديد، يا فيفي. هذا يبدو مروعًا.

تنهدت: «كان يبدو الوضع كذلك. لكنني أعلم أن هذا ليس عذرًا. وجب عليَّ إخبارك، والاستماع إليك عندما طلبت مني ذلك».

أومأ برأسه، ثم صمت لبرهة.

- يُعدُّ طلب المساعدة أحيانًا أصعب ما يمكن فعله.

لم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك بخفوت.

- صدقني، لقد تعلمتُ هذا الدرس جيدًا.

- إذن، لم تعودي عضوة بالكابا بعد الآن؟

- في الواقع، لقد قبِلن بانضمامي ثانيةً، بعد أن تعهدت ألا أفعل أي عمل بمفردي أبدًا، وأن أطلب المساعدة من أخواتي إذا استنفدت طاقتي.

قال مبتسمًا: «إنني سعيد من أجلك. هؤلاء الفتيات يحسنَّ معاملتك، وتحسنين معاملتهن بدورك».

نهضت فيفي، واقتربت منه بما يكفي لتلتقط رائحة عطره المألوف: «يظل أكثر ما أندم عليه، هو الطريقة التي عاملتك بها. لقد خذلتك عندما كنتَ في أمس الحاجة إليَّ. أعلم أنه لا يوجد لديك سبب لتسامحني. لكن أعدك، إذا كنتُ محظوظة بما يكفي، وحصلتُ على فرصة ثانية، لن أخذلك مجددًا. أعدك أنني بالفعل لن أتهرب من الحديث معًا».

أطلق ضحكة خافتة، جعل شعورًا غامضًا من الأمل يخفق بقلبها. تريده أن يعود إليها بشدة مهما تطلَّب الأمر. تنهد مايسون، وبدا متألمًا: «فيفي...».

أرجوك قُلها!

تابع: «أحتاج لبعض الوقت. لدي الكثير لأفكر فيه».

تماسكت حتى لا تتهاوى على الدرجات: «صحيح، عندك حق. بالطبع، تحتاج لبعض الوقت. أتفهم ذلك تمامًا».

لانت تعبيرات وجهه: «لم أقُل لا، حسنًا؟ أنا فقط... لنرى ما سيحدث».

حدقت إلى عينيه: «سأستمر في المحاولة، مهما طال الوقت بيننا. لن أتخلى عن علاقتنا أبدًا، يا مايسون».

تعِدُ بأن تفعل هذه المرة.



الفصل الحادي والأربعون

سكارليت

بدت المرأة، التي تجلس بانتظار سكارليت في المقهى بوسط مدينة سافانا، مألوفة جدًّا، لدرجة أنها تسمرت في منتصف الممشى، واختنقت أنفاسها بصدرها.

لم تمضِ فترة طويلة منذ معركتهن ضد تايفوس. حيث تتذكر بدقة اللحظات الأخيرة من حياة زافيير، والتقاء أعينهما، قبل أن يقبض تايفوس على رأسه بكلتا يديه، ويلوي رقبته في طقطقة خاطفة رهيبة.

لا بد أنها كلوديا.

تحاملت على نفسها لتتقدم، وترحب بالمرأة. تصافحتا بالأيدي، ثم جلست سكارليت على المقعد المقابل.

بعد وفاة زافيير بيومين، تلقت رسالة من عائلته عبر صفحتها على التواصل الاجتماعيِّ. رغم أنها لا تعرف كيف علموا بما حدث له، اتضح من رسالتهم أنهم على علم بكل التفاصيل بالفعل. طلبت شقيقته كلوديا، مقابلتها، على وجه الخصوص.

- أهلًا سكارليت وينتر.

تشبه كلوديا أخاها تمامًا، قد يكونان توءمين. لكن على قدر ما اعتاد زافيير التغزل بها بعينيه، بدت أخته جادة للغاية، وضجرة إلى حد ما.

تمتمت سكارليت: «آسفة لخسارتك».

عندها رغم رباطة الجأش الظاهرة عليها، أغمضت كلوديا عينيها لبرهة طويلة، كأنما تستعيد هدوءها. ثم هزت رأسها: «أشكرك. لقد كان الأمر صعبًا على جميع أفراد العائلة».

قالت سكارليت: «حدثني زافيير كثيرًا عنكم جميعًا».

ذكر لها، في أكثر من مناسبة، مقدار الضغط الذي يلقونه عليه. لكن بات لدى سكارليت ما يكفي من الخبرة الآن لتعرف أنه يمكن لأحدهم أن يحتمل ضغوط أقربائه، التي تقع فوق عاتقه، بقدر حبه لهم.

تابعت: «لقد أراد أن يجعلكم فخورين به، أكثر من أي شيء آخر».

تنهدت كلوديا، وهي ترخي كتفيها: «وقد فعل حتى النهاية».

مدت سكارليت يدها في حقيبتها لتُخرِج صندوقًا رفيعًا، وضعت بداخله خنجر زافيير. فمن الغريب أن تحتفظ بخنجر صائد ساحرات بالكابا هاوس، والأغرب أن تعيده لصائدة أخرى، محتمل أنها من نوع صائدي السحرة، الذين حذرتها أمها منهم.

ذكَّرت نفسها: *لقد أرسلوا زافيير لمساعدتنا. إنهم في صفنا.*

تنفست بعمق، قبل أن تمرر لها الصندوق عبر الطاولة: «يجب أن أعيد لكِ هذا».

فتحت كلوديا الغطاء، فأضاء الخنجر بوميض خافت. تصدَّع تعبيرها الجامد، وتجعد جبينها. لمعت عيناها لكن ليس بالدمع، بل...

تساءلت عن التعبير الذي قد يعلو وجه أوجيني، إذا حدث لها شيء. فرغم تشاجرهما المستمر، بينهما العديد من الأمور المشتركة. إلى جانب أنهما تنحدران من عائلة واحدة لها تاريخ عريق، لديهما دافع مشترك للحياة، والأهداف نفسها بالنسبة إلى رئاسة الكابا.

بعد برهة طويلة من الصمت، أغلقت كلوديا الصندوق: «عادةً ما يذهب خنجر الصياد لخليفته. لدي من يخلفني بالفعل. يجب أن يذهب خنجر زافيير كذلك لخليفته، لكنه لم يختر أحدًا بعد. لذا...».

عبس وجه سكارليت: «لا أفهم».

اعتدلت كلوديا في جلستها: «ما مقدار ما أخبركِ به زافيير؟».

ابتسمت باعتزاز مجيبةً: «إذا كنتِ تقصدين أنه أخبرني أسرارًا تخصكم، فلا داعي للقلق. كان أخوك كتومًا حتى النهاية».

ابتسمت كلوديا: «لقد كان ملتزمًا بالتقاليد. لطالما اعتقد أن دورنا مهم للغاية، وأنه يُحدِث فرقًا حقيقيًا في العالم، رغم صعوبة عملنا في بعض الأحيان».

قالت سكارليت: «وقد فعل وأنقذنا جميعًا. حمى الحرم الجامعيَّ بأكمله، وربما العالم بأسره من هيمنة الجحيم».

ضغطت كلوديا عينيها تغلقهما: «تمنيت فقط أن أخبره كم أنا فخورة به لمرة أخيرة».

ثم فتحت الصندوق، ومررت الخنجر لسكارليت عبر الطاولة: «احتفظي به حاليًّا، كونه حماية إضافية. وإذا وجدتِ شخصًا تعتقدين أنه جدير بالحصول عليه، اجعليه يتواصل معي».

تركت كلوديا بطاقة عملها أعلى الصندوق. بمجرد أن غادرت، خف انقباض صدرها. أعادت الخنجر لحقيبتها، وقد تشكلت ببالها فكرة.



تعلقت عينا مِي بالصندوق الذي أعطته لها سكارليت: «لا أفهم. ألم تختاري الفصل الدراسيَّ الخطأ لأداء طقس العهود الخاص بالعضوات الجدد؟».

اجتمعت الغربان في الدفيئة بناءً على طلب سكارليت. حيث جلسن القرفصاء على عدة سلال مقلوبة من الخوص، حولتها إيتا لمقاعد مريحة.

ردت سكارليت: «هذا ليس طقس تعهد بالضبط. لكن أريد أن تشاركن في أمر ما، قبل المضي قدمًا. أريد التأكد من موافقة الجميع بالكابا هاوس».

عندها سحبت مِي، بلا اكتراث، ريشة بيضاء من الصندوق، ومن ثم مررته لإيتا. بينما يدور الصندوق عليهن، سحبت كل فتاة ريشة التصويت الخاصة بها، فيما وضعت سكارليت خنجر زافيير بعناية في وسط الدائرة. ارتجفت بعض الفتيات، على الرغم أن سكارليت أخبرتهن جميعًا بمن هو زافيير، وأوضحت كيف قاتل في صفهن. لكن يصعب التخلص من مشاعر الخوف من

مواجهة صائدي الساحرات، التي حُفرت في نفوس بعضهن منذ الصغر، من قِبل أمهاتهن، بغض النظر عن الخطر الشديد الذي واجهنه خلال الفصلين الماضيَين.

نظرت سكارليت إلى فيفي، وابتسمت لها مشجعة: «كما أخبرناكن أنا وفيفي، تبحث عائلة زافيير عن خليفة له».

اعترضت ريجان: «وما علاقة ذلك بنا؟».

ارتسمت ابتسامة سمحة على وجه سكارليت: «هل تفضلن أن يختاروا شخصًا عشوائيًّا، لا يعرف شيئًا عن الغربان، وقد يعتبر سحرنا تهديدًا؟ أم نساهم في اختيار خليفته؟ أن نختار شخصًا نعرفه مثلًا، لن يسعى لتهديد نمط حياة الكابا».

ما لم تكن بيننا تيفاني أخرى مستقبلًا.

لم تفصح عن فكرها هذا بالطبع.

قالت إيتا: «تعجبني هذه الفكرة. من الرائع أن نتعلم السحر من هؤلاء الحراس، ويتعلمون منا».

علا صوت جيس: «لكنني لم أفهم بعد سبب حاجتنا للريش».

ترددت سكارليت، ناظرة لفيفي ومن ثم مِي: «حسنًا، نحتاج الريش من أجل... لدي مرشح لهذا الدور. وأود أن أعرف رأيكن. بالنسبة إليَّ، أرى هذا الشخص سيعمل عملًا عظيمًا، لكن قد أبدو متحيزة له. لذلك أريد طرح الموضوع للتصويت».

بعدها أفصحت عن هوية مرشحها. كما توقعت، اشتد الجدل. أعلن البعض موافقتهن على الفور، فيما انهالت الأخريات عليها بأسئلة، تراها معقولة تمامًا، فقد طرحتها على نفسها بالفعل مثل: *هل هذه أنانية؟ هل يصح أن أطلب منهن التصويت في المقام الأول؟*

في النهاية، وبعد أن بحثن الموضوع من كل الزوايا، رفعت سكارليت ريشتها قائلة: «لنرى من تؤيد».

في لحظتها، تخلل لون داكن كالحبر ريشتها البيضاء ببطء. كذلك حدث لريش الأخريات، حتى أصبحت كل واحدة من الغربان تحمل ريشة غراب سوداء.

لم تقدر سكارليت أن تمنع نفسها من الابتسام، أو تُوقِف قلبها الذي يخفق بسعادة بين ضلوعها: «حسنًا. حُسم الأمر إذن».





الفصل الثاني والأربعون

فيفي

يصبح التخطيط للحفلات أسهل بكثير، عندما تتحد قوة أخويتين بكامل أعضائهما، بدلًا من أخوية واحدة. حيث اخترن إقامة حفل الربيع هذا العام على متن باخرة نهرية. وبما أن والد ماريا يعمل قبطانًا على إحداها، ساعدهن للحصول على خصم كبير.

بدت المرافق البسيطة للباخرة مثيرة للإعجاب. تنقسم الباخرة إلى ثلاثة طوابق: يوجد مسبح ضخم على سطحها، وبار مفتوح في الطابق الأوسط، ودولاب مائيٌّ قديم الطراز بالطابق السفليِّ. أضفت الكابا لمسة سحرية على الأجواء الاحتفالية: علَّقن سلسلة من الأضواء بالدولاب المائيِّ، مما جعل المياه تنساب في تموجات ذهبية متلألئة. فُعِّل عزل للصوت بحيث يتفرد كل طابق بنوع مختلف من الموسيقى، دون أن تتصادم أو تتداخل حين التنقل بين الطوابق. حضَّرت إيتا وأريانا لهذا الحفل أيضًا، المشروبات الكحولية المقاومة للثمالة، مع أن لا أحد سيقدر لمستهما المميزة إلا صباح اليوم التالي.

على السطح، انحنت فيفي على الدرابزين لتشاهد طلاب ويسترلي يتوافدون إلى الباخرة، متألقين في أزياء مبهجة. ابتسمت لدى اقتراب روز تجاهها، تحمل كوبين من الشراب. ناولتها كوبًا، ثم رفعت الآخر أمام وجهها: «لنقرعهما معًا من أجل العمل الجماعيِّ».

لا يُسمح باستخدام الكؤوس على ظهر الباخرة، لذا أذعنت الكابا هذه المرة ولجأت للأكواب البلاستيكية الخاصة بالثيتا. عبست سكارليت بشدة

عندما أساء النادل خدمتها وقدم لها المارتيني في كأس واحدة، بدلًا من اثنتين. تنازلت عن عجرفتها، وتعاملت بكياسة مع الموقف. بدت خجلة، عندما لاحظت أن فيفي كانت تراقبها، فضحكت وأخذت رشفة من كأسها.

قالت سكارليت مبتسمة: «له المذاق نفسه، على أي حال».

اعترافها هذا رفع من روح فيفي المعنوية. كما أسعدتها همهمات الضيوف ما بين الإعجاب والامتنان لحسن الضيافة.

قالت فيفي: «لقد شكّلنا فريقًا رائعًا معًا. أليس كذلك؟».

ردت روز: «بالتأكيد. على الرغم من أنني تمنيتُ أن تسمحن لنا بالمساعدة في اللمسات الأخيرة. لا بد أن هذه الأضواء استغرقت منكن وقتًا وجهدًا كبيرًا. كيف فعلتن ذلك بمفردكن؟».

بدا سؤال روز عفويًا وصادقًا، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التدقيق بتعبيرات وجهها، بحثًا عن أي علامة -بريق في عينيها أو أثر لابتسامة ملتوية- تشير لرغبة مستترة لكشف سر الغربان. على العكس تمامًا، بدت ودودة للغاية، بلا أدنى إشارة لشيء آخر. إن تعويذة محو الذاكرة تعمل على نحو مثاليٍّ.

لم تعد تتذكر أي فتاة من الثيتا شيئًا عن السحر، وهذا أفضل للجميع بالطبع، إنه لمن الخطر والقسوة أن يتذكرن ما حدث تحت تأثير خدعة تِيم. لكن فيفي تشعر على الرغم منها بالشفقة تجاه صديقاتها الجدد، فأصعب شيء هو فقدان القوة بعد الحصول عليها، سواء يتذكرن أم لا.

سألتها روز، وهي تتكئ على الدرابزين تتفقد الضيوف: «هل وصل مايسون بعد؟».

هزت رأسها: «لا، ولا أظن أنه سيأتي. فلديه حدث عائليٌّ هذه الليلة، لا يعتقد أن بإمكانه التغيب عنه».

ضغطت روز على ذراع فيفي قائلة: «سوف يأتي».

- محتمل.

تقابلت مع مايسون عدة مرات منذ الحديث الذي جرى بينهما خارج المكتبة. لكنها لم تكن لقاءات رومانسية على الإطلاق، وخاصة الأسبوع

الماضي، عندما رافقته إلى ساعة تعارف عامة بقسم التاريخ. قابلت هناك مستشارته شخصيًّا وشعرت بالفخر، وهي تستمع لأساتذته الموقرة تتحدث باهتمام حول موضوع بحثه. ظل يعاملها بصفتها صديقة عادية، حتى عندما قدمها لزملائه المتخصصين في دراسة التاريخ والخريجين الذين يعمل معهم. ولم يشرع بالاقتراب منها قط حتى انقضاء الليل. عندما أوصلها للمنزل، صعدت الدرجات الأمامية، تحاصرها الوحدة، أكثر مما كانت عليه منذ انفصالهما. لقد فهمت أنها عليها بذل مجهود لاستعادة ثقة مايسون بها، لكن الشك يكاد يقتلها.

رصدت بايلي وأريانا وسونالي وريجان، يلوِّحن لها من الطابق السفليٍّ: «يجب أن أرى إذا ما يحتجن لشيء. ألقاكِ لاحقًا؟».

حيَّتها روز مُلوِّحةً بكوبها، في حين شقت فيفي طريقها نازلة الدرج، تتجاوز الضيوف المتزايدة أعدادهم، لتنضم إلى أخواتها.

تأملت فيفي البوفيه الزاخر بطعام فاخر. أعجبت بالمحار وببرج المأكولات البحرية الذي لم يكن موجودًا منذ عدة دقائق: «كل شيء يبدو وهميًّا. أشكركن جميعًا على المساعدة. أتمنى أن العمل لم يرهقكن».

وزعت فيفي مهام إلقاء السحر عليهن، حتى تتأكد ألا تنجرف في العمل بمفردها دون أن تدري.

قالت سونالي مبتسمة: «قلنا لكِ مرارًا، يسعدنا تقديم المساعدة. هذا هو المطلوب منا كوننا غربانًا، أن نعمل معًا».

علَّقت أريانا: «حتى لو اضطررنا إلى العمل مع الثيتا أحيانًا».

كانت تنظر للناحية الأخرى، وعلى وجهها نظرة تشكك مبالغ بها. لقد استغرقت بضعة أيام لتتعافى من صدمة مشاهدة بعض أخواتها يتركن الكابا، حتى لو فعلن ذلك تحت تأثير سحر الشيطان. ورغم موقفها الحاد ضد الثيتا، ترى فيفي أن حدتها تخف مع الوقت. لدرجة أنها ضبطتها تتناول الغداء مع سبنسر منذ بضعة أيام.

قالت ريجان، وهي تلكزها في ذراعها: «فيفي».

- أوه، ماذا؟

نظرت فيفي إلى حيث تحدق ريجان. لمحت تجعيدة شعر مألوفة، فخفق قلبها، وكاد يفلت من بين ضلوعها. صعد مايسون على ظهر الباخرة للتو، وأخذ يتفحص الحشد بعينيه.

همست لها ريجان: «حظًّا سعيدًا».

فيما اندفعت فيفي بين الحشد في حماس وقلق يتلوى بمعدتها. لقد آذته بشدة، ومعه كل الحق إن قرر أنه ليس مستعدًّا لمنحها فرصة أخرى. لكن ما إن رأته ينسل بين الحشد في سترة قطنية زرقاء مُقلمة بخطوط رفيعة، تتماشى مع لون عينيه -وتُلقي دفئًا على ملامح وجهه الباسمة- تأكدت أنها لن ترضى بدور الصديقة أبدًا.

سوَّت تنورتها المرة الأخيرة قبل أن تقف إلى جانبه. ترددت للحظة قبل أن تعانقه بإحراج قائلة: «إنني سعيدة بقدومك».

وجَّه لها ابتسامة عريضة: «وأنا أيضًا».

عضَّت على شفتها السفلى بعصبية. تشعر بالامتنان أنها تستطيع إلقاء تعويذة إصلاح لحمرة شفاهها، كعادتها في السابق.

- لم... لم أظن أنك ستأتي.

لا تهتم إذا بدت ضعيفة أو بحاجة إليه. لا يمكنها إخفاء مشاعرها عنه.

قال واضعًا يديه بجيبيه، متأرجحًا على كعبيه ذهابًا وإيابًا: «صدقًا، لم أظن بدوري».

نزلت عليها كلماته كالصاعقة. ومع ذلك، أجبرت نفسها على الإيماء: «أوه. هذا عادل بما فيه الكفاية».

نظر إليها في ذهول: «ماذا؟ قصدتُ فقط أنني لست متأكدًا مما إذا كنتُ مستعدًّا للابتعاد في الوقت المناسب».

صدمها بكلماته ثانيةً، لكنها هذه المرة، تنهدت بارتياح: «أوه. اعتقدتُ فقط... لا عليك».

قال برغبة واضحة لتغيير الموضوع: «بالمناسبة، لقد أُعجبت مستشارتي بكِ حقًّا».

- رائع جدًّا. خشيت أن تقرأ عقلي بطريقة ما، وتعرف أنني في الصف الخامس، بحثت في جوجل «من هو ملك أمريكا؟».

- إذا حدث، فإنني متأكد من أنها ستُعجب بفضولك المبكر (صمت لبرهة) هل بحثتِ في جوجل عن ذلك حقًّا؟

هزت فيفي كتفيها: «هذا ما يحدث عندما تنتقل بين المدارس الابتدائية لعدة مرات. لا تجد وقتًا أبدًا لتعلم كيف انتهت الثورة الأمريكية».

- إذن هذا سبب إضافيٌّ لكي أجعلكِ تأتين معي إلى هذا المؤتمر ببوسطن.

انطلقت شرارة أمل بصدرها، باعثة بفيض من الحماس يجري في عروقها: «أتقصد الذي سينعقد الخريف القادم؟».

- نعم، أفترض أنه ليس لديكِ خطط لمدة ستة أشهر من الآن.

سألته بجرأة مفاجئة: «هل هذه هي المدة التي تحتاجها للتفكير بأمرنا؟».

قال بهدوء، قابضًا على يدها: «لقد فكرتُ بما يكفي. أريدكِ بحياتي. أحتاج إليكِ».

- أتعني...

تراجعت مذعورة عن إكمال جملتها. تخاف لو حررت الكلمات التي كبتتها، فقد يأتي ليسحقها في لحظة.

أحنى رأسه وقبَّلها بلطف، ثم لمس خدها بيده: «أعني أنني أحبكِ، وأريد أن نكون معًا».

اجتاحتها موجة من الراحة والفرح، حتى كادت تفقد توازنها. قالت، وهي تشبُّ على أطراف أصابعها، لتقبِّله بدورها: «وأنا أحبكَ أيضًا».

عندما ابتعدت عنه، تأملها مبتسمًا.

تعشق غمزات وجنتيه. لا يمكن أن يدهمها ملل أبدًا، وهي تتطلع إلى وجهه المشرق والسعيد هذا. ضغطت على يده، واستندت إلى جانبه: «أعدك ألا أظل كتومة، ولا غريبة الأطوار».

لفَّ ذراعه حول خصرها وقربها إليه: «لا يمكن أن تعدي بألا تظلي غريبة الأطوار. فهذه إحدى خصالك التي جعلتني أحبك».

- ما هي الخصال الأخرى؟

نظر حوله: «حسنًا. تجيدين التخطيط لحفلات لا مثيل لها».

عقدت ذراعيها وابتسمت: «هذه لا تُحتسب».

قال طابعًا قُبلة على جبينها: «تبدين لطيفة للغاية عندما تتظاهرين بالغضب. هل هذه تُحتسب؟».

- حسنًا، ولكن عليك أن تخبرني بالبقية لاحقًا.

- بالتأكيد. بعدما أخبركِ قصة أول ملك لأمريكا أولًا.

تظاهرت بضرب ذراعه: «توقف عن ذلك! لم يجب أن أعترف لك بذلك قط».

- في يوم من الأيام، في مملكة تُسمى جورجيا، كانت هناك أميرة جميلة وقفت على قدميها طوال الموعد...

أوقف نفسه عن الاستمرار ضاحكًا، بينما تدفعه فيفي نحو حلبة الرقص، محتفظةً بذراعه حول خصرها. مهما حدث، ومهما قد يعترض طريقهما، ستحرص منذ هذه اللحظة أن يواجها أي شيء معًا، جنبًا إلى جنب.



الفصل الثالث والأربعون

سكارليت

- *تهانينا يا أختي. سمعتُ أن الحفل لم يكن مروعًا هذه المرة.*

جعلتها جملة أوجيني الثانية، تبتسم على الرغم منها، وهذه سابقة. لقد أمضت سكارليت الأسبوعين الماضيَين، تضغط على نفسها لبذل المزيد من الجهد بصحبة أختها، خاصة بعد لقاء شقيقة زافيير. إنها طريق صعبة ومتقلبة للغاية. مع أنها تعتقد أنهن يُحرزن تقدمًا، لا يزال هذا التقدم مضنيًا وبطيئًا، ولكنه يظل تقدمًا بالنهاية.

اقتربت منها مِي ولفت ذراعها حول خصرها: «أفضي إليَّ بسرك. من هو رفيقكِ إلى الحفل؟».

انتشرت التكهنات من حولها في أرجاء المنزل لعدة أيام. دفعت سكارليت بالشائعات عن غير قصد، لمجرد تهربها من الإجابة عن هذا السؤال في كل مرة. لذلك لم يعد بإمكانها المراوغة أكثر من ذلك حاليًّا.

- لم أدعُ أحدًا.

دققت مِي النظر إليها، قبل أن تتباعد شفتاها، قائلة: «أنتِ تمزحين».

لملمت سكارليت شعرها الذي جعدته من أجل الحفل، عند إحدى كتفيها: «ما هو الخطأ في الذهاب منفردة؟ لستُ بحاجة إلى رجل أتعلق بذراعه لأستمتع بوقتي».

رفع مِي كلتا يديها في وضع استسلام: «لا، بالطبع لا. إنه فقط... لم أتصور قط أنني سأراكِ يومًا تختارين مثل هذا الاختيار، لا أكثر».

في الواقع، ولا حتى سكارليت تصورت ذلك. لكنها لا تودُّ الاعتراف أمام الجميع أن صديقها رفض مواعدتها. تتفهم أسبابه، بالطبع. ولذا لا تلومه. ومع ذلك لا يزال جرحها ملتهبًا.

سألتها سكارليت: «أتشربين شيئًا؟ إنني ذاهبة لإعادة التعبئة».

- من فضلك.

أعطتها مِي كوبها الفارغ. صدقًا، أكواب شراب حمراء، كيف يفكرن هؤلاء الثيتا؟ رغم أن عليها الاعتراف، أنه منذ تحركت الباخرة في المياه متمايلة برفق، في أثناء ابتعادها عن رصيف سافانا، اقتنعت بمنطقية استخدام هذه الأكواب، بدلًا من الكؤوس. فقد كرهت أن تضطر إلى إلقاء تعويذة على كل جسم زجاجيٍّ على ظهر الباخرة، ليقاوم الكسر حتى انقضاء الليل.

اندفعت بين الحشود في طريقها للبار. أوشكت أن تلقي بتعويذة سريعة لتعجل دورها في الصف، قبل أن يلمس أحدهم مرفقها: «يمكنني أن أملأها من أجلكِ، إذا رغبتِ».

كاد قلبها يتوقف. رفعت حاجبيها: «جاكسون. اعتقدتُ أنك لن تأتي».

كان يرتدي زي النوادل، مما جعلها تصمت. حملت الكوبين، بينما سكب جاكسون فيهما الشراب. ثم أجابها ببطء: «لم أستطع الحضور كوني رفيقًا لكِ، لأنني كنتُ قد وافقت على العمل الليلة».

- هل ما زلت تدخر من أجل تلك الرحلة؟

طرق للأسفل، ثم رفع رأسه بسرعة: «نعم، من أجل هاربر. حتى لو صعب عليَّ الأمر، بعد أن أنسى حقيقة ما حدث لها مرة أخرى. ما زلتُ أريد الذهاب. لقد وعدتُها».

أمالت كوبها دون أن ترتشف منه: «أمكنك إخباري بشأن الليلة».

لقد تركت له رسالة نصية لدعوته. قرأها ولم يرُد. راسلته مرة أخرى، وكتبت أنه يجب عليهما التحدث معًا. لكنه حتى لم يقرأها هذه المرة.

تنهد: «أعرف. اعتقدت أنني... (توقف، ثم ألقى نظرة خاطفة للوراء نحو الحشد، الذي يحيط بهما من كل اتجاه) إمم. اعتقدتُ أن لقاءنا الثاني معًا، قد يكون الوقت الذي ستجرين فيه... حسنًا، تخديري مجددًا».

آه!

- تدرك أنني لا أحتاج أن أقف قريبة منك لفعل ذلك، أليس كذلك؟

لقد استخدمت جرعة نسيان بالفعل تلك المرة، لكن هناك تعاويذ أخرى لمحو الذاكرة. أصبحت الكابا ماهرات باستخدامها على نحو رهيب مؤخرًا.

ضاقت عيناه: «يا لها من راحة».

هزت كتفيها: «أردت فقط أن أذكر ذلك بصدق».

وضع زجاجة الشراب والأكواب على صينية نادل آخر في أثناء مروره بجوارهما. عقد ذراعيه: «إذن، هل هذه هي النهاية؟ هل انتهى وقتي؟».

أجابت سكارليت: «ليس بالضرورة».

تجهم، ولاحظت مدى احتقان الدم بعينيه: «ماذا تقصدين؟ لقد أخبرتني أنه ليس لديكِ خيار آخر».

ارتفع صوته، وعلى الرغم منها رفعت يدها لتلقي بتعويذة إلهاء. فلم تعد تستطيع أعين جميع طلاب ويسترلي القريبين رؤيتهما.

جفل جاكسون عندما أنزلت يدها: «سكارليت، لا تفعلي...».

همست: «لم ألقِ عليك شيئًا. أحاول فقط السيطرة على هذه المحادثة».

أشارت إلى الحشد، حيث باتت أعين الجميع مثبتة على أكوابهم أو رفقائهم الذين يتحدثون إليهم.

استدار جاكسون وحدق إليهم. ولوَّح بيده بوجه أقرب ثنائيٍّ منه: «مرحبًا».

لم يتفاعل معه أحد.

عندما التفت نحو سكارليت مجددًا، ظهر عليه الإعجاب بحركتها رغم أنفه: «ليس من العدل أن تستأثر مجموعة صغيرة من الناس على قوة بهذا الحجم. كما لا يعرف أحد حتى أنه يمكنكِ فعل ذلك. يجب أن تري أن هناك خللًا ما هنا».

- أرى ذلك.

أغمض جاكسون عينيه، وقد فاجأه ردها. ربما توقع منها أن تجادله. مما جعلها تبتسم بعض الشيء.

كان حقًّا قرارها صحيحًا. لهذا السبب شعرت أنها أخطأت بمحو ذاكرته المرة الماضية. لأن جاكسون هو بالضبط الشخص المناسب لهذه المهمة.

ببطء، مدت سكارليت يدها إلى حقيبتها، وسحبت صندوقًا رفيعًا. قالت له: «افتحه».

على عكس الغربان اللاتي جفلن بشدة عند مرأى خنجر زافيير، مد جاكسون يده بانبهار ليلمس المقبض: «هذا رائع. من أين حصلتِ عليه؟ يبدو أثريًّا (حدق إلى وجهها) لم تنهبي متحفًا، أليس كذلك؟».

ضحكت: «لا، إنه حق مكتسب بنسبة مئة في المئة».

ثم أخذت نفسًا عميقًا.

هيا.

- إنه فرصة لشخص لديه أفكار مثلكِ، شخص يريد حماية التوازن بين العالمين السحري والطبيعي.

زمَّت شفتيها للحظة، ثم جفلت: «إنها ليست مهمة سهلة. فآخر شخص استخدم هذا الخنجر، قد مات وهو يؤدي واجبه».

راقبها من كثب، وخمن: «زافيير؟».

- كيف...؟

- عندما كنتُ تحت تأثير تعويذة كايت، قال تِيم إنه يشك بزافيير. لم يثق به قط. ثم، عندما انتشر خبر حول موت زافيير في حادث السيارة في الليلة ذاتها التي انكسرت فيها لعنتي... حينها، لم يكن صعبًا أن أرى الصورة كاملة. حاول زافيير التصدي لتِيم، أليس كذلك؟

أومأت سكارليت برأسها: «لقد ضحى بحياته لينقذ الجميع».

أخرج جاكسون الخنجر من الصندوق، وحمله بإحدى يديه: «لكنه ليس ساحرًا مثلك، صحيح؟».

- نعم. إنه أحد الحراس، وكل أفراد عائلته كذلك (أعطته البطاقة التي تركتها كلوديا) سيشرفون على تدريبك، إذا أردت أن تصبح واحدًا منهم. سيعلمونك كيف توقِف شياطين مثل تِيم، أو أي شخص آخر يسعى للسيطرة على القوة.

رفع حاجبه: «حتى لو ساحرة مارقة؟».

ترددت: «نعم، حتى لو ثبت أن ساحرة أو أي شخص بدأ يتصرف مثل...».

لا تحتاج لذكر اسم تيفاني. فهو يتذكر كل شيء الآن. من هذه الناحية، تشعر بالارتياح. لكن ربما هذه أنانية منها، على أمل أن تجعله يبقى، على أمل أن يعرض نفسه للخطر، لمجرد أن يظل جزءًا من عالمها.

تنحنحت: «ليس عليك أن تقرر على الفور. تحتاج بعض الوقت لتفكر مليًّا، وتنظر في مخاطر هذا الاختيار».

وضع الخنجر في الصندوق وأغلق الغطاء: «هل هذا يعني أنني سأحتفظ بذاكرتي؟ إذا وافقت».

أومأت برأسها ثانيةً: «لكن تأكد أنك تريد هذا حقًّا، بغض النظر عن الذكريات، يا جاكسون».

أخفى بطاقة العمل في جيبه. وعندما نظر إليها لمحت شبح ابتسامة على جانبَي فمه: «دعيني أخمن. كلما أُعجبتِ بشاب تجعلينه يذهب في مهمة تعرض حياته للخطر، قبل السماح له بمواعدتك».

انزعجت، لكن لا يمكنها ألا تتفق معه، مما جعل جاكسون يضحك: «أنتن الكابا غير معقولات».

اقتربت منه خطوة، وحدجته بعينيها: «وخطيرات أيضًا. لقد قلت ما يكفي بنفسك. ولهذا السبب نحتاج شخصًا يراقبنا من أجل سلامتنا وسلامة الآخرين».

- أخبريني أن هذه ليست مجرد حيلة لإقناعي بتقبيلك مرة أخرى، يا ونتر.

بعثت كلماته بموجة من الإثارة تجري بعروقها، وتشعل شرارة مضطربة بصدرها. لقد افتقدته طوال فصل دراسيٍّ كامل. وافتقدت طريقته في قول

ما لا تتوقع بجرأة غير مألوفة، وبصوت عالٍ. ردت بينما اتسعت ابتسامته: «حسنًا... ليس هذا فقط».

فأجاب واتسعت ابتسامته: «أنتِ حقًّا ساحرة سيئة».

ضحك على جملته، فيما تقدمت منه خطوة أخرى. فعل مثلها، حتى تقاربا، واشتعل كل جزء بجسدها لدى قربها الشديد منه، بعد فترة طويلة من الانفصال. رفعت حاجبها: «هل هذا يعني أنك ستكون حارسًا عليَّ؟».

فرقع شيء ما على مسافة بعيدة. نظرت للأعلى لترى أن الألعاب النارية قد بدأت، ملقيةً بلمعان ذهبيٍّ يتموج مع هبوب الريح على سطح النهر. من حولهما، تصايح ضيوف الحفل الآخرون.

رغم كل ما يجري حولهما، لم يبعد جاكسون نظره عن عينيها. غمغم لها: «ها قد بدأنا».

ثم أحنى رأسه، وقبَّلها. عندما رفعت ذراعيها لتلتفا حول رقبته، غمرها شعور غريب، كمن يتهاوى ويُنقذ في آخر لحظة. اصطدم أحدهم بكتفها، فابتعدت عنه لاهثة. همست مِي بعقلها تعاتبها: «*سيفوتكما العرض الناري يا طائري الحب*».

ابتسمت سكارليت، ثم أمسكت بيد جاكسون ودفعته بين الحشد تجاه مقدمة الباخرة.

تحلَّقت أخواتها، ورحبن بجاكسون بسلاسة، كما لو أنه واحد منهن. في حين، لمحت فيفي ومايسون يقفان بالقرب منهن. رفعت فيفي حاجبيها، وسألتها دون صوت. طمأنتها سكارليت: «*لقد وافق*».

اتسعت ابتسامة فيفي. بالحكم على الطريقة التي تستند بها أختها الصغرى برأسها على كتف مايسون، يتضح أنه سامحها.

أحكم جاكسون ذراعيه حول سكارليت من ظهرها، وأراح رأسه على كتفها. شعرت بأنفاسه الدافئة على بشرتها، فيما يهمس: «ما الذي ورطتُ نفسي فيه؟».

أمالت برأسها للوراء، وقالت متهكمة: «لا تقل إنك خائف من بعض ساحرات ينتمين إلى نادٍ نسائيٍّ».

ضحك وقبَّلها على مؤخرة عنقها: «أوه، أعتقد أن كل شخص يجب أن يخافكن جميعًا، لأنني متأكد أنه لا يوجد شيء لا تستطعن فعله».

ما إن اقتربت فيفي ومايسون للوقوف إلى جوارهما. قبضت سكارليت على يد فيفي وضغطت عليها. بادلتها فيفي الابتسام.

إن جاكسون على حق. بوجود أخواتها إلى جانبها، يدًا بيد، لا يمكن أن يقف أمامها شيء. وكل واحدة منهن كذلك.

ازدانت سماء الليل من حولهم بألوان زاهية. غمرها شعور بالاعتزاز. تعرف سكارليت أنه لا يوجد شيء في العالم بأسره يضاهي هذا الشعور.

إنه السحر.



شكر وامتنان

أتوجه بالشكر إلى كامل الفريق في ألوي، الذي جعل أحلامي في عالم الكتابة تتحقق: سارة شاندلر، جوش بانك، لِيس مورجنشتاين، رومي جولان، وجويل حُبيقة. وإلى كلٍّ من لاني ديفيس ولورا باربيا، اللتين تبهرانني دائمًا بحسهما الإبداعيِّ في كل خطوة أخطوها، وبالطبع، أشكر إميليا رودس، التي ألهمتني بذكائها وبصيرتها، لأصبح كاتبة ومحررة أفضل.

كما أُعرب عن امتناني للفريق بأكمله في إتش إم إتش، وأخص بالذكر: ليز أجيمانج، تارا شاناهان، سامي براون، جولي ياتير، وكل من عمل بجد ليخرج الغربان للنور.

أتقدم بشكر خاص للموهبة المتميزة إيلين جودليت، التي لا تُقدَّر مساهماتها في هذا الكتاب بثمن، وخالص الامتنان لأختي الساحرة: دانييل بايج، التي حلمت معها بالكاباارو نو، وجلبت الكثير من السحر إلى حياتي.

وأخيرًا، أشكر جميع القراء الذين شاركونا هذه الرحلة. سنظل نذكر تغريداتكم، ومراجعاتكم، وتعليقاتكم، وكلمات التشجيع الرائعة. مرحبًا بكم جميعًا هنا، حيث الغربان.

كاس مورجان.

هناك أشكال متعددة للسحر. وكم أشعر بالامتنان لكل السحر الذي يحيط بحياتي. إن العمل معكِ يا كاس طوال هذه الأعوام كان مقدرًا لنا. كم أسعدني التأليف مع كاتبة ساحرة مثلك، لم تقبلي فقط دعوتنا لمعايشة أخوية الفتيات، بل أضفتِ إليه سحرك الخاص، وصنعتِ منا ومن الغربان نجاحًا منقطع النظير. أحبكِ أيتها الصديقة العزيزة.

أتوجه بالشكر إلى عائلتي: عزيزي كريس ألبرز، ما زلت أتمنى البقاء إلى جوارك دومًا. إلى أندريا، وأبي، وسيينا، وجوش، حبُّكم لي، هو منبع السحر وراء ما وصلتُ إليه.

إلى عائلتي الثانية الغالية: آني، وكريس، وفيونا، وجاكسون رولاند، وكلٍّ من لورين ديل، وساندي، ودون جودمان، ستيفن مكفرسون، وتينا سلون، جيل لوري، وتوني هارست. إلى بوني دات: إن تصميماتك للفساتين ساحرة مثلك! إلى دارين شتراوس، صديقتي اللامعة غزيرة الإنتاج!

إلى أصدقائي: كارين جرينبيرج، جوش صابارا، ميشيل ويلز، كامي جارسيا، فرانك ليسر، ساشا ألسبرغ، ليزلي رايدر، بالوما راميريز، جين ماري هادسون، ميغان شتينتراجر، ليكسي دواير، ليزا تولين، سارة كاجان، كريستين نيلتهورب، ليزلي كيندال داي، كريستال تشابيل، ميليسا سالمونز، لورا رايت، جوردان فيلاسوسو، ساشا موت، كريس لوي... إلى آخرهم من الأصدقاء الكثيرين... حياتي أكثر إشراقًا لوجودكم فيها جميعًا.

أخص بالذكر، عزيزتي إميلي ويليامز، لقد نشرتِ البهجة بين جماعة الغربان، وكنتِ تميمة حظي الشخصية، لهذا أشكركِ.

إلى فريقنا المخلص في ألوي، الذي بسببه، لُمَّ الشمل بين هؤلاء السحرة معًا: سارة شاندلر، جوش بانك، ليس مورجنشتاين، رومي جولان، وجويل

حُبيقة. أشكر لاني دايفيس ولورا باربيا بالأخص، لمجهوداتهما المذهلة في أثناء التحرير.

إلى فريقنا في إتش إم إتش: ليز أجيمانج، تارا شاناهان، سامي براون، جولي ياتير، وخاصة محررتنا إميليا رودس، لرعايتها ودعمها الغربان منذ نشأتها وحتى نشرها في المكتبات. وبالطبع، إلى إيلين جودليت، الصديقة والمحبة للغربان.

وختامًا، إلى قرائنا الأعزاء المتزايدة أعدادهم في حب الساحرات، أشكركم جميعًا. وممتنة لكل من أعطى فرصة للغربان، ولكل من أدلى بتعبير صادق من خلال كلمات أو عملٍ فنيٍّ. نتمنى رؤيتكم بالجوار، وتبادل الحديث معكم عن قرب. إلى مانشكينز، على وجه الخصوص، لقد ألهمتني السحر. أتمنى أن يدوم سحرك الخاص.

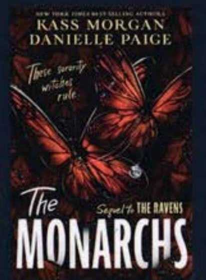
دانييل بايج.



الملوك

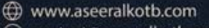
في هذا الجزء المثير من سلسلة "الغربان"، تتعرض سكارليت وفيفي وباقي الساحرات، إلى أقسى اختبار للولاء والحب والصداقة، خلال مواجهة قوى الظلام، وخطر انتشار الفوضى بكل أرجاء الحرم الجامعي. تأخذ فتيات الكابا رو نو على عاتقهن إعادة التوازن إلى العالم، بعد تدمير الطلسم الأثري، وإنقاذ الأخوية من الانهيار، حفاظًا على سرية أقوى رابطة للسحر في ويسترلي بأي ثمن. تتولى سكارليت ونتر مسؤولية رئاسة الكابا رو نو، ساعيةً لتحقيق أقصى حماية ممكنة، حتى لا تقع ساحرة أخرى في شرك القوى المظلمة. ما بين ضغوط الحاضر وحصار إخفاقات الماضي، تغفل سكارليت الوجه الآخر للمسؤولية، وتجد نفسها تخاطر بأغلى قوة لديها: السحر. تدرك فيفي أهمية انتمائها لأخوية نسائية مثل الكابا رو نو، تتلقى بها الدعم من أخواتها، وتحظى برضا أختها الكبرى -سكارليت- وبصداقة الفتى الذي حاز إعجابها (وصادف أنه الصديق السابق لسكارليت). تتعلم أساليب جديدة للسحر، في ظل تكليفها بالدور الاجتماعي، لكن يقودها إلى اكتشاف نوع جديد غامض، يرتبط بالماضي، وبالروح الانتقامية التي تحررت من الطلسم الملعون.

في ظل كل ضغوطات المسؤولية الجديدة والدمار القادم، يجب على سكارليت وفيفي حماية الأخوات من سيطرة قوى الظلام، والتصدي لمحاولات إطلاق عنان الفوضى بين الغِربان.



telegram @soramnqraa

تصميم الغلاف: محمود هشام




9 789776 902824





www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb